



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



ارسلنا
عليكم يا صابغ
الرماد

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir



مَجْلَدُ الْوَلَاءِ
فِي تَرْجُومَاتِ بَعْضِ أَهْلِ الْفِرْقَانِ
زِيَارَةُ عَاشُورَاءِ

تأليف
الشيخ رشاد برفهان الحنفدي

للمؤلف

دار النشر
دار الفکر للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تيجان الولاء في شرح بعض فقرات زياره عاشوراء

كاتب:

وسام البلداوى

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
20	تيجان الولاء فى شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء المجلد 1
20	اشارة
20	اشارة
24	نص زيارة عاشوراء
28	مقدمة اللجنة العلمية
30	المقدمة
40	منهجنا فى البحث
40	اشارة
44	فتاوى مراجع الدين العظام وأقوالهم بخصوص زيارة عاشوراء
44	1: فتوى آية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله بخصوص سند الزيارة
46	2: فتوى أخرى مهمة لآية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله
48	3: فتوى آية الله السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله
49	4: فتوى أخرى لآية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله
50	5: فتوى لآية الله العظمى الشيخ جواد التبريزى رحمه الله تعالى
51	6: فتوى أخرى لآية الله العظمى الشيخ جواد التبريزى رحمه الله تعالى
52	7: فتوى لآية الله العظمى السيد الروحاني دام ظله
53	8: فتوى أخرى لآية الله السيد الروحاني دام ظله
54	9: السيد الروحاني: قراءة عاشوراء كل يوم لها الأثر البالغ على الجنين
55	10: السيد الروحاني: ما ذكر فى فضيلة زيارة عاشوراء يحير العقول
55	11: السيد الروحاني: لا يجوز الصلاة خلف من يقول بان زيارة عاشوراء مزورة
60	السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ
60	اشارة

60	المبحث الأول: إثبات صحة صدور هذه الفقرة الشريفة
62	المبحث الثاني: تبيان معنى السلام وفوائده وعلة بدء الزيارة به
62	المحور الأول: معنى السلام
62	إشارة
62	1: بمعنى التحية وعلامة من علامات الأمن
63	2: بمعنى التسليم والانقياد له في جميع شؤونه
64	3: بمعنى التذكير بالميثاق والدعاء بتعجيل الفرج والنصر
64	4: شهادة من الزائر لإمامه بأداء أمر الله وإقامة سنة نبيه الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم
65	المحور الثاني: علة بدء الزيارة بلفظ السلام على أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه
66	المبحث الثالث: سر السلام على الإمام بكنية أبي عبد الله
66	إشارة
66	المدلول الأول: تعليم الزائر أدب الخطاب مع إمامه
69	المدلول الثاني: الخطاب بالكنية دليل على حضور المخاطب وحياته
69	إشارة
70	1: آيات القرآن الكريم تتحدث عن أن للأموات شعوراً وحياءً وتفاعلاً مع العالم الخارجي
71	2: إجماع روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على سماع الأموات وحياتهم وفرحهم وحزنهم
72	3: روايات أهل السنة في صحاحهم وأسانيدهم وسماعهم لمن يناديهم ويذورهم
73	4: علماء السنة يصرحون بحية الأموات وسماعهم وتعقلهم لما يدور حولهم
74	المدلول الثالث: توجيه نظر الزائر إلى مصيبة الطفل الرضيع
76	السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ
76	إشارة
78	المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة
80	المبحث الثاني: لماذا التأكيد على كون الحسين عليه السلام ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
80	إشارة
81	جذور هذه المسألة

- 82 ليس للنبي صلوات الله وسلامه عليه من قرابة غير بنى أمية ..
- 84 نظرة العباسيين لمسألة القرابة ..
- 85 أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا حجر العثرة بوجه ذلك المخطط ..
- 87 محاولات أصحاب السقيفة القضاء على هذه العقبة ..
- 89 استمرار المحاولات على أيدي الأمويين والعباسيين ..
- 91 موقف أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من هذا المخطط ..
- 95 المبحث الثالث: سر السلام على الحسين بابن رسول الله ..
- 95 اشارة ..
- 95 المدلول الأول: تبيان أسباب قتل الأمة للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ..
- 96 المدلول الثاني: تبيان موجبات زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ..
- 98 المدلول الثالث: تبيان الفارق ما بين القاتل والمقتول ..
- 99 المدلول الرابع: الوقوف بوجه مخطط أصحاب السقيفة وأشباعهم ..
- 100 السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَابْنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ ..
- 100 اشارة ..
- 102 المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة ..
- 104 المبحث الثاني: تبيان السبب الثاني من أسباب واقعة عاشوراء ..
- 104 اشارة ..
- 105 اختصاص لقب أمير المؤمنين بالإمام على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه ..
- 107 ابتزاز هذا اللقب من الإمام على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه ..
- 114 كيف اثر لقب أمير المؤمنين فى استشهاد الحسين صلوات الله وسلامه عليه ..
- 120 المبحث الثالث: تبيان السبب الثالث من أسباب فاجعة عاشوراء ..
- 120 اشارة ..
- 121 ابتزاز لقب الوصى من الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ..
- 123 أدلة أفضلية أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على بقية الأوصياء ..
- 123 اشارة ..

- 123 الدليل الأول
- 124 الدليل الثاني
- 125 الدليل الثالث
- 128 المبحث الرابع: من هم الأوصياء المقصودون في هذه العبارة
- 128 اشارة
- 131 ملاحظة لابد منها
- 132 السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ
- 132 اشارة
- 134 المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة من الزيارة
- 135 المبحث الثاني: تبيان السبب الرابع من أسباب فاجعة عاشوراء
- 135 اشارة
- 135 الأول: ان اسمها المقدس ووجودها صلوات الله وسلامه عليهما مذكر بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم
- 137 الثاني: ان اسمها المقدس كان على الدوام يذكر الأمة بأعظم رزية ومصيبة
- 140 المبحث الثالث: سر السلام على الإمام الحسين بابن سيدة النساء
- 144 السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا تَارَ اللّهِ وَابْنَ تَارِهِ وَالْوَتْرَ الْمَوْتُورَ
- 144 اشارة
- 146 المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة
- 148 المبحث الثاني: معنى كون الحسين عليه السلام ثار الله
- 148 اشارة
- 148 المعنى الأول: قد يطلق الثار على الدم
- 150 المعنى الثاني: وقد يطلق الثار على الطلب بالدم
- 151 المعنى الثالث: وقد يطلق الثار على التائر الذي لا يبقى شيئاً حتى يأخذ بثاره
- 153 المبحث الثالث: معنى كون الإمام الحسين عليه السلام ابن ثار الله
- 155 المبحث الرابع: الدعاء لفرج الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يعجل بأخذ ثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه
- 158 المبحث الخامس: معنى وصف الحسين عليه السلام بالوتر الموتور

158 اشارة

158 المعنى الأول: قد يطلق الوتر ويراد به المتفرد فى الكمال

161 المعنى الثانى: وقد يطلق الموتور على من قُتِلَ حميمُهُ وأُفِرِدَ

162 المعنى الثالث: وقد يطلق الموتور على من قتل له قتيل ولم يدرك بدمه

164 السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الْأَرْوَاحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفِتَانِكَ وَأَنَاخَتْ بِرِحْلِكَ

164 اشارة

166 المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة من الزيارة

169 المبحث الثانى: تبيان ألفاظ هذا المقطع من الزيارة

169 أولاً: السَّلَامُ عَلَيْكَ

170 ثانياً: وَعَلَى الْأَرْوَاحِ

170 اشارة

170 1: الإنسان

171 2: الملائكة

172 3: الجن

172 ثالثاً: الَّتِي حَلَّتْ بِفِتَانِكَ

173 رابعاً: وَأَنَاخَتْ بِرِحْلِكَ

174 المبحث الثالث: فضل السلام وفوائده تكراره

174 اشارة

175 الفائدة الأولى: السلام سبب من أسباب المغفرة

175 الفائدة الثانية: السلام سبب لكثرة خير بيت المسلم

176 الفائدة الثالثة: وفى السلام الكثير من الحسنات

176 الفائدة الرابعة: ان المسلم يحظى برد من الملائكة

176 الفائدة الخامسة: المسلم يحظى بالرد من قبل إمامه المعصوم صلوات الله وسلامه عليه

177 الفائدة السادسة: فى السلام تكامل لروح الزائر المسلم

178 المبحث الرابع: المقصود من الأرواح التى ورد ذكرها فى هذه الفقرة

178	اشارة
178	الأرواح التي حلت بفناء قبر الإمام أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه
184	الأرواح التي أناخت بقبر الإمام أبي عبد الله الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليه
186	عَلَيْكُمْ مِنِّْي جَمِيعاً سَلَامٌ اللهُ أَبْدَاً مَا بَقِيَتْ وَيَبْقَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
186	اشارة
188	المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة من الزيارة
190	المبحث الثاني: تبيان ألفاظ هذه الفقرة من الزيارة
190	1: عليكم مني جميعا
190	2: سلام الله
191	3: أبدا ما بقيت وبقي الليل والنهار
192	المبحث الثالث: في معنى سلام الله سبحانه وتعالى
192	اشارة
194	أولاً: السلام اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى
194	اشارة
194	المعنى الأول
195	المعنى الثاني
195	ثانياً: مراتب إفاضة السلامة على سائر البشر
198	ثالثاً: سلام الله سبحانه ومرافق لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في جميع العوالم
198	ألف: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الأشباح والأنوار
201	باء: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الطينة
205	جيم: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الأظلة
207	دال: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الذر
211	هاء: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الأصلاب
214	رابعاً: فائدة الخوض في مثل هذا البحث
214	اشارة

- 216 ألف: ان معرفة الله حق معرفته متوقف على معرفة الأنمة حق معرفتهم
- 220 باء: ان معرفتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين توجب مضاعفة الحسنات
- 222 جيم: ان دخول الجنة متوقف على المعرفة وازديادها يوجب الترقى فى درجاتها
- 226 يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظَمْتَ الرَّزِيَّةَ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ
- 226 اشارة
- 228 المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة
- 230 المبحث الثانى: المعنى اللغوى لهذه الفقرة الشريفة
- 230 1: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ
- 230 2: لَقَدْ عَظَمْتَ الرَّزِيَّةَ
- 231 3: وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ
- 232 4: بِكَ عَلَيْنَا
- 233 5: وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ
- 234 المبحث الثالث: أهل الإسلام ومراتب تحقق وصفهم بالإسلام
- 234 اشارة
- 234 المرتبة الأولى: مرتبة الإسلام الظاهرى
- 236 المرتبة الثانية: مرتبة الإسلام بشرط الولاية
- 240 المرتبة الثالثة: مرتبة إسلام الأنبياء والأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
- 242 مصيبة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وتأثيرها فى هذه المراتب الثلاث
- 242 اشارة
- 242 الشاهد الأول
- 243 الشاهد الثانى
- 249 المبحث الرابع: شواهد روائية تعكس عظم ما وقع فى عاشوراء
- 256 وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ
- 256 اشارة
- 258 المبحث الأول: المعنى اللغوى لهذه العبارة الشريفة

- 258 1: وَحَلَّتْ وَعَظَّمَتْ مُصِيبَتَكَ فِي السَّمَاوَاتِ .
- 260 2: عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ .
- 261 المبحث الثاني: التأثير الكوني لمصيبة الحسين عليه السلام .
- 261 اشارة .
- 261 أولا: تصريح السيدة زينب بكاء السماء دما يوم عاشوراء .
- 264 ثانيا: التأثير الكوني لمصيبة الحسين صلوات الله وسلامه عليه في كتب الإمامية .
- 265 ثالثا: التأثير الكوني لمصيبة الحسين صلوات الله وسلامه عليه في كتب أهل السنة .
- 269 رابعا: ماذا يقول ابن كثير وابن تيمية بخصوص ما سبق؟
- 271 المبحث الثالث: هل يمكن أن تبكي الحيوانات والجمادات؟
- 271 اشارة .
- 272 أولا: شواهد قرآنية على ان لكل الموجودات عقلاً وإدراكاً .
- 272 اشارة .
- 275 اذا كان للحيوان وغيره من الموجودات عقل وإدراك، فلماذا لم يكلف بالأحكام الشرعية؟
- 277 ثانيا: ماذا يقول الحلبي في معاجز النبي . وكراماته .
- 282 ثالثا: خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة .
- 284 رابعا: كسفت الشمس وأظلمت المدينة حين أرادوا نقل منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم .
- 285 خامسا: أظلمت المدينة من جريمة عبيد الله بن عمر بن الخطاب .
- 288 فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ .
- 288 اشارة .
- 290 المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة .
- 292 المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة .
- 292 1: فَلَعَنَ اللَّهُ .
- 293 2: أُمَّةً .
- 296 3: أَسَسَتْ أَسَاسَ .
- 296 4: الظُّلْمَ .

297 5: وَالْجَوْرِ

298 6: أَهْلَ الْبَيْتِ

299 المبحث الثالث: ماذا يمكن ان يستفاد من هذه الفقرة من الزيارة

303 المبحث الرابع: دلالة اللعن في المصطلح القرآني

306 المبحث الخامس: جزاء من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة

310 المبحث السادس: لا عبرة بالأكثرية والحق هو المدار

313 المبحث السابع: الإمام الحسين عليه السلام ميزان حساب الأمم

313 اشارة

314 أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين موازين رضا الله وغضبه

315 أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ميزان أولاد الحلال وميزان الإيمان والنفاق

317 الزهراء صلوات الله وسلامه عليها ميزان غضب الله سبحانه ورضاه

319 الحسين صلوات الله وسلامه عليه ميزان حساب الأمم يوم القيامة

322 وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعْتَكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ وَأَزَالَتْكُمْ عَنْ مَرَاتِكُمْ الَّتِي رَتَّبْتُكُمْ اللَّهُ فِيهَا

322 اشارة

324 المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة المباركة

326 المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة المباركة

326 1: وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعْتَكُمْ

328 2: عَنْ مَقَامِكُمْ

329 3: وَأَزَالَتْكُمْ

330 4: عَنْ مَرَاتِكُمْ الَّتِي رَتَّبْتُكُمْ اللَّهُ فِيهَا

330 المبحث الثالث: تبيان بعض مراتب ومقامات أهل البيت عليهم السلام

330 اشارة

332 المرتبة الأولى: مرتبة الاصطفاء على جميع العالمين

332 اشارة

333 ألف: اصطفاء الإنسان على بقية موجودات الأرض

- 333 باء: اصطفاء الأكمل من بين أفراد الإنسان
- 334 جيم: اصطفاء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على الأنبياء والرسل
- 334 دال: اصطفاء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
- 335 هاء: اصطفاء الله سبحانه من أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فالأكمل
- 336 واو: علة اصطفاء الله سبحانه لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
- 337 المرتبة الثانية: مرتبة الوصاية والخلافة للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم
- 337 ألف: الوصاية خاضعة لقانون تقديم الأفضل على الفاضل
- 338 باء: استمرار النبوة في ذرية نبي الله إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه
- 338 جيم: وصاية نبي الله إسماعيل صلوات الله وسلامه عليه ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم
- 339 دال: حتمية وصاية الإمام على صلوات الله وسلامه عليه بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- 342 هاء: حتمية وصاية الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بعد الإمام على صلوات الله وسلامه عليه
- 343 المرتبة الثالثة: مرتبة تربية الأمة عقائدياً وتزكيتهم روحياً
- 343 إشارة
- 344 من سعادة هذه الأمة ان كان مربيها ومعلمها محمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- 345 شروط ومؤهلات المتصدى لتربية الأمة
- 345 هذه الشروط لا تتوفر بعد النبي إلا في أمير المؤمنين على صلوات الله وسلامه عليه
- 346 حديث (أنا مدينة العلم وعلى بابها) يشهد بذلك
- 349 صعوبة القيام بمهمة التربية وحساسيتها
- 351 المبحث الرابع: بسبب دفع أهل البيت عليهم السلام وإزالتهم عن مراتبهم
- 351 محق الدين وتحريف الأحكام
- 352 هل في هذه الحقيقة افتراء على الصحابة؟
- 352 إشارة
- 353 الشاهد الأول: انس بن مالك يعترف بأنه لم يبق من الدين شيئاً حتى الصلاة
- 353 الشاهد الثاني: أبو الدرداء يغضب لعدم بقاء شيء من أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم
- 354 الشاهد الثالث: سهيل بن مالك يعترف أيضاً

- 354 الشاهد الرابع: البراء بن عازب يعترف بان الصحابة أحدثوا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- 354 الشاهد الخامس: عبد الله بن عباس يصرح بأن القوم تركوا السنة بغضا لعلی
- 355 الشاهد السادس: عثمان بن عفان يكتم أحاديث النبي خوف أن يفرق الناس عنه
- 355 لماذا تراجعت الأمة هذا التراجع الخطير والسريع؟
- 357 المبحث الخامس: سبب مسارعة الأمة إلى دفع أهل البيت عليهم السلام عن مقاماتهم ومنزلهم
- 357 إشارة
- 357 حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم زهد وعفة وصلاح
- 358 الفقر عنوان حب النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم
- 359 تفاعل المسلمين مع نهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن بشكل مؤقت
- 360 انقلاب الصحابة على نهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغزوة تبوك أعظم دليل
- 361 سبب غزوة تبوك وحث النبي صلى الله عليه وآله وسلم للناس على الالتحاق بالجيش
- 362 كيف استجاب الصحابة لدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالالتحاق بجيش تبوك
- 363 من هم المعبر عنهم بلفظ الناس في القسم الثاني
- 363 إشارة
- 364 القسم الثالث: العاصون لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الصحابة
- 365 أفعال يستكرها الدين ويندى لها جبين الأحرار من أهل الإيمان
- 367 نتائج مهمة نختم بها هذا المبحث
- 367 إشارة
- 367 الأولى: انهم ملوا سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنهجه في الزهد وترك الدنيا
- 368 الثانية: دور المتخلفين عن غزوة تبوك في دفع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مراتبهم
- 370 الثالثة: تهقير الأنصار عن نصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أدى إلى انقلاب موازين الصراع
- 372 وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ
- 372 إشارة
- 374 المبحث الأول: إثبات الصدور لهذه الفقرة الشريفة
- 376 المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه العبارة الشريفة

376 1: وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً

377 2: فَتَلَّكُمُ

377 المبحث الثالث: اللعن يتعدد بتعدد السبب الموجب له

379 المبحث الرابع: هل يمكن أن تكون لأبدان أهل البيت عليهم السلام قابلية البقاء والخلود

379 اشارة

379 أولا: لعدم وجود مانع عقلي من ذلك

380 ثانيا: وجود المقتضى لذلك

380 اشارة

380 المرجح الأول: لإظهار فضلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين واختصاصهم وتقديمهم على كل البشر

381 المرجح الثاني: لمعاصرة أكبر عدد من المكلفين لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

384 ثالثا: وجود الروايات الدالة على وقوع ذلك

384 اشارة

384 ألف: روايات الطيبة تدل على ذلك

385 باء: حديث أبي مويهبة من كتب أهل السنة يدل على ذلك أيضا

386 جيم: حديث عائشة من مصادر أهل السنة يدل على ذلك أيضا

387 فائدة الخوض في هذا البحث

387 اشارة

389 الفائدة الأولى: تضع توضيحا شافيا لطول عمر الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه

390 الفائدة الثانية: لتبيان الجريمة النكراء التي حالت دون التمتع بوجودهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

391 المبحث الخامس: أدلة إثبات قتل الأمة لأهل البيت عليهم السلام

391 اشارة

391 الأدلة على قتل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم واستشهاده

391 اشارة

391 الدليل الأول: قابلية بدنه الشريف للخلود والبقاء الوجودي تدل على ذلك

392 الدليل الثاني: تسالم قتله في مذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

- 392 الدليل الثالث: روايات أهل السنة تشهد بقتله صلى الله عليه وآله وسلم واستشهاده ..
- 393 من الذى قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ..
- 394 الأدلة على قتل السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها ..
- 394 اشارة ..
- 395 الدليل الأول: قابلية بدننها الشريف للخلود والبقاء الوجودى يدل على ذلك ..
- 395 الدليل الثانى: قصر عمرها يدل على ذلك ..
- 396 الدليل الثالث: النصوص التاريخية والروائية تدل على ذلك أيضا ..
- 400 المبحث السادس: أدلة جواز لعن قتلة أهل البيت عليهم السلام ..
- 400 اشارة ..
- 400 الدليل الأول: القاتل للنفس المؤمنة كافر والكافر يجوز لعنه إجماعا ..
- 402 الدليل الثانى: إن قتل أهل البيت إفساد فى الأرض والمفسد فى الأرض ملعون ..
- 403 الدليل الثالث: فى قتلهم نقض للعهد وقطعا لما أمر الله به أن يوصل ..
- 405 الدليل الرابع: ان فى قتلهم إيذاء للنبي ومؤذى النبي ملعون ..
- 408 الدليل الخامس: فى قتل أهل البيت إيذاء للمؤمنين ومؤذيههم ملعون ..
- 409 الدليل السادس: فى قتل أهل البيت قطع للأرحام وحكم بغير ما انزل الله ..
- 410 **وَلَعَنَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ لَهْمُ بِالتَّمَكِينِ مِنْ قِتَالِكُمْ ..**
- 410 اشارة ..
- 412 المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة ..
- 415 المبحث الثانى: المعنى اللغوى لهذه الفقرة الشريفة ..
- 415 1: **وَلَعَنَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ ..**
- 415 2: **لَهْمُ بِالتَّمَكِينِ ..**
- 416 3: **مِنْ قِتَالِكُمْ ..**
- 418 المبحث الثالث: امتداد التمهيد لقتل أهل البيت جيلا بعد جيل ..
- 418 اشارة ..
- 419 اجتماع السقيفة ليس أول اجتماع لغضب الخلافة ..

- 422 فاطمة ومحسنها صلوات الله وسلامه عليهما أول ضحايا تمهيد يوم السقيفة
- 426 التمهيد لعمر بن الخطاب ومن بعده لأبي عبيدة بن الجراح
- 429 تبدل المخطط السابق وظهور عثمان بن عفان على الساحة
- 432 الشورى مخطط لإيصال آل أمية وإقصاء آل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
- 435 لماذا شارك أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بهذه الخدعة وهو يعلم بنتائجها؟
- 437 محاولة انتزاع الإمارة من آل أمية وإرجاعها للمهاجرين مرة أخرى
- 441 دور معاوية بن أبي سفيان في مقتل عثمان بن عفان
- 442 دور الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في هذا الصراع
- 444 رجوع الخلافة إلى أصحابها الشرعيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
- 446 أسباب إشعال الفتنة ونار الحرب بوجه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه
- 449 عائشة بنت أبي بكر تقود تمرد الناكثين
- 452 القاسطون والمارقون امتداد لمسلسل التمهيد لقتلة أهل البيت
- 458 بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ
- 458 إشارة
- 460 المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة
- 462 المبحث الثاني: المعنى اللغوي والاصطلاحى لهذه الفقرة الشريفة
- 462 1: بَرِئْتُ
- 463 2: إِلَى اللَّهِ
- 464 3: وَإِلَيْكُمْ
- 465 4: مِنْهُمْ
- 466 المبحث الثالث: تسعة معان محتملة لهذه الفقرة الشريفة
- 472 المبحث الرابع: فى علة التبرؤ من هذه الأمم السالفة الذكر
- 472 إشارة
- 473 السبب الأول: لخيانتهم والخائن يجوز نقض عهده والتبرؤ منه
- 473 السبب الثانى : وجب التبرؤ منهم لان الله سبحانه وتعالى قد تبرأ منهم

- 474 السبب الثالث: وجبت البراءة لتبرؤ النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم .
- 476 السبب الرابع: تجب البراءة منهم بقطع النظر عن كل دليل قرآني أو روائي .
- 476 السبب الخامس: تجب البراءة لأنهم نواصب .
- 478 السبب السادس: تجب البراءة منهم حتى لا يشاركهم في أفعالهم .
- 480 المبحث الخامس: أمن فروع الدين الولاية والبراءة أم من أصوله ؟
- 480 هل توجد ضابطة لتمييز أصول الدين من فروعها ؟
- 480 إشارة
- 480 أولاً: الأصول هي الأسس الفكرية العقائدية والفروع هي السلوكيات الشرعية .
- 481 ثانياً: الأصل هو الذي ان فقد لم يبق للبناء وجود والفرع بعكسه .
- 481 ثالثاً: الأصول هي التي يستدل على أصل وجودها بالعقل أما الفروع فتثبت بالأدلة الشرعية .
- 482 هل تطبيق الشروط السابقة على مسألة الولاية والبراءة ؟
- 482 إشارة
- 482 الأول: الولاية والبراءة بمعناها العام .
- 483 الثاني والثالث: الولاية بمعناها الخاص والأخص .
- 483 الدليل العقلي يثبت ضرورة الاعتقاد بمسألتى الولاية والبراءة .
- 484 القرآن صنف الولاية والبراءة من أجزاء الإيمان والإيمان يتعلق بالأصول .
- 484 الأحاديث الشريفة جعلت الولاية والبراءة من دعائم الإسلام .
- 486 تصريح جملة من العلماء بكون الولاية والبراءة من مسائل أصول الدين .
- 488 لماذا عدّ البعض مسألتى الولاية والبراءة من فروع الدين ؟
- 490 المحتويات
- 510 تعريف مركز .

تيجان الولاء فى شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء المجلد 1

اشارة

رقم الإيداع فى دار الكتب والوثائق ببغداد لسنة 2011: 2189

الرقم الدولى ISBN: 9789933489267

البلداوى، وسام، 1974 - م.

تيجان الولاء فى شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء / تأليف وسام برهان البلداوى؛ [تقديم اللجنة العلمية، محمد على الحلوى]. - ط 1. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، 1433ق. = 2012م.

2ج. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ 95).

المصادر.

1. زيارة عاشوراء - نقد وتفسير. 2. الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، 4 - 61ق. الزيارة - أحاديث. 3. زيارة عاشوراء - فتاوى الشيعة. 4. عاشوراء - فلسفة. 5. زيارة عاشوراء - فضائل - أحاديث الشيعة. 6. زيارة عاشوراء - مصادر. 7. زيارة عاشوراء - شبهات وردود. ألف. الحلوى، محمد على، 1957 - م.، مقدم. ب. محمد بن على (ع)، الإمام الخامس، 57 - 114ق. زيارة عاشوراء. شرح. ج. العنوان. د. العنوان: زيارة عاشوراء. شرح.

9 ت 8 ب / 6 / 271 BP

تمت الفهرسة فى مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

ص: 1

اشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 3

تيجان الولاء فى شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء

الشيخ وسام برهان البلداوى

الجزء الأول

إصدار

وحدة الدراسات التخصصية فى الإمام الحسين عليه السلام

فى قسم الشؤون الفكرية والثقافية

فى العتبة الحسينية المقدسة

ص: 4

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1434هـ _ 2013م

العراق: كربلاء المقدسة _ العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية _ هاتف: 326499

www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

نص زيارة عاشوراء

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ فاطمة سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللَّهِ وَابْنَ ثَارِهِ، وَالْوَتْرَ الْمَوْتُورَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الْأَزْوَاحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفِنَائِكَ، __ وَأَنَاخَتْ بِرَحْلِكَ (1) __، عَلَيْكُمْ مِنِّي جَمِيعاً سَلَامَ اللَّهِ أَبَداً مَا بَقِيَتْ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظَمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَجَلَّتْ وَعَظَمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ.

فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ وَأَزَالَتْكُمْ عَنْ مَرَاتِبِكُمْ الَّتِي رَتَّبَكُمْ اللَّهُ فِيهَا وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ وَلَعَنَ اللَّهُ الْمُمَهِّدِينَ لَهُمْ بِالتَّمَكِينِ مِنْ قِتَالِكُمْ. بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّيْتُمْ مِنْهُمْ وَمِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَاتَّبَاعِهِمْ وَأَوْلِيَانِهِمْ.

1- وردت في نص آخر غير الذي إعتدنا به ولكننا أوردناها هنا وشرحناها في محله تعميماً للفائدة فتنبه.

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي سِئَمٌ لِمَنْ سَأَلَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَعَنَ اللَّهُ آلَ زِيَادٍ وَآلَ مَرْوَانَ وَلَعَنَ اللَّهُ بَنِي أُمَيَّةَ فَاطِمَةَ وَلَعَنَ اللَّهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ وَلَعَنَ اللَّهُ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ وَلَعَنَ اللَّهُ شِمْرًا وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسْرَجَتْ وَأَلْجَمَتْ وَتَتَقَبَّتْ وَنَهَيْتُ لِقِتَالِكَ.

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدْ عَظُمَ مُصَابِي بِكَ فَاسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَكْرَمَ مَقَامَكَ وَأَكْرَمَنِي بِكَ أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكَ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي عِنْدَكَ وَجِيهًا بِالْحُسَيْنِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِلَى فَاطِمَةَ وَإِلَى الْحَسَنِ وَإِلَيْكَ بِمُؤَالَاتِكَ وَبِالْبِرَاءَةِ مِمَّنْ فَاتَلَكَ وَنَصَبَ لَكَ الْحَرْبَ وَبِالْبِرَاءَةِ مِمَّنْ أَسَّسَ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجُورِ عَلَيْكُمْ وَأَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ مِمَّنْ أَسَّسَ ذَلِكَ وَبَنَى عَلَيْهِ بُنْيَانَهُ وَجَرَى فِي ظُلْمِهِ وَجَوْرِهِ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَشْدِّ يَاعِيَكُمْ بَرِّتُ إِلَى اللَّهِ وَالْيَكْرَمِ مِنْهُمْ وَأَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ إِلَيْكُمْ بِمُؤَالَاتِكُمْ وَمُؤَالَاتِهِ وَلِيَّكُمْ وَبِالْبِرَاءَةِ مِنْ أَعْدَائِكُمْ وَالتَّاصِبِينَ لَكُمْ الْحَرْبَ وَبِالْبِرَاءَةِ مِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَأَتَّبَاعِهِمْ.

إِنِّي سِئَمٌ لِمَنْ سَأَلَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ وَوَلِيٌّ لِمَنْ وَالَاكُمْ وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاكُمْ فَاسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَكْرَمَنِي بِمَعْرِفَتِكُمْ وَمَعْرِفَةِ أَوْلِيَانِكُمْ وَرَزَقَنِي الْبِرَاءَةَ مِنْ أَعْدَائِكُمْ أَنْ يَجْعَلَنِي مَعَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَنْ يُبَيِّتَ لِي عِنْدَكُمْ قَدَمَ صِدْقٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُبَلِّغَنِي الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِي مَعَ إِمَامٍ مَهْدِيٍّ ظَاهِرٍ نَاطِقٍ

مِنْكُمْ وَأَسْأَلُ اللَّهَ بِحَقِّكُمْ وَبِالشَّانِ الَّذِي لَكُمْ عِنْدَهُ أَنْ يُعْطِيَنِي بِمُصَابِي بِكُمْ أَفْضَلَ مَا يُعْطَى مُصَاباً بِمُصِيبَتِهِ مُصِيبَةً مَا أَعْظَمَهَا وَأَعْظَمَ رَزِيَّتَهَا فِي الْإِسْلَامِ وَفِي جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي فِي مَقَامِي هَذَا مِمَّنْ تَنَالُهُ مِنْكَ صَلَوَاتٌ وَرَحْمَةٌ وَمَغْفِرَةٌ اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَحْيَايَ مَحْيَا مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمَمَاتِي مَمَاتَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ.

اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا يَوْمٌ تَبَرَّكَتْ بِهِ بَنُو أُمِّيَّةٍ وَإِنَّ آكِلَةَ الْأَكْبَادِ اللَّعِينِ بِنِ اللَّعِينِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَمَوْقِفٍ وَقَفَّ فِيهِ نَبِيِّكَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ اللَّهُمَّ الْعَنْ أَبَا سُدْفِيَانَ وَمُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُدْفِيَانَ وَيَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ اللَّعْنَةُ أَبَدَ الْأَبْدِينَ، وَهَذَا يَوْمٌ فَرَحْتُ بِهِ آلَ زِيَادٍ وَآلَ مَرْوَانَ بِقَتْلِهِمُ الْحُسَيْنَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ صَاعِفْ عَلَيْهِمُ اللَّعْنَ مِنْكَ وَالْعَذَابَ الْأَلِيمَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَفِي مَوْقِفِي هَذَا وَأَيَّامِ حَيَاتِي بِالْبِرَاءَةِ مِنْهُمْ وَاللَّعْنَةِ عَلَيْهِمْ وَبِالْمَوْلَاةِ لِنَبِيِّكَ وَآلِ نَبِيِّكَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ.

ثُمَّ تَقُولُ: اللَّهُمَّ الْعَنْ أَوَّلَ ظَالِمٍ ظَلَمَ حَقَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَآخِرَ تَابِعٍ لَهُ عَلَى ذَلِكَ اللَّهُمَّ الْعَنْ الْعِصَابَةَ الَّتِي جَاهَدَتِ الْحُسَيْنَ وَشَايَعَتْ وَبَايَعَتْ عَلَى قَتْلِهِ اللَّهُمَّ الْعَنْهُمْ جَمِيعاً. «تَقُولُ ذَلِكَ مِائَةَ مَرَّةٍ».

ثُمَّ تَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَعَلَى الْأَرْوَاحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفِنَائِكَ عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامُ اللَّهِ مَا بَقِيَتْ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا جَعَلَهُ اللَّهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنِّي لِزِيَارَتِكَ السَّلَامُ عَلَى الْحُسَيْنِ وَعَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَعَلَى أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ. «تَقُولُ ذَلِكَ مِائَةَ مَرَّةٍ».

ثُمَّ تَقُولُ: اللَّهُمَّ خُصَّ أَنْتَ أَوَّلَ ظَالِمٍ بِاللَّعْنِ مِنِّي وَإِبْدَأْ بِهِ أَوَّلًا ثُمَّ الثَّانِي ثُمَّ الثَّلَاثَ ثُمَّ الرَّابِعَ اللَّهُمَّ الْعَنْ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ خَامِسًا وَالْعَنْ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ وَابْنَ مَرْجَانَةَ وَعُمَرَ بْنَ سَعْدٍ وَشُمُرًا وَآلَ أَبِي سُفْيَانَ وَآلَ زِيَادٍ وَآلَ مَرْوَانَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

ثُمَّ تَسْجُدُ وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ لَكَ عَلَى مُصَابِهِمُ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَظِيمِ رِزْيَتِي اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شِفَاعَةَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامِ يَوْمَ الْوُرُودِ وَتَبَّتْ لِي قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَكَ مَعَ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِ الْحُسَيْنِ الَّذِينَ بَدَلُوا مَهْجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامِ.

مقدمة اللجنة العلمية

من عاشوراء الطفوف .. حتى عاشوراء الظهور..

الإعلام والإعلام المضاد.. مفردتان تتناوبان على مجمل الحركة الفكرية التي تشهدها الساحة الإسلامية منذ تاريخها نشوءاً بل استمراريتها حدوداً وبقاءً، والمقصود من الساحة الإسلامية هي الساحة التي تحكمها الحالة الشيعية، تلك الحالة التي تُعد من أبرز متغيرات التحولات العقائدية عند بروز المذاهب الإسلامية، والمقصود من المتغيرات هنا: المتغيرات التي حافظت على أساسيات الاعتقاد الإسلامي الذي معه بدت الحالة الشيعية تأخذ صدارة الأحداث، فالقرارات السياسية الجائرة التي تعمل على طمس الحقائق الإسلامية رافقتها حالة الانكفاء والتحيز إلى النكوص والالتواء على الثوابت العقائدية، دون الأخذ بنظر الاعتبار مصادر التشريع وامتداداته المتمثلة بأئمة أهل البيت عليهم السلام، في حين بقيت الحالة الشيعية - وبالرغم من ظروف المطاردة والإقصاء - تتألق بثقافتها الإعلامية المصادرة، لكنها المصدرة ضمن مشروعها الإعلامي العظيم الذي أسسه أئمة أهل البيت عليهم السلام ومن خلال قنواتها الإعلامية - الفكرية التي تفرّد بها هذا الكيان المطارد لكنه صاحب المبادرة في طرح الفكرة.. الحادثة.. المظلومية.. القضية.. وكل ما لهذا التاريخ من اعتبارات التأسيس والتأصيل ومن ثم الاستمرار، «فعاشوراء» القضية الأبرز من بين القضايا

الشيعة تأخذ على عاتقها مظلومية أمة تمتد من عاشوراء الطف حتى عاشوراء الظهور.. أى من كربلاء الحسين الشهيد المنتصر.. حتى كربلاء المهدي القائد المنتصر، ولا بد لهذه القضية من آليات الإعلام الحي، ومعنى «الإعلام الحي» ذلك الإعلام المنتصر بأدوات الحقيقة وتفاعلات الحدث، فإعلامنا اليوم يتابع القضية من خلال رؤية شخصية، أو واقعة عامة، أو صيغة خاصة تتأرجح بين الاحتمال واليقين، أو بين الممكن وغير الممكن، أو بين الخطأ والصواب، فى حين الإعلام العاشورائى يقدم الحقيقة كما هى لكنها الحية التى تعيش فى الضمائر والوجدانيات.. فزيارة عاشوراء تلك الفلسفة المختزلة بين حنايا سطور النصوص الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، تقدم الصيغة المعتمدة فى قراءة الحدث وبكل تفاصيله، والمختزل بكل بلاغته، والممتد بكل عنفوانه فى مطاوى النفس كما هو ممتد فى آفاق الزمن المطارد والمطارّد بحيثياته الحقيقية والموضوعية.

وزيارة عاشوراء، بما لها من مزايا الطرح الموضوعى بل والتاريخى الا انها بحاجة إلى قراءة تأخذ على عاتقها شروحات الألفاظ كما هى شروحات الأحوال التى رافقت واقعية هذا الطرح المعصومى الرائع.. لذا فإن كتاب تيجان الولاء فى شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء لجناب الشيخ وسام البلداوى يوقفنا على حقائق التاريخ بصيغها الموضوعية، وبكل حيثياتها العاطفية.. لكنها الموضوعية...

عن اللجنة العلمية

السيد محمد على الحلو

النجف الأشرف

المقدمة

ان ليوم عاشوراء من عام واحد وستين للهجرة خصوصية امتاز بها عن سائر الأيام، إذ لولاه لمحق الدين وضاعت أحكامه، ولولاه لنحر بنو أمية الإسلام نحر الأضاحي، ولولاه لما رفع على المآذن اليوم صوت يشهد لله سبحانه بالتوحيد وللنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة، ولولاه لأصبح دين الناس اليوم هو دين يزيد بن معاوية عليه اللعنة، الذي لا يعرف إلا السكر والمجون واللعب بالكلاب والقروء.

فبعاشوراء عرف الناس معالم دينهم، وبعاشوراء حفظت حرمة الإسلام، وبعاشوراء وحد الله سبحانه وتعالى حق توحيد، وبعاشوراء أقيمت الصلاة وبقيت الفرائض، وبعاشوراء افتضح أرباب الفسق وانكشف أهل الريب والنفاق، وبعاشوراء حفظت حرمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أن تنتهك من قبل الشجرة الملعونة في القرآن، ولو أننا بقينا نعدد فوائد ذلك اليوم لما وقف بنا الحال عند حد معين، فما زالت السنين تمر وفي كل يوم يتضح معنى جديد من معاني عظمة ذلك اليوم، وفي كل يوم يخرج علينا باحث ودارس يكشف الجديد مما غاب عن أقرانه الذين سبقوه، وسوف لا تتوقف هذه الاكتشافات في يوم من الأيام، إلى أن يقوم الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه فيكشف جوهر العظمة وسر الخلود لذلك اليوم الذي حير عقول العظماء والبسطاء على حد سواء.

وهذه العظمة وتلك الأهمية ليوم عاشوراء امتدت لتشمل كل ما يمت لهذا اليوم بصلة من قريب أو بعيد، وزيارة عاشوراء التي نحن بصدد شرح مضامينها ليست بمستثناة عن هذه القاعدة، فعظمتها مستوحاة من عظمة ذلك اليوم، ومضامينها تحمل أسرار ذلك اليوم الذي لم يكشف الزمان كل جزئياته إلى يوم الناس هذا.

كما ان لهذه الزيارة العظيمة علاقة وثيقة وشبها كبيرا مع أصل واقعة عاشوراء، فواقعة عاشوراء لم يزل أهل العلم وأرباب العقول وهم يكتشفون معنى جديدا من معانيها لم يكن مكتشفا من قبل، وكذلك الحال بالنسبة لزيارة عاشوراء، فلم تزل الأقلام تكتب أسرارها وتبين عظيم مضامينها والى يوم الناس هذا لم تنفذ جميع أسرارها ولا فنيت كل مضامينها، وستبقى الإنسانية تنتهل من مناهل هذه الزيارة العظيمة، ما دام للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ذكر، وما دام ليوم عاشوراء وجود.

ولا تتوقف عظمة هذه الزيارة على مجرد ما تحويه من مضامين عالية وحقائق مهمة، بل قد ثبت بالنقل والتجربة ان لها أثارا تكوينية عجيبة سواء في قضاء الحوائج ونيل المقاصد الدنيوية، أو في رفع الدرجات وحط السيئات في عالم الآخرة، وهو أمر قد ذكره الباحثون من قبل، وليس في ذلك غرابة ولا استكثار على زيارة اهتم بها الجليل من فوق سبع سماوات، واهتم بها أهل البيت عليهم السلام فقد روى عن صفوان عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال له: (تعاهد هذه الزيارة وادع بهذا الدعاء وزر به فإنني ضامن على الله لكل من زار بهذه الزيارة ودعا بهذا الدعاء من قرب أو بعد، أن زيارته مقبولة وسعيه مشكور وسلامه واصل غير محجوب وحاجته مقضية من الله تعالى بالغة ما بلغت ولا يخيبه. يا صفوان، وجدت هذه

الزيارة مضمونة بهذا الضمان عن أبي، وأبي عن أبيه على بن الحسين عليهما السلام مضمونا بهذا الضمان عن الحسين عليه السلام والحسين عليه السلام عن أخيه الحسن عليه السلام مضمونا بهذا الضمان والحسن عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام مضمونا بهذا الضمان، وأمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عليه السلام مضمونا بهذا الضمان وجبرئيل عن الله عز وجل مضمونا بهذا الضمان، وقد آلى الله على نفسه عز وجل أن من زار الحسين عليه السلام بهذه الزيارة من قرب أو بعد ودعا بهذا الدعاء قبلت منه زيارته وشفعته في مسألته بالغة ما بلغت، وأعطيته سؤله ثم لا ينقلب عنى خائبا، وأقلبه مسرورا قريبا عينه بقضاء حاجته والفوز بالجنة والعنتق من النار وشفعته في كل من شفح خلا ناصب لنا أهل البيت آلى الله تعالى بذلك على نفسه، وأشهدنا بما شهدت به ملائكة ملكوته على ذلك، ثم قال جبرئيل: يا رسول الله __ إن الله __ أرسلني إليك سرورا وبشرى لك، وسرورا وبشرى لعلى وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولدك وشيعتكم إلى يوم البعث(1).

ثم قال صفوان: قال لى أبو عبد الله صلوات الله وسلامه عليه: (يا صفوان إذا حدث لك إلى الله حاجة فزر بهذه الزيارة من حيث كنت وادع بهذا الدعاء وسل ربك حاجتك تأتک من الله، والله غير مخلف وعده ورسوله صلى الله عليه وآله بمنه والحمد لله...)(2).

فهذه الزيارة إذن هي ليست كباقي كلامهم المعتاد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وان كان كل كلامهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين نورا وحكمة وموعظة، إلا أن هذه الزيارة لها سنخية

1- () مصباح المتعجد للشيخ الطوسى: ص 781.

2- () المصدر السابق ص 782.

لأحاديث القدسية التي أوحى الله سبحانه بها إلى جبرائيل ونزل بها جبرائيل عليه السلام إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وأودعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى خلفائه الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ثم أفيضت من قبلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلى شيعتهم شأنها شأن باقي العلوم التي لولاها لما اطلع على حقيقتها احد من العالمين.

وزيارة عاشوراء على وفق تلك الضمانات التي تقدمت في حديث صفوان السابق لو أردنا أن نشبهها بباقي أحاديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من حيث قوة النقل والإسناد لما كان لها شبه إلا بما يعرف بحديث سلسلة الذهب المروي عن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه (1)، ففي كلتا الروايتين ينقل فيهما الإمام الرواية عن الإمام الذي قبله وكلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ينقلون عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرائيل وجبرائيل عليه السلام عن الله سبحانه وتعالى، فإذا كان حديث الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه إنما سمي بحديث سلسلة الذهب لان رواته هم من بمنزلة الإمام عن الإمام عن النبي عن جبرائيل عن الله سبحانه، فحقيق على كل منصف أن يسمى زيارة عاشوراء بزيارة سلسلة الذهب لنفس العلة ولا اتحاد الملاك في كلتا الحالتين.

1- () حديث سلسلة الذهب رواه الشيخ الصدوق في كتابه الأمالي (ص 305 - 306) حيث قال: (حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل «رحمه الله»، قال: حدثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن يوسف بن عقيل، عن إسحاق بن راهويه، قال: لما وافى أبو الحسن الرضا «عليه السلام» نيسابور، وأراد أن يرحل منها إلى المأمون، اجتمع إليه أصحاب الحديث، فقالوا له: يا بن رسول الله، ترحل عنا ولا تحدثنا بحديث فنستفيده منك... فأطلع رأسه، وقال: سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن علي يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليهم السلام» يقول: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: سمعت جبرئيل «عليه السلام» يقول: سمعت الله عز وجل يقول: لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن عذابي. فلما مرت الراحلة نادانا: بشروطها، وأنا من شروطها).

ثم ان أهمية كون زيارة عاشوراء حديثاً قدسياً هو صدق مضامينها وما احتوت عليه من وقائع، سواء الوقائع الكونية، أو الوقائع التاريخية، لان كلام الله عز وجل صادق لا يتخلف ولا يحتمل الكذب، وهو أمر بديهى عند كل المسلمين لا يحتاج بيانه إلى البرهان.

وفى كون مضامينها صادقة لا تحتمل الكذب خدمة كبيرة للموغل بحثا فى أعماق التاريخ، فالحقيقة التى ينشدها كل الأحرار فى العالم موجودة فى طيات هذه الزيارة، لان الباحث المنصف طالما عانى وما زال يعانى من المجاملة التى تحيط بالنص التاريخى، فالنص التاريخى كما هو معروف سواء فى أثناء تدوينه وكتابته فى المراحل الأولى، أو فى أثناء نقله إلى الغير جيلا بعد جيل، قد تعرض إلى التشويه والتشويش والاضطراب لأسباب جمّة ودواعٍ مختلفة من الترغيب والترهيب، مما أدى فى كثير من الأحيان إلى ضياع أصل الحقيقة ومجىء صورة أخرى لا تمت بصلة إلى تلك الحقيقة.

وبناءً على ما سبق يمكن لنا أن نضع قاعدة مهمة هى: لو تعارض النص التاريخى المتداول بين أيدي الناس مع مضمون فقرات الزيارة ومفرداتها، فلا يمكن حينئذ أن نرفع اليد عن الزيارة بحجة ان التاريخ — الذى قد عرفت حاله — لا ينسجم مع تلك الزيارة أو بعض فقراتها، بل فى حال التعارض بين فقرات الزيارة الشريفة وما بين النص التاريخى، لابد وان تقدم نص الزيارة وما احتوته من معلومة على ذلك النص التاريخى المتعارض، وذلك لان زيارة عاشوراء كلام قدسى صادر من اعلى سلطة تكوينية وتشريعية فى هذا الكون وهو الله سبحانه، والذى يعلم كل خافية وكل صغيرة وكبيرة فى هذا العالم، فلا يمكن والحال هذه أن يتسرب إلى إخباراته الكذب بحال من الأحوال، بعكس النص التاريخى الذى ثبت بالتحقيق تعرضه لكثير من

حالات الكذب والتزوير والإخفاء العمدي أو السهوى لكثير من تفاصيله وحيثياته وبالخصوص التي تحدثت عن ظلامه أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وسوء ما واجهتهم به الأمة ولزم من طويل.

وعليه فإذا ما أراد كل باحث عن الحق أن يتعرف على حقيقة ما جرى في تلك الحقبة التاريخية من دون رتوش أو مجاملات فما عليه إلا أن يمعن الفكر والنظر في ما احتوته زيارة عاشوراء من حقائق، لأنها قد حكمت لنا الواقع بما هو، وبما ينبغي على المؤرخ المنصف أن ينقله.

فنتيجة لكل ما لهذه الزيارة الشريفة من الأهمية العظيمة والمنزلة الرفيعة ارتأيت أن أدلو بدلوى لأسهم في شرح مقاصد هذا السفر العظيم وتبيان إشاراته، غير أنني لم أكمل شرح جميع ما احتوته هذه الزيارة الشريفة، لأسباب كثيرة منها ما هو متعلق بإمكانية كاتبة هذه السطور العلمية والمعرفية، إذ إنني أرى ونتيجة معايشتي الطويلة لهذه الزيارة وفقراتها قلة بضاعتي تجاه ما تحتويه هذه الزيارة من أسرار وإشارات وحقائق يعجز عن فهمها وإدراكها من هم بمثل منزلتي، فعند الله سبحانه وعند الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه التمس العذر في عدم إكمال الشرح والإيضاح لجميع فقرات هذه الزيارة التي حيرت عقول فطاحل العلم وجهاذة الفكر قديما وحديثا فكيف بمن هم مثلي من قليلي الزاد؟!، هذا سبب، والسبب الآخر أن الاستغراق في شرح جميع فقرات هذه الزيارة الشريفة وكلماتها تأخذ من الباحث سنين طويلة من عمره، فيما لو أراد أن يعطى الزيارة حقها، ويحيط بكل جوانبها، وهذا ما لم يكن لنا صبر عليه، لأنني والى هذه الساعة أمضيت ما يقارب الستين في شرح فقرات هذه الزيارة الشريفة وإيضاحها، ولكني لم ابلغ منها النصف، فكيف لو قدر ومضينا لإتمام جمع فقراتها وألفاظها، فاني سأحتاج ولا ريب إلى ثلاث أو أربع سنين أخرى

لإتمام الباقي، وهو وقت طويل، لذلك استشرت بعض الأخوة الأفاضل ممن له الباع الطويل فى البحث والتأليف فى الاستمرار ومواصلة البحث او التوقف والاكتفاء بما تم شرحه، فأشار على جزاه الله خيرا بالاستخارة وطلب المشورة من الله سبحانه، فاستخرت الله سبحانه وقد اختار لى وهو علام الغيوب ان التوقف والاكتفاء بما تم شرحه وإيضاحه هو المتعين، وان التفرغ لأبحاث أخرى هو اللازم، ولا عجب فى ذلك فالهجمة اليوم من أعداء المذهب باتت بأوجها، وان تكالب النواصب لمحقق دعائم هذا المذهب الحق قد بلغ منتهاه، فأصبح من الضرورى بل من الواجب أن يبذل كل من له القدرة على الدفاع غاية مجهوده لرد أباطيل أولئك النواصب الأشرار وتقنيدها، وفقنا الله سبحانه لذلك، ونسأله سبحانه العون والتوفيق، والمدد والمعونة من سادتى وأئمتى الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

عبدكم يا سادتى الشيخ وسام برهان البلداوى

من داخل حرم مولاي الحسين الشهيد صلوات الله وسلامه عليه

9 صفر الخير 1432 للهجرة النبوية الشريفة

14 كانون الثانى 2011 ميلادى

منهجنا فى البحث

فتاوى مراجع الدين العظام وأقوالهم بخصوص زيارة عاشوراء

1: فتوى آية الله العظمى السيد السيستانى دام ظله بخصوص سند الزيارة

2: فتوى أخرى مهمة لآية الله العظمى السيد السيستانى دام ظله

3: فتوى آية الله السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله

4: فتوى أخرى لآية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله

5: فتوى لآية الله العظمى الشيخ جواد التبريزى رحمه الله تعالى

6: فتوى أخرى لآية الله العظمى الشيخ جواد التبريزى رحمه الله تعالى

7: فتوى لآية الله العظمى السيد الروحانى دام ظله

8: فتوى أخرى لآية الله السيد الروحانى دام ظله

9: السيد الروحانى: قراءة عاشوراء كل يوم لها الأثر البالغ على الجنين

10: السيد الروحانى: ما ذكر فى فضيلة زيارة عاشوراء يحير العقول

11: السيد الروحانى: لا يجوز الصلاة خلف من يقول بان زيارة عاشوراء مزورة

منهجنا في البحث**إشارة**

لا يخفى أن كل نص أو حديث تاريخي أو ديني مركب في الحقيقة من أمرين:

الأول: سند هذا الحديث والحاوي على مجموعة من الرجال الذين قاموا بإيصال ذلك الحديث إلينا.

الثاني: متن ذلك الخبر والحديث، والمتضمن لجملته أو عدة جمل لفظية، نطق بها المتكلم أراد من خلالها إفهام الآخرين لمقصده سواء في ذلك السامع المباشر أو الأعم منه.

وزيارة عاشوراء غير خارجة عن هذا التركيب، وقد اعتاد من أراد إثبات صحة صدورها عن المعصوم الدخول في معترك حرب السند ورجال الرواية، فهم ما بين قاطع مسلم، أو مشكك نافٍ، أو مثبت لبعض أجزائها ومنكر للبعض الآخر، وقد دارت بين هؤلاء وهؤلاء مناوشات كلامية يطول سردها ولا طائل من ذكرها.

غير أننا رأينا أن نعالج قضية إثبات صدور هذه الزيارة عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والقطع بصحة كل ما احتوت عليه من مضامين من جهة أخرى تغنينا والقارئ الكريم عن الخوض في معترك الرجال ومصطلحات هذا الفن، وذلك بثلاثة طرق:

الأول: عرض لأقوال مجموعة من العلماء الأعلام وآرائهم وفتاواهم بخصوص صحة زيارة عاشوراء من حيث السند والتمتن، وهذه الأقوال والفتاوى تعدّ كما لا يخفى على عاقل شهادة يمكن الاعتماد عليها من الناحية العلمية، لان هؤلاء الأعلام حينما يصححون الإسناد والتمتن لأى خبر من الأخبار والنصوص الدينية فإنهم لا- شك قد بذلوا الجهد فى التقصى والبحث عن كل حيثيات ذلك السند أو التمتن وملاساتهما وبشكل علمى متخصص، ووفق قواعد الجرح والتعديل المعروفة والمعمول بها فى علمى الدراية والرجال، فإذا ما اقر هؤلاء الأعلام صحة رواية ما فإن المكلف لا شك يطمئن إلى صحة ما صححوه، بوصفهم من أهل الخبرة وممن قضى العمر فى هذا الميدان، وهذا ما يغنينا عن البحث اعتمادا على أقوالهم وما وصلوا إليه من النتائج(1).

الثانى: إثبات مضمون كل فقرة من فقرات هذه الزيارة العظيمة فى بقية الأدعية والزيارات الصادرة عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فيكون وجودها فى تلك الزيارات وذكرها فى تلك الأدعية أو الروايات شاهد صدق على صحة صدورها عن الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه.

الثانى: إثبات صدق تحقق هذه المضامين فى الخارج، فحينما نأتى مثلا إلى عبارة (فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ) نجد أنّ الذى أشارت إليه هذه الفقرة قد تحقق فعلا، فقد ثبت تاريخيا ان هنالك مجموعة من الأولياء عرفوا باسم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وان هنالك ظلماً وجوراً قد مارسته الأمة ضدهم، وان هنالك من أسس لهذا الظلم والجور، فنستنتج من صدق وقوع ذلك خارجا صدق صدورها عن المعصوم صلوات الله وسلامه عليه.

1- هذه الوثائق والفتاوى سيتم عرضها بعد إكمال منهجنا فى البحث وتوضيحه.

هذا هو منهجنا لإثبات هذه الزيارة الشريفة ومعالجتها من حيث صحة صدورها عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأما من حيث متن هذه الزيارة الشريفة، ولأن كلامهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أشبه شىء بالقرآن الكريم، فكما أن للقرآن ظاهراً وباطناً، كذلك لكلامهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين معنى ظاهر ومعنى أو عدة معانٍ باطنة، كما قال المحقق البحراني في (الحقائق الناضرة): (فإن أخبارهم كالقرآن لها ظهر وبطن)(1)، وقال الحسن بن سليمان الحلبي في (مختصر البصائر): إن أحاديث الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» وأهل بيته صلوات الله عليهم تحذو حذو القرآن العزيز، ففيها المحكم والمتشابه، والخاص والعام، والناسخ والمنسوخ، والمجمل والمفصل، إلى غير ذلك(2)، لذلك وجب التفتيش قدر المستطاع عن كل ما يمكن أن يكون معنى محتملاً لعبارة الزيارة وفقراتها، وذلك بالاستعانة بالآيات القرآنية والنصوص الروائية والمعاجم اللغوية والنصوص التاريخية وكل ما يكون من شأنه أن يساعدنا على فهم النص أكثر، وسوف يثبت بالدليل الذي لا يقبل الشك ان هذه الزيارة العظيمة المضامين أوسع وأعمق من أن تفهم بالقراءة السطحية العابرة، وان مضامينها ما زالت ومنذ صدورها إلى اليوم بل إلى يوم القيامة طرية حية.

1- الحقائق الناضرة للمحقق البحراني ج 7 ص 439.

2- مختصر البصائر للحسن بن سليمان الحلبي ص 19.

فتاوى مراجع الدين العظام وأقوالهم بخصوص زيارة عاشوراء

1: فتوى آية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله بخصوص سند الزيارة

فى سؤال وجه إلى سماحة آية الله العظمى السيد على الحسينى السيستانى دام ظله حول صحة سند كل من الزيارة الجامعة وزيارة عاشوراء ومضمونهما وما هو الرأى العلمى فيهما.

فأجاب مكتب الاستفتاء التابع له دام ظله بالآتى:

باسمه تعالى: زيارة عاشوراء والجامعة الكبيرة من أهم الزيارات وأحسنها وأصحها سنداً وامتناً ومضمونهما وارد فى كثير من الروايات الصحيحة فينبغى للمؤمنين المداومة عليهما ولا يصغون لتسويلات المغرضين.

وهذا هو نص الفتوى المباركة:

ص: 26

تصوير (1)

2: فتوى أخرى مهمة لآية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله

وفى سؤال آخر وجهه لسماحة السيد السيستاني دام ظله حول تحفظ البعض وتشكيكه فى دعاء التوسل والشهادة الثالثة فى الأذان والزيارة الجامعة وزيارة عاشوراء.

فأجاب مكتب سماحة السيد السيستاني دام عزه بالآتى:

باسمه تعالى: إن أمثال هؤلاء لا بد من التحرز والاحتراس عنهم وترك معاشرتهم وعدم اخذ معالم الدين منهم فإنهم لا يقصدون الخير والصالح للأمة بمثل هذه الشبهات والتحفظات وإلا فالسؤال الأساسى: ما هو المانع من قراءة دعاء التوسل حتى لو كان من تأليف بعض العلماء مع ان المحدث القمى يسنده إلى المعصوم (عليه السلام).

وما المانع من الشهادة الثالثة فى الأذان بدون قصد الجزئية مع أن الأدلة المعتمدة تثبت استحبابها بل ظاهرها وجوب الشهادة الثالثة بعد الشهادتين؟ وهل المجتمع الشيعى أو الإسلامى سوف يتضرر من ذكر الشهادة الثالثة.

وهكذا الزيارة الجامعة التى قال عنها الأعظم كالمجلسى ووالده وغيرهما إنها من اصح الزيارات متنا وإسنادا، وهل قراءتها يوجب الكفر والشرك أو الانحراف؟! وهل ذكر المعصومين (عليهم السلام) بهذه الأوصاف والنعوت التى تثبت أكثرها بالدلائل القطعية للأئمة يكون فيه ضرر وفساد حتى تتحفظ منه؟!

وزيارة عاشوراء التى اشتهرت عند العلماء والفقهاء وتلقوها بالقبول وداوموا على قراءتها وذكروا لها الآثار العجيبة والبركات العظيمة وقد رواها المحدثون الأجلاء بطرق متعددة وروى مضامينها فى زيارات وروايات أخرى حيث تكون متواترة مضمونا، لماذا يكون موردا للتحفظ عند هؤلاء ويذكرون الشبه حولها؟

ان أمثال هؤلاء سوف يأتى عليهم زمان ينكرون أكثر مبادئ الإسلام وأحكامه

ويفسرون القرآن بأرائهم بل إذا سمحت لهم الظروف ينكرون محكمات القرآن وذلك لسببين أساسيين مع أسباب أخرى لا يعلمها إلا الله تعالى:

السبب الأول: حب الدنيا والرئاسة والاشتهار فإنهم عملوا بقاعدة (خالف تعرف).

السبب الثاني: إرضاء الشباب المنحرف والجمعيات والمذاهب والمسالك الباطلة والأديان الأخرى بل إرضاء من ينكر الله تعالى ويدعو إلى العولمة والإلحاد لكسبهم وجلب محبتهم وتأليف قلوبهم. وهذا هو نص الفتوى المباركة:

تصوير (2)

3: فتوى آية الله السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله

وقد سئل سماحته عن التشكيك والظعن في زيارة عاشوراء والزيارة الجامعة الكبيرة والظعن في سنديهما ودعوى وقوع التزوير والزيادة فيهما وغيرها من الشبهات.

فأجاب مكتب سماحته دام عزه بالآتي:

زيارة عاشوراء معتبرة سندا ومنتنا على مباني سماحة السيد الحكيم دام ظله، والمنصرف من اللعن هو غير المؤمن منهم لو فرض وجود مؤمن فيهم واقعا.

والظاهر اعتبار سند زيارة الجامعة مضافا إلى أن متن الزيارة شاهد بأنه من كلام الأئمة عليهم السلام بملاحظة أسلوبها البياني ومضامينها العالية، وكذلك زيارة عاشوراء.

مع انه لا يشترط في الدعاء والسلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون واردا بسند صحيح. وهذا هو نص الفتوى المباركة:

تصوير (3)

4: فتوى أخرى لآية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله

وقد وُجّه إلى سماحته أيضا سؤال عن مدى اعتبار زيارة عاشوراء الموجودة في كتاب مفاتيح الجنان وغيره من كتب الدعاء والزيارة، وهل وقع فيها تزوير أو زيادات في بعض مقاطعها؟.

فأجاب مكتب سماحة آية الله العظمى محمد سعيد الحكيم دام ظله بالآتي:

...لقد صرح سماحة السيد الحكيم (دام ظله) بالوثوق بصدور الزيارة الجامعة كما ان زيارة عاشوراء المشهورة معتبرة على مبانيه الرجالية بكامل فقراتها.

وهذا هو نص الفتوى المباركة:

تصوير (4)

5: فتوى لآية الله العظمى الشيخ جواد التبريزى رحمه الله تعالى

وقد سئل رحمه الله تعالى عن صحة سند زيارتى عاشوراء والجامعة ومضمونها فى ضمن أسئلة أخرى فأجاب رحمه الله بالآتى:

بعض الزيارات كزيارة عاشوراء والزيارة الجامعة معتبرة ومروية فى كتاب المزار ومضمونها صحيح قطعاً. وفيما يأتى نص هذه الفتوى المباركة:

تصوير (5)

6: فتوى أخرى لآية الله العظمى الشيخ جواد التبريزي رحمه الله تعالى

وقد أكد الشيخ التبريزي رحمه الله تعالى في استفتاء آخر على صحة وسلامة تمام متن وسند زيارة عاشوراء، وأفتى بعدم جواز التردد أو التشكيك فيها وحث على المواظبة على قراءتها لنيل قضاء حوائج الدنيا والآخرة.

وهذا هو نص جوابه رحمه الله تعالى:

تصوير (6)

7: فتوى آية الله العظمى السيد الروحاني دام ظله

وقد سئل السيد الروحاني عن قطعة سند زيارة عاشوراء، فأجاب دام ظله بقوله:

زيارة عاشوراء ثابتة من طريق سند معتبر و الأصحاب عاملون به ولا إشكال فيه وعلى فرض عدم قوة السند بمقتضى قاعدة التسامح الدال عليها النبوى المعتبر يحكم باستجابها وترتب الثواب المذكور فى الروايات عليها.

وهذه نص فتواه مقتبسة من الموقع الالكترونى التابع لمكتبه دام ظله:

تصوير (7)

8: فتوى أخرى لآية الله السيد الروحاني دام ظله

وقد وجه إليه بعض المستفتين سؤالاً مفاده ان البعض يقولون بان زيارة عاشوراء غير صادرة عن الإمام المعصوم أو غير صحيحة، وان هذا البعض يشكك في عبارة (ولعن الله بني أمية قاطبة) وغير ذلك. فأجاب السيد الروحاني بما هو نصه:

1: زيارة عاشوراء صادرة عن الإمام المعصوم عليه السلام وسندها معتبر ووثق جدا.

2: من صدر عنه اللعن على بني أمية قاطبة كان عالماً بجواز ذلك ونحن اعتماداً عليه نتحدث به.

3: لا ريب ان في الروايات المنسوبة إلى الأئمة الأطهار عليهم صلوات الله كثير منها لم تصدر عنهم إحدى وظائف العلماء تشخيص الصادر عن غير الصادر وعلم الرجال انما هو لذلك.

وهذا نص فتواه كما في الموقع الالكتروني التابع لمكتب سماحته:

تصوير (8)

9: السيد الروحاني: قراءة عاشوراء كل يوم لها الأثر البالغ على الجنين

وقد وجهت إليه إحدى المؤمنات سؤالاً عن إفادتها بمعلومة أو مصدر يمكن الرجوع إليه لتهيئة جنينها قبل الولادة ليصبح في المستقبل عالماً نابغاً محباً لمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم وخداماً لهم، ويوفق لحفظ القرآن ونهج البلاغة وغير ذلك من وجوه التوفيق.

فأجابها حفظه الله بما نصه: قراءة دعاء العهد في كل يوم وكذا زيارة عاشوراء لها التأثير.

وهذا نص فتواه من الموقع التابع لمكتب سماحته:

تصوير (9)

10: السيد الروحاني: ما ذكر في فضيلة زيارة عاشوراء يحير العقول

وفيما يأتي نص فتواه حفظه الله كما وردت في الموقع التابع لسماحته:

تصوير (10)

11: السيد الروحاني: لا يجوز الصلاة خلف من يقول بان زيارة عاشوراء مزورة

وقد سئل حفظه الله عن صحة الصلاة خلف من يعتقد وقوع التزوير في زيارة عاشوراء.

فأجاب السيد الروحاني بما هو نصه: أنا اعتقد ان من كان من أهل الفضل والكمال وتبوع ودقق النظر لا يمكن أن يعتقد بوقوع التزوير فيها. ومع عدم الاعتقاد فان نفس الإخبار بوقوع التزوير فيها يكون كذبا يمنع من الصلاة خلفه.

وهذا هو نص الفتوى المباركة كما وردت في الموقع التابع لسماحته:

أقول: هذه بعض فتاوى مراجع الدين العظام حول اعتبار ووثاقة زيارة عاشوراء من حيث الإسناد والتمتن، وقد اجتمعت كلمتهم كما رأينا على تكذيب كل من يدعى ضعف طريق إسنادها، أو وقوع التزوير والزيادة في بعض فقراتها، ومثل هذه الشهادة كما لا يخفى لها قيمة علمية عظيمة، لأنها صادرة عن شهود أعمار في مجال البحث والدرس وتمحيص الأسانيد والتتبع للرجال والنصوص الروائية، ومثل هؤلاء العظماء لا يمكن للمؤمن الإعراض عن كلامهم والأخذ بكلام أناس لم يعرف لهم شأن علمي ولا يد طولى أو ممارسة طويلة في تمحيص الأسانيد ومعرفة الرجال مما أدى بهم إلى تضعيف أسانيد هذه الزيارة الشريفة إما جهلا أو تعمدا للخلاف وإثارة الفوضى.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ

المبحث الأول: إثبات صحة صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: تبيان معنى السلام وفوائده وعلّة بدء الزيارة به

المحور الأول: معنى السلام

1: بمعنى التحية وعلامة من علامات الأمن

2: بمعنى التسليم والانتقاد له في جميع شؤونه

3: بمعنى التذكير بالميثاق والدعاء بتعجيل الفرج والنصر

4: شهادة من الزائر لإمامه بأداء أمر الله وإقامة سنة نبيه الأعظم

المحور الثاني: علّة بدء الزيارة بلفظ السلام على أبي عبد الله

المبحث الثالث: سر السلام على الإمام بكنية أبي عبد الله

المدلول الأول: تعليم الزائر أدب الخطاب مع إمامه

المدلول الثاني: الخطاب بالكنية دليل على حضور المخاطب وحياته

1: آيات القرآن الكريم تتحدث عن أن للأمم شعوراً وحياة وتفاعلاً مع العالم الخارجي

2: إجماع روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على سماع الأموات وحياتهم وفرحهم وحنينهم

3: روايات أهل السنة في صحاحهم وأسانيدهم وسماعهم لمن يناديهم ويزورهم

4: علماء السنة يصرحون بحياة الأموات وسماعهم وتعقلهم لما يدور حولهم

المدلول الثالث: توجيه نظر الزائر إلى مصيبة الطفل الرضيع

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ

إشارة

وفى هذه الفقرة الشريفة من الزيارة عدة مباحث منها:

المبحث الأول: إثبات صحة صدور هذه الفقرة الشريفة

وهذه الفقرة من الزيارة مما لا يحتاج إثبات وجودها في غير زيارة عاشوراء إلى كثير جهد، لأننا لا نجد زيارة من زيارات الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه المطلقة أو غيرها من الزيارات المخصصة خالية من هذه الفقرة، ولكن إلزاماً لأنفسنا بما سبق في منهج البحث نذكر مجموعة من النصوص التي ورد فيها ذكر لهذه الفقرة، منها:

ما في مصباح المتهجد عند ذكره الصلاة على الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما: (اللهم صل على الحسن والحسين عبديك وولييك وابني رسولك...أفضل ما صليت على أحد من أولاد النبيين والمرسلين... اللهم صل على الحسين بن علي المظلوم الشهيد قتيل الكفرة وطريح الفجرة السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا بن

رسول الله(1).

ومنها ما عن العلامة الحلي في منتهى المطلب عند ذكره لزيارة أبي محمد الحسن صلوات الله وسلامه عليه قال: (كان محمد بن الحنيف يأتي قبر الحسن صلوات الله وسلامه عليه فيقول السلام عليك يا بقية المؤمنين و ابن أول المسلمين... ثم يلتفت للحسين صلوات الله وسلامه عليه ويقول السلام عليك يا أبا عبد الله وعلى أبي محمد السلام)(2).

وفي الكافي بسنده عن أبي الحسن صاحب العسكر صلوات الله وسلامه عليه قال: (تقول عند رأس الحسين عليه السلام: السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك يا حجة الله في أرضه وشاهده على خلقه، السلام عليك يا بن رسول الله...)(3).

وعن الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: (...اصعد فوق سطحك ثم تلتفت يمنا ويسرة ثم ترفع رأسك إلى السماء ثم أنح نحو القبر وتقول: السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك ورحمة الله وبركاته، تكتب لك زورة والزورة حجة وعمرة)(4).

ولو أردنا أن نسرد كل الروايات والزيارات التي ورد فيها لفظ (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ) لطال المقام، وخرج الأمر عن حد الاعتدال، وبالجملة فقد تواترت هذه العبارة في كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وزياراتهم للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه حتى لا تكاد زيارة من زيارته صلوات الله وسلامه عليه تخلو من هذه الكلمات.

1- () مصباح المتعجد للشيخ الطوسي ص 401 __ 402.

2- () منتهى المطلب (ط.ق) للعلامة الحلي ج 2 ص 891.

3- () الكافي للشيخ الكليني ج 4 ص 577 __ 578.

4- () المصدر السابق ص 589.

المبحث الثاني: تبيان معنى السلام وفوائده وعلّة بدء الزيارة به

المحور الأول: معنى السلام

إشارة

تشعبت كلمات الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن بعدهم العلماء الأعلام حول مفهوم السلام ومعناه، وهذا الاختلاف ناتج عن الزاوية التي ينظر منها لموضوع السلام ومفهومه، وفيما يأتي جملة من المعاني التي جاء لها ذكر على لسان الروايات الشريفة وكلمات الأعلام:

1: بمعنى التحية وعلامة من علامات الأمن

المعنى المتبادر والمصدق المتعارف عند عامة الناس وهو بمعنى التحية من الشخص المسلم على الشخص المسلم عليه، وقد ورد هذا المعنى في آيات القرآن الكريم كما في قوله سبحانه ((دَعُواهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا عَنْهَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) (1)، وقال سبحانه في آية أخرى: ((وَأَدْخَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ)) (2).

والسلام بهذا المعنى علامة من علامات الأمن يعطيها الإنسان المسلم إلى المسلم عليه وفي هذا المعنى ورد الحديث عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه والمنقول عن عبد الله بن الفضل الهاشمي: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن معنى التسليم في الصلاة، فقال: التسليم علامة الأمن وتحليل الصلاة، قلت: وكيف ذلك جعلت فداك؟ قال: كان الناس فيما مضى إذا سلم عليهم وارد أمنوا شره وكانوا إذا ردوا عليه أمن شرهم، فإن لم يسلم لم يأمنوه وإن لم يردوا على المسلم لم يأمنهم،

1- () سورة يونس الآية رقم 10.

2- () سورة إبراهيم الآية 23.

وذلك خلق في العرب...)(1).

فيصيح معنى قول الزائر (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ) هو: (انك يا أبا عبد الله آمن من أن يصلك مني أذى كما وصل إليك من قبل أعدائك وقتليك وناصبي الحرب لك ولأهل بيتك).

وعدم إيصال الأذى إلى أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي من شيمة المؤمن ومن صفات شيعتهم كما ورد في الحديث المروى عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه في تفسير قوله سبحانه: ((وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (90) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ)) (2)، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام: هم شيعتك فسلم ولدك منهم أن يقتلوهم) (3).

2: وقد يكون السلام هنا بمعنى الدعاء من الزائر المسلم للإمام المسلم عليه بالحفظ والسلامة من كل الآفات، وان يبعد عنه كل مكروه قد يصله من الآخرين.

2: بمعنى التسليم والانقياد له في جميع شؤونه

وقد يكون سلام الزائر بمعنى التسليم من قبل الزائر لإمامه المسلم عليه، والتفويض له في كل أموره وجميع شؤون دينه وديناه، وتوطين النفس على الطاعة والانقياد المطلق له صلوات الله وسلامه عليه وللمن هو في منزلته من بقية المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين دون غيرهم من العالمين.

1- () معاني الأخبار للشيخ الصدوق ص 176.

2- () سورة الواقعة الآية 90 _ 91.

3- () الكافي للشيخ الكليني ج 8 ص 260.

3: بمعنى التذكير بالميثاق والدعاء بتعجيل الفرج والنصر

وقد يكون السلام بمعنى تذكر الزائر بالميثاق وتجديده مع الإمام المزور، لان الله سبحانه قد اخذ على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وسائر المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم الميثاق على الطاعة والمرابطة والصبر ووعدهم بأن يمكن لهم فى الأرض ويستخلفهم ويجعل كلمتهم هى العليا، والسلام وفقا لهذا المعنى: تذكير بهذا الميثاق، ودعاء لتعجيل ذلك الوعد.

وفى هذا المعنى وردت الرواية عن محمد بن سنان، عن داود بن كثير الرقى قال: قلت لأبى عبد الله صلوات الله وسلامه عليه: (ما معنى السلام على رسول الله؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى لما خلق نبيه ووصيه وابنته وابنيه وجميع الأئمة وخلق شيعتهم أخذ عليهم الميثاق وأن يصبروا ويصابروا ويرابطوا وأن يتقوا الله، ووعدهم أن يسلم لهم الأرض المباركة والحرم الآمن وأن ينزل لهم البيت المعمور، ويظهر لهم السقف المرفوع ويريحهم من عدوهم والأرض التى يبدلها الله من السلام ويسلم ما فيها لهم لا شية فيها، قال: لا خصومة فيها لعدوهم وأن يكون لهم فيها ما يحبون وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله على جميع الأئمة وشيعتهم الميثاق بذلك، وإنما السلام عليه تذكرة نفس الميثاق وتجديد له على الله، لعله أن يعجله عز وجل ويعجل السلام لكم بجميع ما فيه)(1).

4: شهادة من الزائر لإمامه بأداء أمر الله وإقامة سنة نبيه الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

وقد يكون السلام من قبل الزائر على إمامه المزور شهادة من المسلم لإمامه بأداء أمر الله سبحانه وإقامة سنة نبيه والخضوع والخشوع منه صلوات الله وسلامه عليه حتى استحق بذلك الأمان فى الدنيا والآخرة، لان هذه الأمور من معانى السلام ومصاديقه

فقد روى عن الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (معنى السلام فى دبر كل صلاة معنى الأمان، أى من أدى أمر الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله خاضعا له خاشعا منه فله الأمان من بلاء الدنيا وبراءة من عذاب الآخرة)(1).

هذه هى أهم معانى السلام التى لها شواهد من كتاب الله سبحانه وأقوال المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقد تركنا الكثير مما ذهب إليه البعض خوف الإطالة، ولأن كثيرا منها عبارة عن تفسير ذوقى وقد صيغت أكثرها بعبارات فلسفية أو عرفانية معقدة لا يستدوقها عامة القراء فلذلك غرضنا الطرف عنها.

المحور الثانى: علة بدء الزيارة بلفظ السلام على أبى عبد الله صلوات الله وسلامه عليه

ان زيارة عاشوراء وبوصفها صادرة عن المعصوم صلوات الله وسلامه عليه فقد روعيت فيها قواعد الشريعة الإسلامية التى جعلت من السلام مقدمة لابتداء الكلام، فعن النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تحبوه. وقال: ابدؤوا بالسلام قبل الكلام فمن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تحبوه)(2).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله أيضا: (أولى الناس بالله ورسوله من بدأ بالسلام)(3).

وبما ان الزائر لمقرّد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه له من الحوائج والطلبات والذنوب ما يريد من الله قضاءها وغفرانها، لذلك لا ينبغى له البدء بالكلام عن أى طلبه أو حاجة قبل أن يسلم، وإلا كان الزائر معرضا لعدم قبول حوائجه وإجابة دعائه والتجاوز عن سيئاته عملا بالأحاديث السابقة فتنبه.

1- () مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه ص 95 فى السلام.

2- () الكافى للشيخ الكلينى ج 2 ص 644.

3- () المصدر السابق.

المبحث الثالث: سر السلام على الإمام بكنية أبي عبد الله

إشارة

لا يخفى ان أبا عبد الله هو كنية (1) الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وبها اشتهر حتى قال بعض الباحثين ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لا كنية له غيرها (2)، غير ان الحسين ابن حمدان الخصيبي المتوفى سنة 334 هجرية ذكر في كتابه (الهداية الكبرى) كنى أخرى حيث قال: (واسمه الحسين وفي التوراة شبير ولما علم موسى بن عمران عليه السلام قبل التوراة ان الله سمي الحسن والحسين سبطى محمد شبر وشبير سمي أخوه هارون ابنه بهذين الاسمين، وكان يكنى أبا عبد الله والخاص أبو على ولقبه الشهيد والسبط والتام وسيد شباب أهل الجنة والرشيد والطيب) (3).

وعلى أى الأحوال فإن الخطاب بالكنية دون الاسم له مداليل متعددة، وكذلك الخطاب باسم ولده عبد الله له مدلول إضافي فوق تلك المداليل التى سنوضحها فيما يأتى:

المدلول الأول: تعليم الزائر أدب الخطاب مع إمامه

لقد عانى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيام حياته المباركة من تعامل أمته معه على أساس انه كأحدهم لا خصوصية له زائدة سوى انه ينزل عليه الوحي دونهم وقد ذكر القرآن الكريم هذه النظرة بقوله ((لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا)) (4).

1- () قال الزبيدي فى تاج العروس ج 20 - ص 135 (والكنية على ما اتفق عليه أهل العربية هو ما صدر بأب أو أم أو ابن أو بنت على الأصح فى الأخيرين... وفى المصباح: الكنية اسم يطلق على الشخص للتعظيم نحو أبى حفص وأبى حسن؛ أو علامة عليه).

2- () الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه سماته وسيرته. السيد محمد رضا الجلالى - ص 15

3- () الهداية الكبرى للحسين بن حمدان الخصيبي ص 201 __ 202.

4- () سورة النور الآية 63.

فكانت هذه النظرة السطحية الغافلة عن مقام ومنزلة سيد المرسلين وخاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم تجعل البعض يتمادى في سوء أدبه فينادى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من خارج البيت باسمه المبارك من دون أى إضافة أخرى، قائلين: (يا محمد يا محمد أخرج إلينا) غير مراعين لمقام نبوته ولا لعلوق قدره وعظيم شرفه، فعابهم الله سبحانه بقوله ((إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)) (1)، فالعقل والذوق والعرف يحكم على الإنسان إذا وقف أمام ملك من الملوك أو شخص له منزلة اجتماعية أو دينية أن لا يخاطبه باسمه تأدبا فكيف إذا كان الخطاب مع أعظم وأكمل شخصية عرفتها الإنسانية، وعليه فمن الطبيعي أن يكون الإنسان بلا عقل حال عدم التزامه للأدب مع إنسان عظيم كهذا.

وقد تمادى بعض آخر في سوء أدبه مع نبيه الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فصار يرفع صوته فوق صوت النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في أثناء محاوراته ومناقشاته مع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أو مع مؤمن آخر في مجلس النبي الأعظم وفي أثناء حضوره صلى الله عليه وآله وسلم، إما لطلب الغلبة، أو لعدم مراعاة القدسية لشخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أو لطبع قد فطر عليه ذلك الرفع لصوته، لان هذا التصرف ينم عن شخصية وحشية جلفة غير ملتزمة بأدنى مراتب اللطف والأدب، ولكي يردع الله سبحانه أمثال هذه الظواهر المنافية للإيمان هدد هؤلاء الذين لا يراعون الأدب بمحضر نبيهم أن يحبط أعمالهم الصالحة إن كان لهم عمل صالح، فقال سبحانه: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)) (2).

ثم ان الأسباب والحجيات نفسها التي تلزم المسلم والمؤمن أن يراعى بموجبها

1- () سورة الحجرات الآية 4.

2- () سورة الحجرات الآية 2.

قواعد الأدب مع نبيه ورسوله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، توجب عليه كذلك أن يراعى قواعد الأدب مع الخمسة أصحاب الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وباقي أئمة أهل البيت من ذرية الإمام الحسين عليه وعليهم السلام، وذلك لاتحادهم في الكمال والفضل والرفعة وعلو الشأن، فكل ما لا يجوز الخطاب به مع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كذلك لا يجوز الخطاب به مع أهل بيته والأئمة من ذريته، وكل ما يجب التقييد به مع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كذلك يجب التقييد به مع أهل بيته والأئمة من ذريته صلوات الله وسلامه عليه.

وهذا التأدب مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومع أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مثلما هو واجب في حياتهم كذلك هو واجب بعد مماتهم وخصوصا عند حضور المؤمن إلى رياض قبورهم للزيارة والتبرك والدعاء، فينبغي أن تكون المراعاة أشد والالتزام أكبر لان حرمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أمواتا كحرماتهم حال حياتهم.

فزيارة عاشوراء وفقا لما تقدم جارية على وفق قاعدة الأدب في التعامل وحسن الخطاب مع سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، وقواعد الأدب الرفيع تقضى بقبح مناداة الزائر لإمامه صلوات الله وسلامه عليه بمثل ما ينادى أحدهم الآخر بالاسم دون الكنية أو الصفة أو اللقب، فهي تريد أن تربي الإنسان الموالى على أن لا يكون في تعامله مع إمامه بمنزلة أولئك الذين كانوا ينادون النبي صلى الله عليه وآله وسلم من وراء الحجرات، أو يجهرون له بالقول كجهر بعضهم لبعض.

فيكون الخطاب والسلام على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بكنيته وجهاً من أوجه التعظيم والتوقير والتفخيم لشخصه المقدس صلوات الله وسلامه عليه (1).

1- () قال ابن منظور في لسان العرب ج 15 ص 233: (الكنية على ثلاثة أوجه: أحدها أن يكنى عن الشيء الذي يستفحش ذكره، والثاني أن يكنى الرجل باسم توقيرا وتعظيما، والثالث أن تقوم الكنية مقام الاسم فيعرف صاحبها بها كما يعرف باسمه كأبي لهب اسمه عبد العزى، عرف بكنيته فسماه الله بها).

المدلول الثاني: الخطاب بالكنية دليل على حضور المخاطب وحياته

إشارة

في حديث عن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه قال: (إذا ذكرت الرجل وهو حاضر فكفه، وإذا كان غائبا فسمه)(1)، والإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه ونتيجة لعلمه ب حياة جده الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وعلمه بالزائر له والقاصد لمشهده خاطبه في الزيارة بكنيته لا باسمه.

وحياة الأموات في قبورهم حياةً برزخية تتناسب وعالمهم مما أجمعت عليه كلمة المسلمين بجميع مذاهبهم إلا شذمة قليلة من المتأخرين من أتباع ابن تيمية الذين ذهب بهم تعصبهم ونصبهم إلى عدِّ (الاستغاثة به — بالنبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم — وطلب الشفاعة منه إلى الله والتوسل به إليه بقول يا رسول الله أو يا رسول الله إشفع لى أو أتوسل بك إلى الله والتبرك بقبره والصلاة والدعاء عنده وتعظيمه كل ذلك شركاً وكفراً وعبادة للأصنام والأوثان موجبة لحل المال والدم وأنه يحرم السفر لزيارته ويجب هدم ضريحه وقبته ويحرم التبرك بتبرته ولمس ضريحه وتقبيله وأن ضريحه صنم من الأصنام ووثن من الأوثان بل هو الصنم الأكبر والوثن الأعظم وكذلك سائر الأنبياء والصالحين)(2)، وتقضيل بعض أئمتهم الجاهل عصاه على النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وقوله الشهير: (عصاى هذه خير من محمد لأنها ينتفع بها فى قتل الحية ونحوها ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلاً وإنما هو طارش وقد مضى)(3) هو أشهر من نار على علم.

وليس لنا مع هؤلاء النصاب كلام بعد أن ثبت إجماع المسلمين على ان للأموات حياةً يسمعون معها ويشاهدون من يأتيهم ويسلم عليهم ويجيبونه ويأنسون

1- () تحف العقول لابن شعبة الحرانى ص 443.

2- () كشف الارتباب فى أتباع محمد بن عبد الوهاب للسيد محسن الأمين ص 127.

3- () الدرر السنوية فى الرد على الوهابية لأحمد زيني دحلان ص 42.

بزيارته، لكن الله قد حجب عن الأحياء في دار الدنيا لحكمة بالغة جوابهم ومشاهدة أحوالهم، ونحن هنا نورد جملة من الآيات الشريفة والأحاديث الصحيحة وجملة أخرى من أقوال علماء أهل السنة التي تثبت بما لا يقبل الشك أن للأموات عقلاً وحياءً ونطقاً وسماعاً منها:

1: آيات القرآن الكريم تتحدث عن أن للأموات شعوراً وحياءً وتفاعلاً مع العالم الخارجي

قال تعالى: ((وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ)) (1)، وقال سبحانه: ((وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)) (2)، قال الشيخ الطوسي في تفسيره التبيان: (فإن قيل: هل الشهداء أحياء على الحقيقة، أم معناه أنهم سيحيون وليسوا أحياء؟ قلنا: الصحيح أنهم أحياء إلى أن تقوم الساعة، ثم يحييهم الله في الجنة، لا خلاف بين أهل العلم فيه إلا قولاً شاذاً من بعض المتأخرين) (3).

وقال ابن حزم في كتابه المحلى: (وأما الشهداء فإن الله عز وجل يقول «ولا- تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون» وقال تعالى «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله» ولا خلاف بين مسلمين (4) في أن الأنبياء عليهم السلام أرفع قدراً ودرجة وأتم فضيلة عند الله عز وجل وأعلى كرامة من كل من دونهم، ومن خالف في هذا فليس مسلماً) (5).

1- () سورة البقرة الآية 154.

2- () سورة آل عمران الآية 169.

3- () التبيان للشيخ الطوسي ج 2 ص 34.

4- () تثنية لكلمة مسلم.

5- () المحلى لابن حزم ج 1 ص 25.

أقول: ولا يخفى ان كلام ابن حزم ينطبق أيضا على الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وعلى السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها لأنها وإياهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين نفس النبي وروحه قد خلقوا من طينته وهم من شجرة واحدة وباقي الناس من شجر شتى، وهم أفضل من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وعلى اقل التقادير فهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين شهداء بل سادة الشهداء الذين أعطوا لله كل ما سألهم، ففضل الله سبحانه عليهم بأن ضمن لهم أن يعطيهم كل ما سألوه لهم ولشيعتهم وزوارهم.

2: إجماع روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على سماع الأموات وحياتهم وفرحهم وحزنهم

الروايات الكثيرة عن أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أجمعت على سماع الأموات وحياتهم ونطقهم وغير ذلك الكثير نختار منها ما يأتي:

منها ما عن عبد الله بن سليمان، عن الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه قال: (سألته عن زيارة القبور. قال: إذا كان يوم الجمعة فزرهم، فإنه من كان فيهم في ضيق وسع عليه ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، يعلمون بمن أتاهم في كل يوم، فإذا طلعت الشمس كانوا سدى. قال: قلت: فيعلمون بمن أتاهم، فيفرحون به؟ قال: نعم، ويستوحشون له إذا انصرف عنهم)(1).

ومنها ما عن إسحاق بن عمار عن أبي الحسن صلوات الله وسلامه عليه قال: (قلت له المؤمن يعلم من يزور قبره؟ قال نعم لا يزال مستأنسا به ما زال عند قبره فإذا قام وانصرف من قبره دخله من انصرافه عن قبره وحشة)(2).

ومنها ما عن الشيخ الصدوق عن محمد بن مسلم قال (قلت لأبي عبد الله عليه

1- () الأمالى للشيخ الطوسى ص 688 زيارة القبور فى الجمعة.

2- () وسائل الشيعة للحر العاملى ج3 ص223 باب تأكد استحباب زيارة القبور.

السلام الموتى نرورهم؟ قال نعم. قلت: فيعلمون بنا إذا أتيناهم؟ قال إى والله إنهم ليعلمون بكم ويفرحون بكم ويستأنسون إليكم(1).

3: روايات أهل السنة فى صحاحهم وأسائدهم وسماعهم لمن يناديهم ويزورهم

ومنها ما أخرجه البخارى وغيره من علماء العامة عن انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (العبد إذا وضع فى قبره وتولى وذهب أصحابه حتى انه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأفعداه...)(2).

ومنها ما أخرجه مسلم قال: (عن ثابت البنانى عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترك قتلى بدر ثلاثا ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال يا أبا جهل بن هشام يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة أليس قد وجدت ما وعد ربكم حقا فأنى قد وجدت ما وعدنى ربي حقا فسمع عمر قول النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبوا وقد جيفوا قال والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدر أن يجيبوا ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا فى قليب بدر)(3).

ومنها ما أخرجه ابن عبد البر عن ابن عباس قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما من أحد مر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام)(4).

1- () من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج 1 ص 181 الميت يزور أهله.

2- () صحيح البخارى ج 2 ص 92 باب فى الجنائز، وصحيح مسلم ج 8 ص 161 باب عرض مقعد الميت فى الجنة أو النار.

3- () صحيح مسلم ج 8 ص 163 __ 164 باب إثبات الحساب.

4- () الاستذكار لابن عبد البر ج 1 ص 185.

ومنها ما عن عائشة أنها قالت: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده، إلا استأنس به حتى يقوم)(1).

فالروايات المروية عن العامة والخاصة كما ترى مستفيضة بتأكيد وجود حياة للأموات في قبورهم ولهم علم بمن يزورهم ويأتيهم ولهم إدراك وسمع لمن يتكلم معهم ويسلم عليهم.

4: علماء السنة يصرحون بحياة الأموات وسماعهم وتعللهم لما يدور حولهم

ألف: قال ابن القيم في أول (كتاب الروح): (المسألة الأولى: وهي هل تعرف الأموات زيارة الأحياء وسلامهم أم لا؟... وقد شرع النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأئمة إذا سلموا على أهل القبور، أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه، فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين» وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل، ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد، والسلف مجمعون على هذا، وقد تواترت الآثار عنهم أن الميت يعرف زيارة الحى له، ويستبشر له)(2).

وقال السبكي: (عود الروح إلى الجسد في القبر ثابت في الصحيح لسائر الموتى فضلا عن الشهداء)(3).

وقال الإيجي: (إحياء الموتى في قبورهم، ومسألة منكر ونكير لهم، وعذاب القبر للكافر والفاسق كلها حق عندنا، اتفق عليه سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، والأكثر بعده __ أي بعد ظهور الخلاف __)(4) وقد تركنا الخوض في المزيد مخافة الإطالة.

1- () تفسير ابن كثير ج3 ص447، أضواء البيان للشنقيطي ج6 ص137.

2- () نقلا عن أضواء البيان للشنقيطي ج6 ص135.

3- () الأصول الأربعة في ترديد الوهابية لحكيم معراج الدين ص55.

4- () المواقف للإيجي: ج3، ص516.

ثم اعلم ان كمالات الأنبياء والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتصرفاتهم التكوينية لا تفنى ولا تضمحل حال انتقالهم عن هذه الدنيا إلى عالم البرزخ والقبر، بل تزداد أرواحهم بعد الموت كمالاتهم وقربا إلى الله سبحانه، وتزداد أيديهم بالعطاء انبساطا، لان النبي والإمام في عالم الدنيا مقيد بمراعاة العوام من الناس ومداراة أهل الضلال والذين في قلوبهم مرض فلا يظهر كامن أسرارهم ومنتهى قدرته في التصرف بإذن الله سبحانه، لكنه وبعد الموت وانقطاع تلك العوائق يصبح النبي والإمام أكثر حرية في ممارسة سلطته التكوينية الممنوحة له من قبل الله سبحانه، وقضائهم لحاجات زائريهم، واستجابة ما عظم من توسلاتهم وشفائهم لمن عجز عن شفائه أهل الدنيا، وقوانين هذا العالم خير دليل على هذه الحقيقة.

المدلول الثالث: توجيه نظر الزائر إلى مصيبة الطفل الرضيع

لما كان الهدف الأساس من زيارة عاشوراء هو ذكر المصائب والويلات التي جرت على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عامة، وعلى الإمام الحسين وأبنائه وبقية أهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بشكل خاص، لذلك صيغت فقراتها بشكل يثير في نفس الزائر وعقله أمرين مهمين:

الأول: توعيته وتعريفه بالأسباب التي أدت إلى حدوث فاجعة عاشوراء، عن طريق تبيان الأشخاص والجماعات والظروف التي شاركت مشاركة فاعلة في إيجاد هذه المصيبة الجليلة والرزية العظيمة.

الثاني: إثارة الحزن والأسى في نفسه عن طريق عرض المشاهد المؤلمة، أو الأسماء التي تثير في نفس الزائر صورا وأحداثا معينة من الواقعة، فذكر اسم الشمر وعمر بن سعد وأبي سفيان وغيرهم من الملعونين الذين بمجرد ذكر أسمائهم ينتقل

ذهن الزائر وفكره إلى تلك الجرائم التي ارتكبوها بحق سيد الشهداء وأهل بيته وصحبه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وبالعكس فحينما تذكر الزيارة نوعاً آخر من الأسماء مثل الحسين صلوات الله وسلامه عليه وعلى بن الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأصحاب الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فإن هذه الأسماء تنقل ذهن الزائر وفكره إلى تلك المآسى والفجائع التي حلت بهؤلاء الأبطال ومقدار الخسارة التي منيت بها الأمة الإسلامية جراء فقدهم وقتلهم بتلك الطريقة المريعة.

وذكر اسم عبد الله في أثناء السلام على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه داخل ضمن هذا الذي تقدم فالإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه يريد ومن خلال ذكر عبد الله التذكير والتذكير بمصيبة ذلك الرضيع الذي (رفعه __ الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه __ أمام القوم يريد استعطفهم، ليسمحوا بإعطائه ماء. غير أن الروح الدموية التي ما رآها التاريخ ولا شهدتها ملاحم البشر، كانت توجد في هذا المعسكر المشؤوم، فرغ «حرملة بن كاهل الأسدي» سهمه ورمى بها الطفل فسال دم البراءة على كف الحسين، وأخذ يرمى به نحو السماء وهو يقول: اللهم تقبل منا قربان آل محمد. وقال: هون ما نزل بي إنه بعين الله تعالى، اللهم لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح، إلهي إن كنت حبست عنا النصر فاجعله لما هو خير منه وانتقم لنا من الظالمين، واجعل ما حل بنا في العاجل ذخيرة لنا في الآجل، اللهم أنت الشاهد على قوم قتلوا أشبه الناس برسولك ثم نزل عليه السلام عن فرسه ودفن طفله الرضيع وصلى عليه(1).

فالسalam على عبد الله بن الحسين، الطفل الرضيع، المرمى الصريع، المتشحط دماً، المصعد دمه في السماء، المذبوح في حجر أبيه، لعن الله راميه حرملة بن كاهل الأسدي وذويه.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ

إشارة

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة

المبحث الثاني: لماذا التأكيد على كون الحسين عليه السلام ابن رسول الله قدس الله روحه

ليس للنبي صلوات الله وسلامه عليه من قرابة غير بنى أمية

نظرة العباسيين لمسألة القرابة

أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا حجر العثرة بوجه ذلك المخطط

محاولات أصحاب السقيفة القضاء على هذه العقبة

استمرار المحاولات على أيدي الأمويين والعباسيين

موقف أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من هذا المخطط

المبحث الثالث: سر السلام على الحسين بابن رسول الله

المدلول الأول: لتبيان أسباب قتل الأمة للإمام الحسين عليه السلام

المدلول الثاني: لتبيان موجبات زيارة الإمام الحسين عليه السلام

المدلول الثالث: لتبيان الفارق ما بين القاتل والمقتول

المدلول الرابع: للوقوف بوجه مخطط أصحاب السقيفة وأشياعهم

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ

فى هذه الفقرة الشريفة من زيارة عاشوراء عدة من المباحث المهمة نستعرض بعضها فيما يأتى:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة

لا- شك فى تواتر الخطاب بلفظ (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ) لكل من الإمامين الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما فى النصوص الروائية ومتون الأدعية والزيارات الشريفة، ولا تكاد زيارة من زيارات الإمام أبى عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه تخلو من وصفه بابن رسول الله.

والتزاما منا بمنهج البحث نستعرض بعض تلك النصوص التى ورد فيها الخطاب للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بلفظ (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ) منها:

ما روى فى زيارة الأربعين للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه عن صفوان بن مهران قال: (قال لى مولاي الصادق صلوات الله وسلامه عليه: فى زيارة الأربعين تزور عند ارتفاع النهار وتقول: السلام على ولى الله وحبيبه، السلام على خليل الله ونجييه... السلام عليك يا ابن رسول الله السلام عليك يا ابن سيد الأوصياء أشهد أنك أمين الله وابن أمينه)(1).

ومنها ما عن جعفر بن محمد بن قولويه قال: (حدثنى حكيم بن داود بن حكيم، عن سلمة بن الخطاب، عن الحسين بن زكريا، عن سليمان بن حفص المرزى، عن المبارك، قال: تقول عند قبر الحسين عليه السلام: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا حجة الله فى أرضه وشاهده على خلقه، السلام عليك يا ابن رسول الله...)(2).

وعنه أيضا قال: (حدثنى أبى وغير واحد، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد ابن محمد بن عيسى، عن العباس بن موسى الوراق، عن يونس، عن عامر بن جذاعة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا أتيت قبر الحسين عليه السلام فقل: السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك يا أبا عبد الله، لعن الله من قتلك، ومن بلغه ذلك فرضى به، أنا إلى الله منهم برئ)(3).

وبالجملة فإن الزيارات والأدعية والروايات التى ذكرت أنّ الإمام الحسين ابن رسول الله تفوق حد الإحصاء على ما نحن فيه من العجالة وقد اكتفينا بالبعض منها وتركنا الكثير مخافة الخروج عن حد الاعتدال.

1- () مصباح المتهدجد للشيخ الطوسى ص 788 __ 789.

2- () كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 380.

3- () المصدر السابق ص 385.

المبحث الثاني: لماذا التأكيد على كون الحسين عليه السلام ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

إشارة

لعل نظرة عابرة إلى كتب الحديث والأدعية والزيارات تكفي للكشف عن تأكيد وإصرار أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم وعلماء المذهب الحق على كون الحسن والحسين وبقية أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أولاد وأبناء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، مما يثير في النفس سؤالاً ربما يكون للوهلة الأولى سؤالاً ساذجاً وهو لماذا كل هذا التأكيد على قضية تكاد تكون بديهية، فمن هذا الذي ينكر ان ابن البنت ابن شأنه شأن ابن الابن غير من كان يعاني من نقص في إدراكاته البديهية والفطرية.

ولكن المتتبع لحركة التاريخ الإسلامى وما مر به أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من ظروف مأساوية وتعسف ونكران لأبسط حقوقهم وامتيزازاتهم لا يجد ذلك السؤال ساذجاً ولا التأكيد على بنوة الحسين صلوات الله وسلامه عليه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أمراً من دون أهمية ومن غير هدف، لان هنالك __ كما يحدثنا التاريخ __ أناساً حاولوا وما زال أتباعهم إلى الآن يحاولون نكران تلك البديهية وعدم عدّ ابن البنت ابناً للرجل وحصروا البنوة بالأبناء وأولاد الأبناء، وعلى نكران هذه البديهية صاغت دول ومذاهب منظومتها الفكرية والعقائدية.

وفيما يأتى جولة تاريخية تضع بين يديك أسباب التأكيد المتكرر والتذكير المستمر من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على كون الحسن والحسين وباقي أبنائهم المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم أولاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

جدور هذه المسألة

من يتتبع أشكال الردة التي حصلت للمجتمع الإسلامى بمجرد موت النبى صلى الله عليه وآله وسلم، يجدها غير مقتصرة على الردة عن الإمامة، وتنصيب الخليفة الشرعى الذى أخذت العهود والمواثيق على مناصرته ومؤازرته فى غدیر خم وغيره من المواقف والمواطن، بل تعدت هذه الردة لتشمل جميع أو أغلب المفاهيم التى زرعها النبى صلى الله عليه وآله وسلم وغرسها فى قلوب وعقول أمتة من خلال أفعاله وأقواله المعصومة التى لا تصدر عن الهوى، وقد كان مفهوم القرابة والرحم والانتساب لشخص النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من ضمن تلك المفاهيم التى تعرضت للتشويه والاستغلال والتحريف.

فبينما النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يربى الأمة طوال مدّة حياته المباركة على ان كلاً من الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه والسيدة الطاهرة فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها والإمامين المعصومين الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما هم أهل بيته وذوو قرابته وخاصته وموضع سره ومعدن علمه، نراهم وبمجرد ارتحاله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الدنيا قلبت هذه المفاهيم وسلبت عن أهلها الشرعيين واغتصبت شأنها شأن كثير من الحقائق والنفائس التى اغتصبتها القوم من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وبدأت محاولات جديدة لتوسيع مفهوم القرابة والاختصاص بالنبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ليشمل ما هو أوسع من الخمسة أصحاب الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بهدف الاستعلاء فى الأرض والسيطرة على العباد والبلاد باسم القرابة للنبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

وأول من أسس هذه المحاولة وفتح هذا الباب هم أصحاب السقيفة فقد روى الطبرى فى تاريخه قال: (فبدأ أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن الله بعث محمدا

رسولا إلى خلقه وشهيدا على أمته ليعبدوا الله ويوحده... فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والإيمان به والمؤاساة له... فهم أول من عبد الله في الأرض وآمن بالله وبالرسول وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم...)(1).

وتبعه على هذا الأمر الحادث عمر بن الخطاب في نفس تلك الحادثة بعد أن اقترحت الأنصار أن يكون منهم أمير ومن المهاجرين أمير آخر: (فقال عمر هيهات لا يجتمع اثنان في قرن والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونيبها من غيركم ولكن العرب لا تمتنع أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم وولى أمورهم منهم ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة)(2).

فتغيرت المعادلة ودخل في القرابة أناس ما أشار إليهم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ولا خصهم فيها بيوم من الأيام، وابتعد عنها من كان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يتحين كل فرصة ومناسبة للتأكيد على قربهم منه واختصاصهم به.

ليس للنبي صلوات الله وسلامه عليه من قرابة غير بني أمية

وما أن وصل بنو أمية إلى كرسى الحكم حتى بدأت مرحلة جديدة من مراحل مفهوم القرابة والاختصاص بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وهي تلك التي

-
- 1- () تاريخ الطبري ج 2 ص 457 ذكر الخبر عما جرى بين المهاجرين والأنصار في أمر الإمارة في سقيفة بني ساعدة، وراجع أيضا كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 2 ص 329 حديث السقيفة وخلافة أبي بكر.
- 2- () المصدر نفسه.

بينها غير واحد من المؤرخين بقولهم: (قال أبو الحسن المدائني: أخبرني أبو العباس الفلسطيني وكان من غلبة أهل العلم في عصره قال: بعث عبد الله بن علي إلى أمير المؤمنين أبي العباس بمشايخ أهل الشام، فلما دخلوا إليه قال لهم أبو العباس: يا أهل الشام! ما حملكم على الخروج مع بني أمية على بني هاشم وهم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم أولى الناس بهذا الأمر من غيرهم؟ قال: فحلف الشاميون بالله الذي لا إله إلا هو أنهم ما علموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له ذرية ولا أهل بيت غير بني أمية حتى وليتم أنتم هذا الأمر...) (1).

وبذلك ضيق بنو أمية ولأسباب غير خافية مفهوم القرابة والاختصاص بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ليصير حكرا على بني أمية خاصة دون بقية العالمين، مع أنهم أبعد الناس عن هذه الصفة وقد أثار هذا الأمر تعجب الكثيرين حتى صار اختصاصهم بالقرابة دون العالمين مادة يتخذها الشعراء والأدباء للسخرية منهم والاستهزاء بهم ويفكرتهم هذه، منهم إبراهيم بن المهاجر القائل:

أيها الناس اسمعوا أخبركم *** عجا زاد على كل العجب

عجا من عبد شمس أنهم *** فتحوا للناس أبواب الكذب

ورثوا أحمد فيما زعموا *** دون عباس بن عبد المطلب

كذبوا والله فيما ادعوا *** يحرز الميراث إلا من قرب (2)

وهذا الشاعر وإن كان يتكلم من وجهة نظر عباسية إلا أن تعجبه في محله وهو كما قال باب من أبواب الكذب جديد ما استحدثه غيرهم.

1- () كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي ج 8 ص 339 _ 340.

2- () المصدر السابق.

نظرة العباسيين لمسألة القرابة

قاتل العباسيون بضراوة أكثر من غيرهم لتحريف موضوع القرابة والاختصاص بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وحصره بالمتولدين من ذرية العباس بن عبد المطلب، فمنذ اليوم الأول لتوليهم الحكم اجتمعوا على كلمة واحدة وهي ان الإمارة والخلافة التي صارت بأيديهم بعد زوال الدولة الأموية هي حق طبيعي لهم وانها من ضمن ما ورثه العباس بن عبد المطلب من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فقد أخرج الطبري في تاريخه كتابا أرسله المنصور العباسي إلى محمد بن عبد الله بن الحسن: (... ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بنى عبد المطلب بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم غيره فكان وراثته من عمومته ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بنى هاشم فلم ينله إلا ولده فالسقاية سقايته وميراث النبي له والخلافة في ولده فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا إسلام في دنيا ولا آخرة إلا والعباس وارثه ومورثه)(1).

وهكذا يصبح واضحاً لدينا تاريخ هذا النكران لقرابة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وبقية آل على صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وان مسألة القرابة والاختصاص بالرسول الأعظم كانت قد مرت بمراحل عديدة، فتارة توسع دائرة القربى والاختصاص ليدخل فيها أصحاب السقيفة وغيرهم، وتارة تضيق فلا يسمح بأن يدخلها إلا من كان أمويا أو عباسيا، وهذا التوسيع والتضييق كان يخضع للطرف السياسي وللمصلحة التي يراد استخدام القرابة من أجلها، فإن كانت المصلحة في التوسيع كما في السقيفة وسع ذلك الباب وفتح على مصراعيه، وإلا ضيق وفتحت منه كوة لا يدخل منها إلا من كان أمويا أو عباسيا.

1- () تاريخ الطبري ج 6 ص 199 كتاب المنصور إلى محمد بن عبد الله بن الحسن وكتاب محمد بن عبد الله اليه.

أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا حجر العثرة بوجه ذلك المخطط

كان الجميع قد استفاد من ميزة القرابة وعلى أحسن وجه وأكمله سواء في ذلك أصحاب السقيفة أو غيرهم من الأمويين والعباسيين، ولكن كانت هنالك عقبة مهمة أمامهم أفشلت الكثير من مساعيهم، بحيث صارت غصة في قلوب أولئك المنتهزين.

وهذه العقبة كانت تتمثل بوجود كل من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والسيدة الطاهرة فاطمة الزهراء وابنيهما الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد علم القاصي والداني شدة قرب هؤلاء الأطهار للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وعظيم اختصاصهم به، وقد حفظت الأمة عن نبيها أحاديث وروايات لا تحصى، تدل على أنهم أحب الناس إليه، وأعزهم عليه، وإن لحمهم لحمه، ودمهم دمه، وإنهم لا يفترون عنه طرفة عين أبداً، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وقد نزلت آيات القرآن تترى مؤيدة لنظرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وموقفه تجاه هؤلاء الأهل، فنزلت آية التطهير بحقهم وحكمت لهم بالطهارة من كل رجس ونزعتهم عن كل دنس، ونزلت آية المباهلة بشأنهم لتبين أنهم نفس النبي وأبناؤه ونساؤه دون العالمين.

فكل الحجج التي حاول من خلالها أصحاب السقيفة إثبات أن لهم نوعاً من أنواع القربى والاختصاص بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كانت تنهشم عند وصولها لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لأن القربى ان كانت هي الميزان في التفاضل والاختيار والاصطفاء والخلافة فأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أقرب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كل أحد، وعليه فهم أحق بأمر الخلافة من كل احد، لأنهم الأقرب إليه من كل احد، وإذا استطاع أهل السقيفة سلب الإمارة من الأنصار بحجة أنهم: (أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم ذلك

إلا- ظالم) كما قال أبو بكر، أو كما قال عمر بن الخطاب: (من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة) فان هذا المنطق لا ينفع مع الإمام على بن أبي طالب وبقية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لأنهم الأقرب والألصق به منزلة وقربى وشأننا، ويكون فعل من تقدم عليهم وغضبهم أمرهم مشمولاً بالقانون الذي ألزم به أبو بكر نفسه بقوله: (ولا- ينازعهم ذلك إلا ظالم)، وبما ألزم به عمر بن الخطاب نفسه بقوله: (من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة).

وبعبارة أخرى: إذا كان أبو بكر يعدّ تقدم الأنصار على المهاجرين ومنازعتهم ظلماً بحجة ان المهاجرين أولياؤه وعشيرته وأحق الناس به، فإن تقدم أبي بكر وعمر ابن الخطاب وسائر المهاجرين ومنازعة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الأمر ظلم أيضاً، بل من أقبح الظلم، لان قريشا عشيرته والإمام علياً من أهل بيته بل هو نفسه كما في آية المباهلة، وتقدم العشيرة على أهل البيت ظلم لا ريب فيه، ومن يرتكبه لا يكون إلا مدلاً بباطل أو متجانفاً لإثم أو متورطاً في هلكة.

وقد احتج الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بهذا الأمر حينما انتهت إليه أنباء السقيفة قال: (... فماذا قالت قريش؟ قالوا احتجت بأنها شجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. فقال عليه السلام احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة)⁽¹⁾، وقد واجه الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ابا بكر بهذه الحقيقة وبشكل مباشر حينما خاطبه بقوله:

1- () شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلى ج6 ص4 من كلام له عليه السلام فى معنى الأنصار.

فان كنت بالقربى حججت خصيمهم *** فغيرك أولى بالنبي وأقرب

وان كنت بالشورى ملكت أمورهم *** فكيف بهذا والمشيرون غيب(1)

وقال صلوات الله وسلامه عليه أيضا متحدثا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (والله إني لأخوه ووليه، وابن عمه، ووارث علمه فمن أحق به مني...) (2).

وقد كتب أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه إلى معاوية بن أبي سفيان لعنه الله رسالة جاء فيها: (قالت قريش: منا أمير. وقالت الأنصار: منا أمير. فقالت قريش: منا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنحن أحق بذلك الأمر. فعرفت ذلك الأنصار، فسلمت لهم الولاية والسلطان. فإذا استحقوها بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم دون الأنصار، فإن أولى الناس بمحمد صلوات الله وسلامه عليه أحق بها منهم) (3).

فكانت هذه الاحتجاجات غصة في حلق السلطة الغاصبة، وجرحاً دائماً للنزف كلما حاولوا رتقه انفتق، فرأى القوم ان بقاء وانحصار صفة القرب في النسب بعلى وفاطمة وأبنائهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين غاية في الخطورة، وبوجودهم تتقوض كل الجهود التي تبذل من اجل استعلاء أصحاب السقيفة وغيرهم باسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقربته، فتعاوض أصحاب السقيفة وآل أمية والعباس على سلب هذا القرب منهم وإخراجهم من ذلك الاختصاص بكل وسيلة وطريقة.

محاولات أصحاب السقيفة القضاء على هذه العقبة

وكما كان أصحاب السقيفة هم أول من فتح باب استغلال القرابة والعشيرة من اجل السيطرة وكسب الشعبية والتأييد كذلك كانوا أول من حاول سلب هذه الصفة

1- () شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج18 ص416 تحت رقم 185.

2- () المستدرک للحاکم النیسابوری ج3 ص126 فی أنا مدينة العلم وعلى بابها،

3- () شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج15 ص78 فصل في ذكر بعض مناقب جعفر بن أبي طالب.

عن أقربائه الحقيقيين وأهل بيته الواقعيين، وكانت أول ضربة لهم في هذا الخصوص هي سلبهم حق ذوى القربى من الخمس، لان الخمس له علاقة وثيقة بذوى قربي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخذه يذكر الناس على الدوام بأنه اقرب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من غيره، فتفطن القوم إلى ان استمرار اخذ أهل البيت لحق ذوى القربى سيقوض كل محاولة لحشر أنفسهم من ضمن ذوى القربى.

وليست كذبة ان النبي لا يورث بخارجة عن هذا المخطط لان الميراث شأنه شأن الخمس، ففيه إشارة واضحة على ان المختص به هو مختص بالقرابة دون غيره فلو ان فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها وبعلمها الإمام أمير المؤمنين وابنيها الحسنين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا قد ورثوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم دون غيرهم من ذوى قرباه لدل اختصاصهم بالميراث على اختصاصهم بقرب النسب، والأقرب نسبا أولى من غيره بالاختصاص، فلكى لا تكتشف الأمة هذا القرب ولكى يبقى الباب مفتوحا أمام الآخرين ولكى لا يبقى الاختصاص بالقربى حكرا على خمسة أشخاص دون العالمين منعوا آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إرثهم من أبيهم.

وكخطوة أخرى متممة لهذا المشروع، لم توكل لأفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أى ولاية على أى منطقة من مناطق المسلمين طوال مدة حكم أصحاب السقيفة⁽¹⁾، وتم تجاهل وجودهم، وحصر انتشار كونهم اقرب الناس وأخصهم بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فى حدود المدينة لا غير، حتى ان بنى أمية ونتيجة هذا الحصار الذى استمر لسنوات طويلة استطاعوا أن يقنعوا أهل الشام بأن ليس للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قرابة تختص به غيرهم.

1- () راجع تفصيل الكلام حول عمال أصحاب السقيفة وأسمائهم فى كتاب النزاع والتخاصم للمقريزى ص 84 __ 87 تجده فى الفهرس تحت عنوان لعن بنى مروان وبنى العاص.

استمرار المحاولات على أيدي الأمويين والعباسيين

ثم جاءت أمية لتحكم رقاب الأمة وتمسك بمقدراتها ولتتغير معركة القرابة وحرب الاختصاص بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من طور التكتّم والسرية إلى مرحلة الجهر والعلن، ولتعلن الحرب ويوضع السيف فوق رقبة كل من يدعى ان الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن صلبه وقد لعب سيف الحجاج لعنه الله دورا هاما في القضاء على اكبر عدد ممكن ممن يعتقد بانحصار القرابة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والاختصاص بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقتل منهم من قتل، وسجن منهم من سجن، وشرد منهم الآلاف، ودفن منهم المئات وهم أحياء، حتى كان الناس يتقربون إلى الله يوم العيد بذبح الأضاحى وتوزيع لحومها على فقراء المسلمين، ويتقرب هو بذبح من يقول ان الحسن والحسين ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (1).

وجاء العباسيون وحشدوا كل طاقاتهم وإمكاناتهم المادية لدعم وتأييد كل ما له علاقة ياخفاء وإزالة رابطة القربى والاختصاص التي لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، واستغل بنو العباس مسألة كونهم أولاد عم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لمحاولة إثبات أن العم وبني العم اقرب نسبا ورحما للرجل من بنته وأبناء بنته، وان أبناء البنت ليسوا أبناء للرجل بل هم أبناء آبائهم، وعليه فأهل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بزعمهم هم العباس وأبناء العباس، أما الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما فهما من أولاد الإمام على صلوات الله وسلامه عليه وليسوا من أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وحت العباسيون الشعراء والأدباء والفقهاء والمفكرين الذين يمكن لضمائرهم

1- () راجع شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ج 3 ص 92 _ 95.

أن تباع وتشتري على تأييد هذه النظرية، وترسيخ هذا المبدأ، فانبرى بعض أهل الدنيا بالخصوص الشعراء منهم لتلبية هذا الأمر وإرساء هذا المبدأ، منهم مروان بن أبي حفصة القائل:

أنى يكون وليس ذاك بكائن *** لبنى البنات وراثة الأعمام

ألغى سهامهم الكتاب فما لهم *** ان يشرعوا فيه بغير سهام

ومنهم طاهر بن علي بن سليمان بن عبد الله بن العباس الذي خاطب الطالبين بقوله:

لو كان جدكم هناك وجدنا *** فتنازعا فيها لوقت خصام

كان التراث لجدنا من دونه *** فحواه بالقربى وبالإسلام

حق البنات فريضة معروفة *** والعم أولى من بنى الأعمام

فأعطى كل واحد منهم مئة ألف درهم من بيت المال، وأضافوا لمروان بن أبي حفصة عشرة آلاف فوق تلك المئة؛ لأنه شاعر البلاط العباسي (1).

وعن مروان بن أبي الجنوب أبي السمط قال: (أنشدت أمير المؤمنين وذكرت الرافضة فيه فعقد لي على البحرين واليامة وخلع عليّ أربع خلع في دار العامة وخلع عليّ المنتصر وأمر لي بثلاثة آلاف دينار فنثرت على رأسي وأمر ابنه المنتصر وسعدا ان يلقطها لي ولا أمس منها شيئاً فجمعها فانصرفت بها قال والشعر الذي قال فيه:

ملك الخليفة جعفر *** للدين والدنيا سلامه

لكم تراث محمد *** وبعدكم تنفى الظلامه

1- () راجع تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج 13 ص 145 ذكر من اسمه مروان (مروان بن سليمان بن يحيى).

يرجو التراث بنو البنات ***	وما لهم فيها قلامه
والصهر ليس بوارث ***	والبنت لا تترث الإمامة
ما للذين تنحلوا ***	ميراثكم إلا الندامة
أخذ الوراثة أهلها ***	فعلام لومكم علامة
لو كان حقكم لها ***	قامت على الناس القيامة
ليس التراث لغيركم ***	لا والإله ولا كرامة
أصبحت بين محبكم ***	والمبغضين لكم علامة

ثم نثر على رأسى بعد ذلك لشعر قلته فى هذا المعنى عشرة آلاف درهم(1).

موقف أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من هذا المخطط

كان المخطط لسلب صفة القرابة والبنوة والاختصاص عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كبيرا ومعقدا ومدعوما من خمس دول عظمى، ثلاثة منها هى دول أصحاب السقيفة، والرابعة دولة بنى أمية، والخامسة هى الدولة العباسية، وقد رأينا كيف خصصت هذه الدول لأجل إنجاح هذا المشروع ميزانية مالية ضخمة من جهة وسيف بتار يحز رقبة كل من لا يقر بمصادقية هذا المخطط من جهة ثانية.

وقد عانى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم الكثير فى سبيل الوقوف بوجه هذا الباطل، وبدلوا فى سبيل إفهام الأمة بقرب منزلتهم ودنو مراتبهم من أيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل غال ونفيس، وما استشهاد السيدة الطاهرة ريحانة النبى فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها إلا بسبب وقوفها حائلا وسدا أمام سلب قربها واختصاصها وإرثها من أيها صلى الله عليه وآله وسلم، وما حرب الاستتصال التى شنت على أهل

1- () تاريخ الطبرى ج 7 ص 397 ذكر الخبر عن بعض أمور المتوكل وسيرته.

هذا البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يوم عاشوراء إلا بسبب ان وجودهم كان مذكرا للأمة على الدوام بوجود النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين ظهرانيهم، فكان على الطغاة ولكي يقطعوا ذكر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وسنته وتعاليمه أن يجتثوا أصل أهل بيته ويمحوا عن الأرض ذكرهم، ألا ترى منادى القوم فى ذلك اليوم الرهيب يدعوا إلى ذلك بقوله: (لا تدعوا منهم صغيرا ولا كبيرا) (1) وكيف رفعوا شعار (لا تبقوا لأهل هذا البيت باقية) أرادوا بذلك أن يطفئوا نور الله بأفواههم وأسيافهم وأبى الله سبحانه إلا أن يتم نوره ولو كره الغاصبون.

وقد حشد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فضلاً عن دمائهم الطاهرة آيات القرآن وأحاديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مستغلين كل موقف لنشر كونهم من أولاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وانهم أخص الناس به وأقربهم إليه وحثوا شيعتهم على استغلال كل فرصة لنشر ذلك، وبثوا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين آلاف الجمل الدالة على ذلك فى ضمن محاوراتهم وادعيتهم وزياراتهم.

وفيما يأتى جملة من الأحاديث الدالة على ما بيناه:

منها ما عن الشيخ الكليني رحمه الله عن أبى الجارود، عن أبى جعفر صلوات الله وسلامه عليه قال: (يا أبا الجارود ما يقولون لكم فى الحسن والحسين عليهما السلام؟).

قلت: ينكرون علينا أنهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: فأى شىء احتججتهم عليهم؟.

قلت: احتججتنا عليهم بقول الله عز وجل فى عيسى ابن مريم عليهما السلام:

1- () مقتل الحسين للعلامة السيد عبد الرزاق الموسوى المرقوم ص316، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت __ لبنان.

((وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ)) (1)، فجعل عيسى بن مريم من ذرية نوح عليه السلام.

قال: فأى شيء قالوا لكم؟

قلت: قالوا: قد يكون ولد الابنة من الولد ولا يكون من الصلب.

قال: فأى شيء احتججتهم عليهم؟

قلت: احتججتنا عليهم بقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله: ((فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ)) (2).

قال: فأى شيء قالوا؟

قلت: قالوا: قد يكون فى كلام العرب أبناء رجل وآخر يقول: أبناؤنا.

قال: فقال أبو جعفر «عليه السلام»: يا أبا الجارود لأعطينكها من كتاب الله جل وتعالى أنهما من صلب رسول الله صلى الله عليه وآله لا يردّها إلا الكافر.

قلت: وأين ذلك جعلت فداك؟

قال: من حيث قال الله تعالى: ((حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ)) (3)، الآية إلى أن انتهى إلى قوله تبارك تعالى: ((وَحَالَئُلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْوََابِكُمْ))، فسلهم يا أبا الجارود هل كان يحل لرسول الله صلى الله عليه وآله نكاح حليلتيهما؟ فإن قالوا: نعم كذبوا وفجروا وإن قالوا: لا فهما ابناه

1- () سورة الأنعام الآية 84 __ 85.

2- () سورة آل عمران الآية 61.

3- () سورة النساء الآية 23.

لصلبه)(1).

وعن عابد الأحمسى قال: (دخلت على أبي عبد الله وأنا أريد أن أسأله عن صلاة الليل فقلت: السلام عليك يا بن رسول الله فقال: وعليك السلام إى والله إنا لولده، وما نحن بذوى قرابته، ثلاث مرات قالها)(2).

وفى حديث عن الإمام الكاظم صلوات الله وسلامه عليه مع الرشيد، قال له: (لم لا تنهون شيعتكم عن قولهم لكم يا بن رسول الله وأنتم ولد على، وفاطمة إنما هى وعاء، والولد ينسب إلى الأب لا الأم، فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يعفنى عن هذه المسألة فعل، فقال: لست أفعل أو تجيب).

فقلت: فأنا فى أمانك أن لا يصيبنى من آفة السلطان شىء؟

فقال: لك الأمان.

فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ووهبنا له إسحاق إلى أن قال وعيسى، فمن أبو عيسى(3)؟

فقال: ليس له أب إنما خلق من كلام الله عز وجل وروح القدس.

فقلت: إنما الحق عيسى بذرارى الأنبياء من قبل مريم، وألحقنا بذرارى الأنبياء من قبل فاطمة لا من قبل على عليه السلام...(4).

1- (الكافى للشيخ الكلينى ج 8 ص 317 __ 318).

2- (المصدر السابق ج 3 ص 487 باب النوادر الحديث رقم 3).

3- الآية بتمامها كالتالى: ((وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى

وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ)) سورة الأنعام الآية رقم 84 __ 85.

4- (كتاب الاختصاص للشيخ المفيد ص 56 حديث موسى بن جعفر عليهما السلام مع هارون الرشيد).

المبحث الثالث: سر السلام على الحسين بابن رسول الله

إشارة

الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه ويوصفه أحد المعصومين لا يتكلم إلا بما يكون موزوناً بدقة ومصاغاً لأجل غايات وأهداف قد تكون ظاهرة معروفة وقد تكون خفية تظهر للعالم في وقتها المناسب، وسلام الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه على جده الحسين صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ) فيه لمن تأمل أسرار وأهداف ومداليل مهمة نستطيع أن نكتشف بعضها فيما يأتي ونوكل علم البقية إلى نفس الإمام صلوات الله وسلامه عليه:

المدلول الأول: نبيان أسباب قتل الأمة للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

احتوت زيارة عاشوراء على تبيان واضح وشفاف لكل الأسباب أو لأهم الأسباب التي أدت إلى حدوث فاجعة عاشوراء، فبينت الزيارة المؤسسين والأشياء والأتباع والغايات والعائلات التي اشتركت كآل أمية وبنى مروان وغيرهم، وذكرت بعض الأشخاص الذين كانت لهم ادوار مهمة قبل تلك الفاجعة وبعدها كعمر بن سعد وابن مرجانة والشمر بن ذى الجوشن لعنهم الله جميعاً، وأوضحت هذه الزيارة الشريفة بعض الحالات النفسية لهؤلاء المتسببين لهذه الواقعة العظيمة، وذكرت على سبيل المثال فرح آل مروان بقتلهم الحسين صلوات الله وسلامه عليه وغير ذلك، وبالجملة فلم تغفل هذه الزيارة عن تبيان وإيضاح كل صغيرة وكبيرة كان لها دور فاعل في إيجاد وإحداث مجزرة عاشوراء الرهيبة.

وقد ذكرنا فيما سبق ان واحدة من أهم الأسباب التي أدت إلى استشهاد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وإبادة أهل بيته هي كونه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولو انه صلوات الله وسلامه عليه كان ابناً لأبي بكر أو عمر بن الخطاب أو حتى لأبي سفيان لما تجرأ عليه

ولا- على أهل بيته احد من أولئك الطغاة العتاة، ولرأينا كيف يرفعه التاريخ الإسلامى علما ويصيره أسطورة من أساطير العلم والعمل والشجاعة، ولما تجرأ عليه التاريخ باتهامه تارة بأنه قتل بسيف جده، وأخرى انه خرج على إمام زمانه ونكث البيعة وفرق صف المسلمين، وثالثة بأن بيعة يزيد شرعية وخروج الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه قد سبب للأمة شرخا وصدعا حاشاه من جميع هذه الافتراءات الكاذبة.

وعليه فيكون سلام الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ) داخلاً فى ضمن تبيان الأسباب والمسببات التى أدت إلى مقتل واستشهاد الإمام وأهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

المدلول الثانى: تبيان موجبات زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

كلما كان الولى أعظم قدرا وأكمل مقاما وارفح منزلة يكون الداعى إلى زيارته وصلته أشد وأؤكد، ولا يوجد أفضل من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين منَّ الله سبحانه على البشرية جمعاء بهم وبجدهم صلى الله عليه وآله وسلم، فبهم أخرج الله سبحانه العباد من الضلالة إلى الهدى، وبهم فتح الله سبحانه على العالم كل أبواب الخير، وبهم عرف الله سبحانه وعبد حق عبادته، وبهم علمنا الله معالم ديننا، وأصلح ما فسد من دنيانا، وبهم ينزل كل خير ويدفع كل شر، فبسبب كل هذه الكمالات وبسبب أياديهم العظوفة على البشرية صار الداعى إلى زيارتهم ووصلهم والحضور إلى قبورهم أوجب وأشد وأؤكد من كل صلاة أخرى.

وواحدة من أهم الأمور التى توجب (1) على المؤمنين صلاة أبى عبد الله الحسين

1- () روى صاحب كتاب كامل الزيارات محمد بن قولويه ص 246 عن أبى عبد الله صلوات الله وسلامه عليه انه قيل له: (جعلت فداك ما تقول فيمن ترك زيارته وهو يقدر على ذلك؟ قال: أقول انه قد عرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعقنا واستخف بأمر هو له...)، وفى ص 238 عن أم سعيد الاحمسية عن أبى عبد الله صلوات الله وسلامه عليه قالت: (قال لى يا أم سعيد تزورين قبر الحسين؟ قالت: قلت نعم، فقال لى: زوريه فان زيارة قبر الحسين واجبة على الرجال والنساء) ومن هذه الروايات وغيرها استظهر العلامة المجلسى وجوب زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه حيث قال: (ولا يبعد القول بوجوبها فى العمر مرة مع القدرة، وإليه يميل الوالد العلامة) راجع بحار الأنوار ج 98 ص 10 فيمن ترك زيارة الحسين عليه السلام.

صلوات الله وسلامه عليه وزيارة قبره والحضور في مشهده هي كونه ابن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فصلاة النبي صلوات الله وسلامه عليه توجب صلاة أبنائه، وفضل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على أمته يوجب لزوم تقصد مجالسهم والأخذ والتزود منهم حال حياتهم وزيارة قبورهم حال استشهادهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

لذلك وردت روايات كثيرة تحث الزائر على زيارة قبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه حبا برسول الله صلوات الله وسلامه عليه وصرحت جميعها ان لهذه الزيارة الأجر الجزيل والثواب الكبير منها:

ما عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه قال: (إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين زوار الحسين بن علي، فيقوم عنق من الناس لا يحصيهم إلا الله تعالى، فيقول لهم: ما أردتم بزيارة قبر الحسين عليه السلام، فيقولون: يا رب أتيناك حبا لرسول الله وحبا لعلي وفاطمة ورحمة له مما ارتكب منه، فيقال لهم: هذا محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين فالحقوا بهم، فأنتم معهم في درجتهم الحقوا بلواء رسول الله فينطلقون إلى لواء رسول الله، فيكونون في ظله واللواء في يد علي عليه السلام حتى يدخلون الجنة جميعا، فيكونون أمام اللواء، وعن يمينه وعن يساره ومن خلفه) (1).

وعن أبي بصير، قال سمعت أبا عبد الله أو أبا جعفر صلوات الله وسلامه عليهما يقول: (من أحب أن يكون مسكنه الجنة ومأواه الجنة فلا يدع زيارة المظلوم، قلت: ومن هو،

قال: الحسين بن علي صاحب كربلاء من أتاه شوقاً إليه وحبا لرسول الله وحبا لأمر المؤمنين وحبا لفاطمة، أقعده الله على موائد الجنة، يأكل معهم والناس في الحساب(1).

المدلول الثالث: تبيان الفارق ما بين القاتل والمقتول

استعرضت زيارة عاشوراء صنفين ونوعين من الشخصيات ضمن فقراتها الشريفة، الصنف الأول هم: من وقع الظلم والحيث والقتل والجور عليهم، فذكرت ضمن هذا الصنف كلاً من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والإمام أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأولاد الإمام الحسين وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والصنف الثاني هم: من تسبب بإيقاع الظلم والحيث والقتل والجور على الصنف الأول، فذكرت عدة مصاديق لهذا الصنف بعضهم ذكرته بالفعل والبعض الآخر ذكرته بالاسم، فذكرت المؤسسين للظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وذكر آل أبي سفيان وآل مروان وابن مرجانة وعمر بن سعد وشمرا وغيرهم من الملعونين.

واستعراض هذين الصنفين في فقرات الزيارة واحدة من أهم فوائده وغاياته وأهدافه هو: بيان الفارق النسبي والأخلاقي والعلمي والإيماني وغير ذلك من الفوارق التي تميز كلاً من القاتل والمقتول والظالم والمظلوم والجائر والمجور عليه.

فحينما تذكر الزيارة الشريفة ان الحسين الشهيد هو ابن رسول الله وابن أمير المؤمنين وابن فاطمة سيدة نساء العالمين، ثم تذكر بعد ذلك ان ظالمه وقاتله ابن مرجانة وأمثاله ممن عرفوا تاريخياً بوضاعة النسب وحمول الحسب وفقد الإيمان، فحينئذ يدرك المؤمن فداحة يوم عاشوراء وعظم الجريمة التي ارتكبت فيه، ويستبين

معالم الفاجعة حينما يقارن بين أولئك القتلة المطعون في أحسابهم وأنسابهم وإيمانهم وبين أولئك الشهداء المقتولين المظلومين الذين هم غاية في الكمال والطهر والإيمان.

المدلول الرابع: الوقوف بوجه مخطط أصحاب السقيفة وأشياهم

تعرفنا في المبحث الثاني المنصرم كيف أراد أعداء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين القضاء على قريتهم واختصاصهم وانتسابهم للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وكيف بدأ هذا المخطط بالدعوة إلى إخراج أهل البيت عن كونهم أبناء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وكيف انتهى بالدعوة والتحريض يوم عاشوراء على استئصالهم وان لا يبقى لهم باقية.

وتعرفنا أيضا على الجهد العظيم الذي قام به أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين للحفاظ على صدق انتسابهم وحقيقة اختصاصهم بجدتهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم دون العالمين، فاستخدموا لأجل ذلك كل وسيلة، واتبعوا كل طريقة ممكنة، وواحدة من هذه الوسائل والطرق هي زجها في متون ادعيتهم وزياراتهم، وأمر الشيعة بترديدها وتكرار قراءتها، ما يؤدي هذا التكرار إلى ترسيخ هذا الأمر في نفس الزائر وعقله رسوخا لا يقبل الشك أو الانفكاك.

وعليه فيصبح قول الزائر لقبر أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ومخاطبته إياه بقوله (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ) مشاركة في نصرة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في حربهم مع أعدائهم، وفيه إثبات وإقرار حق من حقوقهم المسلوبة، وفيه نكران للمنكر الذي أراد أصحاب السقيفة وأتباعهم تأسيسه وترسيخ قواعده، والزائر ماجور على هذه المناصرة والشهادة والرفض للظلم ويكتب له اجر الواقف بوجه ذلك الباطل وان لم يكن ملتفتا في اغلب الأحيان إلى أهمية فعله أو الهدف من السلام على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه والشهادة له بأنه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَابْنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ

إشارة

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة

المبحث الثاني: تبيان السبب الثاني من أسباب واقعة عاشوراء

اختصاص لقب أمير المؤمنين بالإمام علي بن أبي طالب

ابتزاز هذا اللقب من الإمام علي بن أبي طالب

كيف اثر لقب أمير المؤمنين في استشهاد الحسين

المبحث الثالث: تبيان السبب الثالث من أسباب فاجعة عاشوراء

ابتزاز لقب الوصي من الإمام أمير المؤمنين

أدلة أفضلية أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على بقية الأوصياء

الدليل الأول

الدليل الثاني

الدليل الثالث

المبحث الرابع: من هم الأوصياء المقصودون في هذه العبارة

ملاحظة لا بد منها

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَابْنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ وهذه الفقرة الشريفة من الزيارة كغيرها من الفقرات فيها مباحث مهمة وإشارات جليلة القدر نستعرض بعضها فيما يأتي:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة

من يرجع إلى كتب الأدعية والزيارات يجد أنّ السلام على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه والشهادة له بأنه ابن أمير المؤمنين أو أنه صلوات الله وسلامه عليه ابن سيد الوصيين مما قد اشتهر ووصلت شهرته إلى حد يستغنى عن الإطالة في الخوض بتفاصيله وذكر جميع شواهد، ونحن هنا نذكر من باب التزامنا بالمنهج الذى وضعناه للبحث بعض تلك النصوص التى منها:

الصلاة التى ذكرها الشيخ الطوسى قدس الله روحه على الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما: (اللهم صل على الحسين بن على المظلوم الشهيد قتيل الكفرة وطريح الفجرة السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك يا بن رسول الله السلام عليك يا بن

أمير المؤمنين، أشهد موقنا أنك أمين الله وابن أمينه قتلت مظلوما ومضيت شهيدا(1).

ومنها الزيارة المختصرة التي ذكرها الشيخ المفيد رحمه الله قال: (باب مختصر زيارته عليه السلام إذا أتيت مشهده عليه السلام فاغتسل قبل أن تدخله، والبس أظهر ثيابك وقف على القبر، واستقبله بوجهك، واجعل القبلة بين كتفيك، وقل: السلام عليك يا بن رسول الله، السلام عليك يا بن أمير المؤمنين، السلام عليك يا بن الصديقة الطاهرة، سيدة نساء العالمين...)(2).

ومنها ما ذكره ابن قولويه في كامل الزيارات بقوله: (حدثني أبي، عن سعد بن عبد الله وعبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن الحسن بن علي بن فضال، عن عمرو بن سعيد المدائني، عن مصدق بن صدقة، عن عمار بن موسى الساباطي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: تقول إذا أتيت إلى قبره: السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك يا ابن أمير المؤمنين، السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا سيد شباب أهل الجنة ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا من رضاه من رضى الرحمان وسخطه من سخط الرحمان)(3).

ومنها ما ذكره ابن طاوس رحمه الله في إقبال الأعمال من زيارة الأربعين: (تزور عند ارتقاع النهار فتقول: السلام على ولي الله وحببيه، السلام على خليل الله ونجيبه... يا سيدي، استشفع إلى الله بجذك سيد النبيين، وبأبيك سيد الوصيين، وبأماك سيدة نساء العالمين، السلام عليك يا بن رسول الله، السلام عليك يا بن أمير المؤمنين سيد الأوصياء...)(4).

1- () مصباح المتعجد للشيخ الطوسي ص 401 __ 402.

2- المقنعة للشيخ المفيد ص 469

3- () كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 382 __ 383.

4- () إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج 3 ص 101 __ 102.

ومنها الزيارة التي يزار بها الإمام الحسين في أول شهر رجب والتي نقلها السيد ابن طاوس قدس الله روحه بقوله: (إن هذه الزيارة مما يزار بها الحسين عليه السلام أول رجب أيضا... ثم ادخل وقف عند ضريحه وكبر الله تعالى مائة مرة وقل: السلام عليك يا بن رسول الله، السلام عليك يا بن خاتم النبيين، السلام عليك يا بن سيد المرسلين، السلام عليك يا بن سيد الوصيين)(1).

واستقصاء هذه الفقرة من الزيارة في كل كتب الأدعية والزيارات يخرج بنا عن حد الاختصار والاعتدال، وشهرتها تغني عن الإسناد.

المبحث الثاني: تبيان السبب الثاني من أسباب واقعة عاشوراء

إشارة

ان تكرار السلام على أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه وقرنه تارة بابن رسول الله وتارة بابن أمير المؤمنين وغير ذلك من العبارات الشريفة هو في الحقيقة ليس مجرد ترديد ساذج لعبارة السلام وتكثيرها وحشوها داخل فقرات الزيارة(2)، بل ان السلام وتكراره __ كما رأينا في شرح الفقرة السابقة __ هو سلام هادف وتكرار هادف، ويحمل بين طياته معاني سامية وإشارات جليلة تكشف لنا وبوضوح عن الأسباب والحيثيات التي من أجلها حدثت فاجعة عاشوراء، والتي بسببها انتهكت حرمة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وحرمة أهل بيته وأصحابه الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأريق دمائهم الطاهرة.

وقرن السلام في هذه الفقرة بعبارته يا ابن أمير المؤمنين، ليس بخارج عن هذه

1- () المصدر السابق ج 3 ص 341، وراجع أيضا كتاب المزار للشهيد الأول ص 142 __ 143.

2- كما اعتقده بعض الجهال ممن حاول إسقاط زيارة عاشوراء عن الاعتبار لمجرد كثرة ترديد السلام فيها، لأنه يعتقد ان سلاما واحدا يكفي ويغني عن كل تلك الأنواع من السلام، وهو اعتقاد ساذج وسطحى كما سنعرف.

القاعدة، والإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه يهدف من وراء ذلك إلى ذكر سبب آخر من أسباب حدوث فاجعة عاشوراء، والذي يتلخص في كون الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ابن أمير المؤمنين.

اختصاص لقب أمير المؤمنين بالإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه

ولقب أمير المؤمنين أطلق أول ما أطلق على الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه ولنا على هذه الحقيقة نصوص تاريخية عدة منها:

ما عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه وقد سأله رجل عن القائم يسلم عليه بإمرة المؤمنين؟ فقال صلوات الله وسلامه عليه: (لا، ذاك اسم سمي الله به أمير المؤمنين عليه السلام، لم يسم به أحد قبله ولا يتسمى به بعده إلا كافر، قلت جعلت فداك كيف يسلم عليه؟ قال: يقولون: السلام عليك يا بقية الله، ثم قرأ ((بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) (1)(2).

وقال المولى محمد المازندراني في شرح هذا الحديث: (لم يتقل أن أحدا سمي بأمير المؤمنين قبله، وأما بعده فقد سمي به بعض جبايرة هذه الأمة، ولعل المراد بالكافر هنا ضد المؤمن، وهو من لم يؤمن بالله وبرسوله، فضلا عما جاء به الرسول، إن اعتقد جواز ذلك شرعا أو مطلقا، كمن سمي نفسه باسم الله أو نبي الله أو رسول الله، ويحتمل أن يراد بالكفر كفر النعمة، بتغييرها ووضعها في غير موضعها، أو تغطية الحق، وأصل الكفر هو التغطية، والمتصف بهما يسمى كافرا وإن لم يكن خارجا عن الإيمان، والله أعلم)(3).

1- سورة هود الآية 86.

2- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 411 __ 412 باب نادر.

3- شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج 7 ص 48 __ 51.

عن أحمد بن عمر قال: (سألت أبا الحسن عليه السلام لم سمي أمير المؤمنين عليه السلام؟

قال: لأنه يميهم العلم، أما سمعت في كتاب الله ((وَمِمَّنْ أَلْمَنَّا)) (1). وفي رواية أخرى قال: (لأن ميرة المؤمنين من عنده، يميهم العلم) (2).

وعن فضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال: (... يا فضيل لم يسم بها والله بعد على أمير المؤمنين إلا مفتر كذاب إلى يوم الناس هذا) (3).

أما من مصادر العامة فقد نقل ابن عساكر عن القاسم بن جنيد عن أنس بن مالك قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسكب إلى ماء أو وضوءاً فتوضأ ثم قام فصلى ركعتين ثم قال يا أنس أول من يدخل من هذا الباب أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين سيد المؤمنين علي) (4).

وفي قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (على يعسوب الدين والمال يعسوب المنافقين) (5) إشارة إلى نفس المعاني المتقدمة.

وقال المناوي في شرح هذا الحديث: ((على يعسوب المؤمنين)) أى سيدهم ((والمال يعسوب المنافقين)) قال فى المحكم: اليعسوب أمير النحل ثم كثر حتى سموا كل رئيس يعسوبا، وقال ثعلب: اليعسوب ذكر النحل الذى يتقدمها ويحامي عنها) (6).

1- سورة يوسف الآية 65.

2- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 412 باب نادر.

3- اليقين للسيد ابن طاوس ص 303.

4- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج 42 ص 303.

5- الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي ج 2 ص 178 حرف العين،

6- فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ج 4 ص 472.

ابتزاز هذا اللقب من الإمام على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه

لقب أمير المؤمنين شأنه شأن غيره من حقوق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وألقابهم وفضائلهم التي اختصوا بها عن العالمين والتي ابتزت منهم واغتصبت، وأسباب هذا الابتزاز واضحة للمؤمن الفطن، إذ إن هذا اللقب كان يذكر الأمة الإسلامية بأن عليا صلوات الله وسلامه عليه هو الأولى من غيره باعتلاء منصب الإمامة والخلافة بعد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه أميرهم وسيدهم ويعسوبهم، ومن غير اللائق لأحد من المسلمين أن يتقدم على أميره، أو يتأمر على سيده، ومن يفعل ذلك فإنه ظالم متعدّد لحدود الله.

فتنبه القوم إلى أن بقاء هذا اللقب وانحصاره بأمر المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه يعد تهديدا دائما ومستمرا يدين صحة اعتلائهم لمنصب قيادة المسلمين، ويفضح تقدمهم لأمرهم وسيدهم ويعسوبهم. فكان عليهم والحال هذه، وفيما لو أرادوا أن يحافظوا على تلك المناصب المغتصبة أن يعمدوا إلى أمرين:

الأول: توسيع إطلاق هذا اللقب ليشمل أفرادا غير الإمام على بن أبي طالب أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه.

الثاني: القضاء على ما كان مشاعا من اختصاص الإمام على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه بلقب أمير المؤمنين، وإبداله بشياع جديد يخرج هذا اللقب من حيز الاختصاص إلى العموم.

وأول من وسع إطلاق لقب أمير المؤمنين بحسب الوثائق التاريخية هو عمر بن الخطاب في أيام حكومته، قال الطبري: (قال أبو جعفر: أول من دعى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ثم جرت بذلك السنة واستعمله الخلفاء إلى اليوم)⁽¹⁾.

وقال الطبري أيضا: (حدثني أحمد بن عبد الصمد الأنصاري قال حدثتني أم عمرو بنت حسان الكوفية عن أبيها قال لما ولي عمر قيل يا خليفة خليفة رسول الله فقال عمر هذا أمر يطول كلما جاء خليفة قالوا يا خليفة خليفة رسول الله بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم فسمى أمير المؤمنين(1)).

وقيل إن مسيلمة الكذاب قد تلقب بلقب أمير المؤمنين قبل عمر بن الخطاب كما نقله ابن حجر في كتابه فتح الباري حيث قال: (وجدت في كلام أبي الخطاب بن دحية الإنكار على من أطلق أن عمر أول من لقب أمير المؤمنين وقال قد تسمى به مسيلمة قبله كما أخرجه البخاري في قصة وحشي(2)).

واستمر هذا التوسيع للقب أمير المؤمنين ليشمل كل من يتولى الحكم على المسلمين براً كان أو فاجراً قال النووي: (يجوز أن يقال للإمام الخليفة والإمام وأمير المؤمنين، قال الماوردي: ويقال أيضا: خليفة رسول الله، قال البغوي في شرح السنة: ويقال له أمير المؤمنين وإن كان فاسقا، وقد أوضحت ذلك وما يتعلق به في أواخر كتاب الأذكار(3)).

وقال البهوتي في كشف القناع: (قال أحمد في رواية عبدوس بن مالك العطار: ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمى أمير المؤمنين فلا يحل لأحد يؤمن بالله يبيت ولا يراه إماما برا كان أو فاجرا(4)).

بل نجد ان لقب أمير المؤمنين وسع ليدخل فيه غير الحكام وأصحاب السلطة

1- المصدر السابق.

2- فتح الباري لابن حجر ج 7 ص 285.

3- روضة الطالبين لمحيي الدين النووي ج 7 ص 270 الفصل الثالث في أحكام الإمام.

4- كشف القناع للبهوتي ج 6 ص 202.

أمثال بعض المحدثين الذين أطلق عليهم لقب (أمير المؤمنين في الحديث) منهم مالك بن أنس فقيه وإمام المذهب المالكي الذي يقول عنه (يحيى بن سعد القطان ويحيى بن معين: مالك أمير المؤمنين في الحديث)(1).

ومنهم محمد بن إسحاق الذي وصفه شعبة بقوله: (محمد بن إسحاق أمير المحدثين هو أمير المؤمنين في الحديث)(2)، ومنهم الثوري ذكر النووي في شرح صحيح مسلم: (وكان الثوري يسمى أبا الزناد أمير المؤمنين في الحديث)(3).

فأصبح لقب أمير المؤمنين كما ترى شرعة لكل وارد، وخرج من حالة الاختصاص بأمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه إلى العموم ليشمل البر والفاجر، بل صار إطلاقه ولشديد الأسف على الطغاة والجبابرة والمسرفين هو الأكثر شيوعاً عند الاستعمال.

أما كيف أمكن القضاء على ما كان مشاعاً من اختصاص أمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه بهذا اللقب، وإبداله بشياع آخر فهذا ما سنتناول أسبابه وباختصار فيما يأتي:

السبب الأول: اختراع روايات تقابل وتعاكس تلك التي خصت على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه بلقب أمير المؤمنين، ونحن هنا نشير إلى روايتين فقط رغبة في الاختصار.

1- المدونة الكبرى للإمام مالك ج6 ص465 في ترجمة الإمام أبي عبد الله مالك بن أنس، وراجع أيضاً تنوير الحوالك لجلال الدين السيوطي ص3 في كتاب وقت الصلاة.

2- المحلى لابن حزم ج3 ص241 في المسألة 360 لا يجوز للمأموم أن يقرأ خلف الإمام شيئاً غير أم القرآن.

3- شرح مسلم للنووي ج1 ص87 باب بيان ان الإسناد من الدين.

الأولى عن النعمان بن بشير بن سعد قال: (توفى رجل منا يقال له خارجة بن زيد فسجينا عليه ثوبا وقمت أصلى قال سمعت ضوضأة قال فانصرف فإذا به يتحرك فظننت أن حية دخلت بينه وبين الثوب.

فلما وقفت عليه قال: أجد القوم أوسطهم عبد الله عمر أمير المؤمنين الذى لا تأخذه فى الله لومة لائم وهو فى الكتاب الأول صدق صدق القوى فى جسمه القوى فى أمر الله الذى لا تأخذه فى الله لومة لائم، كان فى الكتاب الأول.

صدق صدق عبد الله أبو بكر أمير المؤمنين الضعيف فى جسمه القوى فى أمر الله هو فى الكتاب الأول.

صدق صدق عبد الله عثمان أمير المؤمنين العفيف المتعفف الذى يعفو عن ذنوب كثيرة خلت ليلتان وبقيت أربع اختلف الناس فلا نظام لهم أبيض الأحماء.

أيها الناس أقبلوا على إمامكم اسمعوا له وأطيعوا فمن تولى فلا يعهدن دما كان أمر الله قدرا مقدورا هذا رسول الله سلام عليك يا رسول الله هذا عبد الله بن رواحة، ما فعل خارجة بن زيد، ثم رفع صوته يقول "كلا إنها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى" أخذت بئر أريس ظلما ثم خفت الصوت فرفعت الثوب فإذا هو على حاله ميت(1).

وعدم ذكر اسم الإمام على بن أبى طالب أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فى الرواية دليل قاطع على ان ذكر تلك الأسماء فى الرواية وإطلاق لقب أمير المؤمنين عليهم مقصود منه التغطية على اسم الشخص الحقيقى الذى اختص بهذا اللقب دون جميع العالمين.

والرواية الثانية هي التي نقلها البكرى الدمياطى على شكل زيارة يزار بها عمر ابن الخطاب مصاغة بنفس الطريقة التي يزار بها أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والتي جاء فيها: (...ثم يتأخر قدر ذراع آخر، فيسلم على سيدنا عمر رضى الله عنه، ويقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين، يا سيدنا عمر بن الخطاب، يا ناطقا بالحق والصواب. السلام عليك يا حليف المحراب، السلام عليك يا من بدين الله أمر، يا من قال فى حقك سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم: لو كان بعدى نبي لكان عمر. السلام عليك يا شديد المحاماة فى دين الله والغيره، يا من قال فى حقك هذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: ما سلك عمر فجا إلا- سلك الشيطان فجا غيره أستودعك...)(1).

السبب الثانى: ترويح لقب أمير المؤمنين وإدخاله بعد الأذان ليسمعه المسلمون صغيرهم وكبيرهم خمس مرات فى اليوم، ولسنين طويلة، حتى يشيب فيها الصغير ويهرم فيها الكبير، وحتى نشأ بمرور تلك السنين جيل اعتاد على سماع إطلاق لقب أمير المؤمنين على غير على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه، بل أكثر من ذلك فإن هذا الجيل الجديد والأجيال التى ستليه اعتادوا على عدم دخول الإمام على صلوات الله وسلامه عليه عند إطلاق هذا اللقب فيه، ولنا على هذه الطريقة الخبيثة عدة شواهد تاريخية نختار منها:

قال جلال الدين السيوطى: (قال الواقدى وغيره... فلما ولى أبو بكر كان سعد القرظ يقف على بابه فيقول السلام عليك يا خليفة رسول الله الصلاة يا خليفة رسول الله(2)).

1- إعانة الطالبين للبكرى الدمياطى ج 2 ص 357.

2- التأكيد والتركيذ على كون أبى بكر خليفة رسول الله يدخل فى نفس المخطط الذى نحن بصدد الكلام عنه، باعتبار ان المسلمين الأوائل كانوا يعلمون ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يستخلف أبى بكر من بعده، بل ان أبى بكر نفسه يعترف بذلك حينما جاءه أعرابى فقال له: أنت خليفة رسول الله؟ فقال: لا، فقال: ما أنت؟ قال: أنا الخالفة من بعده، أخرجه الممتقى الهندى فى كنز العمال ج 12 ص 531 فى وفاة أبى بكر، وقال جار الله الزمخشري فى كتابه الفائق فى غريب الحديث ج 1 ص 339 بعد إيراده لهذه الرواية: (الخالف والخالفة الذى لا غناء عنده ولا خير فيه...) وقال ابن الأثير فى كتابه النهاية فى غريب الحديث ج 2 ص 69 باب الخاء مع اللام بعد إيراده لهذا الخبر: (فأما الخالفة فهو الذى لا غناء عنده ولا خير فيه، وكذلك الخالف، وقيل هو الكثير الخلاف).

فلما ولي عمر ولقب أمير المؤمنين كان المؤذن يقف على بابه ويقول السلام عليك يا أمير المؤمنين ثم إن عمر أمر المؤذن فزاد فيها رحمك الله.

ويقال إن عثمان زادها، وما زال المؤذنون إذا أذنوا سلموا على الخلفاء وأمرء الأعمال ثم يقيمون الصلاة بعد السلام فيخرج الخليفة أو الأمير فيصلى بالناس. هكذا كان العمل مدة أيام بني أمية ثم مدة أيام بني العباس حتى ترك الخلفاء الصلاة بالناس فترك ذلك(1).

السبب الثالث: ترويح بعض ضعفاء النفوس من الصحابة والتابعين لهذا اللقب لأسباب منفعية أو عقد نفسية.

وعلى سبيل المثال نأخذ كلاً من ابن عمر وزيد بن ثابت كمثالين كان لهما التأثير البالغ في نشر هذا اللقب وإطلاقه على غير مستحقه، فقد أخرج البخارى فى صحيحه رواية توضح إقرار ابن عمر لعبد الملك بن مروان بإمارة المؤمنين قال: (حدثنا عمرو بن على حدثنا يحيى عن سفيان قال حدثنى عبد الله بن دينار قال لما بايع الناس عبد الملك كتب إليه عبد الله بن عمر: إلى عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين إني أقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله فيما استطعت وان بنى قد أقروا بذلك(2) مع العلم ان ابن عمر لم يقر للإمام على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه بالإمارة ولا بايعه طوال مدّة خلافته.

1- تنوير الحوالك لجلال الدين السيوطى ص 92 كتاب الصلاة باب ما جاء فى النداء للصلاة.

2- صحيح البخارى ج 8 ص 122 _ 123 فى كتاب الأحكام.

وعن البخارى أيضا فى كتابه الأدب المفرد أن زيد بن ثابت كتب إلى معاوية بن أبى سفيان بما نصه: (بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من زيد ابن ثابت سلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله فأنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو... والسلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ومغفرته)(1).

وعن ابن حجر قال: (ومن طريق زيد بن ثابت انه كتب إلى معاوية السلام عليكم يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ومغفرته وطيب صلواته)(2).

ولهذه الأسباب وبهذه الجهود ضيع حق من حقوق أهل البيت عليهم السلام وتم القضاء على أهم ألقاب مولى الموحدين الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه.

ولا ينبغى التوهم بأن مقصد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم فى الدفاع عن لقب أمير المؤمنين وإصرارهم على انحصاره بشخص الإمام على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه هو دفاع وإصرار على مجرد لقب مؤلف من حروف جوفاء أو مجرد وسام افتخارى يمكن أن يرفع من مكانة ومنزلة أهل البيت الدنيوية شأنه شأن بعض المناصب الدنيوية التى يمنحها بعض الملوك لبعض خواصه، بل ان جوهر الدفاع والإصرار على لقب أمير المؤمنين واختصاصه بشخص الإمام على تكمن أهميته بما وراء ذلك اللقب، لان لقب أمير المؤمنين يستبطن فى جوهره الإقرار لصاحب اللقب باستحقاق أعلى منصب من مناصب الدولة الإسلامية، ويجعل حامله والمختص به مؤهلا ومقدما على من غيره لتسلم موقع السيادة والصدارة والخلافة بعد رحيل النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

1- الأدب المفرد للبخارى ص 241 فى الجواب على كيف أصبحت.

2- فتح البارى لابن حجر ج 11 ص 5 باب بدء السلام.

وبعبارة أخرى: فإن لقب أمير المؤمنين يمكن أن يعد أعلى منصب من مناصب الدولة الإسلامية يمكن أن يعطى لأحد من الناس بعد لقب نبي المؤمنين(1) الذى انفرد به نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فيكون بذلك الدفاع عن لقب أمير المؤمنين من أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم هو فى الحقيقة دفاعاً عن أصل الخلافة، وإصرارنا على اختصاص هذا اللقب فى الإمام على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه يعد نفس إصرارنا على اختصاص الخلافة بشخصه الشريف، واستماتتنا فى الحفاظ على هذا اللقب هو نفس استماتتنا فى الحفاظ على مبدأ الإمامة وأحقية أهل البيت به من دون العالمين.

كيف اثر لقب أمير المؤمنين فى استشهاد الحسين صلوات الله وسلامه عليه

بعد أن زويت الإمارة عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لسنين طويلة عادت لهم بعد تولى الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه الخلافة بعد عثمان بن عفان، فأوجس أصحاب نظرية توسيع إمارة المؤمنين(2) فى أنفسهم خيفة من رجوع

1- جاء وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنبي المؤمنين على لسان كثير من الصحابة ونخص بالذكر منهم عباس بن مرداس حيث يقول فى بعض أشعاره كما فى (البداية والنهاية لابن كثير ج 4 ص 394). وقال نبي المؤمنين تقدموا *** وحب إلينا أن نكون المقدم

2- روى الشريف الرضى فى كتابه خصائص الأئمة (ص 61 __ 62) عن الإمام أبى جعفر محمد بن على الباقر صلوات الله وسلامه عليهما انه قال: (لما قدم عبد الله بن عامر بن كرز المدينة لقي طلحة والزبير، فقال لهما بايعتما على بن أبى طالب عليه السلام؟ «فقالا نعم» فقال: أما والله لا يزال ينتظر بها الحبالى من بنى هاشم، ومتى تصير إليكما، أما والله ما جئت حتى ضربت على أيدى أربعة آلاف من أهل البصرة كلهم يطلبون بدم عثمان فدونكما فاستقيلا أمركما). وفى كتاب الأمالى للشيخ الطوسى (ص 177) ان إبليس لعنه الله (تصور يوم قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى صورة المغيرة بن شعبة فقال: أيها الناس، لا تجعلوها كسروانية ولا قيصرانية، وسعوها تتسع، فلا تردوها فى بنى هاشم، فتنظر بها الحبالى).

الإمارة إلى الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، وتيقنوا ان الأمور لو صفت وخلصت واستقرت للإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه وعاش حياةً سياسية مستقرة كما عاشها كل من أبي بكر وعمر بن الخطاب، فانه صلوات الله وسلامه عليه سيربى الأمة على المبادئ التي يؤمن بها، وأحد هذه المبادئ هي كونه الوحيد المستحق للقب (أمير المؤمنين)، فيعيد للأمة ما جهد الذين سبقوه بإخفائه وتبديله، وانه سيمهد للإمام الذي يليه من أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكذلك سيفعل الذي يليه، وبهذا سوف لن تخرج منهم الإمارة والخلافة مرة أخرى بأى حال من الأحوال، وستعود مخصوصة بأهل بيت محددين كما أراها الله سبحانه ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

فقررروا ان لا يعطوا لأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه الفرصة بأن يلتقط أنفاسه أو يهنأ بعيشه ويستقر في خلافته، فأشعلوا بوجهه نيران الفتن، ودقوا من حوله طبول الحرب، واجبروه على أن يخوض مع الناكثين من أصحاب الجمل حرباً ضروساً أشغلته لعدة أشهر، ثم أتبعوها بحرب ثانية مع الباغيين في صفين، واختلقوا له فتنة رفع المصاحف والتحكيم التي أفرزت وكانت أساساً لظهور فئة الخوارج المارقين، ثم لم يهنأ الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وأصحابه وشيعته إلا أياماً حتى اجتمع الخوارج على حربه في النهروان فصار هنالك ما صار، وفي هذه الأثناء كانت غارات معاوية على المناطق المتاخمة للشام تشتد أكثر وأكثر، إلى أن ختمت جميع هذه المؤامرات بمؤامرة دنيئة أدت إلى اغتيال واستشهاد الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ورحيله عن هذه الدنيا من دون أن تتاح له فرصة تربية الأمة وتعليمها وإرجاعها إلى الخط النبوي الصحيح.

ولما استشهاد الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وعمل بما هو الحق وأوصى لابنه الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه ازدادت مخاوف القوم المناهضين لمبدأ تخصيص الإمارة بأهل البيت من دون العالمين، واستيقنوا ان استخلاف الإمام الحسن من بعد أبيه أمير

المؤمنين خطوة مهمة لترسيخ هذا المبدأ، ومحاولة لبث الحياة إليه مرة ثانية بعدما كاد يموت وينسى، وانهم لو تركوا الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه يستقر في خلافته فسيوصى لأخيه الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وسيوصى الإمام الحسين للإمام الذي بعده وهلم جرا، وسيعتاد المسلمون على رؤية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهم يوصون لأحدهم بعد الآخر، وهذا ما سيقوض كل الجهود التي بذلها أصحاب فكرة توسيع الإمارة، فكان الحل الجذرى لكل هذا هو منع استمرار خلافة الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه بعد أبيه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وبأى ثمن كان، لينتهى بذلك قانون الوصاية والاستخلاف من إمام إلى إمام آخر.

فأشعلوا تبعاً لذلك نار الحرب بوجه الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه كما أشعلوها بوجه أبيه أمير المؤمنين من قبل، وتوالت عليه الطعنات من كل حذب وصوب، وتعاضدت أيدي المتآمرين بوجهه صلوات الله وسلامه عليه واستغل المتآمرون الضعف العقائدى والإيمانى عند تلك الأمة التي كانت تقيس كل شىء بالمال والثروة، وتنظر إلى الأمور والأحداث على أساس مادية بحت، فما ان فتح معاوية كنوزه المذخورة، وما ان رأى وجهاء تلك الأمة بريق الدنانير والدراهم حتى عادت بهم الذكريات إلى ما قبل أيام خلافة الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه، أيام كان الواحد منهم تكسر مدخراته من الذهب والفضة بالفؤوس، فاشتقت نفوسهم إلى تلك الأيام وخذلوا الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه واضطروه لترك الخلافة والصلح مع معاوية بن أبى سفيان بعد أحداث يطول شرحها وليس هنا محل تناولها، فخرجت بذلك الإمارة والخلافة مرة ثانية عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وعادت إلى دعاة التوسيع لمبدأ الإمارة.

وما أن وصلت الإمارة المغتصبة ليد معاوية بن أبى سفيان ونُصب لتولى الحكم بالقوة والجور، قرر أن يعيد مبدأ التخصيص للإمارة لكن بثوب جديد، وذلك عن

طريق الوصية لابنه يزيد بن معاوية من بعده، ويوصى بها يزيد للذي بعده وهكذا إلى أن تصير مخصوصة لآل أبي سفيان يتوارثها منهم الخلف عن السلف كما يتوارث القياصرة والأكاسرة الملك واحداً بعد واحد وظالماً بعد ظالم.

فشارت ثائرة البعض وبالخصوص سعد بن أبي وقاص، وعائشة وأخوها عبد الرحمن بن أبي بكر، وابن عمر وعبد الله بن الزبير، إذ ان كل واحد من هؤلاء كان يرجو الإمارة لنفسه أو لشخص من أهل بيته، وأملمهم الوحيد في ذلك بقاء مبدأ توسيع الإمارة على ما كان عليه زمن أبي بكر وعمر، لان في إبقاء الباب مفتوحاً فرصة كبيرة لا تتاح في حالة غلق هذا الباب وتخصيصه بأهل بيت معينين.

لكن معاوية سرعان ما حل كل هذه العقبات فاغتال بعض هؤلاء المعترضين أمثال سعد بن أبي وقاص (1) وعبد الرحمن بن أبي بكر (2)، وأسكت البعض الآخر بقوة السيف وقهر السلطة، والبعض الآخر اشترى سكوته (3)، وسكت البعض الآخر

1- قال أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين ص 48: (أراد معاوية البيعة لابنه يزيد فلم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص فدرس إليهما سما فماتا منه).

2- عن العلامة الأميني في كتابه الغدير (ج 10 ص 246) وابن قتيبة في الإمامة والسياسة (ج 1 ص 159) (وأرسل إلى عبد الرحمن بن أبي بكر فخلاً به قال: بأى يد أو رجل تقدم على معصيتي؟ فقال عبد الرحمن: أرجو أن يكون ذلك خيراً لى. فقال معاوية: والله لقد هممت أن أقتلك. فقال: لو فعلت لأتبعك الله في الدنيا، ولأدخلك في الآخرة النار) ثم خرج عبد الرحمن إلى مكة بعد هذا التهديد ومات في الطريق دون أن يعرف احد سبب مماته.

3- كما فعل مع عائشة حيث فتح عليها أبواب بيت المال فبعث إليها مرة كما أخرجه الذهبي في تذكرة الحفاظ ج 1 ص 28 مائة ألف درهم، وقال ابن الأثير في البداية والنهاية ج 8 ص 146: (بعث معاوية إلى عائشة بطوق قيمته مائة ألف فقبلته)، وبعث لها أيضاً بمال أعطت منه المنكدر بن عبد الله عشرة آلاف درهم ليشتري بها جارية يتزوج بها (راجع الطبقات الكبرى لابن سعد ج 5 ص 28)، وروى ابن كثير في البداية والنهاية ج 8 ص 146 عن سعيد بن العزيز وقال: (قضى معاوية عن عائشة أم المؤمنين ثمانية عشر ألف دينار، وما كان عليها من الدين الذي كانت تعطيه الناس).

ووافق على هذا التخصيص الجديد للإمارة ما دام يمنع آل على من الوصول مرة أخرى إلى موقع الإمارة للمؤمنين.

إلا ان الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه بقى العقبة الكؤود أمام معاوية، لان الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه كان قد اشترط على معاوية أن لا يعهد إلى أحد من بعده(1)، فكان الاغتيال الذى اعتاده معاوية للخلاص من معارضيه هو الحل الوحيد للتعامل من كل التزاماته وشروطه وعهوده المأخوذة فى وثيقة الصلح، فما ان استشهد الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه بعد تعرضه للسم الذى دسه إليه معاوية بيد زوجته جعدة بنت الأشعث حتى بدأ معاوية بتنفيذ مخططه الجديد لحصر الإمارة بآل أبى سفيان وحدهم، قال ابن عبد البر فى كتابه الاستيعاب: (كان معاوية قد أشار بالبيعة ليزيد فى حياة الحسن وعرض بها ولكنه لم يكشفها ولا عزم عليها إلا بعد موت الحسن)(2)، وبهذا يتضح جليا ان يزيد عليه اللعنة وولايته وإمارته المشؤومة لم تقتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فحسب بل انها كانت سببا مهما من أسباب استشهاد الإمام الحسن المجتبى صلوات الله وسلامه عليه أيضا.

ولم تمض إلا مدّة وجيزة بعد أخذ معاوية البيعة من المسلمين على ولاية العهد لابنه الفاسق يزيد عليه اللعنة حتى مات معاوية لعنه الله، لتطوى بموته صفحة سوداء من صفحات التاريخ، وليترك للمسلمين أسوأ اثر من آثاره يزيد بن معاوية لعنه الله.

فتولى يزيد وثار الغيرة أو الحمية فى نفوس بعض المسلمين، ورفضوا أن يتأمر عليهم أمير خير صفاته انه قاتل للنفس وشارب للخمر ولاعب بالكلاب والقروء، فتزلزل بذلك الوضع الأميرى للدولة الأموية، وبدأت الأنظار تتجه مرة أخرى إلى

1- النصائح الكافية لمحمد بن عقيل ص 192.

2- الاستيعاب لابن عبد البر ج 1 ص 391.

أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وبالتحديد إلى الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأصبح وضعه صلوات الله وسلامه عليه شبيها بوضع أبيه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه يوم اتجهت إليه الأنظار بعد مقتل عثمان بن عفان حيث ذقت الأمة من ويلات إمارته وحبوته لبنى عمومته وأهل بيته وعشيرته ما أدى إلى حصره وقتله بعد أن رفض التنازل عن الإمارة، فرأوا ان المخلص لهم من كل معاناتهم هذه هو الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه لا غير، فتداكوا على بيعته تذاك الإبل الهيم يوم وردها، وها هي نفس الأمة ترى من جديد بعدما ذاقت من جور معاوية بن أبي سفيان وظلمة ما ذاقت ترى فى الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه المنقذ والمخلص من جور يزيد واستهتاره، وبانت للعيان بوادر عودة إمارة المؤمنين من جديد لأصحابها الشرعيين الذين ارتضاهم الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم لها، فبايع الآلاف من أهل العراق للإمام وشرطوا له السمع والطاعة وخلعوا عنهم بيعة يزيد بن معاوية لعنه الله، واستحكمت القرائن بعزم الإمام صلوات الله وسلامه عليه للمسير نحوهم إجابة لدعوتهم وإحساسا بالمسؤولية الشرعية تجاه استصراخهم له، فأصبحت الأمور بذلك تسير وبشكل سريع ومنظم لعودة الإمارة من جديد تحت تصرف أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فرجعت المخاوف القديمة من تخصيص وحصر الإمارة بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيما لو تولها الحسين صلوات الله وسلامه عليه بعد معاوية بن أبي سفيان، فقرر الجميع باستثناء القلة القليلة من تلك الأمة ورموزها الدينية التواطؤ من جديد لتقويض هذه الإمارة وقتلها فى مهدها وسحق بذرتها قبل أن ترى النور وقبل أن تشتد ويقوى عودها، حتى وان استلزم الأمر إلى المواجهة الدامية، وحتى لو كانت هذه المواجهة تؤدي إلى قتل كل البقية الباقية من أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين صغيرهم وكبيرهم حتى لا يبقى منهم من يطالب بالإمارة ويعيدها إلى كنف أهل البيت

ويخصصها بهم مرة ثانية، وهذا هو ما حصل يوم عاشوراء.

فالحسين صلوات الله وسلامه عليه إذن وبالتوضيح الذي مر هو شهيد إمامة المؤمنين كما كان أبوه وأخوه صلوات الله وسلامه عليهما شهيدى هذه الإمارة.

المبحث الثالث: تبيان السبب الثالث من أسباب فاجعة عاشوراء

إشارة

وهذا السبب يوضحه الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه في خطابه للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بـ قوله: (وَإِنَّ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ)، فلقب سيد الوصيين كان له الأثر البالغ في نشوء وحدوث فاجعة عاشوراء واستشهاد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وسيد الوصيين هو لقب من ألقاب الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه اختص به دون العالمين، وهو كلقب أمير المؤمنين من حيث كونه لم يأت ذكره في فقرات الزيارة بشكل عشوائي من دون هدف، وهو كذلك ليس مجرد لقب تشریفى يهدف إلى رفع المكانة الاجتماعية لأمير المؤمنين على بن أبي طالب أو أفراد أسرته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بل هو ينطوى على عدة من الحقائق المهمة منها:

أولاً: ان الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أفضل وأكمل من كل أوصياء الأنبياء الذين سبقوا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم والذين كان بعضهم يحمل رتبة النبوة — كما سيأتى فى محله —، وإذا كان الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه أفضل من كل أولئك الأوصياء العظام، ومقدم فى الفضل عليهم، فمن البديهي أن يكون أكمل من كل الصحابة ومقدماتهم عليهم.

ثانياً: ان وصايته صلوات الله وسلامه عليه ليست على نحو الوصاية البشرية، بل هى وصاية إلهية من سنخ وصاية الأنبياء وأوصيائهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والتي هى فى

حقيقتها منصب الهى لا ينال ولا يعطى إلا بإذن وقبول ورضا من الله سبحانه وتعالى شأنه فى ذلك شأن النبوة والرسالة.

ثالثاً: ان مسألة الوصاية والخلافة ليست شرعة لكل وارد ولا تتاح لكل صعلوك آثم⁽¹⁾، ويلزم منها ان الوقوف بوجه على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه صاحب هذا اللقب والحيلولة دون تصديه للوصاية هو فى حقيقته وقوف بوجه كل الأوصياء والأنبياء السابقين لان عليا صلوات الله وسلامه عليه سيدهم والوقوف بوجه السيد يعدّ وقوفاً بوجه من هو أقل منه كمالاً وشرفاً ومنزلة.

ابتزاز لقب الوصى من الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه

لم تكن تلك المعانى التى يشتهها لقب الوصى أو سيد الأوصياء تروق لمن تقمص ثوب الخلافة وتقدم وتأمر على أميره ووصى رسوله، وقد أحس هو وحزبه بأن بقاء هذا اللقب سيقى غصة تنكد عليهم صفو عيشهم وتعرقل خططهم التوسعية، وان الأمة ستبقى تتذكر تلك الوصية المغصوبة ما دام لقب الوصى أو سيد الأوصياء وجود فى أذهان الناس ومدوناتهم التاريخية، لذلك قرروا ان يتبعوا طريقتين كان لهما الأثر الفعال فى إنساء الأمة لهذا اللقب وأمثاله:

الطريقة الأولى: وضع الأحاديث وتكثيرها فى عدم وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأحد من بعده، وقد لعبت عائشة بنت أبى بكر دوراً هاماً فى نكران الوصية وإبعادها عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، فقد روت لتثبيت هذه البدعة أحاديث عدة، منها: ما أخرجه البخارى وغيره عن الأسود قال: (ذكر عند عائشة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا ينال عهدي

1- وهى كما قال تعالى: ((وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)) سورة البقرة الآية 124.

___ وآله ___ وسلم أوصى إلى علي فقالت: من قاله؟ لقد رأيت النبي صلى الله عليه وآله ___ وسلم واني لمسندته إلى صدرى فدعا بالطست فانخنت فمات فما شعرت فكيف أوصى إلى علي(1).

وحيثما كان المنكرون للوصية يواجهون بسؤال بديهي هو: كيف يجوز على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي أوجب على الأمة الوصية وأكد على أنه لا يحل لمسلم أن يموت ولم يكن قد أوصى بكل ما يهمه عن أمور آخرته ودينه، فكيف يجوز أن يغفل هو عن هذا الأمر البديهي ويرحل هن هذه الدنيا من دون أن يوصى، فيترك أمته تائهة من بعده مختلفة، حاشاه عن مثل هذا الفعل الذي لو قلناه ونسبناه لأبي بكر أو عمر لاستفزعوه ولما قبلوه، فحيثما كان المنكرون للوصية يواجهون بهذا السؤال المحرج يعمدون إلى بتر بعض الأحاديث التي تخدم مصالحهم وإخفاء الأجزاء الأخرى التي يستشعر منها الخطر، كما فعل عبد الله بن أبي أوفى حينما سئل: أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: لا، فقيل له: كيف كتب على الناس الوصية أو أمروا بها، قال: أوصى بكتاب الله(2)، وهذا الحديث كما هو واضح مبتور لان النبي أوصى بالكتاب والعترة كما في حديث الثقلين المتواتر، لكنهم اختاروا ما يناسب هواهم ولا يجعل للشريعة وأنصار أهل البيت حجة ودليلاً عليهم.

الطريقة الثانية: اتباع وسائل الإرهاب الفكرى ضد كل من يقول بأفضلية على ابن أبي طالب على بقية أوصياء الأنبياء الذين كان بعضهم يحمل رتبة النبوة، وذلك برميهم بالكفر والردة وإخراجهم عن حضيرة الإيمان بل عن عنوان الإسلام.

قال محيي الدين النووي: (وكذا يقطع بتكفير كل قائل قولاً يتوصل به إلى

1- صحيح البخارى ج 5 ص 143 باب مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووفاته.

2- المصدر السابق ص 144.

تضليل الأمة، أو تكفير الصحابة، وكذا من فعل فعلا أجمع المسلمون أنه لا يصدر إلا من كافر، وإن كان صاحبه مصرحا بالإسلام مع فعله، كالسجود للصليب، أو النار والمشى إلى الكنائس مع أهلها بزيهم... فكل هذا أو شبهه لا شك في تكفير قائله... وكذا من غير شيئا من القرآن... قال: الأئمة أفضل من الأنبياء(1).

ووافقه على ذلك محمد بن أحمد الشريبي فقال: (يكفر من نسب الأمة إلى الضلال أو الصحابة إلى الكفر... أو قال: إنى دخلت الجنة وأكلت من ثمارها وعانقت حورها، أو قال: الأئمة أفضل من الأنبياء، هذا إن علم معنى ما قاله لا إن جهل ذلك لقرب إسلامه أو بعده عن المسلمين فلا يكفر لعذره كما مر(2) وبه قال أيضا الشرواني والعبادي(3).

وبهذه الطريقة منعوا انتشار لقب الوصى وحاصروا فكرة ان عليا صلوات الله وسلامه عليه هو سيد الأوصياء وانه الأفضل من بينهم والأكمل.

أدلة أفضلية أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على بقية الأوصياء

إشارة

سنستعرض فيما يأتي وعلى عجالة جملة من الأدلة التي تشير وتدلل دلالة واضحة على أفضلية أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على جميع الأوصياء، ومن هذه الأدلة ما يأتي:

الدليل الأول

قال تعالى: ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

1- روضة الطالبين لمحيي الدين النووي ج 7 ص 290 تجده في كتاب الردة الطرف الأول في حقيقتها وهي قطع الإسلام.

2- مغنى المحتاج لمحمد بن أحمد الشريبي ج 4 ص 136 كتاب الردة.

3- حواشى الشروانى للشروانى والعبادى ج 9 ص 91 كتاب الردة.

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ(1)، وبديهي ان الآية لا تريد تفضيل كل الأمة الإسلامية بحيث يشمل فساقها ورعاعها على كل الأمم الأخرى، بل التفضيل كما لا يخفى هو للأمة المتصفة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمتصفة بصفة الإيمان بالله سبحانه، فهؤلاء مفضلون على من يؤمن بالله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من باقي الأمم الأخرى.

ويكون هذا التفاضل ما بين الأمتين __ الإسلامية وغيرها __ كل بحسبه فمؤمن هذه الأمة المتصف بتلك الشروط أفضل وأكمل من مؤمن تلك الأمم المتصف بنفس هذه الشروط، ووصى هذه الأمة المتصف بالإيمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها من الصفات التي لا بد من توفرها في الوصي أفضل من جميع أوصياء الأمم السالفة ممن يتصف بنفس تلك الصفات، وهذا التفاضل لا يقتصر على المؤمن العادي أو الوصي بل انه ينسحب ليشمل حتى الأنبياء فنبى هذه الأمة أكمل وارفح مقاما وأفضل من أنبياء جميع تلك الأمم الغابرة، فيثبت ان نبينا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم سيد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ووصينا المرتضى صلوات الله وسلامه عليه سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأئمتنا عليهم أفضل الصلاة والسلام سادة الأئمة، ومؤمنينا سادة المؤمنين كل ذلك بالاستفادة من الآية المباركة.

الدليل الثانى

أحاديث (على خير البشر) دالة على ذلك، فقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (على خير البشر فمن أبى فقد كفر)(2). وعن أبى الزبير المكى قال: (رأيت جابرا متوكيا على عصاه وهو يدور فى سلك الأنصار ومجالسهم وهو يقول: على خير البشر فمن أبى فقد كفر يا معشر الأنصار أدبوا أولادكم على حب على فمن أبى

1- سورة آل عمران الآية 110.

2- تفضيل أمير المؤمنين للشيخ المفيد ص 34.

فانظروا في شأن أمه(1)، وروى عبد الله بن عدى عن الساجي عن عبد الله بن الحسين ابن الحسن الأشقر قال: (سمعت أبا داود الدهان يقول سمعت شريك بن عبد الله يقول على خير البشر فمن أبي فقد كفر)(2) وروى أيضا عن (حذيفة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال على خير البشر فمن أبي فقد كفر)(3).

وإطلاق لفظ البشر في هذه الأحاديث يشمل الأوصياء وغيرهم من أفراد تلك الأمم، بل يشمل حتى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لان جميعهم بشر، وإذا كانوا بشرا كان على أفضل منهم وأكمل بنص الحديث النبوي فيكون سيدهم.

وكذلك هو أفضل أفراد الأمة الإسلامية من بداية الدعوة النبوية إلى آخر يوم من أيام الدنيا، لان جميعهم بشر فيكون على أفضلهم وخيراً منهم وأكمل، ويستثنى من هذه القاعدة شخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فهو وان دخل تحت لفظ البشر إلا أن الدليل القطعي قام على أفضليته على الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وعلى كل بنى آدم إلى قيام الساعة.

الدليل الثالث

وتثبت أفضليته صلوات الله وسلامه عليه على جميع الأوصياء بل على جميع البشر باستثناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قوله تعالى: ((فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ))(4).

1- علل الشرائع للشيخ الصدوق ج 1 ص 142، وراجع أيضا من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج 3 ص 493.

2- الكامل لعبد الله بن عدى ج 4 ص 10.

3- المصدر السابق.

4- سورة آل عمران الآية 61.

فقد أجمع المفسرون على ان المقصود من قوله تعالى فى الآية ((وَأَنْفُسَنَا)) هو نفس النبى صلى الله عليه وآله وسلم ونفس الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه، فقد عدّهما القرآن الكريم نفساً واحدة، فثبتت تبعاً لذلك المساواة ما بين النفسين فى الكمال والصفاء وكل شأن رفيع باستثناء النبوة، والثابت القطعى ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من جميع الأنبياء والأوصياء فىكون على بن أبى طالب أفضل أيضاً لان المساوى للأفضل أفضل أيضاً.

الدليل الرابع: وحديث الطائر المشوى يدل على ذلك أيضاً، فقد روى قطن بن بشير... عن أنس بن مالك قال: (أهدى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجل مشوى بخبزه وضيافه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم أنتنى بأحب خلقك إليك يأكل معى من هذا الطعام، فقالت عائشة: اللهم اجعله أبى، وقالت حفصة: اللهم اجعله أبى، وقال أنس: وقلت: اللهم اجعله سعد بن عبادة، قال أنس: فسمعت حركة بالباب فخرجت فإذا على بالباب فقلت إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حاجة فانصرف ثم سمعت حركة بالباب، فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حاجة فانصرف ثم سمعت حركة بالباب فسلم على فسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صوتته فقال: انظر من هذا؟ فخرجت فإذا هو على فجننت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته فقال: ائذن له يدخل على فأذنت له فدخل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم والى من

والاه(1).

فعلى بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه وبحسب حديث الطائر المشوى الذى صححه جميع علمائنا، وجملة كبيرة من علماء أهل السنة، هو أحب الخلق إلى الله من بعد

1- البداية والنهاية لابن كثير ج 7 ص 387 حديث الطير، وقد اتفق الفريقان على روايته.

النبي الأَعْظَم صلى الله عليه وآله وسلم فيكون أفضل من جميع الأنبياء والأوصياء وأممهم لان هؤلاء كلهم يجمعهم لفظ الخلق، وهو صلوات الله وسلامه عليه كذلك أفضل من جميع أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم القيامة؛ لأن الجميع يدخل تحت عنوان الخلق، وكذلك هو صلوات الله وسلامه عليه أفضل من جميع الملائكة حتى المقربين منهم؛ لأنهم جميعا مشمولون بلفظ الخلق.

الخامس: هنالك مجموعة من الأحاديث الشريفة التي وصفت كل نبي من أنبياء أولى العزم أو غيرهم بأوصاف امتاز بها عن غيره، وجعلت من أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه جامعا لكل تلك الفضائل، فيكون أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وفقا لهذه الأحاديث أفضل من جميعهم(1)، لبداهة ان الجامع لكل صفات الكمال أفضل من الحائز على بعضها، ومن هذه الأحاديث قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في خلقه، وإلى موسى في مناجاته، وإلى عيسى في سنته، وإلى محمد في تمامه وكمالهِ فلينظر إلى هذا الرجل المقبل، فتناول الناس فإذا هم بعلی بن أبی طالب كأنما ينقلع من صلب(2) وينحط من جبل) وقد استقصى العالم التحرير العلامة الشيخ الأميني في كتابه الغدير جملة من طرق هذا الحديث بألفاظه المختلفة فمن أراد التفصيل فليرجع إلى هناك(3).

ويجب ان ننبه على ان إثبات كون الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أفضل من كل الأنبياء والرسل الذين سبقوا نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يستبطن أفضليته على

1- باستثناء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لقيام الدليل على أفضليته على سائر الخلق كما ذكرنا ذلك من قبل.

2- هذه العبارة والتي بعدها وصف لمشيته صلوات الله وسلامه عليه فخطواته كانت ثابتة ورشيقة.

3- الغدير للشيخ عبد الحسين الاميني ج3 ص355 تحت عنوان حديث الأشباه في أمير المؤمنين عليه السلام.

أوصياء هؤلاء الأنبياء والرسل بالغ ما بلغ عددهم؛ لان الأنبياء والرسل أفضل وأكمل من أوصيائهم، وعليه فيكون إثبات أفضليته على أولى العزم كافياً لإثبات أفضليته على جميع أوصيائهم.

كانت هذه بعض الأدلة التي تثبت وبوضوح أفضلية الإمام أمير المؤمنين على جميع الأوصياء بل والأنبياء والملائكة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقد تركنا الخوض في المزيد منها رجاء الاختصار.

المبحث الرابع: من هم الأوصياء المقصودون في هذه العبارة

إشارة

لكلمة (الْوَصِيَّيْنَ) التي ورد ذكرها في هذه العبارة الشريفة من الزيارة ثلاثة معانٍ محتملة نستعرضها على سبيل الاختصار دون الخوض في تفاصيل هذه الاحتمالات؛ لان التفصيل فيها يحتاج إلى مساحة أكبر من مساحة هذه المباحث المثارة في هذا الكتاب والذي نشدنا فيه الاختصار بقدر المستطاع، وهذه المعاني الثلاثة هي كالتالي:

الأول: قد يراد من الأوصياء هم خلفاء الأنبياء الذين سبقوا نبينا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، والذين أوكلت لهم مهام القيادة والإمامة بالوصاية والنيابة عن أنبيائهم، فيكون الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه سيدهم وأكملهم وارفعتهم رتبة ومجلا عند الله سبحانه وتعالى، لان الشريعة الخاتمة كما بينا سابقا أفضل الشرائع ونبيها صلى الله عليه وآله وسلم سيد الأنبياء والرسل وكتابها خير الكتب ومؤمنها أفضل من كل مؤمنى الأمم السابقة فمن الطبيعي والعاقل أن يكون وصيها أفضل من جميع الأوصياء وسيدا لهم.

الثاني: وقد يراد من الأوصياء في هذه الفقرة الشريفة من الزيارة هم نفس الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين سبقوا نبينا ورسولنا الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتكون تسميتهم أوصياء لان كل واحد من هؤلاء العظام

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كان يبشر أمته بالنبي الذي سيأتي من بعده ويوصى باتباعه كما أوضح القرآن الكريم عن عيسى بن مريم بشارته بنبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ((وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ)) (1).

أولاً لأن بعضهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يصل ويكمل دور البعض الآخر فيكون بعضهم لبعض وصياً إذ إن أحد معاني الوصاية هو الوصل، ومنه أخذ اسم وصية الميت التي إنما (سميت وصية لاتصالها بأمر الميت) (2).

فيكون أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بذلك أفضل من جميعهم باستثناء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لقيام الدليل القطعي على أفضلية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على سائر الخلق، ومن ضمنهم أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه.

الثالث: وقد يراد من الأوصياء في هذه الفقرة المباركة خصوص الأئمة الأطهار من أولاد أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لاتصال وصايتهم بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لاتصال وصاية النبي بوصاية من سبقه من الأنبياء والرسل وأوصيائهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فتكون بذلك وصاية الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين استمراراً وامتداداً لسلسلة الأوصياء التي ابتدأت بأبي البشر آدم صلوات الله وسلامه عليه وستختم بالإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه.

وأفضلية الإمام أمير المؤمنين على بقية أولاده الأوصياء مما لا شك فيه وهو مؤيد بجملة كبيرة من الأدلة، منها حديث الطائر المشوى، وآية المباهلة وغيرها من الأدلة التي استعرضناها في المبحث السابق، ونضيف هنا قول الرسول الأعظم

1- سورة الصف الآية رقم 6.

2- لسان العرب لابن منظور ج 15 ص 394 فصل الواو مادة وصى.

صلى الله عليه وآله وسلم بحق الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما (هذان سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما)⁽¹⁾، وما رواه أبان بن عياش، قال: (سألت الحسن البصرى عن على عليه السلام، فقال: ما أقول فيه! كانت له السابقة، والفضل والعلم والحكمة والفقہ والرأى والصحة والنجدة والبلاء والزهد والقضاء والقراءة، إن عليا كان فى أمره عليا، رحم الله عليا، وصلى عليه! فقلت: يا أبا سعيد، أتقول: «صلى عليه» لغير النبى! فقال: ترحم على المسلمين إذا ذكروا، وصل على النبى وآله وعلى خير آله. فقلت: أهو خير من حمزة وجعفر؟ قال: نعم، قلت: وخير من فاطمة وابنيها؟ قال: نعم، والله إنه خير آل محمد كلهم، ومن يشك أنه خير منهم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «وأبوها خير منهما» ولم يجر عليه اسم شرك، ولا شرب خمر، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: «زوجتك خير أمتى»، فلو كان فى أمته خير منه لاستثناه، ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه، فأخى بين على ونفسه، فرسول الله صلى الله عليه وآله خير الناس نفسا، وخيرهم أخوا. فقلت: يا أبا سعيد، فما هذا الذى يقال عنك إنك قلت فى على؟ فقال: يا بن أخى، أحقن دمي من هؤلاء الجبابرة، ولولا ذلك لشالت بى الخشب)⁽²⁾.

وأهل الكساء الخمسة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما هو معلوم أفضل من غيرهم من الأئمة وعلى صلوات الله وسلامه عليه أفضل أهل الكساء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيكون على أفضل الجميع، وبالجملة فإن أفضلية أمير المؤمنين على بقية أولاده مما لا يحتاج إلى كثير عناء وهو من بديهيات معتقدات الفرقة الناجية، ومما اجتمعت عليه كلمتهم وإجماعهم حجة بنفسه كما لا يخفى.

1- الخصال للشيخ الصدوق ص 551، وعيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ج 1 ص 36.

2- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 4 ص 96 تجده فى فصل فى ذكر المنحرفين عن على.

وثبوت كون أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أفضل من كل أفراد الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يستبطن أيضا أفضليته على جميع الأنبياء والرسل وأوصيائهم لما ثبت من أفضلية الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على جميع الأنبياء والرسل وأوصيائهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين باستثناء نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم (1) والأفضل من الأفضل هو أفضل من الأدنى من باب أولى.

ملاحظة لا بد منها

لقد اثر لقب سيد الوصيين في حدوث فاجعة عاشوراء وكان سببا من أسباب استشهاد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ويمكن توضيح هذه المسألة بنفس ما تقدم في مسألة (كيف اثر لقب أمير المؤمنين في استشهاد الحسين صلوات الله وسلامه عليه) والتي أسهبنا الكلام فيها آنفا، فمن أراد أن يفهم ذلك فليراجع المطلب المزبور.

ويمكن كذلك الرجوع إلى مبحث (سر السلام على الحسين صلوات الله وسلامه عليه بابن رسول الله) والذي تقدم ذكره أيضا لفهم سر السلام على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بعبارة (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَابْنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ) فنفس الأسباب التي تم توضيحها هناك تنطبق هنا أيضا.

وبهذا ينتهي بنا الكلام حول شرح وتبيان هذه العبارة المباركة نسأل الله أن يمن علينا بمعرفة فضل محمد وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والإقرار بكمالهم انه ولي التوفيق.

1- قال الشيخ الصدوق قدس الله روحه في كتابه الهداية ص 23 _ 25: (باب النبوة... ويجب أن يعتقد أن الله تعالى لم يخلق خلقا أفضل من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعده الأئمة صلوات الله عليهم، وأنهم أحب الخلق إلى الله عز وجل وأكرمهم عليه، وأولهم إقرارا به لما أخذ الله ميثاق النبيين في الذر، وأشهدهم على أنفسهم: ألسن بربكم؟ قالوا: بلى، وبعدهم الأنبياء عليهم السلام، وأن الله بعث نبيه صلى الله عليه وآله وسلم إلى الأنبياء عليهم السلام في الذر، وأن الله أعطى ما أعطى كل نبي على قدر معرفته).

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ

إشارة

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة من الزيارة

المبحث الثاني: تبيان السبب الرابع من أسباب فاجعة عاشوراء

الأول: ان اسمها المقدس ووجودها صلوات الله وسلامه عليهما مذكر بالنبى الأعظم

الثاني: ان اسمها المقدس كان على الدوام يذكر الأمة بأعظم رزية ومصيبة

المبحث الثالث: سر السلام على الإمام الحسين بابن سيدة النساء

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وتحوى هذه الفقرة المباركة من الزيارة على مباحث مهمة لا غنى للفرد المؤمن عن معرفتها والتوجه إلى مضامينها نذكر منها على سبيل الاختصار ما يأتي:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة من الزيارة

قد تقدم في أثناء إثبات الفقرات السابقة من الزيارة تكرار السلام على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه والشهادة له بالبنوة للصديقة الطاهرة فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها وكذلك تكرر وصف السيدة الطاهرة بلفظ (سيدة نساء العالمين) فلا نرى ان من اللازم التفصيل أكثر لان هاتين الفقرتين مما تواتر ذكرهما ونقلهما لفظاً أو معنى في كتب وتصانيف المذاهب الإسلامية، وسيأتي ذكر لبعض تلك الأحاديث في المبحث الثاني.

المبحث الثاني: تبيان السبب الرابع من أسباب فاجعة عاشوراء

إشارة

كان ولا يزال اسم فاطمة صلوات الله وسلامه عليها حينما يذكر يحمل معه إلى الأذهان شيئين مهمين:

الأول: ان اسمها المقدس ووجودها صلوات الله وسلامه عليهما مذكر بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

ان الإنسان المؤمن وبمجرد سماع ذلك الاسم المقدس اسم فاطمة صلوات الله وسلامه عليها ينتقل ذهنه من حيث يشعر أو لا يشعر إلى شخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فاسم فاطمة كان ولا يزال يجذب القلوب وينقل الفكر وينعش الذاكرة بتذكر شخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه خصوصية لا نجدها لأي اسم آخر مهما كان قريباً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم باستثناء أمير المؤمنين على بن أبي طالب وابناه سيدها شباب أهل الجنة الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما.

ولهذا الترابط وجه غيبى الهى فى كثير من جوانبه، ويحكى عن سر وجودى كان قبل خلق السماوات والأرض يوم كانت الزهراء روى فداها نورا واحدا هي وأبوها وبعلمها وولداها صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يسبحون الله ويقدمونه قبل أن يخلق الله السماوات والأرض.

ولما شاء الله سبحانه وتعالى وأراد أن يخلق عالم المادة والطبيعة خلقوا أيضا من طينة واحدة أطلقت عليها الروايات الشريفة اسم (طينة عليين)، فنورهم وطينتهم واحدة طابت وطهرت، فمن الطبيعى بعد كل هذا الاتحاد أن يكون ذكر فاطمة صلى الله عليه وآله وسلم يجذب ذكر أبيها النبي صلوات الله وسلامه عليه.

وبعدما منّ الله سبحانه على هذه الأمة بنعمة إيجاد هذه البضعة الطاهرة صلوات الله وسلامه عليهما، جعلت كلمات النبي صلى الله عليه وآله وسلم تترى فى حق ابنته يتبع بعضها البعض

الآخر، محاولة إفهام الأمة وجذب انتباهها إلى ان وجود السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهما نعمة من النعم الإلهية التي خص الله بها هذه الأمة من دون الأمم فيجب على كل فرد من أفرادها أن يحسن مجاورة هذه النعمة ويراعى حرمتها.

وكثيراً ما كان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يحاول إفهام الأمة ان فاطمة صلوات الله وسلامه عليها ليست موجودا بشريا عاديا كسائر البشر وعوام الناس(1)، وانها صلوات الله وسلامه عليها موجود يجمع ما بين صفات عالم الملك وعالم الملكوت وهي مزيج الهى خاص لا يتكرر ولن يتكرر في غير القالب الوجودى للسيدة الطاهرة فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها فهي حوراء إنسية(2)، وهي ليست كسائر نساء العالمين أيضا، ولا يصح مقارنتها بواحدة منهن، لأنها سيدة نساء العالمين(3)، والسيدة لا تقارن بمن دونها من آحاد الأمة.

1- روى الطبراني فى المعجم الكبير ج 22 ص 401 فى مناقب فاطمة عن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخاطب عائشة بقوله: (يا حميراء إن فاطمة ليست كنساء الآدميين ولا تعتل كما يعتلون).

2- روى ابن الجوزى فى كتابه الموضوعات ج 1 ص 412 قال: (نبأنا عبد الرحمن بن محمد أنبأنا أبو بكر محمد بن على الخياط أنبأنا أحمد بن محمد بن درست أنبأنا أبو الحسين عمر بن الحسن الأشناني حدثنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن حاتم بن عبيد الله العجل [العجلى] حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الهاشمي قال: كنت أنا وأبو على القوقساني فى جماعة فيهم غلام خليل فذكروا فاطمة، فقال غلام خليل: حدثنى حسين بن حاتم حدثنا سفيان بن عيينة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت " قلت يا رسول الله مالى أراك إذا قبلت فاطمة أدخلت لسانك فى فيها كأنك تريد أن تلحقها عسلا؟ قال: نعم إن جبريل الروح الأمين نزل إلى بعنقود قطف من الجنة فأكلت وجامعت خديجة، فولدت فاطمة، فإذا اشتقت إلى الجنة قبلتها فهي حوراء إنسية ". قال فقال عبد العزيز: لا إله إلا الله هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الإسناد، والله لا كتبه إلا قائما على رجلى ولا كتبه إلا فى ورقة تهامية بماء الذهب. قال فقام على رجليه وجاؤوه بورقة تهامية وبماء الذهب فكتب الحديث).

3- ورد وصفها صلوات الله وسلامه عليها بسيدة نساء العالمين أو سيدة نساء أهل الجنة أو سيدة نساء المؤمنين عند الخاصة والعامه فأما عند الإمامية أعزهم الله فهو مسلم به متواتر لا يقبل تأويلاً ولا تشكيكاً، وأما عند العامة فقد ورد هذا الوصف بطرق يصعب حصرها وفى مصادر يصعب إحصاؤها لكننا نذكر على سبيل المثال كلاً من: البخارى فى صحيحه ج 4 ص 183 باب علامات النبوة فى الإسلام، وص 209 باب مناقب المهاجرين وفضلهم، وص 219 من نفس الباب، ج 7 ص 142 كتاب الاستئذان، وفى صحيح مسلم ج 7 ص 143 وص 144 باب فضائل فاطمة بنت النبي، وفى المستدرک للحاكم النيسابورى ج 3 ص 156 فى إذا سافر النبي كان آخر الناس عهدا به فاطمة، وغير ذلك مما لا يحصى عده.

وهذا البين والفرق فيما بينها صلوات الله وسلامه عليها وبين باقى أفراد البشر نساءً ورجالاً لم يكن ليقصر على تركيبها المادية، بل شمل أيضاً ما يتعلق بميولها النفسية وكمالاتها الروحية، فصارت صلوات الله وسلامه عليها لا تميل إلا للحق ولما فيه رضا لله سبحانه ورضاً نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، ولا- ترفض إلا- ما فيه باطل وبعد عن الله سبحانه ومخالفة لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، حتى صار حبها ورضاها وبغضها وغضبها مقياساً لحب الله ورضاه وبغضه وغضبه، وقد أوضح النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الخصوصية لفاطمة صلوات الله وسلامه عليها بقوله مخاطباً ابنته: (ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك)⁽¹⁾، فمن أراد أن يستكشف رضا الله سبحانه وتعالى ورضاً نبيه فلينظر إلى من رضيت عنه فاطمة ومن أراد أن ينظر إلى من غضب الله عليه ورسوله فلينظر إلى من غضبت عليه فاطمة لان فاطمة صلوات الله وسلامه عليها كما كررنا ذلك سابقاً مقياس درجة الرضا والحب الإلهي والغضب والبغض الإلهي، وكفى بها درجة يقصر دون نيلها جميع العالمين.

الثانى: ان اسمها المقدس كان على الدوام يذكر الأمة بأعظم رزية ومصيبة

والشئ الثانى الذى يحمله اسم فاطمة صلوات الله وسلامه عليها بمجرد مروره على الأذهان، هو تلك الرحلة الجهادية الطويلة للسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها والتي بدأتها يوم ظهرت بوادر التغيير والتبديل فى شريعة أيها سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، ويوم تيقنت ان حدود الله وحرماته انتهكت فى سقيفة بنى ساعدة بإقصاء أوليائه عن مناصبهم التى نصبهم الله

1- المعجم الكبير للطبرانى ج 1 ص 109 فى ما اسند على بن أبى طالب.

فيها واختارهم لها، فغضبت لله وحده فغضب الله لغضبها، ولم ترص إلى اليوم عمن غير وبدل، ومن بقاء غضبها نستكشف بقاء غضب الله سبحانه وعدم رضاه عن أولئك المبدلين المغيرين إلى يومنا هذا بل إلى يوم القيامة.

فاسم فاطمة صلوات الله وسلامه عليها وشخص فاطمة صلوات الله وسلامه عليها كان على الدوام سكيناً يمزق شرعية المنتحلين لإمارة المسلمين، وعقبة كؤوداً تحول دون إضفاء الشرعية على سلب حقوق أهل البيت، وكم من مرة ومرة حاول أولئك المغضوب عليهم استرضاءها واستعطافها وكسب الشرعية من خلال التقرب إليها بعد غضبها لكنها صلوات الله وسلامه عليها أبت إلا الإغضاء عنهم والتنكر لأفعالهم وإفهام القريب والغريب والصديق والعدو ومن حضر عصرها ومن جاء بعد زمانها إلى يوم القيامة وبمختلف الطرق بأن غضبها وعدم رضاها مستمر على ما تم التعاقد عليه في السقيفة المشؤومة وعلى من قام بذلك كله.

واكبر ضربة وجهتها صلوات الله وسلامه عليها للغاصبين هي وصيتها بأن تدفن ليلاً من دون أن يصلى عليها أو يحضر جنازتها احد ممن ظلمها وغضب حقها وحق أهل بيتها صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حتى لا يتقول متقول ولا يدعى مدع أن فاطمة صلوات الله وسلامه عليها قد رضيت عن المغضوب عليهم بدليل أنهم صلوا على جنازتها وحضروا دفنها وتغسيلها، وليبقى قبرها المجهول يثير في قلوب من يريد الاستبصار والهداية التساؤل عن الأسباب والمبررات التي اخفت من اجلها السيدة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها قبرها الشريف ليصل من ثم إلى الحقيقة التي أرادت فاطمة صلوات الله وسلامه عليها إبقاءها حية شاهدة على ما وقع في ذلك العصر.

إذن فالإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ابن تلك اللبوة التي دافعت عن عرين

التوحيد والرسالة إلى أن استشهدت، وهو صلوات الله وسلامه عليه المذكر للأمة بشخص فاطمة، وصوت فاطمة، وثورة فاطمة، وغضب فاطمة، وهو الامتداد الذي اكتسب جل ما عنده من كمال ومكارم أمه فاطمة صلوات الله وسلامه عليها.

فلولاها لم يكن له نسب واتصال برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولولاها صلوات الله وسلامه عليها لم يكن صلوات الله وسلامه عليه من الخمسة أصحاب الكساء المطهرين بنص الكتاب العزيز، ولولاها صلوات الله وسلامه عليها لم يرث منزلة الإمامة الإلهية، ولولا إمامته وتصديه لإحياء شريعة جده والحفاظ على مبادئ وقيم الإسلام لما تجرأ عليه آل أمية وأشياعهم.

ولو كان الحسين صلوات الله وسلامه عليه ابن هند آكلة الأكباد، أو ابن سمية وغيرهما من نساء الرذيلة، لصبروه قطب الوجود وكعبة النظر، لكنه ابن التي أذاقت الظالمين كؤوس السم الزعاف، وصار ذكرها يرعب أسماع الغاصبين لتراث الأنبياء ومنازل الأوصياء، فكرهوها وكرهوا أبناءها وقتلوا أبناءها، بل ونصبوا الحرب وأعلنوا الكره لكل ما يذكر بها وبهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حتى انهم كرهوا النبتة التي كانت تحب أكلها صلوات الله وسلامه عليها فقد ورد عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (ليس على وجه الأرض بقلة اشرف ولا انفع من الفرفخ، وهي بقلة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها، ثم قال: لعن الله بنى أمية هم سموها بقلة الحمقاء بغضا وعداوة لفاطمة صلوات الله وسلامه عليها)⁽¹⁾.

فليس من الغريب بعد هذا التوضيح أن نقول بأن واحدة من أهم أسباب استشهاد الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو كونه ابن فاطمة صلوات الله وسلامه عليها سيدة نساء العالمين.

1- الكافي للشيخ الكليني ج6 ص367 باب الفرفخ الحديث رقم1، وراجع أيضا المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ج2 ص517 باب الفرفخ الحديث رقم 713.

المبحث الثالث: سر السلام على الإمام الحسين بابن سيدة النساء

ولعل سبب اختيار الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه للقب (سيدة نساء العالمين) في فقرات الزيارة والسلام دون بقية ألقاب وأوصاف وأسماء السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها هو لتبيان الفارق ما بين فريق الحق المتمثل بالحسين صلوات الله وسلامه عليه ومعسكره، وما بين فريق الباطل المتمثل بيزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد ومعسكرهم معسكر الشيطان وحزب إبليس.

فالقتيل الشهيد صلوات الله وسلامه عليه هو ابن سيدة النساء، والقاتل هو ابن آكلة الأكباد، وابن مرجانة المعروف بولادته وولادة أبيه من الحرام، والقتيل الشهيد صلوات الله وسلامه عليه هو ابن من عرفها القاصي والداني بتورم قدميها من طول الوقوف بين يدي الجبار حين مناجاتها وتبتلها وصلاتها، والقاتل الظالم هو ابن من عرفها القاصي والداني بالبغيء والزنا، حتى نصبت لطلابها رايات ترشد أهل الفجور إلى بيتها.

وليس أحد من قتلة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه إلا وهو مشهور بنسبته إلى غير أبيه، وخذ على ذلك ابن مرجانة مثلاً وقس عليه الباقين، ومن نسب منهم إلى أبيه ظاهراً فقد افتضح أمره وانكشف سر أمره بمشاركة بقتل الحسين صلوات الله وسلامه عليه، لان الأحاديث الصحيحة صرحت وبشكل لا يقبل الشك، بأن قتلة الأنبياء وأبناء الأنبياء من الأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يكونون إلا من ولادة غير شرعية، فعن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (كان قاتل يحيى بن زكريا عليهما السلام ولد زنا وكان قاتل الحسين عليه السلام ولد زنا) وعن أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (إن الله جعل قتل أولاد النبيين من الأمم الماضية على يدي أولاد الزنا) (1).

1- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 161 الباب (25) ما جاء في قاتل الحسين وقاتل يحيى بن زكريا عليه السلام.

فالظليمة الظليمة من مقتل الشهداء الأبرار من أبناء النبيين، وذرية سيدة نساء العالمين، بسيف الأشرار الفجار، ومن تربي في حجور
الفسق والفجور والمجون، ورضع بغض الأنبياء والأوصياء وأبناؤهم من آكلات لحوم الشهداء.

ثم ليس تفسيرنا لعلة السلام على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بلقب ابن سيدة النساء على النحو السابق بعجيب أو مستغرب،
لان من تتبع كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في مناظراتهم ومحاوراتهم مع أعدائهم يجد أنهم صلوات الله وسلامه
عليهم أجمعين كانوا كثيرا ما يؤكدون على مسألة فارق النسب والحسب الذى ما بينهم وبين أعدائهم ومناوئهم، ذلك النسب الطيب
الظاهر الخالى من كل دنس ورجس فى الجاهلية والإسلام، والشواهد على هذه الحقيقة كثيرة جدا، نختار منها ما أخرجه ابن شهر آشوب
عن المنهال بن عمرو قال: (ان معاوية سأل الحسن أن يصعد المنبر وينتسب فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس من عرفنى فقد
عرفنى ومن لم يعرفنى فسأبين له نفسى بلدى مكة ومنى، وأنا ابن المروة والصفاء، وأنا ابن النبي المصطفى، وأنا ابن من علا الجبال الرواسى،
وأنا ابن من كسا محاسن وجهه الحياء، أنا ابن فاطمة سيدة النساء، أنا ابن قليلات العيوب نقيات الجيوب)(1).

ونظير هذه المحاوراة قد جرت بين الإمام زين العابدين صلوات الله وسلامه عليه ويزيد بن معاوية لعنه الله، فعن الشيخ الطبرسى رحمه الله
قال: (قال يزيد: يا على اصعد المنبر فأعلم الناس حال الفتنة، وما رزق الله أمير المؤمنين من الظفر! فقال على بن الحسين: ما أعرفنى بما
تريد. فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن لم
يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن المروة والصفاء، أنا ابن محمد

1- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج 3 ص 178 باب امامة أبى محمد الحسن بن على.

المصطفى(1)، قال العلامة المجلسي رحمه الله: (نقيات الجيوب: كناية عن عفتهم كما أن طهارة الذيل في عرف العجم كناية عنها)(2).

وهذا الوصف كما لا يخفى وإن كان مدحا لأهل بيت العصمة والطهارة إلا أنه في نفس الوقت تعريض صريح وواضح بأعدائهم وظالمهم وإشارة بعدم خلوص أنسابهم من الرجس والدنس.

1- الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج 2 ص 39 احتجاج على بن الحسين زين العابدين عليهما السلام على يزيد بن معاوية لما ادخل عليه.

2- بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 43 ص 356 الخطبة التي خطبها عليه السلام في حضور معاوية عليه الهاوية.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَارَ اللَّهِ وَابْنَ نَارِهِ وَالْوَنْرَ الْمَوْتُورَ

إشارة

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: معنى كون الحسين صلوات الله وسلامه عليه نار الله

المعنى الأول: قد يطلق النار على الدم

المعنى الثاني: وقد يطلق النار على الطلب بالدم

المعنى الثالث: وقد يطلق النار على الثائر الذي لا يبقى شيئاً حتى يأخذ بثاره

المبحث الثالث: معنى كون الحسين صلوات الله وسلامه عليه ابن نار الله

المبحث الرابع: الدعاء لفرج الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يعجل بأخذ نار الإمام الحسين عليه السلام

المبحث الخامس: معنى وصف الحسين صلوات الله وسلامه عليه بالوتر الموتور

المعنى الأول: قد يطلق الوتر ويراد به المتفرد في الكمال

المعنى الثاني: وقد يطلق الموتور على من قتل حميمه وافرد

المعنى الثالث: وقد يطلق الموتور على من قتل له قتيل ولم يدرك بدمه

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللَّهِ وَابْنَ ثَارِهِ وَالْوَتَرَ الْمُؤْتُونَ

وفى هذه الفقرة الشريفة من الزيارة مجموعة من المباحث المهمة نستعرضها فيما يأتي من كلام.

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

ان وصف الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بشار الله وابن ثاره، أو وصفه صلوات الله وسلامه عليه بالوتر الموتور هو مما تواتر استعماله على لسان الروايات والأدعية والزيارات المنقولة عن أهل بيت العصمة والطهارة واستغنى بشهرته عن إقامة البرهان، لكننا سنختار جملة من تلك الموارد التزاماً منا بمنهج البحث:

فمن تلك الموارد ما فى زيارة الحسين صلوات الله وسلامه عليه يوم عرفة: (السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله... السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره والوتر الموتور اشهد انك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة...)(1).

ومنها ما عن الحسن بن عطية عن أبى عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (إذا دخلت الحائر فقل: اللهم ان هذا مقام أكرمتى به وشرفتنى به... ثم تقول:... اشهد انك أمرت بالقسط ودعوت إليه وانك ثار الله فى أرضه حتى يستشير لك من جميع خلقه)(2).

ومنها ما عن الحسن بن يونس قال كنت أنا ويونس بن زبيان والفضيل بن عمرو بن سلمة السراج جلوسا عند أبى عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وكان المتكلم يونس بن زبيان وكان أكبرنا سنا فقال له جعلت فداك إذا أردت زيارة الحسين صلوات الله وسلامه عليه كيف اصنع وكيف أقول قال له: (اغتسل على شاطئ الفرات وتلبس ثيابك الطاهرة ثم امش حافيا فإنه فى حرم من حرم الله تعالى وحرم رسول صلى الله عليه وآله وعليك بالتكبير والتهليل والتمجيد والتعظيم لله كثيرا والصلاة على محمد وأهل بيته حتى تصير إلى باب الحائر ثم تقول: السلام عليك يا حجة الله وابن حجته... السلام عليك يا قتيل الله وابن قتيله السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره السلام عليك يا وتر الله الموتور فى السماوات والأرض اشهد ان دمك سكن فى الخلد واقشعرت له أظلة العرش...)(3).

وغير ذلك ما لا يمكن إحصاؤه فى هذه العجالة.

1- المزار لمحمد بن المشهدى ص 463 الباب 18 زيارة أبى عبد الله عليه السلام فى يوم عرفة.

2- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 358 الباب 79.

3- منتهى المطلب (ط.ق) للعلامة الحلى ج 2 ص 892 _ 893.

المبحث الثاني: معنى كون الحسين عليه السلام ثار الله

إشارة

وردت لكلمة (ثار) معانٍ عديدة في اللغة العربية نختار منها فيما يأتي ما يتناسب مع بقية ألفاظ الزيارة:

المعنى الأول: قد يطلق الثار على الدم

قال الزبيدي في تاج العروس: (الثار، بالهمز وتبدل همزته ألفا: الدم نفسه)(1).

فيصبح معنى قول الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه: (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللَّهِ وَابْنَ ثَارِهِ) هو: (السلام عليك يا دم الله وابن دمه)، وهو إطلاق مجازي؛ لأن الله سبحانه ليس بجسم مادي حتى يكون له دم، وأنى يكون له ذلك وقد وصف سبحانه نفسه بقوله ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ))(2)، وهذا الإطلاق شبيه بإطلاق (بيت الله) على الكعبة، و(شهر الله) على شهر رمضان، والقصد من هذه الإضافات (الدم، البيت، الشهر) ونسبتها إلى الله سبحانه وتعالى هو تشریفها وتكریمها وتنزيهها وإعلاء شأنها وتبيان منزلتها عند الله سبحانه(3)، قال الطريحي في مجمع البحرين: (إذا أضيف

1- تاج العروس للزبيدي ج 6 ص 138 فصل الثاء المثلثة مع الراء، أقول: وقد اعترض آية الله العظمى الشيخ مكارم الشيرازي في كتابه (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج 3 ص 559 __ 560 عند تفسيره للايتين 174 و175 من سورة النساء) بأن: (العرب لم تطلق كلمة الثار أبدا لتعني بها الدم، بل اعتبرت الثار دائما ثمنا للدم، ولذلك فإن معنى العبارة أن الله هو الذي يأخذ ثمن دم الحسين الشهيد، وأن هذا الأمر منوط به سبحانه وتعالى... كما أن الحسين هو ابن علي بن أبي طالب عليه السلام الذي استشهد في سبيل الله، والله هو الذي يطالب ويأخذ ثمن دمه أيضا)، ويرد عليه حفظه الله بأن العرب قد استخدمت الثار بمعنى الدم والصحاح والمعاجم خير دليل على هذا الاستعمال.

2- سورة الشورى الآية 11.

3- قال الشيخ علي النمازي الشاهرودي في مستدرک سفينة البحار ج 1 ص 501 __ 502: (ثار: في الزيارات: يا ثار الله وابن ثاره. والثار أى الدم إضافة تشريفية كما تقول: بيت الله وروح الله ووجه الله. وفي القاموس: الثار: الدم والطلب به).

شء إلى عظيم اكتسى عظما كبيت الله، فإذا وجد من الولد ما يحسن موقعه قيل: "لله أبوك" للمدح والتعجب، أى لله أبوك خالصا حيث أتى بمثلك(1).

وهناك معنى آخر غير التعظيم، فبالدم يحيا البدن ولولاه لمات، وبالحسين صلوات الله وسلامه عليه استعاد الدين حياته ولولاه لمات الإسلام واندثر فهو كالدم بالنسبة إليه.

ثم ان لإطلاق (دم الله) على الحسين صلوات الله وسلامه عليه علة واضحة وهى إثبات محبوبة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ودمه المسفوك بالنسبة إلى الله سبحانه، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ما من قطرة أحب إلى الله عز وجل من قطرة دم فى سبيل الله)(2) ودم الإمام الحسين وبلا أدنى ريب مشمول بهذا الحديث الشريف، لأنه من الدماء التى سقطت وأريقت لوجه الله سبحانه، بل هو من أعظمها وأطهرها وأكثرها خلوصا وقربة لله جل شأنه، فيكون وبلا أدنى ريب من أكثرها محبوبة ومقبولية له سبحانه.

فكان الزائر لأبى عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه وعند مخاطبته للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا تَارَ اللَّهِ)، فانه يقصد: (السلام عليك يا أيها الدم المقدس المكرم المشرف من جهة الله سبحانه على كل الدماء كما شرف بيته وشهره على كل البيوت والشهور، والذي لولاه لمات دين الله واندثر التوحيد، فأنت روح الإسلام ودمه الذى لولاه لما بقى فى جسد هذا الدين حياة).

ولعل الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه يريد من خلال هذا المعنى أن يشير إلى مسألة بالغة الأهمية، وهى: ان الذين تجرؤوا على سفك دم سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه،

1- مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج 1 ص 28.

2- الكافي للشيخ الكليني ج 5 ص 53 كتاب الجهاد باب فضل الشهادة الحديث رقم 3.

قد تجرؤوا على حرمة من حرم الله سبحانه، فهم كمن تجرأ واعتدى على بيت الله الحرام، أو شهر الله الحرام، أو شعائر الله وحدوده، وركائز الدين وأصوله، وإذا عرفنا ان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه أعظم وأشرف وأكرم على الله سبحانه من البيت الحرام والشهر الحرام، ومن جميع شعائر الله سبحانه وحدوده، فتصبح الجناية حينئذ عليه، وإهراق دمه الطاهر، وانتهاك حرمة، أعظم وأكبر وأشد عند الله سبحانه من انتهاك جميع حرمت الدين وشعائره وحدوده. وبناءً على هذا التوضيح يصبح قصد الزيارة من وصف الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بـ(دم الله) هو تعظيم وتهويل ما اقترف بحقه من جرائم واعتداءات أدت بمجموعها إلى سفك دمه الطاهر بتلك الطريقة المرعبة الرهيبة.

المعنى الثانى: وقد يطلق النار على الطلب بالدم

قال الخليل الفراهيدى: (الثأر: الطلب بالدم. ثأر فلان لقتيله، أى: قتل قاتله)(1)، وقال ابن الأثير: (ثأر: فى حديث محمد بن مسلمة يوم خيبر «أنا له يا رسول الله الموتور الثأر» أى طالب الثأر، وهو طالب الدم. يقال ثأرت القتل، وثأرت به فأنا ثأر: أى قتلت قاتله)(2).

فيصبح معنى العبارة وفقاً لما مر هو: (السلام عليك يا من سيطلب الله سبحانه بدمك، ويتولى القصاص من وارك، ويقتل كل من قتلك).

وتصبح قضية الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وقتله وانتهاك حرمة وفقاً لهذا التفسير ليست قضية شخصية أو قبلية وقعت ما بين آل أمية وحزبهم حزب الشيطان

1- كتاب العين للخليل الفراهيدى ج 8 ص 236 باب الثلاثى المعتل من الثاء باب الثاء والراء و(واى ء) معهما.

2- النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ج 1 ص 204 باب الثاء مع الهمزة.

وبين آل على وأنصارهم أنصار الإيمان، بل هي قضية كونية إلهية، لان الحرب التي راح ضحيتها الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لم تكن موجهة ضد شخص الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بوصفه شخصا عاديا من سائر أفراد المجتمع الإسلامي، بل بوصفه السد المنيع المنسوب من قبل الله سبحانه والذي كان يحول دون عبث الأمويين واستهتارهم بالحرمان الإلهية والمقدرات الإسلامية، فلم يستطيعوا تجاوز هذا السد الإلهي ولا إسكاته إلا بقتله وسفك دمه الطاهر، لذلك تكفل الله سبحانه بأخذ ثاره، والاقتصاص من قتلته بنفسه، لأن الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه استشهد في سبيله، فكان حقا على الله سبحانه أن يكون هو الضامن لدمه وحقه وثاره.

فكان الزائر حينما يسلم عليه بقوله: (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللَّهِ) فانه يقصد: (السلام عليك يا من أعطى لله سبحانه حقه، وبذل غاية مجهوده في الدفاع عن حرمانه، فضمن الله سبحانه له الأخذ بثاره ودمه والانتقام من قتلته).

المعنى الثالث: وقد يطلق الثار على الثائر الذي لا يبقى شيئاً حتى يأخذ بثاره

قال الزبيدي: (ويقال للثائر أيضا: الثأر، وكل واحد من طالب ومطلوب ثأر صاحبه)⁽¹⁾ وقال الجوهري في الصحاح: (والثائر: الذي لا يبقى على شيء حتى يدرك ثأره)⁽²⁾ وكذا قال ابن منظور في لسان العرب⁽³⁾.

فيصح بذلك معنى قول الزائر لإمامه (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللَّهِ) هو: (السلام عليك يا من سيثور الله سبحانه لأجل الأخذ بدمك وحقك والاقتصاص من قتلتك،

1- تاج العروس للزبيدي ج 6 ص 139 مادة ثأر.

2- الصحاح للجوهري ج 2 ص 603 فصل الثاء.

3- لسان العرب لابن منظور ج 4 ص 97 فصل الثاء المثلثة.

حتى لو لم يبق في سبيل تحقيق هذا الأمر شيء من الأرض وأهلها، وهو يدل على ان دم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه والأخذ بحقه أهم عند الله سبحانه من الأرض ومن عليها، ولو أن أهل الأرض كلهم اشتركوا في دمه ثم اقتصر الله منهم جميعا ولم يترك على الأرض منهم دابة لما كان ذلك على الله بعزير، لان الأرض وما فيها لا تساوى عند الله سبحانه دمعة من دموع الإمام الحسين التي ذرفها على أولاده وأصحابه ومصائب أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فكيف بسفك دمه وإزهاق نفسه الشريفة، ورض صدره المقدس بحوافر الخيل وسنابكها.

ثم ان الثورة الإلهية التي ستكون سببا للأخذ بحق الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ودمه المقدس إما أن تقع من الله سبحانه مباشرة، كما فعل سبحانه وانتقم من كل من شارك في تلك الحرب الخؤون، أو تقع على يد بعض عباده الذين اصطفاهم ووقفهم للثورة والأخذ بثارات الإمام السبط الشهيد صلوات الله وسلامه عليه، منهم المختار الثقفى وغيره من الذين ثاروا وساموا قتلة الإمام الحسين سوء العذاب، ولكن الانتقام الحقيقي سيكون على يد الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه الذى سيعيد بإذن الله جميع قتلة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وقتلة سائر أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ويذيقهم أنواع العذاب وألوان الهوان، بل سيقصص حتى من ذرارى قتلة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ممن رضى بفعل آبائه، بل وسيقتص من كل من شايع وبيع وتابع ورضى بقتله من الأولين والآخريين، حتى لو نال واستوعب ذلك القصاص أكثر أهل الأرض، لان أهل الأرض جميعا لا يعدلون ذلك السهم المثلث الذى وقع فى قلب الحسين صلوات الله وسلامه عليه، بل ولا قطرة دم سقطت من طفله الرضيع.

وأطلق الثار على معان أخرى لم نذكرها ضرورة هنا.

المبحث الثالث: معنى كون الإمام الحسين عليه السلام ابن تار الله

أكدت الزيارات والأحاديث الشريفة على أن هنالك وجه شبه كبير ما بين كل من الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه وبين ابنه الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فجملة من الزيارات الشريفة صرحت بأن الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو تار الله وابن تاره، أو قتيل الله وابن قتيله، أو حجة الله وابن حجته، أو انه صلوات الله وسلامه عليه تار الله وابن تاره، وغير ذلك من أوجه الشبه.

وهذا التشابه إن دل على شىء فإنه يدل على أن هنالك وجه تشابه فى الأهداف والحوافز والمنطلقات، فكلاهما كان يتغى وجه الله سبحانه فى حركته ونهضته، وكلاهما كان يهدف إلى إعلاء دين الله سبحانه وحفظ شريعته من أن تـدنس أو تحرف أو ينتهكها المنتهكون.

وليس هذا التشابه بمنحصر فى صلوات الله وسلامه عليهما بل نراه مشتركا أيضا بين أعدائهما، فأهداف قتلة هذين العظيمين واحدة وغاياتهم مشتركة، فجميعهم قاتل فى سبيل الدنيا والجاه والمنصب وليطفنوا نور الله بأفواههم وأيديهم، فأهداف وغايات ونوايا أصحاب الجمل هى نفسها أهداف وغايات أصحاب النهروان من الخوارج، وكلاهما نسخة عن أهداف وغايات معاوية بن أبى سفيان عليه وعليهم اللعنة، وجميعهم يحمل نفس الحوافز والنزعات العصبية الجاهلية والأطماع الدنيوية التى كانت فى نفوس وقلوب أولئك الطغاة الذين قتلوا الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فى يوم عاشوراء الرهيب، فالجميع وجوه متعددة لعملة واحدة، لعنهم الله جميعا وحشرهم إلى نار جهنم وبئس المصير.

ونستطيع أيضا أن نجد وجهها آخر من أوجه التشابه فيما بينهما صلوات الله وسلامه عليهما، وذلك عن طريق التأمل فى الظرف الزمانى والموضوعى الذى قامت فيه كل من النهضتين

العلوية والحسينية، فالثورة العلوية جاءت لإصلاح المسير المعوج الذي ابتداءً منذ التحاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى وإلى أن وصل الاعوجاج إلى أقصى غياته في الأيام التي سبقت خلافته صلوات الله وسلامه عليه، حيث اتخذ من كان قبله من الحكام مال الله دولاً، وعباده خولاً، والصالحين حرباً، والفاسقين حزباً، فجاءت الثورة العلوية لتعيد الروح إلى جسد الإسلام الذي بدأت تزهد روحه يوماً بعد يوم، وما ردت فيه الحياة غضة طرية إلا على يد الإمام أمير المؤمنين والأوصياء من أولاده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والأمر نفسه قد تكرر قبل ثورة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فالدين على يد معاوية وابنه يزيد قد تمزق وتفرق، وشاع الظلم، ونسى العدل، وتأمّر الفساق على الأخيار، والمجرمين على الصالحاء، ولم ترجع للإسلام العزة والكرامة، ولا نهض الإسلام من كبوته إلا على يد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

فالإمام الحسين ومن قبله أبوه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهما لهما من المنة والفضل على الإسلام والمسلمين ما لا يعلمه إلا الله سبحانه، فلذا صار أثار الله وقتيليه، وصار الله سبحانه متكفلاً بدمائهما آخذاً بثأريهما صلوات الله وسلامه عليهما.

ولم يشارك الإمامين أمير المؤمنين والحسين صلوات الله وسلامه عليهما في لقب (ثار الله) من سائر الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بحسب ما تتبعته غير الإمام المهدي روحى فداه، فقد ورد وصفه بـ (ثار الله) في الزيارة التي رواها العلامة المجلسي عن السيد على بن طاوس نور الله مرقده حيث قال: (إذا فرغت من زيارة العسكريين عليهما السلام فامض إلى السرداب المقدس وقف على بابهِ وقل: ... السلام عليك يا باب الله، السلام عليك يا ثار الله، السلام عليك يا محيي معالم الدين وأهله) (1).

1- بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 99 ص 83 __ 86 الباب السابع زيارة الإمام المستتر عن الأبصار الحاضر في قلوب الأخيار المنتظر في الليل والنهار الحجة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليها في السرداب وغيره.

وفى وصف الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه بـ (ثار الله) دليل على ان ثورة الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه تحمل نفس الأهداف والحوافز والمنطلقات التي حملتها كل من الثورة العلوية والحسينية على حد سواء، وان ظروف وحيثيات ثورة الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه ونهضته ستكون مشابهة لظروف وحيثيات الثورة الإصلاحية والتغييرية للإمام أمير المؤمنين وابنه الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليها، لأن الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه وكما ورد في كثير من الروايات الشريفة سيخرج بعدما لا يبقى من الدين إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه، وبعد أن يكاد الإسلام تزهق روحه وتجتث جذوره، فيخرج ليعيد له الحياة ويحقق عدل الله سبحانه في الأرض، ويأخذ بحق الله سبحانه من رقاب المغيرين والمبدلين، كما اخذ أمير المؤمنين الحق واقتص بسيفه وسيوف أصحابه من الناكثين والقاسطين والمارقين، وكما اقتص جده الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه من أولئك اللئام يوم عاشوراء.

المبحث الرابع: الدعاء لفرج الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يعجل بأخذ ثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

ذكر الميرزا محمد تقي الأصفهاني في كتابه القيم (مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم عليه السلام) ان واحدة من فوائد الدعاء للإمام الثاني عشر صلوات الله وسلامه عليه بتعجيل الفرج والظهور هي الفوز بطلب اخذ الثار للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ونحن نورد فيما يأتي نص كلماته مع مراعاة المهم منها وما يتعلق بموضوعنا:

قال رحمه الله: (ومما يحصل بالدعاء لتعجيل فرج مولانا صاحب الزمان عليه السلام وظهوره، الفوز بثواب طلب ثار مولانا الحسين الإمام المظلوم الغريب الشهيد عليه السلام: وهذا أمر لا يقدر على إحصاء ثوابه أحد إلا الله العزيز الحميد جل شأنه،

لأن عظمة شأن الثأر بقدر عظمة صاحبه، فكما لا يقدر أحد على الإحاطة بالشؤون الحسينية إلا الله عز وجل، كذلك لا يقدر غيره على إحصاء ثواب طلب ثأره.

فإنه الذى ورد فى زيارته: «السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره» ولو لم يكن فى الدعاء بتعجيل ظهور مولانا صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه سوى هذا الثواب، لكفى فضلا وشرفا وشأنا فكيف وفيه من الفضل ما لا يحصى، ومن الثواب ما لا يستقصى.

وأما حصول الفوز بثواب طلب ثأر مولانا الشهيد عليه السلام بهذا الدعاء، فتقريره أن طلب ثأره عليه السلام وظيفة كل مؤمن ومؤمنة، لأنه والدهم الحقيقى، بمقتضى، ما قدمناه فى الباب الثالث، من كون الإمام عليه السلام والدا حقيقيا، ويؤيده تفسير الوالدين فى قوله تعالى: ((وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا))⁽¹⁾، بالحسنين عليهما السلام كما فى تفسير القمى⁽²⁾ وغيره، ولذا يصح أن ينسب المؤمن ثأره عليه السلام إلى نفسه ويجعل كل أحد من المؤمنين نفسه ولى دمه عليه السلام، كما فى زيارة عاشوراء: «وأن يرزقنى طلب ثارى مع إمام مهدي ظاهر ناطق منكم».

ووجه آخر مضاف إلى هذا الوجه أن النبى صلى الله عليه وآله أمر أمته بأمر الله عز وجل بالمودة فى القربى، وقد تقدم أخبار عديدة دالة على كون المراد بالقربى الأئمة عليهم السلام، ولو حملنا القربى على مطلق الأقارب، أو الذرية نظرا إلى ظاهر اللفظ، فلا ريب أن الأئمة عليهم السلام أفضل أفرادهم، وأكمل مصاديقهم، ولا ريب أيضا فى أن طلب ثأرهم وحقوقهم من أظهر مصاديق المودة، وأجل أقسام إظهار المحبة.

1- سورة الأحقاف الآية 15.

2- تفسير القمى لعلى بن إبراهيم القمى ج 2 ص 297 سورة الأحقاف الجزء 26.

إذا تقرر ما ذكرنا، فنقول: إن لطلب الثأر مراتب عديدة ودرجات أربع:

الأولى: أن يكون ولى الدم ذا قوة واستيلاء واستعلاء، وسلطنة فيأمر بعض عبيده بقتل قاتل المظلوم.

والثانية: أن يقتل هو قاتل المظلوم، وبهذين القسمين يطلب الله عز وجل ثأر مولانا الشهيد المظلوم فإنه تعالى ولى دمه فى الحقيقة ولذا ورد فى زيارات عديدة: «السلام عليك يا ثار الله»...

وكما يطلب القادر المنتقم جل شأنه ثأره بهذين القسمين يطلب القائم المنتظر ثأره أى ثأر جده الحسين بهذين القسمين أيضا. باعتبار آخر فإنه يقتل قتلة أجداده «عليهم السلام»، والراضين بفعلهم ويأمر شيعته وأنصاره بقتلهم أيضا.

الثالثة: أن يكون الطالب بالثار ضعيفا لا يقدر على ذلك إلا بالتظلم والاستعداد إلى سلطان مقتدر يأخذ بحقه من ظالمه فهذا أيضا نوع من طلب الثأر، كما هو واضح عند أولى الأبصار.

والرابعة: أن يكون بسبب ضعفه غير قادر على أخذ الثأر، إلا بالاستعانة إلى غيره من ذوى الاقتدار فيتعاونان على ذلك.

وبعبارة أخرى: إن الإعانة فى تهيو أسباب أخذ الثأر قسم من أقسام الطلب والانتصار، وحيث إنا لا نقدر فى زماننا هذا على طلب ثأر مولانا الحسين إلا بهذين القسمين، فاللازم علينا بمقتضى وظيفتنا الثابتة المبادرة إلى المطالبة بهذين النحوين وهما يحصلان بمسألة تعجيل ظهور مولانا صاحب الزمان، من القادر المنان، والتظلم والتضرع إليه فى هذا الشأن فإنه أقدر من كل سلطان والمنتقم من أهل البغى والعدوان، لأننا علمنا بالمتواتر من الأخبار أن القادر الجبار ادخر مولانا الغائب عن

الأبصار لطلب هذا الثار، فاللازم علينا فى آناء الليل والنهار التظلم والتضرع إلى الله عز وجل فى تعجيل ظهوره عليه السلام لأخذ الثار والانتقام من الجبابرة الكفار إذ ليس لنا سبيل فى زمان غيبته عليه السلام إلى غير هذا القسم من طلب الثار... فالدعاء لذلك إعانة له عليه السلام فى المبادرة إلى الانتصار وأخذ ثار الأئمة الأطهار من القتلة اللثام الفجار) (1) انتهى كلامه مختصراً رضى الله عنه وأرضاه، وإنما أوردناه طلباً للفائدة وتتميماً للبحث.

المبحث الخامس: معنى وصف الحسين عليه السلام بالوتر الموتر

إشارة

جاءت لكلمة الوتر والموتر معانٍ متعددة فى كتب اللغة نستعرض منها فيما يأتى ما ينسجم ويتناسب مع أجواء الزيارة:

المعنى الأول: قد يطلق الوتر ويراد به المتفرد فى الكمال

ربما أطلقت العرب الوتر على العدد وقصدت به الشىء الواحد الفرد الذى ليس بزواج، قال ابن منظور: (وتر: الوتر والوتر: الفرد أو ما لم يتشفع من العدد) (2).

وربما أطلقت العرب الوتر على من يتصف بصفة لا يشاركه احد غيره بها، كإطلاقهم الوتر على نبي الله آدم صلوات الله وسلامه عليه لأنه أول موجود بشرى خلقه الله سبحانه، فلما خلقت حواء أم البشر شفع بها قال ابن منظور: (وروى عن ابن عباس، رضى الله عنهما، أنه قال: الوتر آدم عليه السلام، والشفع شفع بزوجته)

1- مكيال المكارم للميرزا محمد تقى الأصفهاني: ج 1، ص 419 إلى ص 422.

2- لسان العرب لابن منظور ج 5 ص 273 فصل الواو، وراجع أيضا تاج العروس للزبيدي ج 7 ص 579 مادة وتر.

وكذا قال الزبيدي في تاج العروس(1).

والوتر صفة من صفات الله سبحانه (لأنه البائن من خلقه الموصوف بالوحدانية من كل وجه ولا نظير له في ذاته ولا سمي له في صفاته ولا شريك له في ملكه، فتعالى الله الملك الحق)(2).

فيتبين من مجموع ما مر ان من معاني الوتر هو الموجود المتفرد بصفة أو صفات لا يشاركه فيها أحد غيره. وهذا المعنى متحقق في شخص الإمام الشهيد صلوات الله وسلامه عليه، والى هذا أشار العلامة المجلسي قدس الله روحه بقوله: (وتر الله أى الفرد المتفرد فى الكمال من نوع البشر فى عصره الشريف) (3).

ووجه تحقق هذا المعنى فى شخص الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه: من حيث انه من الخمسة أهل الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين كانوا فى عصر وجودهم الشريف أفضل أهل الأرض وأكملهم، والمتفردين بكل مراتب الكمال من سائر الأنام، فلما فقد النبى صلى الله عليه وآله وسلم وارتحل من دار الفناء، وارتحلت من بعده ابنته الصديقة الشهيدة صلوات الله وسلامه عليها، والتحق بهما الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه مغدورا مسلوب الحق، وبعد مدة ليست بالطويلة التحق بهما ابنهما الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه المسموم المهتضم، بقى الإمام السبط الحسين بن على صلوات الله وسلامه عليه بعد رحيل هؤلاء الأطهار وحيد أهل زمانه بالفضل، والمتفرد من دونهم بالكمال، فانطبق عليه لقب الوتر الذى بمعنى المتفرد فى الكمال من نوع البشر. لذا كان فقده صلوات الله وسلامه عليه يوم عاشوراء فقدا لعامة أهل الكساء الأطهار، لان بركة وجوده المبارك كانت مذكرة بهم، وسادة

1- المصدر السابق.

2- مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج 4 ص 462 باب الواو.

3- بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 98 ص 154.

مسد غيبتهم ووقدهم، فلما فقد من الدنيا أثره، ورفع من بين العالمين شخصه، بانت وحشة فراقهم، ورفعت من بين العالمين أطاف وجودهم.

وقد استشهد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بهذا المعنى يوم عاشوراء، حينما خطب في جيش البغي والظلم بقوله: (فانسبوني وانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلح لكم قتلى وانتهاك حرمتي، ألسنت ابن بنت نبيكم، وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين المصدق لرسول الله بما جاء به من عند ربه، أو ليس حمزة سيد الشهداء عمي، أو ليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين عمي، أو لم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة... أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي...)(1)، فبقوله هذا أراد صلوات الله وسلامه عليه من الأمة أن تعي وتفهم ان وجوده بين ظهرانيهم فرصة ونعمة لن تتكرر، وسترفع منهم إلى يوم القيامة فيما لو قوبلت بالجحود والنكران، وهو ما حدث بالفعل.

وكلام السيدة زينب العقيلة صلوات الله وسلامه عليها مع أخيها الحسين صلوات الله وسلامه عليه ليلة عاشوراء يدل دلالة واضحة على هذا المعنى، فحينما سمعت العقيلة زينب صلوات الله وسلامه عليها أخاها الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يردد ليلة العاشر أبياتا من الشعر مشهورة ومذكورة في كتب المقاتل، علمت انه قد عزم على الموت، وان فقد هذا الموجود العظيم بات وشيكا، وان فرصة وجوده في الحياة الدنيا صارت قصيرة جدا، فأحست بعظم المصيبة، وبهول الخطب، فصاحت: (وا ثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ماتت أمي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن يا خليفة الماضين وثمان الباقيين)(2).

1- الإرشاد للشيخ المفيد ج 2 ص 97 _ 98 خطبة الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء.

2- مثير الأحزان لابن نما الحلبي ص 35 المقصد الأول على سبيل التفصيل للأحوال السابقة لقتال آل الرسول.

فمن كلامها صلوات الله وسلامه عليها نستكشف ان أشخاص أصحاب الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقيمهم وكمالاتهم كانت مجتمعة جملة وتفصيلا في الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وان فقدته كان يمثل فقدنا للكل، كما ان الاعتداء عليه كان يمثل اعتداءً على جميع أولئك الأطهار.

ومن هنا أيضا نفهم سبب مخاطبة الزائر للشهداء الذين دافعوا عن الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يوم عاشوراء ونصروه وذبوا عنه بأرواحهم وأجسامهم بقول: (السلام عليكم يا أنصار رسول الله السلام عليكم يا أنصار أمير المؤمنين السلام عليكم يا أنصار فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين السلام عليكم يا أنصار أبي محمد الحسن بن علي الزكي الناصح الولي السلام عليكم يا أنصار أبي عبد الله(1))، فإن كلاً من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام أمير المؤمنين والزهراء والإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لم يكونوا بموجودين يوم عاشوراء بأشخاصهم وأبدانهم المادية حتى يتم نصرتهم من قبل أولئك الشهداء الكرام، ولكن ولان شخص الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه قد جمع كمالات بقية أصحاب الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عدت نصرته نصرته لهم والذب عنه ذباً عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين(2).

المعنى الثاني: وقد يطلق الموتور على من قتل حميمه وأفرد

قال الزبيدي في تاج العروس: (والموتور المفعول، وتقول منه: وتره يتره ترة ووتره، إذا قتل حميمه فأفرده منه)(3) وهكذا كان حال الإمام الحسين بن علي

1- المزار للشهيد الأول ص 129 زيارة الشهداء رضوان الله عليهم.

2- توجد معانٍ أخرى لهذا المقطع من زيارة الشهداء ليس هاهنا محل تبيانها، وانما اقتصرنا على هذا المعنى لموافقته مع ما نحن فيه.

3- تاج العروس للزبيدي ج 7 ص 583 مادة وتر.

صلوات الله وسلامه عليه فقد قتل أولاده وفلذات أكباده وإخوته وبنو أخيه وبنو عمومته وأصحابه بتلك الصورة المريعة التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً أبداً، وأعداء الحسين صلوات الله وسلامه عليه ما استطاعوا أن يقتلوه ويصلوا إليه إلا بعد أن افردوه ووتروه، وهي لأصحابه ولأهل بيته فضيلة ليست كمثلها فضيلة، إذ ان وجودهم كان مانعاً عن قتله، وبذلهم لمهجمهم كان دافعاً لوصول شتى أنواع الأذى إلى شخصه المبارك فجزاهم الله خيراً عن إمامهم وعن أهل بيت نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم.

المعنى الثالث: وقد يطلق المونور على من قتل له قتيل ولم يدرك بدمه

قال الجوهري في الصحاح: (والموتور: الذى قتل له قتيل فلم يدرك بدمه)(1)، وقال ابن منظور: (والموتور: الذى قتل له قتيل فلم يدرك بدمه، تقول منه: وتره يتره وترا وترة)(2).

والإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لم يُدرك دم أبنائه وأهل بيته وأصحابه من أولئك الأجلاف الطغام اللئام، والى اليوم ما زال صوته صلوات الله وسلامه عليه يدوى ويتردد فى آذان الزمان، وهو يستغيث ولا يغاث، ويستجير ولا يجار، ويستنصر ولا ينصر، رافعا صوته قائلاً:

هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

هل من موحد يخاف الله فينا.

هل من مغيث يرجو الله فى إغاثتنا.

هل من معين يرجو ما عند الله فى إعانتنا.

1- الصحاح للجوهري ج 2 ص 843 فصل الواو.

2- لسان العرب لابن منظور ج 5 ص 273 __ 276 فصل الواو.

هل من راحم يرحم آل الرسول المختار.

هل من ناصر ينصر الذرية الأطهار.

هل من مجير لأبناء البتول.

هل من ذاب يذب عن حرم الرسول.

لكنه صلوات الله وسلامه عليه لم يجد جوابا لكل استغاثاته إلا صرخات خرجت من حناجر النسوة الثواكل، ولم يُعَثَّ بغير دموع تفجرت بها عيون أيتامه وأيتام البقية من أهل بيته الذين تقدموه بالشهادة، فهو الموتور الوحيد الخائف الطريد الذي فاقت وحدته كل وحدة وعظمت غربته على كل غربة.

فسلام عليك أبا الشهداء (سلام من لو كان معك بالطفوف لوقاك بنفسه حد السيوف، وبذل حشاشته دونك، وجاهد بين يديك، ونصرک على من بغى عليك، وفداک بروحه وجسده، وماله وولده، وروحه لروحك فداء، وأهله لأهلك وقاء فلئن أخرتني الدهور، وعاقني عن نصرک المقذور، ولم أكن لمن حاربك محاربا، ولمن نصب لك العداوة مناصبا، فلأندينبك صباحا ومساء، ولأبكين عليك بدل الدموع دما، حسرة عليك وتأسفا على ما دهاك وتلهفا، حتى أموت بلوعة المصاب وغصة الاكتياب) (1).

السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الْأَرْوَاحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفِنَائِكَ وَأَنَاخَتْ بِرَحْلِكَ

إشارة

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة من الزيارة

المبحث الثاني: تبيان ألفاظ هذا المقطع من الزيارة

أولاً: السَّلَامُ عَلَيْكَ

ثانياً: وَعَلَى الْأَرْوَاحِ

1: الإنسان 2: الملائكة 3: الجن

ثالثاً: الَّتِي حَلَّتْ بِفِنَائِكَ

رابعاً: وَأَنَاخَتْ بِرَحْلِكَ

المبحث الثالث: فضل السلام وفوائده تكراره

الفائدة الأولى: السلام سبب من أسباب المغفرة

الفائدة الثانية: السلام سبب لكثرة خير بيت المسلم

الفائدة الثالثة: وفي السلام الكثير من الحسنات

الفائدة الرابعة: ان المسلم يحظى برد من الملائكة

الفائدة الخامسة: المسلم يحظى بالرد من قبل إمامه المعصوم

الفائدة السادسة: في السلام تكامل لروح الزائر المسلم

المبحث الرابع: المقصود من الأرواح التي ورد ذكرها في هذه الفقرة

الأرواح التي حلت بفناء قبر الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام

الأرواح التي أناخت بقبر الإمام أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام

السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الْأَزْوَاجِ الَّتِي حَلَّتْ بِفِنَائِكَ وَأَنَاخَتْ بِرَحْلِكَ

وفى هذه الفقرة الشريفة من الزيارة معانٍ جليلة نستعرض بعض ما يتيسر لنا منها، وهي كما يأتي:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة من الزيارة

اشتهر في نصوص زيارات الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ان هنالك أرواحا تحل وتزور وتنيخ بقبره الشريف وضريحه المنيف، حتى بلغت من الشهرة مبلغا استغنت به عن استقصاء جميع مواردها في متون تلك الزيارات ولكننا سنذكر للقارئ الكريم فيما يأتي جملة منها حبا للفائدة والتزاما منا بمنهج البحث الذي ألزمتنا به أنفسنا في بداية هذا الكتاب.

أخرج جعفر بن محمد بن قولويه قدس الله روحه قال: (حدثني أبي عن سعد بن عبد الله، عن أبي عبد الله الرازي، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن الحسن بن

محمد بن عبد الكريم أبو علي، عن المفضل بن عمر، عن جابر الجعفي، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام للمفضل: كم بينك وبين قبر الحسين عليه السلام، قال: قلت: بأبي أنت وأمي يوم وبعض يوم آخر، قال: فتزوره، فقال: نعم، فقال: ألا أبشرك ألا أفرحك ببعض ثوابه، قلت: بلى جعلت فداك، قال: فقال لي: إن الرجل منكم ليأخذ في جهازه ويتهيأ لزيارته فيتبأشر به أهل السماء، فإذا خرج من باب منزله راكبا أو ماشيا وكل الله به أربعة آلاف ملك من الملائكة يصلون عليه حتى يوافي قبر الحسين عليه السلام. يا مفضل إذا أتيت قبر الحسين بن علي عليهما السلام فقف بالباب وقل هذه الكلمات، فإن لك بكل كلمة كفلا من رحمة الله، فقلت: ما هي جعلت فداك، قال: تقول: السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله... السلام على الأرواح التي حلت بفنائك، وأناخت برحلك، السلام على ملائكة الله المحققين بك(1).

وعنه قدس الله روحه أيضا قال: (حدثني أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن الحسين العسكري ومحمد بن الحسن جميعا، عن الحسن بن علي بن مهزيار، عن أبيه علي بن مهزيار، عن محمد بن أبي عمير، عن محمد بن مروان، عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال الصادق عليه السلام: إذا أردت المسير إلى قبر الحسين عليه السلام فصم يوم الأربعاء والخميس والجمعة، فإذا أردت الخروج فاجمع أهلك وولدك وادع بدعاء السفر، واغتسل قبل خروجك وقل حين تغتسل: اللهم طهرني وطهر قلبي، واشرح لي صدري... فإذا وقفت على التل فاستقبل القبر فقف وقل: الله أكبر الله أكبر ثلاثين مرة، وتقول: لا إله إلا الله في علمه منتهى علمه، ولا إله إلا الله بعد علمه منتهى علمه، ولا إله إلا الله مع علمه منتهى علمه... السلام عليكم يا ملائكة الله

ويا زوار قبر أبي عبد الله عليه السلام... السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك(1).

وعن السيد ابن طاوس قدس الله روحه قال: (... بإسنادنا إلى عبد الله بن جعفر الحميري، قال: حدثنا الحسن بن علي الكوفي، عن الحسن بن محمد الحضرمي، عن عبد الله بن سنان قال: دخلت على مولاي أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يوم عاشوراء وهو متغير اللون ودموعه تنحدر على خديه كاللؤلؤ، فقلت له: يا سيدي مما بكاؤك، لا أبكي الله عينيك، فقال لي: أما علمت أن في مثل هذا اليوم أصيب الحسين عليه السلام... فان في ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلت الهيبة عن آل الرسول عليه وعليهم السلام، وانكشفت الملحمة عنهم وفي الأرض منهم ثلاثون صريعا يعز على رسول الله صلى الله عليه وآله مصرعهم. قال: ثم بكا بكاء شديدا حتى اخضلت لحيته بالدموع... يا عبد الله بن سنان أفضل ما تأتي به هذا اليوم ان تعمد إلى ثياب طاهرة فتلبسها... وتحول وجهك نحو قبر أبي عبد الله عليه السلام وتمثل بين يديك مصرعه، وتفرغ ذهنك وجميع بدنك وتجمع له عقلك، ثم تلعن قاتله ألف مرة يكتب لك بكل لعنة ألف حسنة، ويمحي عنك ألف سيئة، ويرفع لك ألف درجة في الجنة... فإذا فرغت من ذلك وقفت في موضعك الذي صليت فيه وقلت سبعين مرة: اللهم عذب الذين حاربوا رسلك وشاقوك وعبدوا غيرك واستحلوا محارمك، والعن القادة والأتباع... السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت بساحتك، وجاهدت في الله معك، وشرت نفسها ابتغاء مرضاة الله فيك، السلام على الملائكة المحققين بك(2).

1- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 393 __ 402.

2- إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج 3 ص 65 __ 70.

وعن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه علم أبا حمزة الثمالي زيارة جاء فيها: (...السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك السلام على ملائكة الله المحققين بك السلام على ملائكة الله وزوار قبر ابن نبي الله... السلام على ملائكة الله المقربين السلام على ملائكة الله المنزلين السلام على ملائكة الله المسومين السلام على ملائكة الله الذين هم مقيمون في هذا الحائر بإذن ربهم السلام على ملائكة الله الذين هم في هذا الحائر يعملون ولأمر الله مسلمون... وتقول يا أبا عبد الله يا حسين ابن رسول الله جئتك مستشفعا بك إلى الله اللهم إني استشفع إليك بولد حبيبي وبالملائكة الذين يضحجون عليه ويكون ويصرخون لا يفترون ولا يسأمون وهم من خشيتك مشفقون ومن عذابك حذرون لا تغيرهم الأيام ولا ينهزمون من نواحي الحير يشهقون وسيدهم يرى ما يصنعون وما فيه يتقلبون قد انهملت منهم العيون فلا ترقأ واشتد منهم الحزن بحرقة لا تطفى)(1).

وفي هذا المقدار كفاية لإثبات ان من الأرواح ما هو زائر لقبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ومنها ما هو مقيم أو حاف أو محقق أو عامل أو صارخ أو غير ذلك مما سنتعرف عليه في بحث لاحق إن شاء الله تعالى.

المبحث الثاني: تبيان ألفاظ هذا المقطع من الزيارة

أولاً: السَّلَامُ عَلَيْكَ

مرت معاني السلام مفصلاً في شرح الفقرة الأولى من هذه الزيارة الشريفة، وأما الضمير في (عليك) فانه عائد إلى الإمام أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

ثانياً: وَعَلَى الْأَرْوَاحِ

إشارة

الواو هنا عاطفة وما بعدها معطوف على (عليك) ومعنى العبارة (والسلام على الأرواح التي حلت بفنائك) والأرواح جمع لكلمة روح، والروح مما لا- يعلم حقيقتها وجوهرها إلا- الله سبحانه، وقد حجب عن الناس الإمام بتعريفها والاطلاع-ع على كنهها قال تعالى: ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا))⁽¹⁾، فليس لنا ولا لأحد من العالمين الوصول إلى تعريف جامع مانع للروح، وكل ما قيل في تعريفها فهو إما ذكر للوازمها، أو تعداد لآثارها، أو تبيان لمراتبها الوجودية من حيث القوة والضعف في التجرد، وأما الإحاطة بكامل حقيقتها وكنه جوهرها فهو مما حجب عن العالمين خبره ولم نكلف بالبحث عنه، فيكون العدول عن الخوض في تفاصيل ذلك أولى للمؤمن.

ولكنها من حيث الإطلاق اللغوي أو الشرعي فقد أطلقت على حقائق خارجية شتى منها:

1: الإنسان

الذى يتكون من حيث الخلقة من جسد وروح يتقوم بها ذلك الجسد، وتتبع بفضلها فيه الحياة، وقيل ان الروح هي النفس⁽²⁾، قال أبو بكر بن الأنباري: (الروح والنفس واحد غير ان الروح مذكر والنفس مؤنثة عند العرب)⁽³⁾.

وقد أطلق القرآن الكريم اسم الروح على نبي الله عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه

1- سورة الإسراء الآية 85.

2- راجع تاج العروس للزبيدي ج4 ص57 مادة روح.

3- تاج العروس للزبيدي ج4 ص57 مادة روح.

فى قوله تعالى ((إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ))⁽¹⁾، وأطلق القرآن الكريم الروح على سائر البشر وفى طليعتهم نبي الله آدم صلوات الله وسلامه عليه قال تعالى: ((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَاذْأَسْوَيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ))⁽²⁾.

والإنسان وان كان فى وجوده مركباً من جسد وروح إلا ان العرف لا يطلق عليه روحاً إلا بعد موته، وفى الحديث: (أرواح المؤمنين على صورة أبدانهم لو رأيتهم لقلت فلان وفلان)، أما قبل موته فيمكن تسميته روحاً من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل⁽³⁾.

2: الملائكة

وسميت الملائكة روحاً أو روحانيين بسبب من انهم خلقوا من روح مجردة عن الجسد المادى، قال ابن منظور: (والروحانى من الخلق: نحو الملائكة ممن خلق الله روحاً بغير جسد)⁽⁴⁾.

والملائكة وان كانوا كلهم بحسب التحقيق أرواحاً مجردة، إلا ان الآيات الكريمة وأحاديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أطلقت لفظ (الروح) أو (روح) على فئة خاصة من الملائكة، منهم جبرائيل الأمين فى قوله سبحانه: ((نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ))⁽⁵⁾، وقوله سبحانه ((فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا))⁽⁶⁾.

1- سورة النساء الآية 171.

2- سورة الحجر الآية 28 _ 29.

3- مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج 2 ص 240 باب الرءاء.

4- لسان العرب لابن منظور ج 2 ص 463 مادة روح.

5- سورة الشعراء الآية رقم 193.

6- سورة مريم الآية رقم 17.

وأطلق القرآن الروح فى قوله تعالى: ((وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنِ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)) (1)، وأراد به صنفاً من الملائكة أعظم من جبرائيل وميكائيل، فعن أبى بصير قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ((وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ)) قال: خلق من خلق الله عز وجل أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده)) (2).

3: الجن

والجن كالملائكة أرواح مجردة ولكنها وبحسب الآيات القرآنية مقرونة بجسم لطيف أوضحه القرآن بقوله: ((قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسَّجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)) (3)، فالفارق بين نبي الله آدم صلوات الله وسلامه عليه وإبليس لعنه الله هو فى مادة الجسد فأدم من تراب أو طين وإبليس من نار، والتفصيل فى هذا ليس محل بحثه هاهنا.

ثالثاً: الَّتِي حَلَّتْ بِفَنَائِكَ

و (حَلَّتْ) بمعنى نزلت فى فنائك وأصلها كما قال ابن منظور من: (حلل: حل بالمكان يحل حلولاً ومحلاً ومحلاً وحلاً وحللاً... وذلك نزول القوم بمحلة وهو تقيض الارتحال... وحله واحتل به واحتله: نزل به) (4).

1- سورة الشورى الآية 52.

2- الكافى للشيخ الكلينى ج 1 ص 273 باب الروح التى يسددها الله بها الأئمة عليهم السلام.

3- سورة الأعراف الآية رقم 12.

4- لسان العرب لابن منظور ج 11 ص 163 فصل الحاء المهملة.

وقال الزبيدي: (وحللت: نزلت، من حل الأحمال عند النزول، ثم جرد استعماله للنزول، فقييل: حل حلولاً: نزل)(1).

أما الفناء فهي المساحة الفارغة المحيطة بالقبر الشريف، قال الفراهيدي: (والفناء: سعة أمام الدار، وجمعه: الأفنية)(2)، وقال الجوهري: (وفناء الدار: ما امتد من جوانبها، والجمع أفنية)(3) وقال الشيخ الطريحي: («فناء الكعبة» بالمد: سعة أمامها. وقيل: ما امتد من جوانبها دوراً وهو حريمها خراج المملوك منها، ومثله فناء الدار، والجمع «أفنية»)(4).

رابعاً: وأناخت برحلك

رابعاً: وأناخت برحلك(5)

أناخت مأخوذة من الـ(نوخ: أنخت البعير فاستناخ ونوخته فتنوخ وأناخ الإبل: أبركها فبركت، واستناخت: بركت... والمناخ: الموضع الذي تناخ فيه الإبل. والنوخة: الإقامة)(6).

فشبهت الزيارة حلول الأرواح بفناء الإمام أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه بإناخة الإبل وبروكها على الأرض، لأن الإبل إذا ما بركت واستقر جسمها على الأرض صارت من كثرة ثباتها واستقرارها كالشيء اللاصق بالأرض، كذلك تلك

1- تاج العروس للزبيدي ج 14 ص 159 مادة حلل.

2- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج 8 ص 376 أبواب الثلاثي الصحيح من النون أبواب الثلاثي المعتل من النون باب النون والفاء و(واى ء) معهما.

3- الصحاح للجوهري ج 6 ص 2457.

4- مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج 3 ص 432.

5- هذه العبارة غير موجودة في الرواية التي اعتمدها لزيارة عاشوراء وإنما أوردناها وشرحناها طلباً للفائدة.

6- لسان العرب لابن منظور ج 3 ص 65 فصل الواو.

الأرواح التي استقرت وحلت بفناء الحسين صلوات الله وسلامه عليه فهي من شدة ملازمتها ومكوئها وبقائها بذلك الفناء صارت كالشيء اللاصق الذي لا يقبل الانفكاك والانفصال.

والرحل كما عرفه الفراهيدى بقوله: (ورحل الرجل: منزله ومسكنه)⁽¹⁾، وقال الجوهرى فى الصحاح: (الرحل: مسكن الرجل وما يستصعبه من الأثاث)⁽²⁾، وقال ابن منظور: (قال الأزهري: فقد صح أن الرجل والرحالة من مراكب الرجال ومسكنه وبيته. ويقال: دخلت على الرجل رحله أى منزله... واتتهينا إلى رحالنا أى منازلنا. والرحل: مسكن الرجل وما يصعبه من الأثاث)⁽³⁾.

ولا يخفى ان المراد بالرحل فى الزيارة هو مسكن ومثوى جسد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ومحل دفنه وموضع قبره وقبور أصحابه وأهل بيته وقبر أخيه العباس صلوات الله وسلامه عليه.

المبحث الثالث: فضل السلام وفوائد تكراره

إشارة

بعد أن بدأت الزيارة الشريفة بالسلام على الإمام أبى عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه، ثم تحولت بعد ذلك إلى تبيان أهم الأسباب التى أدت إلى مقتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بالتوضيح الذى قدمناه، عادت فى هذه الفقرة لتبيان حقيقة جديدة تتمثل فى تبيان الأهمية الكونية التى يتمتع بها موضع قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وما جاوره من الأرض التى طابت وطهرت وبوركت ببركة حلول

1- كتاب العين للخليل الفراهيدى ج 3 ص 208.

2- الصحاح للجوهرى ج 4 ص 1706.

3- لسان العرب لابن منظور ج 11 ص 275.

الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بها وتشريفه لها، بحيث صار قبره الشريف وروضته المنيفة وما يحوطها مركز اهتمام الخالق الجبار سبحانه وتعالى ومحط نزول أنبيائه ومهبط ملائكته وسكان سماواته مما يجعل هذه الترخة التي هي من ترع الجنة محور الوجود ومركز اهتمام عالم الإمكان، وهذه الحقيقة ستتضح جليا فى المبحث الرابع الذى سيلي هذا المبحث إن شاء الله تعالى.

وبما ان السلام على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه سيتكرر ذكره مرات عديدة فى فقرات هذه الزيارة المنيفة أحببنا أن نوضح بعض فوائد هذا التكرار، ونبين ان هذا التكرار لم يأتِ إلا- لهدف شريف ومهم، وانه ليس تكرارا ساذجا لا طائل منه حاشا أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أن يصدر عنهم ما هو لغو لا طائل منه ولا فائدة، وهذه الفائدة فى التكرار لا يمكن أن تعلم ويحاط بأهميتها ما لم نتعرف على الفوائد الجليلة والعظيمة للسلام، والتي تكفلت الروايات الشريفة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بتبيانها وإيضاحها بأقوال وتصريحات لا تحصي على هذه العجالة نذكر منها ما يأتى:

الفائدة الأولى: السلام سبب من أسباب المغفرة

فعن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام)(1).

الفائدة الثانية: السلام سبب لكثرة خير بيت المسلم

فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أفش السلام يكثر خير بيتك)(2).

1- () بحار الأنوار للعلامة المجلسى ج 73 ص 11 أبواب التحية والتسليم إذا سلم اليهودى والنصرانى والمشرک.

2- () ميزان الحكمة لمحمد الریشهرى ج 2 ص 1348.

الفائدة الثالثة: وفي السلام الكثير من الحسنات

قال الإمام علي صلوات الله وسلامه عليه: (السلام سبعون حسنة، تسعة وستون للمبتدئ وواحدة للراد)(1).

الفائدة الرابعة: ان المسلم يحظى برد من الملائكة

فعن إسحاق بن عمار الصيرفي قال: (دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وكنت تركت التسليم على أصحابنا في مسجد الكوفة وذلك لتقية علينا فيها شديدة فقال لي أبو عبد الله يا إسحاق متى أحدثت هذا الجفاء لإخوانك تمر بهم ولا تسلم عليهم فقلت له ذلك لتقية كنت فيها فقال ليس عليك في التقية ترك السلام وإنما عليك في التقية الإذاعة، إن المؤمن ليمر بالمؤمنين فيسلم عليهم فترد الملائكة سلام عليك ورحمة الله وبركاته)(2).

الفائدة الخامسة: المسلم يحظى بالرد من قبل إمامه المعصوم صلوات الله وسلامه عليه

ان الزائر لقبر إمامه المعصوم صلوات الله وسلامه عليه يحظى برد السلام من الإمام المسلم عليه نفسه، وذلك لأن سلام الزائر على إمامه مستحب، ولكن رد هذا السلام من الإمام صلوات الله وسلامه عليه واجب كما قال الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه: (السلام تطوع والرد فريضة)(3) وحاشى الإمام أن يخل بواجب ويضيع فريضة.

فمن أراد أن يكلمه إمامه المعصوم وان يرد عليه الجواب فليسلم عليه صلوات الله وسلامه عليه، وأفضل أنواع السلام هو ما جاء على لسان الزيارات الشريفة ومنها هذه الزيارة الجليلة القدر العظيمة الفائدة.

1- () بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 73 ص 11 أبواب التحية والتسليم إذا سلم اليهودي والنصراني والمشرک.

2- جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردى - ج 15 - ص 585

3- () الكافي للشيخ الكليني ج 2 ص 644.

الفائدة السادسة: في السلام تكامل لروح الزائر المسلم

ان الحضور عند الإمام والتعلق بتربته ومخاطبته بالسلام يحدث في النفس تأثيرا روحانيا غيبيا يتكامل من خلاله الإنسان الزائر مستمدا ذلك كله من إمامه المعصوم، وهذه الحقيقة قد اقر بها الموافق والمخالف، قال فخر الدين الرازي: (إن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قوى النفس كامل الجوهر شديد التأثير ووقف هناك ساعة وتأثرت نفسه من تلك التربة حصل لنفس الزائر تعلق بتلك التربة وقد عرفت أن لنفس الميت تعلقا بتلك التربة أيضا فحينئذ يحصل لنفس هذا الزائر الحي ولنفس ذلك الإنسان الميت ملاقة بسبب اجتماعهما على تلك التربة فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرأتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من واحدة منهما إلى الأخرى فكل ما حصل في نفس هذا الزائر الحي من المعارف البرهانية والعلوم الكسبية والأخلاق الفاضلة من الخضوع لله تعالى والرضى بقضاء الله، ينعكس منه نور إلى روح ذلك الإنسان الميت وكل ما حصل في نفس ذلك الإنسان الميت من العلوم المشرفة والآثار العلوية الكاملة فإنه ينعكس منه نور إلى روح هذا الزائر الحي، وبهذا الطريق تصير تلك الزيارة سببا لحصول المنفعة الكبرى والبهجة العظيمة لروح الزائر ولروح المزور، فهذا هو السبب الأصلي في مشروعية الزيارة، ولا يبعد أن يحصل فيها أسرار أخرى أدق وأحق مما ذكرناه، وتمام العلم بالحقائق ليس إلا عند الله(1).

فالزائر للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه ولروضته التي هي ترعة من ترع الجنة يحظى بوقوفه وسلامه على إمامه صلوات الله وسلامه عليه بهذه الزيارة العظيمة بكل هذه الفوائد والألطف الإلهية، وواحدة من علل التكرار للسلام في الزيارة تكرر لكل ذلك الثواب وزيادة لجميع تلك الألطف التي يحاط بها الشخص المسلم.

1- () المطالب العالية للفخر الرازي الفصل الثامن عشر في بيان كيفية الانتفاع بزيارة القبور والموتى، وراجع الفيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوى ج 5 ص 622.

المبحث الرابع: المقصود من الأرواح التي ورد ذكرها في هذه الفقرة

إشارة

لا- يخفى ان الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه في هذه الزيارة الشريفة استعمل في لفظ الأرواح الألف واللام، ومعلوم ان الجمع المحلى بالألف واللام يدل على العموم، فتدخل وبناءً على هذا العموم مصاديق متعددة كثيرة، وقد خص الإمام صلوات الله وسلامه عليه بالذكر مصاديقين من مصاديق ذلك العام وهما كل من:

الأرواح التي حلت بفناء قبر الإمام أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه

والحلول لفظ مطلق غير مقيد بالحلول الدائم، فيشمل كلاً من الحلول الدائم والمؤقت، لان الذي يحل بقبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وينزل بجواره يوماً أو ساعة من النهار يصح أن يقال حل فيه لمدة يوم أو ساعة، كما يصح أن يقال للحاج الذي يقف بعرفة لساعة من الزمن أو اقل انه وقف يوم عرفات، إذ ان مسمى الوقوف يكفي في صحة إطلاق الوصف عليه(1).

وهذا الوصف بهذا التوضيح يشمل كل الشهداء السعداء الذين بذلوا مهجهم دون سيدهم وإمامهم الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، وكذلك يشمل أبناء الحسين وبقية أهل بيته وأخاه أبا الفضل العباس صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

1- ويشهد لهذا المعنى أيضاً ما أخرجه الشيخ الكليني قدس الله روحه في (الكافي ج 8 ص 348 __ 349 نصائح لقمان لابنه في آداب السفر) عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (قال لقمان لابنه: إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتك إياهم في أمرهم وأمورهم وأكثر التبسم في وجوههم... وإذا أردت النزول فعليك من بقاع الأرض بأحسنها لونا وألينها تربة وأكثرها عشباً وإذا نزلت فصل ركعتين قبل أن تجلس وإذا أردت قضاء حاجة فابعث المذهب في الأرض وإذا ارتحلت فصل ركعتين وودع الأرض التي حللت بها وسلم عليها وعلى أهلها فإن لكل بقعة أهلاً من الملائكة...) ومحل الشاهد في قوله صلوات الله وسلامه عليه (وودع الأرض التي حللت بها) ففيها دليل على ان الحلول لا يستلزم الاستقرار والبقاء الطويل الأمد، فيصدق على المكث والنزول بمكان لمدة محدودة كما يصدق على النزول والمكث الطويل.

لان الجميع حال بفناء إمامه ومقيم بضيافة مولاه.

وكذلك يشمل زوار قبر أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه من الأنبياء والأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والملائكة والمؤمنين الذين يستأذنون الله سبحانه بزيارة قبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فيمكنون ويحلون بقبر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وحرمة من الزمان ما شاء لهم الله سبحانه ان يحلوا ويمكثوا، وقد تحدثت الروايات الشريفة عن هؤلاء الزوار الكرام بصورة مفصلة وأحاديث كثيرة نختار منها فيما يأتي عشر روايات:

الرواية الأولى: عن ابن سنان، عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (قبر الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهما عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً مكسراً روضة من رياض الجنة، وفيه معراج الملائكة إلى السماء، وليس من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا وهو يسأل الله أن يزوره، ففوج يهبط وفوج يصعد)(1).

الرواية الثانية: عن داود الرقي، قال: (سمعت أبا عبد الله صلوات الله وسلامه عليه يقول: ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة، وانه ينزل من السماء كل مساء سبعون ألف ملك يطوفون بالبيت الحرام ليلتهم، حتى إذا طلع الفجر انصرفوا إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، ثم تنزل ملائكة النهار سبعون ألف ملك، فيطوفون بالبيت الحرام نهارهم، حتى إذا غربت الشمس انصرفوا إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه، ثم يعرجون إلى السماء قبل أن تغيب الشمس)(2).

1- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 222.

2- المصدر نفسه.

الرواية الثالثة: عن الفضل بن يحيى، عن أبيه، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، قال: (زوروا كربلاء ولا تقطعوه، فإن خير أولاد الأنبياء ضمته، ألا وان الملائكة زارت كربلاء ألف عام من قبل ان يسكنه جدى الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وما من ليلة تمضى إلا وجبرائيل وميكائيل يزوران، فاجتهد يا يحيى أن لا تفقد من ذلك الموطن)(1).

الرواية الرابعة: عن يونس، عن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه، قال: (من زار قبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه فقد حج واعتمر، قال: قلت: يطرح عنه حجة الإسلام، قال: لا، هي حجة الضعيف حتى يقوى ويحج إلى بيت الله الحرام، أما علمت أن البيت يطوف به كل يوم سبعون ألف ملك حتى إذا أدركهم الليل سعدوا ونزل غيرهم فطافوا بالبيت حتى الصباح، وان الحسين صلوات الله وسلامه عليه لأكرم على الله من البيت، وانه فى وقت كل صلاة لينزل عليه سبعون ألف ملك شعث غبر لا تقع عليهم النوبة إلى يوم القيامة)(2).

الرواية الخامسة: عن أبان، عن أبي حمزة الثمالى، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، قال: (ان الله وكل بقبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه أربعة آلاف ملك شعث غبر يبيكونه من طلوع الفجر إلى زوال الشمس، فإذا زالت الشمس هبط أربعة آلاف ملك وصعد أربعة آلاف ملك، فلم يزل يبيكونه حتى يطلع الفجر)(3).

الرواية السادسة: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، قال: وكّل الله تعالى بالحسين صلوات الله وسلامه عليه سبعين ألف ملك، يصلون عليه كل يوم شعثا غبرا

1- كامل الزيارات: ص 453.

2- المصدر نفسه: ص 299.

3- المصدر نفسه: ص 175.

منذ يوم قتل إلى ما شاء الله __ يعني بذلك قيام القائم صلوات الله وسلامه عليه (1).

الرواية السابعة: عن عبد الملك بن مقرن، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، قال: (إذا زرتم أبا عبد الله صلوات الله وسلامه عليه فالزموا الصمت إلا من خير، وإن ملائكة الليل والنهار من الحفظة تحضر الملائكة الذين بالحائر فتصافحهم فلا يجيبونها من شدة البكاء فينتظرونهم حتى تزول الشمس وحتى ينور الفجر، ثم يكلمونهم ويسألونهم عن أشياء من أمر السماء، فأما ما بين هذين الوقتين فإنهم لا ينطقون ولا يفترون عن البكاء والدعاء، ولا يشغلونهم في هذين الوقتين عن أصحابهم، وإنما شغلهم بكم إذا نطقتم).

قلت: جعلت فداك وما الذى يسألونهم عنه وأيهم يسأل صاحبه الحفظة أو أهل الحائر، قال: أهل الحائر يسألون الحفظة، لأن أهل الحائر من الملائكة لا يبرحون والحفظة تنزل وتصعد.

قلت: فما ترى يسألونهم عنه؟ قال: انهم يمرون إذا عرجوا بإسماعيل صاحب الهواء، فربما وافقوا النبي صلوات الله وسلامه عليه وعنده فاطمة والحسن والحسين والأنمة، من مضى منهم، فيسألونهم عن أشياء وعمن حضر منكم الحائر ويقولون: بشروهم بدعائكم، فتقول الحفظة: كيف نبشرهم وهم لا- يسمعون كلامنا، فيقولون لهم: باركوا عليهم وادعوا لهم عنا، فهي البشارة منا، فإذا انصرفوا فحفوهم بأجنتكم، حتى يحسوا مكانكم، وأنا نستودعهم الذى لا تضيع ودائعه.

ولو يعلموا ما فى زيارته من الخير ويعلم ذلك الناس لا يقتتلوا على زيارته بالسيف، ولباعوا أموالهم فى إتيانه، وإن فاطمة صلوات الله وسلامه عليها إذا نظرت إليهم ومعها ألف نبي وألف صديق وألف شهيد ومن الكرويين ألف ألف يسعدونها على البكاء، وإنها لتشهب شهقة، فلا تبقى فى السماوات ملك إلا بكى رحمة لصوتها، وما تسكن

حتى يأتيها النبي صلوات الله وسلامه عليه فيقول: يا بنية قد أبكيت أهل السماوات وشغلتمهم عن التسييح والتقدّيس فكفى حتى يقدسوا، فإن الله بالغ أمره، وانها لتتظر إلى من حضر منكم، فتسأل الله لهم من كل خير، ولا تزهّدوا في إتيانه، فإن الخير في إتيانه أكثر من أن يحصى(1).

الرواية الثامنة: عن عبد الله بن حماد البصرى، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه قال: قال لى: (فى قربكم لفضيلة ما أوتى أحد مثلها، وما أحسبكم تعرفونها كنه معرفتها، ولا تحافظون عليها ولا على القيام بها، وأن لها لأهلا خاصة قد سموها وأعطوها بلا حول منهم ولا قوة، إلا ما كان من صنع الله لهم، وسعادة حباهم بها ورحمة ورأفة وتقدم.

قلت: جعلت فداك وما هذا الذى وصفت ولم تسمه؟ قال: زيارة جدى الحسين صلوات الله وسلامه عليه، فإنه غريب بأرض غربة، يبكيه من زاره، ويحزن له من لم يزره، ويحترق له من لم يشهده، ويرحمه من نظر إلى قبر ابنه عند رجله فى أرض فلاة... قد أوحش قلبه فى الوحدة والبعد عن جده، والمنزل الذى لا يأتيه إلا من امتحن الله قلبه للإيمان وعرفه حقنا... فقال صلوات الله وسلامه عليه: هل تدرى ما فضل من أتاه، وماله عندنا من جزيل الخير؟ فقلت: لا، فقال: أما الفضل فيباهيه ملائكة السماء، وأما ماله عندنا فالترحم عليه كل صباح ومساء، ولقد حدثنى أبى صلوات الله وسلامه عليه: أنه لم يخل مكانه منذ قتل من مصل يصلى عليه من الملائكة، أو من الجن، أو من الإنس، أو من الوحش، وما من شىء إلا وهو يغبط زائرته ويتمسح به، ويرجو فى النظر إليه الخير لنظره إلى قبره(2).

1- كامل الزيارات ص 177.

2- مستدرک الوسائل للميرزا النورى ج 10 ص 251 __ 252.

الرواية التاسعة: عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله صلوات الله وسلامه عليه: (كأنى والله بالملائكة قد زاحموا المؤمنين على قبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه، قال، قلت: فيتراؤون؟ قال: هيهات هيهات، قد لزموا والله المؤمنين، حتى أنهم ليمسحون وجوههم بأيديهم، قال، وينزل الله على زوار الحسين صلوات الله وسلامه عليه غدوة وعشية من طعام الجنة، وخدامهم الملائكة، لا يسأل الله عبد حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا أعطها إياه، قال، قلت: هذه والله الكرامة، قال: يا مفضل أزيدك؟ قلت: نعم سيدي، قال: كأنى بسرير من نور قد وضع، وقد ضربت عليه قبة من ياقوتة حمراء مكللة بالجوهر، وكأنى بالحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهما جالس على ذلك السرير، وحوله تسعون ألف قبة خضراء، وكأنى بالمؤمنين يزورونه، ويسلمون عليه، فيقول الله عز وجل لهم: أوليائي سلوني فطالما أوذيتم، وذللتهم، واضطهدتم، فهذا يوم لا تسألوني حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها لكم، فيكون أكلهم وشربهم من الجنة، فهذا والله الكرامة التي لا انقضاء لها، ولا انتهاها شيء) (1).

الرواية العاشرة: وفي الزيارة ورد: (السلام عليك أيها الإمام الهادي الزكي وعلى أرواح حلت بفنائك وأقامت في جوارك ووفدت مع زوارك السلام عليك منى ما بقيت وبقي الليل والنهار فلقد عظمت بك الرزية) (2).

فالإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه كما مر في هذه الروايات العشر يزوره كل نبي وكل ملك مقرب كما في الرواية الأولى، يزوره ملائكة الليل وملائكة النهار كما في الرواية الثانية، يزوره جبرائيل وميكائيل كل ليلة كما في الرواية الثالثة، وينزل عليه في كل وقت صلاة سبعون ألف ملك لا تصلهم نوبة زيارته صلوات الله وسلامه عليه مرة ثانية إلى

1- بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 98 ص 73.

2- جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردى ج 12 ص 418.

يوم القيامة كما فى الرواية الرابعة، وأربعة آلاف ملك ييكونه صلوات الله وسلامه عليه إلى وقت الزوال وأربعة آلاف آخرون ييكونه من الزوال إلى الفجر كما فى الرواية الخامسة، وسبعة آلاف ملك مهمتهم الصلاة على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه حتى يقوم القائم كما فى الرواية السادسة، ويوره ملائكة الليل والنهار من الحفظة كما فى الرواية السابعة، ولا يخلو مرقد الشريف منذ قتل إلى يوم القيامة من مصل يصلى عليه من الملائكة أو الجن أو الإنس أو الوحوش كما فى الرواية الثامنة، ويوره المؤمنون ويسلمون عليه كما فى الرواية التاسعة، وتوره بعض الملائكة الذين يفدون عليه مع زواره من الأحياء كما فى الرواية العاشرة ولعلمهم الكرام الكاتبون الموكلون بكل إنسان مكلف، ولعلمهم صنف آخر قد حجب عنا خبرهم.

فالإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه فى هذا الفقرة من زيارة عاشوراء يغتنم الفرصة ليسلم على من هو موجود فى تلك الساعة من أرواح الأنبياء والرسل والأوصياء والملائكة والمؤمنين من الجن والإنس ممن يكون حلولهم ومكوثهم فى حرم الحسين مؤقتا غير دائم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الأرواح التى أناخت بقبر الإمام أبى عبد الله الحسين بن على صلوات الله وسلامه عليه

وهى التى استقرت إلى جواره من غير مفارقة، حتى صارت من شدة ملازمتها ومكوثها وبقائها بذلك الفناء كالشئ اللاصق الذى لا يقبل الانفكاك والانفصال. وقد تحدثت متون الزيارات الشريفة للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه عن عدة أصناف منهم، فمنهم الشهداء الذين قدموا أنفسهم قرابين لنيل مرضاة الله سبحانه وتعالى ورضا إمامهم صلوات الله وسلامه عليه، وقد تمت الإشارة إليهم فى زيارة أخرى بالقول: (السلام عليك وعلى الأرواح التى حلت بفنائك وأناخت بساحتك، وجاهدت فى الله معك، وشرت

نفسها ابتغاء مرضاة الله فيك(1)، السلام على الملائكة المحققين بك(2).

وهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين المذكورون في هذه الزيارة الأخرى: (السلام عليكم أيها الأرواح التي حلت بفناء قبر الحسين وأناخت برحله. أشهد أنكم أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم الملحدين، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين)(3).

ومنهم الملائكة المذكورون بالقول: (السلام على ملائكة الله الذين هم في هذا المشهد بإذن الله مقيمون)(4).

ومنهم الملائكة المذكورين بالقول: (السلام على ملائكة الله الذين هم مقيمون في هذا الحائر بإذن ربهم السلام على ملائكة الله الذين هم في هذا الحائر يعملون ولأمر الله مسلمون... اللهم إني استشفع إليك بولد حبيبي وبالملائكة الذين يضحون عليه ويكون ويصرخون لا يفترون ولا يسأمون وهم من خشيتك مشفقون ومن عذابك حذرون لا تغيرهم الأيام ولا ينهزمون من نواحي الحير يشهقون وسيدهم يرى ما يصنعون وما فيه يتقلبون قد انهملت منهم العيون فلا ترقأ واشتد منهم الحزن بحرقه لا تطفى)(5).

ولعل هنالك ما لا يحصيه إلا الله من أصناف الملائكة من الذين حجب عنا العلم بهم أو لم نستوفهم إحصاءً في بحثنا هذا الذي جاء على عجلة، فجميع هؤلاء الأطهار يشملهم خطاب (وأناخت برحله) فصلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

-
- 1- المقصود من هذه العبارة هم الشهداء السعداء من أصحاب الحسين وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فهم الذين جاهدوا في الله معه، وشروا أنفسهم فيه ابتغاء مرضاة الله.
 - 2- إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج 3 ص 65 __ 70.
 - 3- بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 98 ص 195 __ 196.
 - 4- المزار للشيخ المفيد ص 104 __ 105.
 - 5- جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردى ج 12 ص 477 __ 486.

عَلَيْكُمْ مِنْ جَمِيعاً سَلَامُ اللَّهِ أَبَداً مَا بَقِيََتْ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

إشارة

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة من الزيارة

المبحث الثاني: تبيان ألفاظ هذه الفقرة من الزيارة

1: عليكم مني جميعاً

2: سلام الله

3: أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار

المبحث الثالث: في معنى سلام الله سبحانه وتعالى

أولاً: السلام اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى

ثانياً: مراتب إفاضة السلامة على سائر البشر

ثالثاً: سلام الله سبحانه مرافق لأهل البيت عليهم السلام في جميع العوالم

ألف: سلامتهم عليهم السلام في عالم الأشباح والأنوار

باء: سلامتهم عليهم السلام في عالم الطينة

جيم: سلامتهم عليهم السلام في عالم الأظلة

دال: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الذر

هاء: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الأصلاب

رابعاً: فائدة الخوض في مثل هذا البحث

ألف: ان معرفة الله حق معرفته متوقف على معرفة الأئمة حق معرفتهم

باء: ان معرفتهم عليهم السلام توجب مضاعفة الحسنات

جيم: ان دخول الجنة متوقف على المعرفة وازديادها يوجب الترقى في درجاتها

عَلَيْكُمْ مِنِّي جَمِيعاً سَلَامُ اللَّهِ أَبَدًا مَا بَقِيَتْ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

فى هذه الفقرة الشريفة من الزيارة عدة من المباحث المهمة نستعرضها فيما يأتى من الكلام بحسب ما تتيحه لنا المكنة والتوفيق:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة من الزيارة

توجيه السلام من قبل الله سبحانه وتعالى للإمام أبى عبد الله الحسين مما اشتهر على لسان الروايات الشريفة والزيارات التى وردت عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فى حق الإمام الشهيد وأهل بيته وأصحابه الذين بذلوا مهجهم دونه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ونحن نورد فيما يأتى جملة من تلك الموارد:

فعن جعفر بن محمد بن قولويه قدس الله روحه قال: (حدثنى محمد بن جعفر الرزاز

الكوفى، عن محمد بن الحسين بن أبى الخطاب، عن عبد الرحمان بن أبى نجران، عن يزيد بن إسحاق شعر، عن الحسن بن عطية، عن أبى عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، قال: إذا دخلت الحائر فقل: اللهم إن هذا مقام أكرمتنى به وشرفتنى به، اللهم فأعطنى فيه رغبتى على حقيقة إيمانى بك وبرسلك، سلام الله عليك يا ابن رسول الله، وسلام ملائكته، فيما تروح وتغتدى به الرائحات الطاهرات لك [وعليك\(1\)](#).

ونقل العلامة المجلسى زيارة أخرى جاء فيها: (تقف على باب قبته الشريفة وتقول: اللهم صل على محمد وآل محمد وأعطنى فى هذا المقام رغبتى على حقيقة إيمانى بك وبرسولك وبولاة أمرك، الحرم حرم الله وحرم رسوله و حرمك يا مولاي... وصلوات الله وبركاته وتحياته عليك وعلى آبائك الطيبين المنتجبين... سلام الله عليك ورحمة الله وبركاته يا ابن سيد العالمين، وعلى المستشهدين معك سلاما متصلا ما اتصل الليل والنهار)[\(2\)](#).

وعن الشهيد الأول فى كتابه المزار قال: (دعاء آخر يستحب أن يدعى به عقب صلاة الزيارة لأمير المؤمنين عليه السلام. يا الله يا الله يا الله يا الله يا محب دعوة المضطرين ويا كاشف كرب المكروبين ويا غياث المستغيثين ويا صريخ المستصرخين... يا أمير المؤمنين ويا أبا عبد الله عليهما منى سلام الله أبدا ما بقى الليل والنهار ولا جعله الله آخر العهد من زيارتكما ولا فرق الله بينى وبينكما)[\(3\)](#).

وقد تركنا ذكر المزيد من الموارد والشواهد خوف الإطالة والخروج عن المقصود.

1- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 358.

2- بحار الأنوار للعلامة المجلسى ج 98 ص 222 __ 224.

3- المزار للشهيد الأول ص 55 __ 59.

المبحث الثاني: تبيان ألفاظ هذه الفقرة من الزيارة

1: عليكم منى جميعا

ضمير الجمع في (عليكم) عائد إلى من مر ذكره في الفقرة السابقة، وهم كل من شخص الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وبقية الأرواح التي حلت بفناء الحسين صلوات الله وسلامه عليه، وأناخت برحله الطاهر، فيكون قصد الإمام ان هؤلاء جميعا وبلا استثناء عليهم منى سلام الله أبدا ما بقيت وبقى الليل والنهار.

و(منى) قد يقصد بها الزائر نفسه فتكون الجملة بذلك إنشائية، ويكون الزائر طالبا من الله سبحانه توجيه السلام لشخص الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وللأرواح التي حلت بفنائه وأناخت برحله.

وقد يكون الضمير راجعا إلى الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه الذي خرجت هذه الزيارة على لسانه، وتكون الجملة بذلك إخبارية، وتكون مخبرة عن وقوع هذا السلام من الله فيما سبق، أو انه قد وقع وما زال مستمرا ما بقى الليل والنهار.

و(جميعا) لفظ دال على الشمول، وفيه إشارة إلى أن سلام الله الموجه في الزيارة شامل للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأصحابه وجميع الأرواح التي حلت بفنائه وأناخت برحله.

2: سلام الله

سيأتي لاحقا بحث مفصل حول معنى سلام الله سبحانه ومراتب تحققه بالنسبة للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وبقية الأرواح التي حلت بفناء الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأناخت برحله.

3: أبدا ما بقيت وبقى الليل والنهار

والأبد لفظ يدل على طول المدة وامتداد زمن الفعل، قال الجوهري: («أبد»: الأبد: الدهر، والجمع آباد وأبود... والأبد أيضا: الدائم)(1). وقال الزبيدي في تاج العروس: (الأبد، محرّكة: الدهر مطلقا، وقيل: هو الدهر الطويل الذى ليس بمحدود. ج آباد وأبود... والأبد: الدائم... والأبد القديم الأزلى... قال الراغب فى المفردات: الأبد، بالتحريك، عبارة عن مدة الزمان الممتد الذى لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان وذلك أنه يقال زمان كذا، ولا يقال أبد كذا)(2).

فيصبح معنى العبارة (عليكم منى جميعا سلام الله دائما ممتدا ما امتد بقائى وما دام لليل والنهار وجود).

وفى ذلك إشارة إلى أن الزائر فى هذه الفقرة الشريفة من الزيارة يريد أن يمتد سلامه وسلام الله سبحانه على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وعلى الأرواح التى حلت بفنائهم وأناخت برحله لأبعد مدّة زمنية ممكنة، والتى أشار إلى ثلاثة منها وهى:

ألف: تمام مدة حياة الزائر وهى التى عبرت عنها الفقرة بلفظ (أبدا ما بقيت).

باء: تمام ما يتبقى من عمر الدنيا، وهو ما عبرت عنه الفقرة بـ (وبقى الليل والنهار).

جيم: تمام مدة بقائه فى البرزخ والقبر، إذ ان عالم القبر والبرزخ مشمول أيضا بنظام الليل والنهار، إما بنفس النظام الموجود فى عالم الدنيا، أو بنظام يتناسب وذلك العالم، وفى قوله تعالى: ((جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا * لَا

1- الصحاح للجوهري ج 2 ص 439 فصل الألف.

2- تاج العروس للزبيدي ج 4 ص 327 فصل الهمزة مع الدال المهملة.

يَسَّ مَعُونَ فِيهَا لَعُونًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا»(1) إشارة واضحة إلى حقيقة ان للبرزخ ليلاً ونهاراً وبكرة وعشيا، فعن علي بن إبراهيم القمي قدس الله روحه في تفسير هذه الآية قال: (حدثني محمد بن جعفر قال حدثني محمد بن أحمد عن يعقوب بن يزيد عن يحيى بن المبارك عن عبد الله بن جبلة عن رجل عن أبي عبد الله صلوات الله عليه: ... قال: ذلك في جنات الدنيا قبل القيامة والدليل على ذلك قوله: بكرة وعشيا فالبكرة والعشى لا تكون في الآخرة في جنات الخلد وإنما يكون الغدو والعشى في جنات الدنيا التي تنتقل إليها أرواح المؤمنين وتطلع فيها الشمس والقمر)(2).

المبحث الثالث: في معنى سلام الله سبحانه وتعالى

إشارة

اختلفت الأقوال في تفسير وتبيان معنى دقيق ومتفق عليه للسلام الإلهي، فمنهم من ذهب إلى ان السلام من الله سبحانه بمعنى هبة السلامة منه لعباده، وفي هذا الصدد يقول الشيخ مكارم الشيرازي: (وفي آية أخرى إشارة واضحة إلى أن السلام هو التحية حيث تقول: فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله ويمكن الاستدلال من هذه الآية على أن عبارة «السلام عليكم» هي في الأصل «سلام الله عليكم» أي ليهبك الله السلامة والأمن)(3).

وذهب بعضهم إلى أن (سلام الله) يعني (أمان الله) قال علي بن إبراهيم القمي في تفسير قوله تعالى ((سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ)) (4): (السلام منه تعالى يعني الأمان)(5).

1- سورة مريم الآية رقم 61 __ 62.

2- تفسير القمي لعلي بن إبراهيم القمي ج 2 ص 52 تفسير سورة مريم.

3- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج 3 ص 366 __ 367.

4- سورة يس الآية رقم 58.

5- تفسير القمي لعلي بن إبراهيم القمي ج 2 ص 216 الجزء 23.

وقال المولى محمد صالح المازندراني: (سلام الله هو الرحمة والسلام من الآفات في الدنيا والمكارة في الآخرة)(1).

وقال السيد فاخر الموسوي: (إن الله يبعث بالسلام لكل إنسان مؤمن حاملاً أنواعاً من السلامة له في الحياة الدنيا وفي الآخرة مصاحبة له ما دام مصاحباً لمقتضاها وهو الهدى والإيمان قال تعالى: «والسلام على من اتبع الهدى»...)(2).

وقال في مكان آخر: (إن في حياة الإنسان وانتقاله من عالم إلى عالم آخر ثلاثة أيام صعبة: يوم يضع قدمه في هذه الدنيا: «يوم ولد» ويوم موته وانتقاله إلى عالم البرزخ: «ويوم يموت» ويوم بعثه في العالم الآخر الغريب عنه: «ويوم يبعث حياً»، ولما كان من الطبيعي أن تكون هذه الأيام مرافقة للاضطرابات والقلق فإن الله تعالى يكتنف خاصة عباده بسلامة، وعافية ويجعل هؤلاء في ظل حمايته، ومنعته في هذه المراحل المتلازمة الثلاثة، فيحتاج حينئذ إلى فيض السلامة والهدوء والطمأنينة)(3).

وهذه الأقوال وإن كانت جميعها تدرج تحت عنوان السلام والتي أخذت بمجموعها من المعنى اللغوي لكلمة السلام(4)، أو مشتقة من اسم السلام الذي هو أحد الأسماء الإلهية الحسنى، وهي صحيحة إلى حد ما، إلا أنها تبقى قاصرة عن تبيان المعنى الحقيقي لسلام الله سبحانه على الأنمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ويمكن لنا فيما يأتي وبلاستفادة من الجمع ما بين المعنى اللغوي والدليل

1- شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج 11 ص 109.

2- التجلي الأعظم للسيد فاخر الموسوي ص 126 معنى السلام على وجه العموم.

3- المصدر السابق ص 127 معنى السلام في أشد حالات الإنسان.

4- قال ابن منظور في (لسان العرب ج 12 ص 290 __ 291) (والسلام: السلامة. والسلام: الله عز وجل، اسم من أسمائه لسلامته من النقص والعيب والفناء... والسلام في الأصل: السلامة، يقال: سلم يسلم سلاماً وسلاماً، ومنه قيل للجنة: دار السلام لأنها دار السلامة من الآفات).

الروائي ان نخرج بمعنى جديد لحقيقة السلام الإلهي، يجمع ما بين كل تلك المعاني السابقة وما بين الحقائق الروائية التي بينها أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذا المعنى سنتدرج في بيانه ليسهل على القارئ الكريم فهمه واستيعابه.

أولاً: السلام اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى

إشارة

السلام اسم سمي الله به نفسه في محكم كتابه العزيز حيث قال تعالى: ((هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِمِّنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ)) (1)، وعن النبي. انه قال: (السلام اسم من أسماء الله تعالى فأفشوه بينكم فإن الرجل المسلم إذا مر بالقوم فسلم عليهم فإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم وأطيب) (2)، وعن الإمام أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (سلم عمار على رسول الله. وهو في الصلاة فرد عليه ثم قال أبو جعفر صلوات الله وسلامه عليه إن السلام اسم من أسماء الله تعالى) (3).

ويمكن أن نتزع من هذا الاسم المبارك معنيين اثنين وباعتبارين:

المعنى الأول

أن يكون السلام وصفاً لذاته المقدسة ويقصد به (سلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء) (4)، قال ابن منظور: (والسلام: الله عز وجل، اسم من أسمائه لسلامته من النقص والعيب والفناء، حكاه ابن قتيبة، وقيل: معناه أنه سلم

1- سورة الحشر الآية رقم 23.

2- روضة الواعظين للفتال النيسابوري ص 459.

3- من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج 1 ص 368 التسليم على المصلي وجوابه.

4- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين احمد بن فارس زكريا ج 3 ص 90 باب السين واللام وما يثلثهما مادة سلم.

مما يلحق الغير من آفات الغير والفناء، أنه الباقي الدائم الذى تفنى الخلق ولا يفنى، وهو على كل شىء قدير(1).

المعنى الثانى

أن يكون السلام وصفاً لأفعاله سبحانه، بوصفه مصدر السلام بكل ما للسلام من معنى، ومفيض السلامة، ومانح السلامة لعباده ومخلوقاته، وإليها يشير قوله تعالى: ((قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنَمَتُّهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)) (2).

والى كلا القسمين يشير الدعاء الذى ورد بصيغ وروايات متعددة عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والقائل: (اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يرجع السلام) (3).

ثانياً: مراتب إفاضة السلامة على سائر البشر

لم يجعل الله سبحانه أطفاه وعطاياه ومواهبه فى دار الدنيا خاصة بالمؤمنين دون غيرهم، ولا بالأولياء عمن سواهم، بل كان فيض عطائه ورحمته شاملاً- لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، ومن يسأله من عباده ومن لم يسأله منهم، صغيرهم وكبيرهم، أبرارهم وفجارهم، وهى ما يطلق عليها فى علم العقائد بالرحمة العامة، أو اللطف العام، وهى التى تمت إليها الإشارة فى قوله تعالى: ((وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ)) (4)، وأشير إليها فى الدعاء المشهور: (يا من أرجوه لكل خير، وآمن سخطه عند

1- لسان العرب لابن منظور ج 12 ص 290.

2- سورة هود الآية رقم 48.

3- مصباح المتهجد للشيخ الطوسى ص 322 صلاة الهدية.

4- سورة الأعراف الآية رقم 156.

كل شر، يا من يعطى الكثير بالقليل، يا من يعطى من سأله، يا من يعطى من لم يسأله ومن لم يعرفه تحننا منه ورحمة، أعطى بمسألتى إياك جميع خير الدنيا وجميع خير الآخرة، واصرف عنى بمسألتى إياك جميع شر الدنيا وشر الآخرة، فإنه غير منقوص ما أعطيت، وزدنى من فضلك يا كريم(1).

ولكن هنالك رحمة أخرى ولطف ثانٍ أطلق عليه اسم الرحمة الخاصة أو اللطف الخاص، وهى الرحمة التى كتبها الله سبحانه لعباده المؤمنين المخلصين، فمن عدله سبحانه وحكمته انه لم يساوٍ فى مواهبه وعطاياه ورحمته بين المؤمن وغيره، وبين من جحد وكفر وتكبر عن عبادته وبين من آمن وأجاب وافر بوحدانيتها وأطاعه فى أوامره ونواهيه وتكاليفه، لا فى تساوى كلا الصنفين ظلم للمطيع وإجحاف فى حق المؤمن تعالى الله عن هذا الظلم علوا كبيرا، لذلك وتحقيقا للعدل خص الله سبحانه المؤمنين به بمزيد اللطاف ونعم اجتباهم وخصهم بها، وقد أشار الله سبحانه إلى هذه الحقيقة فى آيات كثيرة من كتابه العزيز، كقوله تعالى: ((وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ)) (2)، وقوله تعالى: ((وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا)) (3).

ومن عدله سبحانه أيضا انه لم يساوٍ فى رحمته ولطفه وعطاياه بين المؤمنين أنفسهم، لأنهم ليسوا على مستوى واحد من الإيمان والإخلاص والعبادة والطهارة والكمال، فلا بد والحال هذه ان تكون مراتب فيضه ودرجات رحمته متناسبة مع درجات أولئك المؤمنين، فكلما كان إيمان احدهم وإخلاصه وكماله اشد كانت

1- إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج 3 ص 211

2- سورة الأعراف الآية رقم 156.

3- سورة الأحزاب الآية رقم 43.

الرحمة به أكبر واللفظ عليه أعظم، وهذه الحقيقة هي من الحقائق القرآنية التي تحدثت عنها الآيات المباركة بما لا يدع للباحث أى شك فى ذلك، قال تعالى: ((لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)) (1)، فمع ان الله سبحانه فى هذه الآية قد وعد كل أولئك الحسنى إلا أن أجر المجاهدين على غيرهم من المؤمنين القاعدين يبقى عظيما.

وقال تعالى: ((أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ)) (2)، ففضيل الأكمل على غيره بالألطف والنعم والأجر والكرامة هو من السنن الإلهية وقوانين عالم الإمكان ((سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا)) (3).

ثم لكون النبى الأكرم. وأهل بيته الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم أفضل المؤمنين، وسادة المتقين، وهم أكمل من أوجده الله سبحانه منذ أن خلق آدم صلوات الله وسلامه عليه إلى آخر يوم من أيام الدنيا، فمن العدل والطبعى أن يميزهم الله سبحانه وتعالى بالألطف وخصائص لا يشاركهم فيها أحد من الإنس والجان حتى أولو العزم من الرسل والأنبياء، بل وحتى الملائكة المقربون الكرام فضلا عن غيرهم من سائر الأنام.

فينبغى وفقا لما مر ان يكون نصيبهم من الرحمة الإلهية أعظم من كل نصيب، ويكون اختصاصهم باللفظ الإلهى أكبر من جميع اختصاصات باقى العالمين،

1- سورة النساء الآية رقم 95.

2- سورة الزمر الآية رقم 9.

3- سورة الأحزاب الآية 62.

بوصفهم الأكمل والأفضل، ومن النعم التي اختصهم الله بها دون العالمين هي نعمة السلام والسلامة التي رافقتهم في جميع العوالم التي سبقت عالم الدنيا وفي عالم الدنيا وما بعده من العوالم كما سنتعرض إلى تفصيل هذا الأمر فيما يأتي من الكلام.

ثالثاً: سلام الله سبحانه مرافق لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في جميع العوالم

ألف: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الأشباح والأنوار

إنّ القرآن الكريم والروايات الشريفة أوضحت وبشكل لا يقبل الشك ان عالم الدنيا ليس هو العالم الوحيد الذي كان للإنسان فيه وجود وتحقق، فقد سبقت هذا العالم المادى عوالم أخرى، كما ان هنالك عوالم أخرى تأتي من بعده، وواحد من تلك العوالم التي سبقت عالم الدنيا هو عالم الأنوار والأظلة، والذي كان قبل أن يكون زمان أو مكان أو ارض أو سماء، وقبل أن يخلق ملك أو انس أو جان، وقد صرحت الروايات المستفيضة على ان أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن ضمنهم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه قد أفيض عليه وعليهم الوجود والتحقق في ذلك العالم، وان هذا العالم قد انحصر فيهم ولم يشاركهم فيه احد من الخلق، فسلمهم الله سبحانه من ان يشاركهم في فضلهم هذا مشارك، وسلمهم من أن ينال مرتبتهم هذه نائل، وسلمهم من أن يطمع في كمالهم طامع من الأولين والآخرين، فالسلامة لهم والسلام عليهم متحقق لهم في هذا العالم بهذا المعنى.

واليك بعض الأخبار والأقوال التي تحدثت وأثبتت وجود ذلك العالم وبينت اختصاصهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتفردهم بالوجود فيه:

فعن أبي حمزة قال: سمعت على بن الحسين عليه السلام يقول: (إن الله خلق محمداً وعلياً وأحد عشر من ولده من نور عظمتة، فأقامهم أشباحاً في ضياء نوره

يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبحون الله ويقدمونه، وهم الأئمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله(1).

وعن المفضل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: (كيف كنتم حيث كنتم في الأظلة؟ فقال يا مفضل كنا عند ربنا ليس عنده أحد غيرنا، في ظلة خضراء، نسبحه ونقدسه ونهلله ونمجده وما من ملك مقرب ولا ذى روح غيرنا حتى بدا له في خلق الأشياء، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم، ثم أنهى علم ذلك إلينا(2)(3).

وعن معاذ بن جبل: (ان رسول الله قال: إن الله عز وجل خلقني وعليها وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام قلت فأين كنتم يا رسول الله؟ قال: قدام العرش نسبح الله تعالى ونحمده ونقدسه ونمجده قلت: على أى مثال؟ قال أشباح نور...)(4).

قال السيد الخميني قدس الله روحه: (فان للإمام عليه السلام مقاما محمودا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وان من ضروريات مذهبنا أن لائمتنا مقاما لا- يبلغه ملك مقرب ولا- نبى مرسل، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة

1- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 531، باب فيما جاء فى الإثنى عشر والنص عليهم السلام، الحديث رقم 6.

2- ولعل المقصود بقوله صلوات الله وسلامه عليه: ثم أنهى علم ذلك إلينا، هو شبيه قوله تعالى: (وعلم آدم الأسماء كلها).

3- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 441 باب بلد النبى صلى الله عليه وآله ووفاته الحديث رقم 7.

4- علل الشرائع للشيخ الصدوق ج 1 ص 208 __ 209 الباب 156 العلة التى من اجلها صارت الإمامة فى ولد الحسين دون الحسن عليهما السلام.

عليهم السلام كانوا قبل هذا العالم أنواراً، فجعلهم الله بعرشه محققين وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله... (1).

وقد يكون السلام عليهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من قبل الله سبحانه في هذا العالم هو تطهيرهم وتسليمهم من كل رجس حتى قبل ان يخلق الرجس ليكون تطهيرهم دفعا لا- رفعا، كما نبه عليه السيد على عاشور بقوله: (زمان إذهاب الرجس هو قبل الزمان والمكان، في عالم الأظلة وهم حول العرش يسبحون الله ويقدمونه، فمنذ ذلك الحين تعلقت إرادة الله بإذهاب الرجس عنهم وعدم إمكان حلوله في ساحتهم عليهم السلام. وبعبارة علمية موجزة: إرادة الله عز وجل في مورد دفع الرجس عن أهل البيت عليهم السلام، وليست في مورد رفع الرجس عنهم. والدفع معناه منع المعاصي عن الحلول في ساحة آل محمد عليهم السلام، وتحويطهم بسور نوراني المقتضى لعدم وجوده سابقا) (2).

هذا غيظ من فيض وقطرة من بحر، وقد تركنا من الأحاديث وأقوال العلماء والمفكرين ما يملأ الخافقين، وعليه فليس لمؤمن مقر بسر آل محمد أن ينكر هذا العالم أو تنفر نفسه عن الإقرار بتفردهم واختصاصهم بالوجود فيه، وان لا يسلك في اعتقاداته سبيل من شدته الدنيا وحبس عقله في سجنها، فأنكر كل ما لا يراه ويسمعه أو يشمه ويتذوقه (3).

1- الحكومة الإسلامية للسيد روح الله الخميني ص 52.

2- طهارة آل محمد عليهم السلام للسيد على عاشور ص 206 __ 207.

3- الإنسان ابن هذه الدنيا المحدودة الضيقة، فلا غرو أن يكون فكر أكبر أهلها محدودا بحدود المادة ومقتصراً على هذا العالم الضيق الذي هو أدنى العوالم وأضيقها وأقلها شأنًا، لذي نرى أكثرهم معرضين أو متهاونين أو منكرين للمطالب الدينية الدقيقة، والحقائق الغيبية الرفيعة التي أخبرت بوقوعها الشريعة المقدسة، وصرح بإمكانها بل وحدوثها الأنبياء العظام والأوصياء الكرام +، وليس لإنكارهم ذاك مبرر سوى ان تلك الحقائق لا تتناسب وذوقهم المادى ومقاييسهم الدنيوية الضيقة.

باء: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الطينة

باء: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الطينة(1)

الآيات القرآنية المباركة جاءت صريحة في تبيان أن أصل المادة التي تكون منها الإنسان وخلق هي الطين كما قال تعالى: ((الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ)) (2)، وكما في قوله تعالى أيضا: ((وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا)) (3)، وقد تكفلت الروايات الشريفة في توضيح وتفصيل هذا الخلق، وتبيان أن حكمة الله سبحانه تعلقت بإيجاد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من طينة مميزة عن سائر أفراد البشر، وان طينتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لم يشاركهم فيها أحد حتى الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ثم خلق أرواح شيعتهم من فاضل طينتهم، وخلق أعداءهم من طينة أخرى وسيأتي تفصيل الكلام عنها عند استعراضنا لبعض روايات الطينة.

فيكون معنى السلام في مرحلة عالم الطينة هو ان الله سبحانه بحكمته وقدرته سلمهم من ان تتكرر طهارة طينتهم بخبث وظلمانية طينة أعدائهم وشائبيهم فلذا خلقهم من طينة طاهرة طيبة اصطفاهم لهم ليكون فيها مستقر أنوارهم التي اصطفيت من قبل في عالم الأنوار والأشباح، وكذلك سلمهم وعصمهم من ان يشاركهم بهذه المزية أحد من العالمين.

واليك بعض الروايات الشريفة التي توضح بعض تفاصيل عالم الطينة:

1- قال الجوهري في الصحاح (ج 6 ص 2159)، وابن منظور في لسان العرب (ج 13 ص 270) (والطينة: الخلقة والجبلة. يقال: فلان من الطينة الأولى).

2- سورة السجدة الآية رقم 7.

3- سورة المؤمنون الآية رقم 12.

فعن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: (إن الله خلقنا من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقا وبشرا نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيبا، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من ذلك الطينة ولم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقهم منه نصيبا إلا للأنبياء، ولذلك صرنا نحن وهم: الناس، وصار سائر الناس همجاً، للنار وإلى النار)(1).

وعن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (إن الله خلقنا من أعلى عليين وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا، وخلق أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوى إلينا، لأنها خلقت مما خلقنا، ثم تلا هذه الآية: ((كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِّيْنَ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا عَلِّيُونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ)) (2)، وخلق عدونا من سجين وخلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه، وأبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوى إليهم، لأنها خلقت مما خلقوا منه، ثم تلا هذه الآية: ((كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ)) (3)(4).

وقد ورد في الزيارة ما يؤيد هذا المعنى فقد أخرج ابن قولويه قدس الله روحه في كامل الزيارات: (ثم تأتي قبر الحسين عليه السلام فتقول: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا بن رسول الله... أشهد أنكم كلمة التقوى، وباب الهدى، والعروة الوثقى، والحجة على من يبقى ومن تحت الشرى.. أشهد أن أرواحكم وطينتكم طينة

1- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 389.

2- سورة المطففين الآية رقم 18 _ 21.

3- سورة المطففين الآية رقم 7 _ 9.

4- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 390.

طيبة، طابت وطهرت هي بعضها من بعض...)(1).

وهذا الاختصاص والاصطفاء لطينة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم أو لطينة أعداء أهل البيت ومن سار على نهجهم لا يستلزم الجبر أو نسبة الظلم لذات الباري جل وعلا وقد فصل علماؤنا الأعلام القول في توجيه ذلك بعبارات شتى وأدلة عدة اخترنا منها ما يأتي:

منها ما ذكره المولى محمد صالح المازندراني قدس الله روحه بقوله: (لا يقال هذا الحديث ومثله يرفع الاختيار ويوجب الجبر لأننا نقول: __والله أعلم__ ان الله جل شأنه لما خلق الأرواح كلها قابلة للخير والشر، وعلم أن بعضها يعود إلى الخير المحض وهو الإيمان، وبعضها يعود إلى الشر المحض وهو الكفر، باختيارهما، وأمرها حين كونها مجردات صرفة بأمر كما سيجيء، ووقع معلومه مطابقا لمعلمه، خلق للأول(2) مسكنا وهو البدن من طينة عليين، وخلق للآخر(3) مسكنا من طينة سجين، كما خلق للمؤمن جنة وللكافر نارا، وذلك ليستقر كل واحد فيما يناسبه، ويعود كل جزء إلى كله، وكل فرع إلى أصله، ومن ههنا ظهر أن الخلق من الطينتين تابع للإيمان والكفر، ومسبب عن العمل دون العكس، فلا يستلزم الجبر ولا ينافي الاختيار، ألا ترى أنه تعالى لما علم أن بين النبيين والمؤمنين اتصالا من وجه وانفصالا- من وجه آخر، لأن المؤمنين من طينة النبيين، وخلق أبدانهم من دون ذلك لانحطاط درجاتهم وشرفهم، فوضع كلا في درجته، وانك إذا قررت لعبدك المطيع بيتا شريفا، ولعبدك العاصي بيتا وضيعا، صح ذلك عقلا وشرعا، ولا يصفك عاقل بالظلم والجور، إذ الظلم وضع

1- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 369 __ 370.

2- وهو الذي ذكره قدس الله روحه بقوله السابق: (وعلم أن بعضها يعود إلى الخير المحض وهو الإيمان).

3- وهو الذي ذكره قدس الله روحه بقوله السابق: (وبعضها يعود إلى الشر المحض وهو الكفر).

الشيء في غير موضعه، فهو إنما يلزم لو انعكس الأمر، أو وقع التساوى، وبما قررنا تبين فساد توهم أن الإيمان والفضل والكمال وأضدادها تابعة لطهارة الطينة وصفاتها، وخبائة الطينة وظلمتها، وهذا التوهم يوجب الجبر وبطلان الشرائع والتأديب والسياسة والوعد والوعيد نعوذ بالله منه(1).

وقال السيد نعمة الله الجزائري: (إن الأرواح لما خلقت قبل الأشباح وورد عليها قلم التكليف في عالم الأظلة، وكانوا بين مطيع وعاص، صارت كل روح من الأرواح مستعدة لان تركب مع قالب يناسبها في الاستعداد والطاعة، فدخلت روح المؤمن في طينة من عليين، وروح الكافر في سبخة من سجين. وأنت إذا أحطت علما بما ألقيناه إليك من هذا الكلام يسهل عليك الجواب عن كثير من الشبه والاعتراضات الواردة فيما يناسب هذا المقام...)(2).

ثم ان زيارة عاشوراء ذكرت في الفقرة التي نحن بصدد شرحها ان سلام الله سبحانه متوجه أيضا للشهداء الكرام الذين استشهدوا بين يدي الحسين صلوات الله وسلامه عليه في يوم عاشوراء لانها قالت (عَلَيْكُمْ مِنِّي جَمِيعاً سَلامُ اللَّهِ أَبْداً مَا بَقِيَتْ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ) وهذا السلام والسلامة من الله سبحانه في عالم الطينة مثلما شمل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كذلك شمل الشهداء الذين استشهدوا دون الحسين ونصرتهم؛ إذ خلق أرواحهم من فاضل طينة أبدان أئمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وبهذا اللطف وفقوا لمحبتهم ونصرتهم والدفاع عنهم والقتل في سبيلهم، فسلمهم الله سبحانه من ان يكونوا من طينة أعدائهم فيسلبوا توفيق النصره وحلاوة المحبة التي دفعتهم للوجود بالنفس الذي هو غاية الجود.

1- شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج 8 ص 5 _ 6.

2- نور البراهين للسيد نعمة الله الجزائري ج 1 شرح ص 542.

جيم: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الأظلة

الظاهر من الروايات الشريفة ان عالم الأظلة يقع في مرتبة متأخرة عن عالم الطينة، فبنو آدم بعد ان وضعهم الله سبحانه وتعالى في قوالب تتناسب وما سيختارونه في عالم الدنيا، فوضع من سيختار الطيب والخير في طينة طيبة، ومن سيختار الشر والظلمة في طينة خبيثة ظلمانية، بعثهم بعد ذلك في عالم خاص أسمته الروايات الشريفة بعالم الأظلة، وكلفهم وامتحنهم بما يتناسب وذلك العالم، فمنهم من نجح في ذلك التكليف، وهم من صيرت أرواحهم في طينة طيبة، ومنهم من أخفق، وهم من صيرت أرواحهم في طينة خبيثة، فعن أبي جعفر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قال: (إن الله خلق، فخلق ما أحب مما أحب، وكان ما أحب أن خلقه من طينة الجنة، وخلق ما أبغض مما أبغض، وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار، ثم بعثهم في الظلال. فقلت: وأى شىء الظلال؟ قال: ألم تر إلى ظلك في الشمس شىء وليس بشىء، ثم بعث الله فيهم النبيين يدعونهم إلى الإقرار بالله وهو قوله: ((وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)) (1)، ثم دعاهم إلى الإقرار بالنبيين، فأقر بعضهم وأنكر بعضهم، ثم دعاهم إلى ولايتنا فأقر بها والله من أحب وأنكرها من أبغض، وهو قوله: ((فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ)) (2)(3).

وفي تفسير العياشى عن زرارة وحمزان، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالوا: (إن الله خلق الخلق وهي أظلة، فأرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وآله فمنهم من آمن به ومنهم من كذبه، ثم بعثه في الخلق الآخر فأمن به من كان آمن

1- سورة الزخرف الآية رقم 87.

2- سورة يونس الآية رقم 74.

3- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 436 باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية الحديث رقم 4، وراجع علل الشرائع للشيخ الصدوق ج 1 ص 118 الباب 97 علة المعرفة والجحود.

فى الأظلة، وجحد من جحد به يومئذ، فقال: ((فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ)) (1)(2).

وعن أبى بكر الحضرمى، عن حذيفة بن أسيد الغفار قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما تكاملت النبوة لنبى فى الأظلة حتى عرضت عليه ولايتى وولاية أهل بيتى، ومثلوا له، فأقروا بطاعتهم وولايتهم) (3).

ووقوع التكليف فى ذلك العالم مما صرح بحدوثه الأجلاء من علمائنا الأعلام رضوان الله تعالى عليهم تبعاً لائمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإقراراً بهذه الروايات المتقدمة وغيرها، منهم المولى محمد صالح المازندراني قدس الله روحه حيث قال: (يفهم من الروايات أن التكليف الأول وهو ما وقع قبل التكليف فى دار الدنيا بإرسال الرسل وإنزال الكتب متعدد، الأول كان فى عالم الأرواح الصرفة، الثانى كان وقت تخمير الطينة قبل خلق آدم منها، الثالث كان بعد خلق آدم منها حين أخرجهم من صلبه وهم ذر يدبون يمينا وشمالا، وكل من أطاع فى هذه التكاليف الثلاثة فهو يطيع فى تكليف الدنيا، كل من عصى فيها فهو يعصى هنا، وتكليف خامس يقع فى القيامة وهو مختص بالأطفال والمجانين والشيوخ الذين أدركوا النبى وهم لا يعقلون وغيرهم ممن ذكر فى محله) (4).

وقال الفاضل الأسترآبادى قدس الله روحه: (يفهم من الروايات أن التكليف الأول وقع مرتين مرة فى عالم المجرد الصرفة ومرة فى عالم الذر، بأن تعلقت الأرواح فيه بجسد صغير مثل النمل ولما لم يكن تصل أذهان أكثر الناس إلى إدراك الجوهر المجرد عبروا عليهم السلام عن المجردات بالظلال لتفهيم الناس، وقصدهم من ذلك أن

1- سورة يونس الآية رقم 74.

2- تفسير العياشى للعياشى ج 2 ص 126.

3- بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص 93 باب 8 ما خص الله به الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله من ولاية الأنبياء لهم فى الميثاق وغيره وما اعلموا من ذلك، الحديث رقم 7.

4- شرح أصول الكافى للمولى محمد صالح المازندراني ج 8 ص 15.

موجودات ذلك العالم مجردة عن الكثافة الجسمانية كما أن الظل مجرد عنها فهي شىء وليست كالأشياء المحسوسة الكثيفة وهذا نظير قولهم عليهم السلام فى معرفة الله تعالى: شىء بخلاف الأشياء الممكنة(1).

فىكون سلام الله سبحانه وتعالى لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فى هذا العالم هو تسليمهم من أن يكونوا سببا لضلال الناس كما كان أعداؤهم سببا لذلك، وسلمهم من أن يلحق بمرتبهم لـحق ويطمع فى إدراك منازلهم طامع، حتى صار الخلق كلهم دون أدنى مراتبهم، وحتى صارت نبوة الأنبياء وإيمان من آمن من أممهم مشروطة بالإقرار بولايتهم ومحبتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وكذلك يمكن لنا ان نفهم سلام الله سبحانه للشهداء من أصحاب الحسين بمعنى تسليم الله سبحانه لهم من أن يقعوا فيما وقع فيه غيرهم من إتباع الظالمين، وتسليمهم من إنكار دعوة الأنبياء وعدم الإقرار بولاية النبى الأعظم وأهل بيته الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وتوفيقهم للإتباع بعد أن عرف الله سبحانه منهم الصدق والإخلاص فى الدفاع والنصرة وبذل الروح فى سبيل إمامهم وسيدهم الحسين بن على صلوات الله وسلامه عليهما.

دال: سلامتہم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فى عالم الذر

وردت الإشارة إلى هذا العالم فى القرآن الكريم فى قوله تعالى ((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشَّهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)) (2). وقد تكفلت الروايات الشريفة عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بتبيان بعض

1- شرح أصول الكافى للمولى محمد صالح المازندرانى ج 7 ص 130 _ 131.

2- سورة الأعراف الآية رقم 172.

تفاصيل ذلك العالم وكشف جزء من أسراره، وفيما يأتي بعض تلك الأخبار مع بعض الأقوال لعلماء الطائفة الأعلام رضوان الله تعالى عليهم:

فعن الحسن بن علي بن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة قال: (سألت أبا عبد الله صلوات الله وسلامه عليه عن قول الله: ((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى))، قال ثبتت المعرفة في قلوبهم ونسوا الموقف، سيدكرونه يوماً ما، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولا من رازقه(1).

وعن أحمد بن محمد عن الحسن بن موسى عن علي بن حسان عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم إلى آخر الآية قال: (أخرج الله من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذر فعرفهم نفسه ولولا ذلك لم يعرف أحد ربه ثم قال الست بربكم قالوا بلى وان هذا محمد رسولى وعلى أمير المؤمنين خليفتى وأمينى(2).

وعن صالح بن سهل عن أبي عبد الله عليه السلام: (أن بعض قريش قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: بأى شىء سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ فقال: إني كنت أول من آمن بربى وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم فكنت أنا أول نبي قال: بلى، فسبقتهم بالإقرار بالله عز وجل(3).

وعن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن أبي بصير قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف أجابوا وهم ذر؟ قال: جعل

1- المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ج 1 ص 241.

2- بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص 91.

3- الكافي للشيخ الكليني ج 2 ص 10.

فيهم ما إذا سألهم أجابوه، يعنى فى الميثاق(1).

عن داود الرقى عن أبى عبد الله صلوات الله وسلامه عليه قال: (ما أراد الله عز وجل أن يخلق الخلق خلقهم ونشرهم بين يديه ثم قال لهم من ربكم؟ فأول من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين فقالوا: أنت ربنا، فحملهم العلم والدين، ثم قال للملائكة هؤلاء حملة دينى وعلمى وأمانتى فى خلقى وهم المسؤولون، ثم قيل لبنى آدم أقرؤا لله بالربوبية ولهؤلاء النفر بالطاعة والولاية فقالوا نعم ربنا أقرنا، فقال الله جل جلاله للملائكة اشهدوا، فقالت الملائكة شهدنا على أن لا يقولوا غدا إنا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا إنما أشرك أبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون، يا داود، الأنبياء مؤكدة عليهم فى الميثاق(2).

وعن على بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبى عمير عن ابن مسكان عن أبى عبد الله عليه السلام فى قوله وإذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى قلت معاينة كان هذا قال نعم فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ورازقه فمنهم من أقر بلسانه فى الذر ولم يؤمن بقلبه فقال الله تعالى فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل(3).

وقال المولى محمد صالح المازندراني: (والحق أن الإخراج والإشهاد والإقرار واخذ الميثاق بالمعانى المذكورة كلها واقعة، لأنه تعالى أخرجهم وخاطبهم بقوله

-
- 1- المصدر السابق ص 12 باب كيف أجابوا وهم ذر الحديث رقم 1.
 - 2- علل الشرائع للشيخ الصدوق ج 1 ص 118.
 - 3- مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلبي ص 168.

«ألست بربكم» وأجابوا ببلى حقيقة ولا بعد فيه، نظرا إلى قدرته القاهرة، وأنه تعالى جعل فيهم قوة يقدرون بها على المعرفة والتوحيد والنظر في آياته... ثم ان بعضهم بعد الوجود العيني نقضوا الميثاق وأبطلوا تلك القوة والفطرة، وأنكروا ما أقرّوا به بلسان تلك القوة بحاضر لذاتهم النفسانية والوساوس الشيطانية(1).

وقال الحر العاملى قدس الله روحه: (وروى الصدوق فى كتبه هذه الأحاديث وأمثالها وكذا الصفار، والبرقى، والحميرى، وغيرهم. أقول: والأحاديث فى ذلك كثيرة جدا قد تجاوزت حد التواتر تزيد على ألف حديث موجودة فى جميع كتب الحديث وربما ينكرها بعض المتكلمين من أصحابنا لدليل ضعيف ظنى غير تام يظهر من الأحاديث جوابه(2).

فتحصّل مما سبق ان عالم الذر هو: العالم الذى أخرج الله سبحانه من ظهر أينا آدم صلوات الله وسلامه عليه ذريته إلى يوم القيامة، وجعل فيهم من العقل والإدراك ما لو سألهم لأجابوه، فعرفهم نفسه وسأل منهم الإقرار بوحدانيته، فكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم أول من أجاب ببلى، ثم تبعه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ثم بقية الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فحملهم علمه وكلف الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والملائكة بقبول رسالته وولايته ووجب عليهم مودته ومعرفته، فأجابوه سبحانه بالرضا والقبول، وكلف بقية الخلق بذلك، فأقرّ بعضهم بلسانه وآمن بما أقر قلبه، والبعض الآخر أقرّ بلسانه ولم يؤمن بها قلبه، وكل من أقرّ بلسانه وقلبه فى ذلك العالم فانه فى هذا العالم يوفق لولايتهم ومحبتهم واتباعهم، وأما من لم يؤمن بها بقلبه ولم يعقد عليها ضميره، فإنه فى هذا العالم مخالف لهم ولولايتهم.

1- شرح أصول الكافى للمولى محمد صالح المازندراني ج 8 ص 18.

2- الفصول المهمة فى أصول الأئمة للحر العاملى ج 1 ص 424 __ 425.

ويمكن أن نفهم السلام والسلامة من قبل الله سبحانه في عالم الذر لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بمعنى ان الله سبحانه قد منّ عليهم فجعلهم من أهل الإجابة بل من أول من أجاب وقر لله بالوحدانية والهيمنة، وحفظهم من نسيان ذكره وسددهم من التلذذ والتباطؤ في الإقرار والشهادة، وعصمهم من الإنكار أو الإقرار باللسان دون القلب.

ويكون معنى سلام الله سبحانه على الشهداء من أصحاب الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هو تسليمهم من إنكار ما عرض عليهم من الإقرار بوجود الله سبحانه ووحدانيته، والإيمان برسالة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وقبول ولايته وولاية أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومودتهم ونصرتهم، وتسليمهم من الإقرار اللسانى دون القلبى.

هاء : سلامتھم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في عالم الأصلاب

ان أول منازل الإنسان ومراحل وجوده في هذا العالم هو منزل الأصلاب، ورعاية الله سبحانه وسلامته مثلما شملت أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قبل عالم الدنيا، كذلك شملتهم في هذا العالم، فمنذ أن خلق الله سبحانه أبانا آدم صلوات الله وسلامه عليه أودع في صلبه جميع ذريته إلى يوم القيامة، ثم فرق الله سبحانه تلك الذرية في أصلاب أولاده، وفرق ما في صلب أولاده في صلب أولادهم وهكذا إلى يوم القيامة، فوضع سبحانه من يشاء في صلب من يشاء من عباده، وأخرج المؤمن من صلب الكافر، والكافر من صلب المؤمن، وانزل الخبيث من ظهر الطيب، والطيب من ظهر الخبيث، كل ذلك ليبلى بعض عباده ببعض، فيجزى المطيع الصابر، ويعذب الجاحد الكافر.

وكان من حكمته سبحانه ولطفه ورحمته أن اختار واصطفى بعض العباد من أولاد نبي الله آدم عليه السلام وميزهم بفضيلة النقل من صلب طاهر إلى صلب آخر طاهر أو أظهر، ومن رحم طاهر إلى رحم طاهر أو أظهر، فسلمهم في تقلبهم في عالم الأصلاب من دناءة الآباء والأمهات، وعصمهم من كل دنس ورجس يمكن أن يشوب ذلك العالم، وكان أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في مقدمة هؤلاء الذين سلمهم الله سبحانه وعصمهم وتقلهم من صلب شامخ إلى رحم طاهر، لم تنجسهم الجاهلية الأولى بأنجاسها ولم تلبسهم من مدلهمات ثيابها، واليك بعض النصوص وأقوال بعض العلماء الأعلام التي تثبت حقيقة ما ذكرنا بلا أدنى شك وشبهة:

منها ما ورد في زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك أيها البشير النذير، السلام عليك أيها السراج المنير السلام عليك أيها السفير بين الله وبين خلقه، اشهد يا رسول الله انك كنت نورا في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها)(1).

وعن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في وصف الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين انه قال: (فاستودعهم في أفضل مستودع، وأقرهم في خير مستقر. تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهرات الأرحام. كلما مضى منهم سلف قام منهم بدين الله خلف. حتى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمد صلى الله عليه وآله، فأخرجه من أفضل المعادن منبتا وأعز الأرومات مغرسا. من الشجرة التي صدع منها أنبياءه وانتخب منها أمناءه. عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر. نبتت في حرم وبسقت في كرم، لها فروع طوال وثمرة لا تنال. فهو إمام من اتقى وبصيرة من اهتدى. سراج لمع

1- إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج 3 ص 129 فصل 12 فيما نذكره من زيارة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا اليوم من بعيد المكان وزيارة مولانا على صلوات الله وسلامه عليه عند ضريحه الشريف.

ضوءه. وشهاب سطم نوره(1).

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: (إن الله كان إذ لا كان فخلق الكان والمكان وخلق نور الأنوار الذي نورت منه الأنوار وأجرى فيه من نوره الذي نورت منه الأنوار وهو النور الذي خلق منه محمدا وعليا. فلم يزالا نورين أولين، إذ لا شيء كونهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة، حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب عليهم السلام(2).

وجاء في زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه: (السلام عليك يا أبا عبد الله إنا لله وإنا إليه راجعون، ما أعظم مصيبتك عند أبيك رسول الله... كنت نورا في الأصلاب الشامخة، ونورا في ظلمات الأرض، ونورا في الهواء، ونورا في السماوات العلى، كنت فيها نورا ساطعا لا يطفى، وأنت الناطق بالهدى(3).

وفي زيارة أخرى: (يا مولاي يا أبا عبد الله أشهد أنك كنت نورا في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها، وأشهد أنك من دعائم الدين وأركان المؤمنين(4).

وعن علي بن أبي حمزة، عن يحيى بن أبي إسحاق، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن أبيه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال: (سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أين كنت وآدم في الجنة؟ قال: كنت في صلبه، وهبط بي إلى الأرض في صلبه، وركبت السفينة في صلب أبي نوح، وقذف بي في النار في صلب أبي إبراهيم، لم

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 7 ص 62 من خطبة له عليه السلام يصف فيها حال الأنبياء.

2- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 441 __ 442.

3- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 402 __ 203.

4- مصباح المتعجب للشيخ الطوسي ص 721.

يلتق لى أبوان على سفاح قط، ولم يزل الله عز وجل ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة هاديا مهديا حتى أخذ الله بالنبوة عهدى، وبالإسلام ميثاقى، وبين كل شىء من صفتى، وأثبت فى التوراة والإنجيل ذكرى، ورقى بى إلى سمائه، وشق لى اسما من أسمائه الحسنى، أمتى الحمادون، فذو العرش محمود وأنا محمد(1).

فتبين من كافة أجزاء هذا البحث أن سلام الله سبحانه وتعالى قد رافق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فى كافة عوالم وجودهم ومراحل تقلبهم، وقد تركنا الخوض فى عوالم أخرى كسلامتهم فى عالم البرزخ والقيامة والجنة وغيرها خوف الإطالة على القارئ العزيز.

رابعاً: فائدة الخوض فى مثل هذا البحث

إشارة

لا يخفى ان البحث فى مراتب الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وفضلهم واصطفائهم فى عوالم ما قبل عالم الحياة الدنيا هو من المباحث التى قلما يتم التعرض لها فى الكتب الحديثة، وانها ولشديد الأسف من المباحث التى تم هجرانها من قبل الباحثين المعاصرين، لذا صارت غريبة على الفهم العامى، وأصبح من يتكلم بهذه المباحث الشريفة والحقائق المنيفة يتكلم بشىء غير مسموع لعامة الناس ولا- مستساغ عند أكثرهم، مع ان هذه المباحث هى مما أشار إليها القرآن الكريم فى كثير من آياته الكريمة، وتناولتها الأحاديث الشريفة عن النبى الأ-عظم وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بتفصيل قلما حظيت به الكثير من المواضيع العقائدية أو الغيبية الأخرى.

وهو أيضا مما فصل العلماء الأعلام القول به قديما، فعقدوا له فصولا وأبوابا فى كتب الرواية والحديث، ويندر أن ترى فى أصول كتب السابقين من الأعلام

رضوان الله تعالى عليهم تجاهلاً لهذه المباحث الشريفة(1).

فهذا التجاهل من الكتاب والمفكرين المعاصرين لهذه الحقائق القرآنية والروائية أقل ما يمكن ان يقال عنه هو تجاهل وتنكر واضح لحقيقة من حقائق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وإغضاء للطرف عن مقام من مقاماتهم ومنزلة من منازلهم التي أنزلهم الله سبحانه فيها، هذا إن لم نقل انه مشاركة من قبلهم مع من أشارت إليه الزيارة بقولها: (وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ وَأَزَالَتْكُمْ عَنْ مَرَاتِبِكُمْ الَّتِي رَتَّبَكُمْ اللَّهُ فِيهَا) لان ترك مثل هذه المباحث السامية إلى أن تندثر يعد مشاركة ولو من حيث لا يقصد في ذلك المخطط السام الذي كان ولا يزال قائماً لهدم مقامات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ودفعهم عن تلك المراتب التي هي حقهم الطبيعي الممنوح من قبل الله سبحانه.

ولزيادة الفائدة وتنوير الأذهان الغافلة والقلوب الشاكرة أردنا اختتام هذا

1- فراجع على سبيل المثال كتاب المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي في كتاب الصفوة والنور والرحمة باب ما خلق الله المؤمن من نوره، وباب خلق المؤمن من عليين، وباب خلق المؤمن من طينة الأنبياء، وباب خلق المؤمن من طينة الجنان، وباب خلق المؤمن من طينة مخزونة، وباب الميثاق، وباب اختلاط الطينتين، وباب خلق المؤمن، وراجع أيضا كتاب بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار في الباب التاسع باب خلق أبدان الأئمة وقلوبهم، والباب العاشر في خلق أبدان الأئمة وفي خلق أرواحهم وشيعتهم، وأورد الكثير من هذه الأحاديث في الباب الثاني عشر أيضا، وكذلك في الباب السادس عشر، وراجع أيضا كتاب الكافي للشيخ الكليني ج 1 باب خلق أبدان الأئمة وأرواحهم وقلوبهم عليهم السلام، وباب فيما جاء ان حديثهم صعب مستصعب وغيره، وفي ج 2 كتاب الإيمان والكفر باب طينة المؤمن والكافر، والباب الذي يأتي هذا الباب، وكذلك الباب الذي يأتي هذين البابين، وراجع أيضا علل الشرائع للشيخ الصدوق الباب الأول العلة التي من اجلها سميت السماء والدنيا والآخرة وآدم وحواء، والباب 77 العلة من خروج المؤمن من الكافر وخروج الكافر من المؤمن، والباب 96 علة الطباع والشهوات، والباب 97 علة المعرفة والجحود، والباب 240 العلة التي من اجلها قد يرتكب المؤمن المحارم ويعمل الكافر الحسنات، وغير ذلك الكثير الكثير.

المبحث ببعض الفوائد المختصرة توضح وبشكل جلي فائدة الخوض في مثل هذه الأبحاث، وذلك لان كثيرا من الجاهلين يأنفون من الخوض في مثل هذه الحقائق ومعرفة وسماع مثل هذه المناقب بحجة أن لا فائدة ترجى من الخوض فيها والبحث عنها، وهذا كله من تسويلات الشيطان الرجيم الذى يريد أن يحرم ابن آدم من المعرفة التى بها يتكامل إيمانه ويتعظم أجر أعماله كما سنعرف ذلك فيما يأتى:

ألف: ان معرفة الله حق معرفته متوقف على معرفة الأئمة حق معرفتهم

عن عبد الله بن جعفر عن محمد بن علي عن الحسين بن سعيد عن علي بن الصلت عن الحكم وإسماعيل عن بريد قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (بنا عبد الله وبنا عرف الله وبنا وعد الله ومحمد صلى الله عليه وآله حجاب الله) (1).

وعن علي بن جعفر عن أخيه قال: قال أبو عبد الله صلوات الله وسلامه عليه: (إن الله خلقنا فأحسن خلقنا وصورنا فأحسن صورنا فجعلنا خزانة في سماواته وأرضه ولولانا ما عرف الله) (2).

عن الحسن بن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدم، عن جابر قال: (سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنما يعرف الله عز وجل ويعبده من عرف الله وعرف إمامه منا أهل البيت ومن لا يعرف الله عز وجل و [لا] يعرف الإمام منا أهل البيت فإنما يعرف ويعبد غير الله هكذا والله ضلالا) (3).

عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: الأوصياء هم أبواب الله عز

1- بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص 84.

2- المصدر السابق ص 125.

3- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 181.

وجل التي يؤتى منها ولولا هم ما عرف الله عز وجل وبهم احتج الله تبارك وتعالى على خلقه(1).

وقال المولى المازندراني في شرح هذا الحديث الأخير ما نصه: (قوله: «الأوصياء هم أبواب الله تعالى» أى أبواب جنته أو أبواب علمه كما قال «أنا مدينة العلم وعلى بابها، والبيوت إنما تؤتى من أبوابها» ومراده أن من طلب العلم والحكمة وأسرار الشريعة والتقرب إلى الله فليرجع إلى الأوصياء وليأت البيوت من أبوابها وليتق الله فان من أتاه من غير بابها سمى سارقاً.

قوله: «ولولا هم ما عرف الله» لأن عظمته أرفع من أن يصل إليه كل طالب، ورفعته أجل من أن ينظر إليه كل شاهد وغائب، وصراطه أدق من أن يتطرق إليه قدم الأوهام، وشرعه أشرف من أن يقبل مخترعات الأفهام، فلولا هداية الأوصياء وإرشاد الأولياء لبقوا متحيرين فى تيه الجهالة وراقدين فى مرقد الضلالة كما ترى من أعرض عن التوسل بهدايتهم والتمسك بذيول عصمتهم فإن بعضهم يقول بالتجسيم وبعضهم يقول بالتصوير وبعضهم يقول بالتحديد وبعضهم يقول بالتخطيط وبعضهم يقول إنه محل للصفات وبعضهم يقول بأنه قابل للحركة والانتقال إلى غير ذلك من المذاهب الباطلة وبالله العصمة والتوفيق(2).

وجاء عن بعض المحققين ما يؤيد هذه الروايات الشريفة حيث قال: (...كل حكمة وعلم من الحق صدرت فمن طريقهم إلى الخلق وصلت، وكل رحمة من الله انتشرت فيهم انتشرت، وكل عناية منه على الخلائق وقعت فبسببهم تحققت، لأنهم عيبة علمه، ومعدن حكمته، وسبب خيره، ووسائل فيضه، ويده الباسطة، وعينه

1- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 193.

2- شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج 5 ص 175.

الناظرة، وأذنه السامعة، ولسانه الناطق، والمخلوقون من نوره، والمؤيدون بروحه وبهم يقضى فى الخلق قضيته، وإليهم تهبط فى مقادير أموره إرادته. بلى، بلى، أيها السالك سبيل الحكمة والطالب بالعرفان طريق السعادة، إليهم، إليهم فإن عندهم الحكمة، واتباعهم تحصل السعادة، وبهم عرف الله وبهم عبد الله(1).

وقال العلامة المجلسى: (بيان: قوله: وبنا عبد الله، أى نحن علمنا الناس طريق عبادة الله، أو نحن عبدنا الله حق عبادته بحسب الإمكان، أو بولايتنا عبد الله فإنها أعظم العبادات، أو بولايتنا صحت العبادات فإنها من أعظم شرائطها. قوله: ولولانا ما عرف الله، أى لم يعرفه غيرنا، أو نحن عرفناه الناس، أو بجلالتنا وعلمتنا وفضلنا عرفوا جلاله قدر الله وعظم شأنه)(2).

وقال السيد على خان المدنى الشيرازى: (وفى استعارة لفظ الباب إشعار بأنه لا مدخل يتوصل به إليه سبحانه سوى من جعله بابا للوصول إليه إذ لا يدخل إلى الدار ولا يتوصل إليها إلا من بابها، فمن ظن أنه يتوصل إليه سبحانه من غير هذه الأبواب فقد ظن باطلا وأخطأ سهمه الثغرة وضل سواء السبيل)(3).

إذن فعبادة الله حق عبادته ومعرفته تعالى حق معرفته لا تتأتى لأحد من العالمين إلا عن طريق القبول عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لأنهم الباب الذى يدخل منه إلى التوحيد الصادق غير المشوب بالباطل، ولأنهم الوجهة الصحيحة التى يتوجه إليها طالبو الهداية إلى الله سبحانه ودينه وأحكامه، وإن من اخذ بيد غيرهم، واتخذ غير

1- التوحيد للشيخ الصدوق ص 5 كلمات حول الكتاب.

2- بحار الأنوار للعلامة المجلسى ج 26 ص 247.

3- رياض السالكين فى شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام للسيد على خان المدنى الشيرازى ج 7 شرح ص 25.

وجهتهم، ضل سواء السبيل.

وهذا القبول عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يتم من دون معرفتهم، لان السائر على الطريق من دون معرفة بالطريق لا يزيده كثرة المسير إلا جهلا وتخبطا، بل وربما يحدد عن الطريق وتزل قدمه وينجرف في غير طريقهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من دون أن يعرف، كما حصل للكثيرين، وذلك لان أهل البيت هم بوصلة الهداية الإلهية فمن لا يعرف البوصلة كيف له أن يسير سيرا مستقيما سليما.

أما السائر على طريقهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عارفا بحقهم وكمالاتهم ومراتب فضائلهم ومنازلهم التي اصطفاها الله سبحانه ووضعهم فيها لا يزيده كثرة المسير إلا ترقيا في سلم الكمالات، وبصيرة بكل ما يحيط بدرج غيرهم من الظلمات المتراكم بعضها فوق بعض ((أَوْ كُظِّلِمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدُ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ)) (1).

وما ورد على لسان الروايات من التعبير عنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالأسماء الحسنى دال على هذه الحقيقة فعن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ((وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا)) (2) قال: نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملا إلا بمعرفتنا (3) ومعلوم ان معرفة الصفات الإلهية واجبة على كل مكلف فكذلك معرفتهم، ومعرفة الصفات الإلهية يتوقف عليها معرفة الله سبحانه حق معرفته، وكذلك هم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لأنهم مرآة الصفات الإلهية، بل هم تجسيد لها في عالم الإمكان.

1- سورة النور الآية رقم 40.

2- سورة الأعراف الآية رقم 180.

3- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 143 _ 144.

باء: ان معرفتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين توجب مضاعفة الحسنات

عن الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قال: (نحن قوم لا نعطي المعروف إلا على قدر المعرفة)⁽¹⁾ فإذا عرفنا أنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ميزان الله سبحانه وتعالى في الأرض، وهم أسماؤه الحسنى، فيكون قانون إعطائهم للمعروف على قدر المعرفة هو قانوناً الهيئاً ومنهجاً ربانياً يتعامل به الله سبحانه مع عباده كما يتعامل به أولياؤه مع بقية خلقه، فيكون المؤمن الأكثر معرفة بالله وصفاته وبأهل البيت وصفاتهم ومنازلهم وفضائلهم هو الأحق بزيادة المعروف، وواحدة من وجوه المعروف هي الثواب الذى يجزى به المؤمن العارف، والعكس بالعكس.

واختلاف الدرجات فى العطاء والثواب والجزاء الإلهى من مؤمن لآخر هو حقيقة قرآنية أوضححتها نصوص الكتاب العزيز منها قوله تعالى ((الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ))⁽²⁾.

وواحدة من أهم أسباب التفضيل ورفع الدرجات هى الإيمان والعلم كما قال تعالى: ((يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ))⁽³⁾. وأشرف العلوم على الإطلاق هو علم التوحيد ومعرفة الخالق جل وعلا، وقد علمت ان هذا العلم لا يأتى بنتائجه الرفيعة العظيمة من دون أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن أهم مقدمات الوصول إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هى معرفتهم ومعرفة منازلهم وفضائلهم ومراتبهم التى رتبهم الله فيها، حتى يُخرج الإنسان هؤلاء الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن حدى الغلو والتقصير.

1- نهج السعادة للشيخ المحمودى ج 8 ص 286.

2- سورة الإسراء الآية رقم 24.

3- سورة المجادلة الآية رقم 11.

وبناءً على ما تقدم يصبح العلم والمعرفة بمنازل ومراتب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مقدمة لكل خير، وفتحة لكل فضل، وزيادة لكل كمال، وبه يرفع الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات درجات كل بحسب سعة معرفته وشدة يقينه وإيمانه وتسليمه بتلك المنازل والصفات.

وقد جاء تصديق كل ذلك على لسان الروايات الشريفة، نختار منها ما يتناسب مع المقام، فمنها ما عن المفضل أنه دخل على مولانا الصادق صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقال له: (يا مفضل هل عرفت محمداً وعلياً وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كنه معرفتهم؟ قلت: يا سيدي وما كنه معرفتهم؟ قال: يا مفضل من عرفهم كنه معرفتهم كان مؤمناً في السنام الأعلى. قال: قلت: عرفني ذلك يا سيدي. قال: يا مفضل تعلم أنهم علموا ما خلق الله عز وجل وذراه وبراه وأنهم كلمة التقوى وخزان السماوات والأرضين والجبال والرمال والبحار وأنهارها وعيونها، وما تسقط من ورقة إلا علموها، ولا حبة في ظلمات الأرض، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، وهو في علمهم، وقد علموا ذلك. فقلت: يا سيدي قد علمت ذلك وأقررت به وآمنت. قال: نعم يا مفضل، نعم يا مكرم، نعم يا محبور، نعم يا طيب، طبت وطابت لك الجنة، ولكل مؤمن بها(1).

وروى البنزطي قال: (قرأت كتاب أبي الحسن الرضا عليه السلام بخطه: أبلغ شيعتي أن زيارتي تعدل عند الله ألف حجة وألف عمرة متقبلة كلها، قال __ يعني البنزطي __: قلت لأبي جعفر ألف حجة؟ قال: أي والله وألف ألف حجة لمن يزوره عارفاً(2). وفيه دلالة قطعية على ان المعرفة تضاعف الحسنات وتجعل الحجة بألف

1- مستدرک سفینه البحار للشیخ علی النمازی الشاهرودی ج 7 ص 180 __ 182.

2- الدروس للشهید الأول ج 2 ص 14 کتاب المزار ثواب زیارة النبی والأئمة علیهم السلام.

حجة، وترفع الدرجات بألف مثلها، وكلما ازداد المؤمن بأئتمته معرفة ازداد كمالا وتألفت درجاته في جنات النعيم، والعكس صحيح فكلما ازداد الإنسان عن أهل البيت بعدا ولفضائلهم إنكارا ولأشخاصهم المقدسة حربا ازداد من الله بعدا، وتسافل منزله ومأواه ومستقره في جهنم ودركاتها.

جيم: ان دخول الجنة متوقف على المعرفة وازديادها يوجب الترقى فى درجاتها

دلت الآثار المستفيضة على أن معرفة الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين توجب دخول الجنة، وان معرفتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على النحو اللائق بهم يجر على المؤمن الخير الوافر الكثير، وواحدة من أهم هذه الخيرات والنعم هو تغيير الشقاوة والذنوب إلى غفران وسعادة، فعن جعفر بن محمد بن قولويه عن عبد الله بن ميمون القداح، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، قال: (قلت له: ما لمن أتى قبر الحسين عليه السلام زائرا عارفا بحقه غير مستكبر ولا مستتكف، قال: يكتب له ألف حجة وألف عمرة مبرورة، وإن كان شقيا كتب سعيدا ولم يزل يخوض فى رحمة الله عز وجل)(1).

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (سألته عن قوله وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال نحن أصحاب الأعراف فمن عرفناه كان منا ومن كان منا كان فى الجنة ومن أنكرناه فى النار)(2).

وعن أبي حمزة الثمالى، عن على بن الحسين عليهما السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فى الجنة ثلاث درجات، وفى النار ثلاث دركات، فأعلى درجات الجنة لمن أحبنا بقلبه ونصرنا بلسانه ويده، وفى الدرجة الثانية من أحبنا

1- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 307 الباب 67 فى ان زيارة الحسين عليه السلام تعدل عتق الرقاب.

2- بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص 519.

بقلبه ونصرنا بلسانه، وفي الدرجة الثالثة من أحبنا بقلبه، وفي أسفل درك من النار من أبغضنا بقلبه وأعان علينا بلسانه و يده، وفي الدرك الثانية من النار من أبغضنا بقلبه وأعان علينا بلسانه، وفي الدرك الثالثة من النار من أبغضنا بقلبه(1).

وقد عد الشيخ الصدوق كون المعرفة شرطاً لدخول الجنة من اعتقادات الإمامية حيث قال في باب الاعتقاد في الأعراف: (اعتقادنا في الأعراف أنه سور بين الجنة والنار، عليه رجال يعرفون كلا بسيماهم والرجال هم النبي وأوصياؤه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه)(2).

فإذا ثبت ان دخول الجنة لا يكون إلا بمعرفتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وان معرفة حقهم توجب مضاعفة ثواب الأعمال فتصير زيارة واحدة للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه تعدل عند الله ثواب ألف حجة وألف عمرة، وتغير مصير الإنسان وقدره من شقى إلى سعيد، فمن الطبيعي بعد هذا التوضيح ان تصبح درجات المؤمنين في الجنة متفاوتة بتفاوت معرفتهم بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومتغايرة بتغاير سعة تلك المعرفة ورسوخها في القلب والعقل، وذلك لبداية ان درجات المعرفة تختلف من مؤمن إلى آخر، فيجب ووفقاً للعدل الإلهي أن تتغاير درجاتهم بتغاير معرفتهم، وتتفاوت منازلهم بتفاوت إحاطتهم بأسرار مقامات ومنازل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فليس من يعرف الاسم والكنية كمن يعرف منازلهم ومراتبهم وشؤونهم وأسرارهم، وليست معرفة أحد عوام هذه الأمة كمعرفة سلمان الفارسي أو غيره من أعظم وأجلاء أصحاب الأئمة +، فمن العدل إذن أن

1- المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ج 1 ص 153.

2- الاعتقادات في دين الإمامية للشيخ الصدوق ص 70.

تختلف الدرجات باختلاف مراتب المعرفة، ومن العدل أيضا أن يتعاضم الثواب ويزيد الأجر باختلاف العقول والمدارك التي تؤدي إلى زيادة المعرفة، ومن الظلم ان يتساوى العالم والجاهل، ومن الظلم أن يشترك سلمان العارف بأهل البيت حق معرفتهم مع إنسان لا يفقه من أهل البيت إلا أسماءهم ولا يقر لهم بمنزلة إلا بان زيارتهم تقضى له الحاجات.

نسأل الله سبحانه وتعالى زيادة معرفتهم وقوة اليقين بمراتبهم وشدة البصيرة بمنازلهم والارتفاع في درجات الجنان ببركة رضاهم ورضا الله سبحانه وتعالى انه أرحم الراحمين.

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظَمْتَ الرَّزِيَّةَ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ

إشارة

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

1: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ

2: لَقَدْ عَظَمْتَ الرَّزِيَّةَ

3: وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ

4: بِكَ عَلَيْنَا

5: وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ

المبحث الثالث: أهل الإسلام ومراتب تحقق وصفهم بالإسلام

المرتبة الأولى: مرتبة الإسلام الظاهري

المرتبة الثانية: مرتبة الإسلام بشرط الولاية

المرتبة الثالثة: مرتبة إسلام الأنبياء والأوصياء

مصيبة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وتأثيرها في هذه المراتب الثلاث

المبحث الرابع: شواهد روائية تعكس عظم ما وقع في عاشوراء

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ

وفى هذه الفقرة المباركة من الزيارة عدة من المباحث نستعرضها فيما يأتي من الكلام:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة

ورد في متون الزيارات الشريفة وجملة من روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وصف مصيبة الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته وأصحابه الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالمصيبة العظيمة والرزية الجليلة ونحن فيما يأتي نختار جملة من تلك الموارد، مع الأخذ بنظر الاعتبار الاقتصار على بعضها وعدم استقصاء كل ما ذكر في متون الزيارات الشريفة، ومن هذه الموارد ما يأتي:

منها ما رواه الشيخ الطوسي قدس الله روحه عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن قضاة بن صفوان بن مهران الجمال عن أبيه عن جده صفوان قال: (استأذنت الصادق عليه السلام لزيارة مولانا الحسين عليه السلام، فسألته أن يعرفني ما أعمل عليه، فقال: يا صفوان: صم ثلاثة أيام قبل خروجك واغتسل في اليوم الثالث... ثم تأتي باب القبة وقف من حيث يأتي الرأس، وقل: السلام عليك يا وارث آدم صفوة

الله السلام عليك يا وارث نوح نبي الله... بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله لقد عظمت الرزية وجلت المصيبة بك علينا وعلى جميع أهل السماوات والأرض... (1).

ومنها ما ذكره محمد بن المشهدى قدس الله روحه في كتابه المزار حيث قال: (زيارة أبي عبد الله عليه السلام في يوم عرفة ومن لم يمكنه حضور الموقف للحج وقدر على إتيان قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة فليحضر... ثم انكب على القبر وقبله وقل: بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله، لقد عظمت الرزية وجلت المصيبة بك علينا وعلى جميع أهل السماوات والأرض... (2).

ومنها ما ذكره السيد ابن طاوس قدس الله روحه في إقبال الأعمال: (إذا كنت بمشهد الحسين عليه السلام في يوم عرفة، فاغتسل غسل الزيارة والبس أطهر ثيابك وطهر عقلك وقلبك مما يقتضى الإبعاد بعقابك وعتابك، لتكون طاهرا من الأدناس، فيصح لك أن تقف بباب طاهر من الأرجاس، واقصد مقدس حضرته وقف على باب حرمة وكبر الله تعالى وقل: الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا... السلام عليك يا صريع العبرة الساكبة، وقرين المصيبة الراتبة، لعن الله أمة استحلحت منك المحارم، فقتلت صلى الله عليك مقهورا، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وآله بك موتورا، وأصبح دين الله لفقدك مهجورا... بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله، بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله، لقد عظمت الرزية، وجلت المصيبة بك علينا، وعلى جميع أهل السماوات والأرض... (3).

وستأتى أحاديث أخرى تؤيد هذا المعنى.

1- مصباح المتعجب للشيخ الطوسي ص 717 __ 721.

2- المزار لمحمد بن المشهدى ص 462 __ 464، وكذلك راجع كتاب المزار للشهيد الأول ص 125 __ 126.

3- إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج 2 ص 62 __ 64 فصل 18: فيما ذكره من لفظ الزيارة المختصة بالحسين عليه السلام يوم عرفة.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

1: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ

قد ذكرنا في الفقرة الأولى من فقرات هذه الزيارة الشريفة تفصيل الكلام عن سبب إطلاق كنية أبي عبد الله في هذه الزيارة دون غيرها من الكنى، وعن المداليل التي يحتويها هذا الإطلاق فراجع.

2: لَقَدْ عَظَّمَتِ الرَّزِيَّةُ

لقد: قد وردت معانٍ عدة للحرف (قد) فصلها صاحب كتاب الجنى الدانى فى حروف المعانى(1) وغيره، والظاهر ان (قد) هنا بمعنى التحقق وهى شبيهة بقوله تعالى: ((قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ)) (2) أى ان الفلاح واقع ومتحقق للمؤمنين، فيكون معنى هذه الفقرة من الزيارة (ان عظم الرزية وجلل المصيبة بالحسين صلوات الله وسلامه عليه واقع ومتحقق علينا وعلى جميع أهل الإسلام).

عظمت: بمعنى كبرت واشتدت وفضعت، قال الفراهيدى: (والعظم: مصدر الشىء العظيم... وسمعت خيرا فأعظمته أى: عظم فى عيني. ورأيت شيئا فاستعظمته... والعظم: جل الشىء وأكثره... والعظيمة: الملمة النازلة الفظيعة) (3).

وقال الجوهري: (عظم الشىء عظما: كبر، فهو عظيم. والعظام بالضم مثله... والعظيمة والمعظمة: النازلة الشديدة) (4).

1- راجع الجنى الدانى فى حروف المعانى للحسن بن قاسم المروريد ص 253 __ 259.

2- سورة المؤمنون الآية رقم 1.

3- كتاب العين للخليل الفراهيدى ج 2 ص 91 __ 92.

4- الصحاح للجوهري ج 5 ص 1987 __ 1988.

وقال ابن منظور: (والعظيمة والمعظمة: النازلة الشديدة والملمة إذا أعضلت) (1).

الرزية: وهى المصيبة بفقد خيار الأعزة، قال ابن منظور: (والرزء: المصيبة... والمرزئة والرزية: المصيبة، والجمع أرزاء ورزايا. وقد رزأته رزية أى أصابته مصيبة. وقد أصابه رزء عظيم... والرزء: المصيبة بفقد الأعزة) (2).

قال الفراهيدى: (وقوم مرزؤون، وهم الذين تصيبهم الرزايا فى أموالهم وخيارهم) (3).

وربما كان معنى الرزية هى الفجعة الموجهة، لان الفجعة هى: (الرزية. وقد فجعت المصيبة، أى أوجعته. وكذلك التفجيع. ونزلت بفلان فاجعة. وتفجعت له، أى توجعت) (4).

وقال ابن منظور: (الفجعة: الرزية الموجهة بما يكرم... وفجعت المصيبة أى أوجعته. والفواجع: المصائب المؤلمة التى تفجع الإنسان بما يعز عليه من مال أو حميم) (5).

3: وَجَلَّتِ الْمَصِيبَةُ

جلت: الجلل والجليل وصف يوصف به الأمر العظيم، قال ابن منظور: (والجليل: من صفات الله تقديس وتعالى، وقد يوصف به الأمر العظيم... والجلل:

1- لسان العرب لابن منظور ج 12 ص 411.

2- لسان العرب لابن منظور ج 1 ص 86.

3- كتاب العين للخليل الفراهيدى ج 7 ص 382 __ 383.

4- الصحاح للجوهري ج 3 ص 1256.

5- لسان العرب لابن منظور ج 8 ص 245.

الأمر العظيم(1).

المصيبة: وهي كما عبر عنها ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث: (مصيبة، ومصوبة، ومصابة، والجمع مصائب، ومصاوب. وهو الأمر المكروه ينزل بالإنسان)(2)، وكذا قال ابن منظور(3)، والشيخ الطريحي(4).

أو هي النائبة لأنهم عرفوا النائبة بقولهم: (والنائبة، المصيبة، واحدة نواب الدهر)(5).

أو هي النكبة لأنهم عرفوا النكبة بقولهم: (والنكبة: المصيبة من مصائب الدهر، وإحدى نكباته، نعوذ بالله منها)(6).

أو أن المصيبة مرادفة للرزية وقد تقدم إن إحدى تعاريف الرزية هي المصيبة.

4: بِكَ عَلَيْنَا

بك: (الباء) حرف استعمال في معانٍ شتى(7)، وقد استعمل هنا بمعنى السببية أو التعليل، قال ابن مالك: (هي التي تصلح غالباً في موضعها اللام)(8) وهو شبيه قوله تعالى: ((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ)) (9) أى بسبب

1- لسان العرب لابن منظور: ج 11، ص 116 __ 118.

2- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج 3 ص 57.

3- لسان العرب لابن منظور ج 1 ص 536.

4- مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج 2 ص 642.

5- الصحاح للجوهري ج 1 ص 229.

6- لسان العرب لابن منظور ج 1 ص 772 __ 773.

7- راجع الجنى الدانى فى حروف المعانى للحسن بن قاسم المرواريد ص 36 __ 56.

8- المصدر السابق ص 39.

9- سورة البقرة الآية رقم 54.

إتخاذكم العجل.

و(الكاف) ضمير متصل يرجع إلى الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فيكون المعنى هو (ان علة عظمة الرزية وسبب جلاله المصيبة علينا هو أنت يا أبا عبد الله) أو (لك وبسببك يا أبا عبد الله عظمت علينا الرزية وجلت المصيبة).

علينا: وضمير الجمع (نا) إما يقصد الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه منه نفسه المقدسة، لأنه هو من أخرج هذه الزيارة الشريفة للوجود، أو المقصود منها جميع الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين سبقوا الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه مع شخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين والسيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهما، لان الزيارة منقولة كما عرفنا في بداية الكتاب عن الإمام الباقر عن آبائه عن جبرائيل عن الله سبحانه، أو يكون المقصود كل من تقدم إضافة إلى شيعتهم وأصحابهم والزائرين لقبره صلوات الله وسلامه عليه، لان الجميع يصدق عليه أن الرزية عمته والمصيبة قد شملته.

5: وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ

وعلى جميع: جميع بمعنى كل، فتقول جاءوا جميعا، أى كلهم، وجميع أهل الإسلام أى كلهم.

أهل الإسلام: الأفراد المنتمون إلى دين الإسلام أو من يدين من الناس بدين الإسلام.

قال الفراهيدى: (وأهل الإسلام من يدين به) (1) وهو المعنى الظاهري، وستأتى معانٍ أخرى فى بحث سنفرده لها.

المبحث الثالث: أهل الإسلام ومراتب تحقق وصفهم بالإسلام

إشارة

ذكرت الزيارة الشريفة ان مصيبة الحسين صلوات الله وسلامه عليه ورزقته قد عظمت وجلت على جميع أهل الإسلام، ويمكن لنا وبملاحظة الآيات الكريمة والروايات الشريفة أن نجد ثلاث مراتب، أو ثلاثة مصاديق لأهل الإسلام ومن خلال معرفة هذه المراتب الثلاث نستطيع ان نعرف مع أي من تلك الأقسام ينسجم كلام الإمام صلوات الله وسلامه عليه ومع أي منها لا ينسجم، وبعبارة أخرى إننا وبمعرفة تلك الأقسام الثلاثة نستطيع أن نحدد وبدقة مراد الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه ومقصده من قوله (يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ) وهذه المراتب الثلاث هي:

المرتبة الأولى: مرتبة الإسلام الظاهري

وركيزة هذه المرتبة شهادة أن لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله، وتشمل كلاً من:

ألف: من يتشهد الشهادتين بلسانه من دون الإيمان والإقرار القلبي بها وبلوازمها، ويدخل في هذا القسم المنافقون وكثير من التيارات السياسية والعلمانية وغيرهم، ممن يتخذ الإسلام شعاراً يتصيد به السذج والمغفلين.

باء: من تشهد الشهادتين بلسانه واعتقدها بقلبه، ولكن من دون الإقرار اللساني أو القلبي بمبدأ ولاية وإمامة الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إذ ان ولايتهم وإمامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ركيزة مهمة لا تقل أهمية عن الركيزتين السابقتين — التوحيد والنبوة —.

جيم: من يتشهد بالشهادتين بلسانه ويعتقدها بقلبه، ويشهد للأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالولاية والإمامة بلسانه دون الاعتقاد بها أو بلوازمها في قلبه، فمثل هذا الصنف من الناس إن وجد فهو وإن كان محسوبا على أهل الإيمان في الظاهر إلا انه عند الله يعامل معاملة القسم الثاني من أقسام أهل الإسلام الظاهري، فلا ينتفع بولايته ولا يترقى مثل ما يترقى غيره من أتباع الأئمة عليهم السلام وأوليائهم.

وبهذه المرتبة الظاهرية من الإسلام حققت الدماء وأديت الأمانات وصحت المناكح والعقود وبقية التعاملات الدنيوية الظاهرية، فعن القاسم شريك المفضل قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام الصادق صلوات الله وسلامه عليه يقول: (الإسلام يحقن به الدم وتؤدى به الأمانة وتستحل به الفروج، والثواب على الإيمان)(1).

وقد فسر الإمام الصادق معنى أهل الإسلام في قوله المنقول عن محمد بن الحسن الصفار عن علي بن محمد القاساني عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود المنقري عن حفص بن غياث قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول وسئل عن قسم بيت المال فقال: أهل الإسلام هم أبناء الإسلام أسوى بينهم في العطاء وفضائلهم بينهم وبين الله أجملهم كبنى رجل واحد لا يفضل أحدا منهم...)(2).

إذن فجميعهم سواء من حيث التعامل الدنيوي الظاهري ولهم حقوقهم كاملة في دار الدنيا، والفرق ما بينهم وبين القسم اللاحق هو في ثوابهم عند الله سبحانه، فمنازل الآخرة كما ثبت في محله مشروطة بالإيمان بولاية وإمامة الأئمة الأطهار، ومن لم يأت بالشرط لا ينال المشروط الذي هو الثواب والجنة.

1- الكافي للشيخ الكليني: ج 2، ص 25، ح 6.

2- تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج 6 ص 146 باب كيفية قسمة الغنائم.

المرتبة الثانية: مرتبة الإسلام بشرط الولاية

وهذه المرتبة أخص من السابقة حيث اخذ فيها إضافة إلى شرط الشهادتين بالربوبية والنبوة شرط ثالث هو شرط الإقرار اللسانى والقلبى بإمامة وولاية الأئمة الطاهرين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويمكن أن يدخل تحت هذه المرتبة كل من:

ألف: من يقر بالتوحيد والنبوة والإمامة بلسانه وقلبه ولكنه لا يعتقد بإمامة جميع الأئمة الاثنى عشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كالزيدية الذين لا يعتقدون إلا بإمامة أربعة من أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وينكرون إمامة الباقيين، وكمثل الواقفية الذين وقفوا على إمامة الإمام موسى بن جعفر صلوات الله وسلامه عليه، وكبعض الذين يعتقدون بإمامة أحد عشر إماماً من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وينكرون إمامة الإمام المهدي عليه السلام، وغيرهم، وبالجملة فهذه المرتبة شاملة لكل من يعتقد بإمامة وولاية أهل البيت ولكنه ينكر إمامة واحد أو أكثر من الأئمة الاثنى عشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وهذا الصنف من المسلمين وان اقروا بالإمامة لسانا وقلبا ولكنهم يلحقون بأصحاب المرتبة الأولى، ولا يدخلون فى أهل الإيمان بالمعنى الأخص إلا من حيث الظاهر، وإلا فواقعهم عند الله سبحانه مشابه لواقع من آمن بالتوحيد والنبوة وأنكر الإمامة، لان الروايات الكثيرة عن أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين صرحت وبشكل واضح أن من أنكر واحدا من الأئمة الاثنى عشر، كان كمن أنكرهم جميعا، وبهذا المعنى وردت روايات كثيرة نختار منها على عجلة ما يأتى:

منها ما أخرجه الشيخ الصدوق قدس الله روحه فى (كمال الدين وتمام النعمة) قال: (حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى العطار رضى الله عنه قال: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنا موسى بن جعفر بن وهب البغدادي قال: سمعت أبا محمد الحسن بن

على عليهما السلام يقول: كأتى بكم وقد اختلفتم بعدى فى الخلف منى، أما إن المقر بالأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنكر لولدى كمن أقر بجميع أنبياء الله ورسله ثم أنكر نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله، والمنكر لرسول الله صلى الله عليه وآله كمن أنكر جميع أنبياء الله لان طاعة آخرنا كطاعة أولنا، والمنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا. أما إن لولدى غيبة يرتاب فيها الناس إلا من عصمه الله عز وجل(1).

وعن الشيخ الكلينى فى (الكافى) عن: (الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن محمد بن جمهور، عن صفوان، عن ابن مسكان قال: سألت الشيخ(2)، عن الأئمة عليه السلام قال: من أنكر واحدا من الأحياء فقد أنكر الأموات(3).

وقد نقل العلامة المجلسى فى (بحار الأنوار) اتفاق الإمامية على هذا الأمر: (وقال الشيخ المفيد قدس الله روحه فى كتاب المسائل: اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود فى النار(4).

باء: من يقر بالتوحيد والنبوة والإمامة لجميع الأئمة الاثنى عشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قلبا ولسانا، وينقاد لهم روحا وعقلا وعملا، ويقبل عنهم ولا يرد عليهم، ويعترف لهم بالفضل وعلو المنزلة والرفعة على جميع البشر باستثناء النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ويقر لهم بجميع منازلهم التى أثبتها الله سبحانه لهم وأثبتوها هم لأنفسهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

1- كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص 409.

2- المقصود بالشيخ هنا هو الإمام موسى بن جعفر صلوات الله وسلامه عليه.

3- الكافى للشيخ الكلينى ج 1 ص 373.

4- بحار الأنوار للعلامة المجلسى ج 8 ص 366.

وبهذه المرتبة تقبل العبادات ويتضاعف الأجر، وهي المرتبة الكاملة والنعمة التامة، التي قصدها سبحانه بقوله: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)) (1)، فالولاية لآل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يوم غدیر خم كمل الدين وبالانقياد إليهم تمت النعمة، وكل من جاء يوم القيامة بغير هذه النعمة، فقد جاء بإسلام ناقص مبتور لا يقبل منه.

وقد وردت الأخبار المستفيضة والتي نصت بما لا يقبل الشك على أن الولاية لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي ركيزة الإسلام المهمة ودعامته التي يقوم بها، وان من ضيعها لم يصب الإسلام الحقيقي، ومن هذه الأخبار ما يأتي:

فعن فضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (بنى الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه __ يعني الولاية __) (2).

وعن زرارة، عن أبي جعفر صلوات الله وسلامه عليه قال: (بنى الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية، قال زرارة: فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل، لأنها مفتاحهن والوالى هو الدليل عليهن) (3).

وعن أبان عن فضيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (بنى الإسلام على خمس: الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء ما نودي بالولاية يوم الغدير) (4).

1- سورة المائدة الآية رقم 3.

2- الكافي للشيخ الكليني ج 2 ص 18 باب دعائم الإسلام حديث رقم 3.

3- المصدر السابق الحديث رقم 5.

4- المصدر السابق الحديث رقم 8.

وعن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا ولا تعرفوا حتى تصدقوا ولا تصدقوا حتى تسلموا أبواباً أربعة لا يصلح أولها إلا بآخرها، ضل أصحاب الثلاثة وتاهوا تيهها بعيداً. إن الله تبارك وتعالى لا يقبل إلا- العمل الصالح ولا- يقبل الله إلا الوفاء بالشروط والعهود، فمن وفى لله عز وجل بشرطه واستعمل ما وصف فى عهده نال ما عنده واستكمل ما وعده.

إن الله تبارك وتعالى أخبر العباد بطرق الهدى وشرع لهم فيها المنار وأخبرهم كيف يسلكون، فقال: ((وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى)) (1)، وقال: ((إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَمِّينِ)) (2)، فمن اتقى الله فيما أمره لقي الله مؤمناً بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله.

هيهات هيهات فات قوم وماتوا قبل أن يهتدوا ووطنوا أنهم آمنوا، وأشركوا من حيث لا يعلمون. إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى، ومن أخذ فى غيرها سلك طريق الردى، وصل الله طاعة ولى أمره بطاعة رسوله، وطاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعة ولاية الأمر لم يطع الله ولا رسوله، وهو الإقرار بما انزل من عند الله عز وجل، خذوا زينتكم عند كل مسجد والتمسوا البيوت التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فإنه أخبركم أنهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار.

إن الله قد استخلص الرسل لأمره، ثم استخلصهم مصدقين بذلك فى نذره، فقال: ((وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)) (3) تاه من جهل، واهتدى من أبصر وعقل، إن الله عز

1- سورة طه الآية رقم 82.

2- سورة المائدة الآية رقم 72.

3- سورة فاطر الآية رقم 24.

وجل يقول: ((فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)) (1) وكيف يهتدى من لم يبصر؟ وكيف يبصر من لم يتدبر؟ اتبعوا رسول الله وأهل بيته وأقروا بما نزل من عند الله واتبعوا آثار الهدى، فإنهم علامات الأمانة والتقى واعلموا أنه لو أنكر رجل عيسى بن مريم عليه السلام وأقر بمن سواه من الرسل لم يؤمن، اقتصوا الطريق بالتماس المنار والتمسوا من وراء الحجب الآثار تستكملوا أمر دينكم وتؤمنوا بالله ربكم (2).

المرتبة الثالثة: مرتبة إسلام الأنبياء والأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

لا يخفى ان الإسلام هو الدين الرسمي الذي شرعه الله سبحانه لسائر البشرية، واليه دعا الأنبياء العظام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من لدن نبي الله آدم صلوات الله وسلامه عليه إلى نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وما إرسال الرسل، وبعثهم الواحد تلو الآخر، إلا ليكمل بعضهم بعضاً، ويتم بعضهم شريعة بعض، وليبلغوا بأجمعهم شريعة واحدة وديناً محمداً أسمه عند الله سبحانه الإسلام، قال تعالى: ((إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)) (3)، وقال سبحانه: ((وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)) (4).

فيمكن على وفق هذه النظرة القرآنية عدّ جميع الأنبياء والرسل والأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أهل الإسلام، واليه يشير حديث المفضل مع الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه حين سأله المفضل قائلاً: (يا سيدي والدين الذي أتى به آدم ونوح،

1- سورة الحج الآية رقم 46.

2- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 181 __ 183 باب معرفة الإمام والرد إليه الحديث رقم 6.

3- سورة آل عمران الآية رقم 19.

4- سورة آل عمران الآية رقم 85.

وإبراهيم وموسى، وعيسى ومحمد هو الإسلام، قال: نعم يا مفضل هو الإسلام لا غير، قلت فنجده في كتاب الله، قال: نعم من أوله إلى آخره وهذه الآية منه: ((إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ))، وقوله عز وجل: ((مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ))، وفي قصة إبراهيم وإسماعيل: ((رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ))، وقوله في قصة فرعون: ((حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ))، وفي قصة سليمان وبلقيس قالت: ((وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))، وقول عيسى للحواريين: ((مَنْ أَنْصَرِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَرُ بِاللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ))، وقوله تعالى: ((وَلَهُ أَسَّ لَمْ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ))، وقوله في قصة لوط: ((فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ))، ولوط قبل إبراهيم، وقوله: ((قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ))، وقوله: ((أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ))... (1).

فيتبين من خلال هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ان جميع الأنبياء وأوصيائهم وأممهم كانوا يعتقدون ويدينون بدين الإسلام، بل ويقرون بنبوة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وإمامة الأئمة الإثني عشر من بعده، كما قد ثبت في بحث سابق ان ولايتهم وإمامتهم عرضت على الأنبياء في هذا العالم وفي عوالم سابقة، وما نبى نبي أو أرسل رسول إلا بعد الاعتراف بنبوة نبينا الأعظم وإمامة الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وعليه فيمكن دخولهم بهذا الاعتبار في المرتبة الثانية التي مرت آنفا.

مصيبة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وتأثيرها في هذه المراتب الثلاث

إشارة

بعد أن عرفنا ان للمسلمين ثلاث مراتب صار حقا علينا ان نعرف أى المراتب هى المقصودة من قول الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه: (عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ)، ولا نجد صعوبة فى استبعاد أهل المرتبة الأولى (1) من هذه المقولة الشريفة، وهذا الاستبعاد إن لم يشمل جميع أفراد هذه المرتبة، فهو شامل للغالبية العظمى منهم، ولنا على هذا الاستبعاد عدة أدلة وشواهد، منها:

الشاهد الأول

قال الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: (وكلما عظم قدر الشىء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده) (2) فإن من تعظم عليه مصيبة الحسين صلوات الله وسلامه عليه وتشتد عليه رزيته لا بد ان يكون عارفا بمقام سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه وحائزا على المعرفة الحقيقية بشخصه المقدس ومقاماته ومنازل كرامته ومؤهلاته التى منحها له الله سبحانه وتعالى، وهو غير متحقق فى أهل هذه المرتبة، لان أفرادها مترددون ما بين صنفين:

الصنف الأول: من لا يعترف للحسين صلوات الله وسلامه عليه بفضل مطلقا، كما لم يكونوا يعترفون بفضل أخيه الحسن وأبيه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهما وجده النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وهم أهل الإسلام اللسانى ممن لم يدخل الإسلام فى قلبه، وهؤلاء وان تغيرت أعيانهم فى كل عصر ومصر، إلا أن صفاتهم تبقى متشابهة على الدوام،

1- مرتبة الإسلام الظاهرى.

2- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 19 ص 156.

فهم وان شهدوا لله بالوحدانية وللرسول بالرسالة، وهم وان أبدوا الأسى والحزن على قتل الحسين صلوات الله وسلامه عليه إلا ان هذه الأمور تبقى موصوفة بقوله تعالى: ((يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ)) (1)، وتبقى عقائدهم اللسانية داخلية في قوله تعالى: ((إِذَا جَاءَكَ الْمُتَأَفِّقُونَ قَالُوا نَسَّ هَدَىٰ إِيَّاكَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَأَفِّقِينَ لَكَاذِبُونَ)) (2)، ومن يكون حاله ما ذكرنا لا يمكن أن تكون مصيبة الحسين عليه عظمة ورزيته بالنسبة إليه جليلة.

الصنف الثاني: وهم الذين يقرون بالشهادتين ويقرون بلوازمها ولكنهم وبسبب الخلفية العقائدية التي تربوا عليها وتبنوها يعدّون الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه شأنه شأن غيره من سائر الناس، بل ويعدّون مصيبتهم من حيث الأهمية أقل بكثير من مصائب كثير من الصحابة، كما سيأتي الإشارة إلى بعض الشواهد الموضحة لهذه الحقيقة لاحقاً، فمن لم يعظم عنده قدر الحسين صلوات الله وسلامه عليه لا يصح أن يقال عنه بأنه قد أصيب وفجع وعظمت وجلت عليه رزية قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهم وان ابدوا التأثر والاهتمام بمقتله إلا أن هذا الاهتمام والتأثر لا يصل بهم إلى مرتبة من عظمت عنده المصيبة وجلت لديه الرزية، لان مصيبة غيره عندهم أعظم ورزايا من هم دونه عندهم أجل وأكبر.

الشاهد الثاني

إن من يريد أن يتعرف على معتقدات فرقة ما أو ديانة ما لا بد عليه أن يرجع إلى ما كتبه علماء ومفكر وتلك الفرق ومثقفوها، ونحن لو رجعنا إلى علماء ومفكرى ومثقفى الطائفة الأولى ممن لا يقر لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليه بالإمامة والولاية،

1- سورة الفتح الآية رقم 11.

2- سورة المنافقون الآية رقم 1.

وسألناهم عن حسن ومشروعية أن يحزن الإنسان على مصيبة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه ويظهر عظيم رزقته وفداحة مصيبته، لأجابوك بما صرح به ابن كثير بقوله: (ثم دخلت سنة ثنتين وأربعمائة في المحرم منها أذن فخر الملك الوزير للروافض أن يعملوا بدعتهم الشنعاء، والفضيحة الصلحاء، من الانتحاب والنوح والبكاء، وتعليق المسوح وأن تغلق الأسواق من الصباح إلى المساء، وأن تدور النساء حاسرات عن وجوههن ورؤوسهن، يلطنن خدودهن، كفعل الجاهلية الجهلاء، على الحسين ابن علي، فلا جزاه الله خيرا، وسود الله وجهه يوم الجزاء، إنه سميع الدعاء)(1).

وقال في موضع آخر: (وقد أسرف الرافضة في دولة بني بويه في حدود الأربعمائة وما حولها فكانت الدبابب تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء، ويذر الرماد والتبن في الطرقات والأسواق، وتعلق المسوح على الدكاكين، ويظهر الناس الحزن والبكاء، وكثير منهم لا يشرب الماء ليلتذ موافقة للحسين لأنه قتل عطشانا. ثم تخرج النساء حاسرات عن وجوههن ينحن ويلطنن وجوههن وصدورهن، حافيات في الأسواق إلى غير ذلك من البدع الشنيعة، والأهواء الفظيعة، والهتائك المخترعة وإنما يريدون بهذا وأشباهه أن يشنعوا على دولة بني أمية، لأنه قتل في دولتهم)(2)، ومن هذا النص يظهر ان انزعاج ابن كثير هو لأجل مساس هذه المراسم الشريفة في إقامة العزاء على سيد الشهداء بأرباب نعمته من بني أمية الشجرة الملعونة وقتلة أولاد الأنبياء.

وقال في مكان ثالث: (ولكنه لا يحسن ما يفعله الشيعة من إظهار الجزع والحزن الذي لعل أكثره تصنع ورياء، وقد كان أبوه أفضل منه فقتل، وهم لا يتخذون مقتله

1- البداية والنهاية لابن كثير ج 11 ص 397.

2- البداية والنهاية لابن كثير ج 8 ص 220 __ 221.

مأتما كيوم مقتل الحسين، فإن أباه قتل يوم الجمعة وهو خارج إلى صلاة الفجر في السابع عشر من رمضان سنة أربعين، وكذلك عثمان كان أفضل من علي عند أهل السنة والجماعة، وقد قتل وهو محصور في داره في أيام التشريق من شهر ذي الحجة سنة ست وثلاثين، وقد ذبح من الوريد إلى الوريد، ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتما، وكذلك عمر بن الخطاب وهو أفضل من عثمان وعلي، قتل وهو قائم يصلى في المحراب صلاة الفجر ويقرأ القرآن، ولم يتخذ الناس يوم مقتله مأتما، وكذلك الصديق كان أفضل منه ولم يتخذ الناس يوم وفاته مأتما، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، وقد قبضه الله إليه كما مات الأنبياء قبله، ولم يتخذ أحد يوم موتهم مأتما يفعلون فيه ما يفعله هؤلاء الجهلة من الرافضة يوم مصرع الحسين، ولا ذكر أحد أنه ظهر يوم موتهم وقبلهم شىء مما ادعاه هؤلاء يوم مقتل الحسين من الأمور المتقدمة، مثل كسوف الشمس والحمرة التي تطلع في السماء وغير ذلك(1).

وصرح ابن تيمية وبكل وقاحة ان الشيطان قد استغل مقتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه واستشهاده، ليحدث البدع الشيطانية، ومن بدعه بزعم ابن تيمية إظهار الحزن والبكاء وقراءة مصيبيته وما جرى عليه وعلي أهل بيته وأصحابه يوم عاشوراء، فقال هذا المخذول: (وصار الشيطان بسبب قتل الحسين يحدث للناس بدعتين: بدعة الحزن والنوح يوم عاشوراء من اللطم والصراخ والبكاء والعطش وإنشاد المراثي، وما يفضى إلى ذلك من سب السلف ولعنهم، وإدخال من لا ذنب له مع ذوى الذنوب، حتى يسب السابقون الأولون، وتقرأ أخبار مصرعه التي كثير منها كذب. وكان قصد من سن ذلك فتح باب الفتنة والفرقة بين الأمة، فإن هذا ليس

واجبا ولا مستحبا باتفاق المسلمين، بل إحداث الجزع والنياح للمصائب القديمة من أعظم ما حرمه الله ورسوله... وأما ما ذكره من سبى نسائه والذراري، والدوران بهم في البلاد، وحملهم على الجمال بغير أقتاب، فهذا كذب وباطل، ما سبى المسلمون هاشمية قط، ولا استحلت أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم سبى بنى هاشم قط، ولكن أهل الهوى والجهل يكذبون كثيرا، وفي الجملة، فما يعرف في الإسلام أن المسلمين سبوا امرأة يعرفون أنها هاشمية، ولا سبى عيال الحسين، بل لما دخلوا إلى بيت يزيد قامت النياحة في بيته و أكرمهم وخيرهم بين المقام عنده والذهاب إلى المدينة، فاختروا الرجوع إلى المدينة(1).

وقد نقل الشيخ الأميني في سفره القيم الغدير عن الشيخ إسماعيل البروسوي في تفسيره روح البيان(2): (قال في عقد الدرر والالائي ومن قرأ يوم عاشوراء وأوائل المحرم مقتل الحسين رضى الله عنه، فقد تشبه بالروافض، خصوصا إذا كان بألفاظ مخللة بالتعظيم لأجل تحزين السامعين، وفي كراهية القهستاني: لو أراد ذكر مقتل الحسين ينبغي أن يذكر أولا مقتل سائر الصحابة لئلا يشابه الروافض. وقال حجة الإسلام الغزالي: يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكايته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم، فإنه يهيج بغض الصحابة والظعن فيهم وهم أعلام الدين، وما وقع بينهم من المنازعات فيحمل على محامل صحيحة، ولعل ذلك لخطأ في الاجتهاد لا لطلب الرياسة والدنيا كما لا يخفى(3).

1- منهاج السنة لابن تيمية ج4 ص554 دار النشر مؤسسة قرطبة، سنة النشر 1406 رقم الطبعة الأولى، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم.

2- ج4 ص142 كما في الغدير.

3- الغدير للشيخ الأميني ج 10 ص 211.

وقال ابن كثير: (ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وثلاثمائة في عاشر محرمها أمر الوزير أبو الحسن علي بن محمد الكوكبي — ويعرف بابن المعلم وكان قد استحوذ على السلطان — أهل الكرخ وباب الطاق من الرفضة بأن لا يفعلوا شيئاً من تلك البدع التي كانوا يتعاطونها في عاشوراء: من تعليق المسوح وتعليق الأسواق والنياحة على الحسين، فلم يفعلوا شيئاً من ذلك ولله الحمد. وقد كان هذا الرجل من أهل السنة)(1).

وقال الذهبي: (أحداث سنة إحدى ستين وثلاثمائة أقامت الشيعة بدعة عاشورا ببغداد)(2).

وقال الذهبي أيضاً: (حوادث سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة فمن الحوادث فيها أن أبا الحسن علي بن محمد بن المعلم الكوكبي كان قد استولى على أمور السلطان بهاء الدولة كلها، فمنع أهل الكرخ وباب الطاق من النوح يوم عاشوراء، ومن تعليق المسوح، كان كذلك يعمل من نحو ثلاثين سنة)(3).

وقال ابن كثير: (ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وأربعمائة... وفيها عملت الرفضة بدعتهم الشنعاء، وحادثتهم الصلعاء في يوم عاشوراء، من تعليق المسوح، وتعليق الأسواق، والنوح والبكاء في الأزقة، فأقبل أهل السنة إليهم في الحديد فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل من الفريقين طوائف كثيرة، وجرت بينهم فتن وشور مستطيرة)(4).

-
- 1- البداية والنهاية لابن كثير ج 11 ص 355.
 - 2- تاريخ الإسلام للذهبي ج 26 ص 245.
 - 3- المصدر السابق ج 27 ص 12.
 - 4- البداية والنهاية لابن كثير ج 12 ص 35.

فهل يبقى شك بعد كل هذا فى عدم شمول قول الباقر صلوات الله وسلامه عليه فى هذه الزيارة الشريفة (يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ) لهؤلاء الذين يعلنون ويتجاهرون بأن إقامة المآتم وإظهار الحزن على مصيبة سيد الشهداء ورزيتة بدعة شنعاء وحادثه صلعاء تستحق وبلا خوف من الله سبحانه أن يخرج عليهم أتباعهم بالحديد ليقتلوهم شر قتلة، فانا لله وإنا إليه راجعون.

أما أصحاب المرتبة الثانية وهم من جمع بين ركيزتى التوحيد والنبوة وبين ركيزة الولاية والإمامة، فلا شك فى دخولهم فى قول الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه (يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ) فقد شهد القاصى والدانى والمخالف قبل الموالف بأنهم بالغوا وحق لهم أن يبالغوا فى إظهار عظيم مصيبة إمامهم المظلوم صلوات الله وسلامه عليه وجلل مصابه ومصاب أهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتحملوا فى سبيل إظهار ذلك شتى ألوان القهر والاضطهاد ومختلف أنواع القتل والتعذيب والى اليوم.

وكيف لا يكون مصاب إمامهم عندهم جلا ومصيبته لديهم عظيمة، وهم من خلق من فاضل طينتهم وعرفوه وأهل بيته والأئمة من ولده حق معرفته ومعرفتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأما أصحاب المرتبة الثالثة من النبيين والمرسلين وأوصيائهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقد وردت الأحاديث المستفيضة التى توجب الاطمئنان بأن الله سبحانه وتعالى قد عرض عليهم ما سيجرى على الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته وصحبه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وما ستفعله به أمة جده ممن تسربت بالإسلام وكررت الشهادتين باللسان دون الجنان، وأظهر هؤلاء العظام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين شديد الحزن وعظيم

الوجد والتأثر، فكانت مصيبتة صلوات الله وسلامه عليه عليهم عظيمة، ورزيتة في نفوسهم جليلة، فلا شك في شمولهم بقول الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه: (يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ).

وقد أخرج الشيخ عبد الله البحراني في كتابه العوالم أخبارا يطول الوقوف عندها وذكرها في مثل هذا الاختصار، فمن يرد التفصيل فليرجع إلى الكتاب المومأ إليه.

المبحث الرابع: شواهد روائية تعكس عظم ما وقع في عاشوراء

قلنا ان ضمير الجمع في كلمة (علينا) في قول الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه في هذه الزيارة الشريفة (يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا) قد يكون مرجعه إلى سائر أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بإضافة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والسيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، وهو افتراض منطقي بعد أن مرت علينا كلمة الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: (وكلما عظم قدر الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده) [\(1\)](#) ولا أحد من الأولين والآخرين يعرف قيمة وقدر الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه بقدر أولئك الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فتصبح رزيتة عليهم أعظم من كل الرزايا، ومصيبتهم به اجل من كل المصائب، ومن تتبع أقوال وأفعال الأئمة صلوات الله وسلامه عليه يجد عظمة المصيبة وحجم هول الرزية واضحا في أقوالهم وأفعالهم وانفعالاتهم، فهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ما بين باك عليه لدرجة تفرح الجفون وبين معول كالثاكل لا يتهاى بطعام أو شراب قبل أن يمزجه بدموع عينيه أو دم جفونه، وفيما يأتي جملة من كلماتهم وبعض من أفعالهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين التي تبين وبوضوح ما قدمناه وأوضحنا معالمه:

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 19 ص 156.

منها: ما أخرجه الشيخ الصدوق قدس الله روحه بسنده عن: (سليمان بن عبد الله الخزاز الكوفي قال: حدثنا عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: يا بن رسول الله كيف صار يوم عاشوراء يوم مصيبة وغم وجزع وبكاء دون اليوم الذي قبض منه رسول الله صلى الله عليه وآله واليوم الذي ماتت فيه فاطمة عليها السلام واليوم الذي قتل فيه أمير المؤمنين عليه السلام واليوم الذي قتل فيه الحسن عليه السلام بالسهم؟، فقال: إن يوم الحسين عليه السلام أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام، وذلك أن أصحاب الكساء الذي كانوا أكرم الخلق على الله تعالى كانوا خمسة فلما مضى عنهم النبي صلى الله عليه وآله بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فكان فيهم للناس عزاء وسلوة.

فلما مضت فاطمة عليها السلام كان في أمير المؤمنين والحسن والحسين للناس عزاء وسلوة فلما مضى منهم أمير المؤمنين عليه السلام كان للناس في الحسن والحسين عزاء وسلوة فلما مضى الحسن عليه السلام كان للناس في الحسين عليه السلام عزاء وسلوة، فلما قتل الحسين عليه السلام لم يكن بقي من أهل الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوة فكان ذهابه كذهاب جميعهم كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم فلذلك صار يومه أعظم مصيبة.

قال عبد الله بن الفضل الهاشمي: فقلت له يا بن رسول الله فلم لم يكن للناس في علي بن الحسين عزاء وسلوة مثل ما كان لهم في آبائه عليهم السلام؟، فقال: بلى ان علي بن الحسين كان سيد العابدين وإماما وحجة على الخلق بعد آبائه الماضين ولكنه لم يلق رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يسمع منه وكان علمه وراثته عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وآله وكان أمير المؤمنين وفاطمة والحسن

والحسين عليهم السلام قد شاهدتهم الناس مع رسول الله صلى الله عليه وآله في أحوال في آن يتوالى فكانوا متى نظروا إلى أحد منهم تذكروا حاله مع رسول الله صلى الله عليه وآله وقول رسول الله له وفيه، فلما مضوا فقد الناس مشاهدة الأكرمين على الله عز وجل ولم يكن في أحد منهم فقد جميعهم إلا في فقد الحسين عليه السلام لأنه مضى آخرهم فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة.

قال عبد الله بن الفضل الهاشمي: فقلت له يا بن رسول الله فكيف سمت العامة يوم عاشوراء، يوم بركة فبكى عليه السلام ثم قال: لما قتل الحسين عليه السلام تقرب الناس بالشام إلى يزيد فوضعوا له الأخبار وأخذوا عليه الجوائز من الأموال فكان مما وضعوا له أمر هذا اليوم وأنه يوم بركة ليعدل الناس فيه من الجزع والبكاء والمصيبة والحزن إلى الفرح والسرور والتبرك والاستعداد فيه حكم الله مما بيننا وبينهم.

قال: ثم قال عليه السلام يا بن عم وان ذلك لأقل ضررا على الإسلام وأهله وضعه قوم انتحلوا مودتنا وزعموا أنهم يدينون بموالاتنا ويقولون يامامتنا زعموا ان الحسين عليه السلام لم يقتل وأنه شبه للناس أمره كعيسى بن مريم فلا لائمة إذن على بنى أمية ولا عتب على زعمهم، يا بن عم من زعم أن الحسين عليه السلام لم يقتل فقد كذب رسول الله صلى الله عليه وآله وعليا وكذب من بعده الأئمة عليهم السلام في أخبارهم بقتله، ومن كذبهم فهو كافر بالله العظيم ودمه مباح لكل من سمع ذلك منه... (1).

وعن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليها قال: (إن زين العابدين عليه السلام بكى على أبيه أربعين سنة صائما نهاره وقائما ليله فإذا حضر الإفطار جاءه غلامه بطعامه

وشرا به فيضعه بين يديه فيقول كل يا مولاي فيقول: قتل ابن رسول الله جائعا قتل ابن رسول الله عطشانا فلا يزال يكرر ذلك ويبكى حتى يبل طعامه من دموعه ثم يمزج شرابه بدموعه فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عز وجل(1).

وحدث مولى للإمام زين العابدين صلوات الله وسلامه عليه أن الإمام (برز يوما إلى الصحراء قال فتبعته فوجدته قد سجد على حجارة فوقفت وأنا أسمع شهيقه وبكائه وأحصيت عليه ألف مرة لا إله إلا الله حقا حقا لا إله إلا الله تعبدا ورقا لا إله إلا الله إيمانا وصدقا ثم رفع رأسه من السجود وإن لحيته ووجهه قد غمر بالماء من دموع عينيه. فقلت: يا سيدي ما آن لحزنك أن ينقضى ولبكائك أن يقل: فقال لى ويحك إن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام كان نبيا ابن نبي كان له اثنا عشر ابنا فغيب الله سبحانه واحدا منهم فشاب رأسه من الحزن واحدودب ظهره من الغم وذهب بصره من البكاء وابنه حى فى دار الدنيا وأنا فقدت أبى وأخى وسبعة عشر من أهل بيتى صرعا مقتولين فكيف ينقضى حزنى ويقل بكائى)(2).

وكان صلوات الله وسلامه عليه: (إذا أخذ إناء بشرب الماء بكى حتى يملأها دمعا فليل له فى ذلك فقال وكيف لا أبكى وقد منع أبى من الماء الذى كان مطلقا للسباع والوحوش وقيل له إنك لتبكى دهرك فلو قتلت نفسك لما زدت على هذا فقال نفسى قتلتها وعليها أبكى)(3).

وعن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه قال: (إن يوم الحسين أقرح جفوننا وأسبل

1- اللهوف فى قتلى الطفوف للسيد ابن طاوس ص 121.

2- اللهوف فى قتلى الطفوف للسيد ابن طاوس ص 122.

3- مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب ج 3 ص 303 باب إمامة على بن الحسين، وفى البحار ج 46 ص 109 نقلا عن حلية الأولياء ج 3 ص 138.

دموعنا وأذل عزيزنا بأرض كرب وبلا- وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانتضاء فعلى مثل الحسين فليبك الباكون فإن البكاء عليه يحط الذنوب العظام.

ثم قال صلوات الله وسلامه عليه: كان أبى إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكا وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تمضى عشرة أيام منه فإذا كان يوم العاشر كان ذلك يوم مصيبتة وحزنه وبكائه).

وعن الريان بن شبيب قال: (دخلت على الرضا عليه السلام فى أول يوم من المحرم، فقال لى: يا ابن شبيب، إن المحرم هو الشهر الذى كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمة شهرها، فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها، ولا حرمة نبيها صلى الله عليه وآله، إذ قتلوا فى هذا الشهر ذريته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبدا. يا ابن شبيب، إن كنت باكيا لشيء، فابك للحسين عليه السلام، فإنه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلا ما لهم فى الأرض شبيهه، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله... يا ابن شبيب، إن سرك أن تكون معنا فى الدرجات العلى من الجنان، فاحزن لحزننا، وأفرح لفرحنا، وعليك بولايتنا...)(1).

وفى الزيارة التى خرجت عن الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه: (...السلام عليك، سلام العارف بحرمتك، المخلص فى ولايتك، المتقرب إلى الله بمحبتك، البرىء من أعدائك، سلام من قلبه بمصابك مقروح، ودمعه عند ذكرك مسفوح، سلام المفجوع المحزون، الواله المستكين. سلام من لو كان معك بالطفوف لوقاك بنفسه حد السيوف، وبذل حشاشته دونك للحتوف، وجاهد بين يديك، ونصرك على من بغى عليك، وفداك بروحه وجسده، وماله وولده، وروحه لروحك فداء، وأهله لأهلك

1- الأمالى للشيخ الصدوق ص 192 حديث الرضا عليه السلام عن يوم عاشوراء.

وقاء فلئن أخرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محاربا، ولمن نصب لك العداوة مناصبا، فلأندبنيك صباحا ومساء، ولأبكين عليك بدل الدموع دما، حسرة عليك وتأسفا على ما دهاك وتلهفا، حتى أموت بلوعة المصاب وغصة الاكتياب... فقام ناعيك عند قبر جدك الرسول صلى الله عليه وآله، فنعاك إليه بالدمع الهطول، قائلا: يا رسول الله قتل سبطك وفتاك، واستبيح أهلک وحماک، وسبيت بعدك ذراريك، ووقع المحذور بعترتك وذويك. فانزعج الرسول وبكى قلبه المهول، وعزاه بك الملائكة والأنبياء، وفجعت بك أمك الزهراء، واختلفت جنود الملائكة المقربين، تعزى أباک أمير المؤمنين، وأقيمت لك المآتم في أعلى عليين، ولطمت عليك الحور العين، وبكت السماء وسكانها، والجنان وخزانها، والهضاب وأقطارها، والأرض وأقطارها، والبحار وحيثانها، ومكة وبنیانها، والجنان وولدانها، والبيت والمقام، والمشعر الحرام، والحل والإحرام... (1).

ولو سردنا كل كلماتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومواقفهم ودعوتهم للشعراء وإقامة مجالس العزاء في بيوتهم الطاهرة وشديد بكائهم وعظيم جزعهم لطال بنا المقام، فنكتفي بما أوردنا ومن أراد المزيد فليرجع إلى ما خصص لجمع هذه الأخبار المفجعة المؤلمة من كتب الأعلام رضوان الله تعالى عليهم.

وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ

إشارة

المبحث الأول: المعنى اللغوي لهذه العبارة الشريفة

1: وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ

2: عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ

المبحث الثاني: التأثير الكوني لمصيبة الحسين عليه السلام

أولاً: تصریح السيدة زينب ببكاء السماء دما يوم عاشوراء

ثانياً: التأثير الكوني لمصيبة الحسين عليه السلام في كتب الإمامية

ثالثاً: التأثير الكوني لمصيبة الحسين عليه السلام في كتب أهل السنة

رابعاً: ماذا يقول ابن كثير وابن تيمية بخصوص ما سبق؟

المبحث الثالث: هل يمكن أن تبكى الحيوانات والجمادات؟

أولاً: شواهد قرآنية على ان لكل الموجودات عقلاً وإدراكاً

ثانياً: ماذا يقول الحلبي في معاجز النبي. وكراماته

ثالثاً: خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة

رابعاً: كسفت الشمس وأظلمت المدينة حين أرادوا نقل منبر النبي

خامساً: أظلمت المدينة من جريمة عبيد الله بن عمر بن الخطاب

وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ قَدْ مَرَّ إِثْبَاتُ صَدُورِ هَذِهِ الْفَقْرَةِ فِي أَثْنَاءِ إِثْبَاتِ صَدُورِ الْفَقْرَةِ السَّابِقَةِ مِنْ هَذِهِ الزِّيَارَةِ الشَّرِيفَةِ لِذَلِكَ لَمْ نَرِ مِنَ الضَّرُورِيِّ التَّكَرُّارَ لِأَنَّ فِيهَا مَرَّ كِفَايَةً لِمُتَدَبِّرٍ.

المبحث الأول: المعنى اللغوي لهذه العبارة الشريفة

1: وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ

تقدم في شرح الفقرة السابقة من الزيارة معنى (جلت) و(عظمت) و(مصيبتك) وبقي هنا أن نعرف معنى:

السموات: وهي جمع سماء والسماء كما عرفها الفراهيدي: (سقف كل شيء، وكل بيت) (1).

وقال الجوهري: (السماء يذكر ويؤنث أيضا، ويجمع على أسمية وسموات. والسماء: كل ما علاك فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت: سماء) (2).

1- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج 7 ص 319.

2- الصحاح للجوهري ج 6 ص 2381 __ 2382 مادة سما.

وقال ابن منظور: (وسماء كل شيء: أعلاه، مذكر. والسماء: سقف كل شيء وكل بيت. والسموات السبع سماء، والسموات السبع: أطباق الأرضين، وتجمع سما وسموات. وقال الزجاج: السماء في اللغة يقال لكل ما ارتفع وعلا قد سما يسمو. وكل سقف فهو سما، ومن هذا قيل للسحاب السماء لأنها عالية، والسماء: كل ما علاك فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت سماء. والسماء التي تظل الأرض أثنى عند العرب لأنها جمع سماءة)(1).

وأما المعنى الشرعي للسماء فهو وان كان مبهما وخافيا في كثير من تفاصيله فلا يعلم ما فيها، ومن فيها، ولا من أي شيء هي، ولا ما هي ماهيتها، ومن بالتحديد سكانها وعمارها، إلا ان الآيات الشريفة، ذكرت على سبيل الإيجاز والإشارة عدة من الحقائق المهمة، والتي ترسم صورة إجمالية عن السماء وحقيقتها، وبالمقدار الذي يحتاجه الإنسان، وتركت الباقي مبهما، لعدم حاجة عالم التكليف إليه، إذ لو علم الله سبحانه ان للتفصيل أهمية يمكن أن تنفع الإنسان في عالم تكليفه وتكامله وترقيه، لتفضل عليه بإطلاعه عليه، واليك فيما يأتي جملة من تلك الحقائق القرآنية:

فهي كالأرض من جهة أنها كانت عدماً ثم أوجدها الله سبحانه ((بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)) (2).

وإنها كالأرض منقادة لإرادة الله وسلطانه هي ومن فيها كما قال تعالى ((لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) (3)، وقال تعالى: ((وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ)) (4).

1- لسان العرب لابن منظور ج 14 ص 397 _ 398.

2- سورة البقرة الآية رقم 117.

3- سورة المائدة الآية رقم 120.

4- سورة الأنعام الآية رقم 3.

وإنها ببدیع صنعها وكثرة أسرارها جعلها الله سبحانه وتعالى آية تدل على بدیع صنعته وترشد إلى وجوده كما قال تعالى: ((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصَوَّرَ رِيفَ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)) (1)، وقال تعالى ((الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)) (2).

وانها سبع سماوات يعلو بعضها على بعض كما قال تعالى: ((هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) (3).

وانها مخلوقة هي والأرض في ستة أيام كما قال تعالى: ((إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)) (4).

2: عَلَىٰ جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ

على جميع: بينا في شرح الفقرة السابقة من الزيارة ان (جميع) بمعنى (كل).

أهل السماوات: وهم سكان السماوات بحسب الظاهر، فيشمل الملائكة وبقية أصناف الروحانيين، وأرواح الأنبياء والأوصياء، وأرواح المؤمنين، وما لم يصلنا خبره ولم نحط به علما من خلق الله وإبداعه.

1- سورة البقرة الآية رقم 164.

2- سورة آل عمران الآية رقم 191.

3- سورة البقرة الآية رقم 29.

4- سورة الأعراف الآية رقم 54.

ولا يشترط ان يكون الموجود السماوى موجودا فى السماء حتى يقال له بأنه من أهل السماء، فلو كان الموجود أصله وعالمه هو السماء لكنه مأمور بالمكث فى الأرض لحكمة إلهية، فهذا المكث فى الأرض لا يخرجهم عن كونهم من أهل السماء، كالملائكة الموكلين بعماراة الأرض أو المكلفين بكتابة أعمال العباد أو الماكثين والحافين والمحدقين والعاملين فى حرم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فهؤلاء وغيرهم لا يخرجهم مكثهم فى الأرض عن كونهم من أهل السماء فيكونون مشمولين بهذه الفقرة من الزيارة.

المبحث الثانى: التأثير الكونى لمصيبة الحسين عليه السلام

إشارة

لم تقتصر مصيبة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه على من تقدم ذكرهم فى الفقرة السابقة من البشر، بل تعدى اثر مصيبته وجلل رزيته إلى سائر أجزاء الوجود، وتأثر الكون برمته، ومن يتتبع الروايات والنصوص التاريخية التى ذكرت هذا التفاعل الكونى مع مصيبة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه يجد ان بعد عظيم مصيبة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه وجليل رزيته أصبح هنالك تغيير كونى واضح وقد امتد هذا التغيير إلى يومنا الحاضر وسيستمر إلى يوم القيامة ليحكى للأجيال عظيم ما وقع وجليل ما ارتكب، وفيما يأتى تفصيل ذلك:

أولاً: تصريح السيدة زينب بكاء السماء دما يوم عاشوراء

ان أول من أشار ويكل صراحة إلى تفاعل السماء مع مصيبة سيد الشهداء بالبكاء عليه دما هى السيدة زينب العقيلة بنت على صلوات الله وسلامه عليهما، فقد جهرت بهذه الحقيقة فى خطبتها التى ألقته فى الكوفة بعد أن أحضرهم إلى الكوفة عدو الله عبيد الله بن زياد، فعن إسماعيل بن راشد، عن حذلم بن ستير قال: (قدمت الكوفة فى المحرم سنة إحدى وستين عند منصرف على بن الحسين عليهما السلام

بالنسوة من كربلاء ومعهم الأجناد محيطون بهم وقد خرج الناس للنظر إليهم، فلما أقبل بهم على الجمال بغير وطاء جعل نساء أهل الكوفة يبكين وينتدين... قال: ورأيت زينب بنت علي عليهما السلام ولم أر خفرة قط أنطق منها كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام. قال: وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا، فارتدت الأنفاس وسكنت الأصوات فقالت: الحمد لله والصلاة على أبي رسول الله، أما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والخذل... ويلكم أتدرون أي كبد لمحمد فريتم، وأي دم له سفكتم، وأي كريمة له أصبتم ((لَقَدْ حِجَّتُمْ شَيْئًا إِذَا (89) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا)) (1) ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء... أفعجبتكم أن قطرت السماء دما ولعذاب الآخرة أخزى... (2)، وفي كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي أنها صلوات الله وسلامه عليها قالت: (...أفعجبتكم ان تمطر السماء دما... (3)).

وفي قولها صلوات الله وسلامه عليها هذا عدة ملاحظات يجب التنبيه عليها:

الملاحظة الأولى: ان في قولها هذا تصريحاً واضحاً بوقوع تفاعل كوني لم يكن معهود الوقوع من قبل، وهذا التفاعل الكوني الجديد هو ما عبرت عنه صلوات الله وسلامه عليها بقولها: (أفعجبتكم أن قطرت السماء دما).

الملاحظة الثانية: ان هذا الحدث الكوني قد استغربه الناس عامة وتعجبوا من وقوعه وحصوله، وما تعجب الناس هذا الحدث الكوني إلا لغرابته وعدم إلفته، إذ لو كان معهودا لديهم ومعروفا وقوعه في زمانهم أو الأزمنة القريبة عليهم لما لزم من وقوعه أي تعجب.

1- سورة مريم الآية رقم 89 _ 90.

2- الأمالى للشيخ المفيد ص 321 _ 323، وراجع أيضا بلاغات النساء لابن طيفور ص 24.

3- الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج 2 ص 31.

الملاحظة الثالثة: عدم رد الناس عليها صلوات الله وسلامه عليها ومخالفة قولها أو محاولة تكذيبها حاشاها من كل زلل، دليل آخر على وقوع مثل هذا الحدث الكوني المهم، إذ لو كان كلامها صلوات الله وسلامه عليها غير مطابق للواقع لوجدت العشرات من أتباع ابن زياد لا يتوانون في الوقوف بوجه مقاتلتها وتكذيبها علانية، لمحاولة سلب شرعية أقوالها وليحولوا بينها وبين تأثيرها في الناس.

الملاحظة الرابعة: في قولها صلوات الله وسلامه عليها: (ويلكم أتدرون أى كبد لمحمد فريتم، وأى دم له سفكتم، وأى كريمة له أصبتم «لقد جئتم شيئاً إذا، تكاد السماوات يتفطرن منه وتشق الأرض وتخر الجبال هدا») ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء...أفعبجتم أن قطرت السماء دما ولعذاب الآخرة أخزى) ثلاثة مداليل مهمة:

ألف: أرادت الحوراء زينب صلوات الله وسلامه عليها من خلال كلماتها هذه تبيان سبب وقوع هذه الحادثة الكونية الغريبة، فسفك هذه الأمة لدم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو الذى سبب هذا التغير الكوني الرهيب.

باء: أرادت صلوات الله وسلامه عليها أن تظهر منزلة وعظمة دم الإمام الحسين عليه السلام من خلال تأكيدها على ان الدم الذى جرى فى يوم عاشوراء، والكبد الذى اصطفى من العطش ومن السهام وطعنات السيوف والرماح هو دم رسول الله وكبده قبل أن يكون دم الحسين صلوات الله وسلامه عليه وكبده، لان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه كما هو ثابت فى أحاديث جميع فرق المسلمين بضعة من رسول الله وجزء لا يتجزأ منه وكيف لا يكون كذلك وهو صلى الله عليه وآله وسلم القائل (حسين منى وأنا من حسين)(1).

جيم: إن بكاء السماء دما يحمل فى طياته معنيين فهو غضب إلهى على كل من

1- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص116، ومسند أحمد بن حنبل ج4 ص172.

اشترك وساهم وأعان ورضى بإقامة دم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وفرى كبده الشريف، وهو حزن للسماء وسكانها ومن فيها على ما ارتكب في حق ولي الله الأعظم من الجرائم والجرائر التي يندى لها جبين الأحرار.

ثانياً: التأثير الكونى لمصيبة الحسين صلوات الله وسلامه عليه فى كتب الإمامية

منها ما عن الشيخ الطوسى فى أماليه قال: (حدثنى بذلك محمد بن على ماجيلويه رحمه الله، عن عمه محمد بن أبى القاسم، عن محمد بن على الكوفى، عن نصر بن مزاحم، عن لوط بن يحيى، عن الحارث بن كعب، عن فاطمة بنت على صلوات الله عليهما: ثم إن يزيد لعنه الله أمر بنساء الحسين عليه السلام فحبسن مع على بن الحسين عليهما السلام فى محبس لا يكنهم من حر ولا قر حتى تقشرت وجوههم، ولم يرفع بيت المقدس حجر عن وجه الأرض إلا وجد تحته دم عبيط، وأبصر الناس الشمس على الحيطان حمراء كأنها الملاحف المعصفرة، إلى أن خرج على ابن الحسين عليهما السلام بالنسوة، ورد رأس الحسين عليه السلام إلى كربلاء)⁽¹⁾.

وعن أبى بصير، عن أبى جعفر صلوات الله وسلامه عليه قال: (بكت الإنس والجن والطير والوحش على الحسين بن على عليهما السلام حتى ذرفت دموعها)⁽²⁾.

وعن يونس وأبى سلمة السراج والمفضل بن عمر قالوا: (سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: لما مضى الحسين بن على عليهما السلام بكى عليه جميع ما خلق الله إلا ثلاثة أشياء: البصرة ودمشق وآل عثمان)⁽³⁾.

1- الأمالى للشيخ الصدوق ص 231 __ 232.

2- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 165 الباب 26 بكاء جميع ما خلق الله على الحسين بن على عليهما السلام الحديث رقم 1.

3- المصدر السابق ص 166 الحديث رقم 6.

منها ما روى عن الإمام السجاد صلوات الله وسلامه عليه حين رجوعه إلى المدينة بعد رحلة السبي حينما اجتمع له الناس فخطبهم صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها، والسموات بأركانها، والأرض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان ولجج البحار والملائكة المقربون وأهل السماوات أجمعون...) (1).

وعن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: (إن أبا عبد الله عليه السلام لما مضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ومن يتقلب في الجنة والنار من خلق ربنا وما يرى وما لا يرى) (2) وسيأتي ذكر للمزيد لاحقاً.

ثالثاً: التأثير الكونى لمصيبة الحسين صلوات الله وسلامه عليه في كتب أهل السنة

قال عبد الكريم الرافعى: (اشتهر أن قتل الحسين بن على رضى الله عنهما كان يوم عاشوراء وروى البيهقى عن أبى قبيل أنه لما قتل الحسين رضى الله عنه كسفت الشمس كسفة بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا أنها هي) (3) أى ظننا انها القيامة.

وقال محبى الدين النووى فى روضة الطالبين: (فقد صح أن الشمس كسفت يوم مات إبراهيم ابن رسول الله، وروى الزبير بن بكار فى الأنساب: أنه توفى فى العاشر من شهر ربيع الأول. وروى البيهقى مثله عن الواقدى. وكذا اشتهر أن قتل الحسين رضى الله عنه كان يوم عاشوراء. وروى البيهقى عن أبى قبيل أنه لما قتل

1- مثير الأحزان لابن نما الحلى ص 91 المقصد الثالث من الأمور اللاحقة لقتله وشرح سبى ذريته وأهله.

2- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 166 الباب 26 بكاء جميع من خلق الله على الحسين بن على عليهما السلام.

3- فتح العزيز لعبد الكريم الرافعى ج 5 ص 83 __ 84.

الحسين، كسفت الشمس(1).

وقال محمد بن احمد الشريبي: (وقد صح أن الشمس كسفت يوم مات سيدنا إبراهيم ابن النبي، وفي أنساب الزبير بن بكار أنه مات عاشر ربيع الأول، وروى البيهقي مثله عن الواقدي. وكذا اشتهر أنها كسفت يوم قتل الحسين، وأنه قتل يوم عاشوراء(2).

وقال الدسوقي: (إن الرافعي نقل أن الشمس كسفت يوم مات الحسين وكان يوم عاشوراء، وورد أنها كسفت يوم مات إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان موته في العاشر من الشهر عند الأكثر(3).

وقال البيهقي: (وأخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان أنبا عبد الله بن جعفر ثنا يعقوب بن سفيان حدثني أبو الأسود النضر بن عبد الجبار أنبا ابن لهيعة عن أبي قبيل قال لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما كسفت الشمس كسفة بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا أنها هي(4).

وعن الهيثمي في مجمع الزوائد قال: (وعن أبي قبيل قال لما قتل الحسين بن علي انكسفت الشمس كسفة حتى بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا انها هي. رواه الطبراني وإسناده حسن(5).

قال السيوطي في «تاريخ الخلفاء»: «ولما قتل الحسين مكثت الدنيا سبعة أيام

1- روضة الطالبين لمحيي الدين النووي ج 1 ص 598.

2- مغنى المحتاج لمحمد بن أحمد الشريبي ج 1 ص 320.

3- حاشية الدسوقي للدسوقي ج 1 ص 404 __ 405.

4- السنن الكبرى للبيهقي ج 3 ص 337.

5- مجمع الزوائد للهيثمي ج 9 ص 197.

والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة، والكواكب يضرب بعضها بعضاً، وكان قتله يوم عاشوراء، وكسفت الشمس ذلك اليوم واحمرّت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله، ثم لا زالت الحمرة ترى فيها بعد ذلك ولم تكن ترى فيها قبله. وقيل: إنه لم يقلب حجر بيت المقدس يوماً إلا وجد تحته دم عبيط، وصار الورس الذى فى عسكرهم رماداً، ونحروا ناقة فى عسكرهم فكانوا يرون فى لحمها مثل النيران، وطبخوها فصارت مثل العلقم، وتكلم رجل فى الحسين بكلمة، فرماه الله بكوكبين من السماء فطمس بصره(1) قال الهيثمى: (رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح)(2).

وأخرج الطبرانى بسنده إلى ابن شهاب الزهري قال: (ما رفع بالشام حجر يوم قتل الحسين بن على إلا عن دم، رضى الله عنه)(3) قال الهيثمى: (رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح)(4).

وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد: (وعن الزهري قال: قال لى عبد الملك أى واحد أنت إن أعلمتتى أى علامة كانت يوم قتل الحسين فقال قلت: لم ترفع حصاة بيت المقدس إلا وجد تحتها دم عبيط فقال لى عبد الملك إني وإياك فى هذا الحديث لقرينان. رواه الطبرانى ورجاله ثقات)(5).

وعن ابن عساكر فى تاريخ مدينة دمشق عن على بن محمد عن على بن مدرك عن جده الأسود بن قيس قال: (احمرت آفاق السماء بعد قتل الحسين ستة أشهر يرى ذلك فى آفاق السماء كأنها الدم قال فحدثت بذلك شريكا فقال لى سألت من

-
- 1- تاريخ الخلفاء للسيوطى ص 160، ترجمة يزيد بن معاوية، دار الكتاب العربى.
 - 2- مجمع الزوائد للهيثمى ج 9 ص 196 باب مناقب الحسين بن على عليهما السلام.
 - 3- المعجم الكبير للطبرانى ج 3 ص 113 ذكر مولده وصفته.
 - 4- مجمع الزوائد للهيثمى ج 9 ص 196 باب مناقب الحسين بن على عليهما السلام.
 - 5- مجمع الزوائد للهيثمى ج 9 ص 196.

الأسود قلت هو جدى أبو أمى قال أما والله إن كان لصدوق الحديث عظيم الأمانة مكرما للضيف(1).

وقال الزرندى الحنفى: (ونقل الإمام أبو الفرج ابن الجوزى فى كتاب التبصرة عن ابن سيرين قال: لما قتل الحسين أظلمت الدنيا ثلاثة أيام ثم ظهرت هذه الحمرة فى السماء. وقال أبو سعيد ما رفع حجر فى الدنيا لما قتل الحسين إلا وتحتة دم عبيط، ولقد مطرت السماء دما بقى أثره فى الثياب مدة حتى تقطعت. وقال سليم القاضى لما قتل الحسين مطرنا دما. وقال السدى: لما قتل الحسين بكت السماء وبكاؤها حمرتها. قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى: كان الغضببان يحمر وجهه عند الغضب فيستدل على غضبه وهو إمارة الشخص، الحق سبحانه وتعالى ليس بجسم فأظهر تأثير عظمتة على من قتل الحسين بحمرة الأفق وذلك دليل على عظيم الجناية. وقال أيضا: لما أسر العباس يوم بدر سمع النبى أنينه فما نام تلك الليلة، وكيف لو سمع أنين الحسين. وقال: لما أسلم وحشى قاتل حمزة قال له النبى: غيب وجهك عنى فانى لا أحب من قتل الأحبة، قال: وهذا والإسلام يجب ما قبله فكيف يقدر الرسول أن يرى من ذبح الحسين، أو أمر بقتله وحمل أهله على أقتاب الجمال(2).

وقد تركنا ذكر واستقصاء كل ما ذكر للاختصار ومن يشأ فليرجع إلى الكتب التى ذكرت هذه الوقائع العظام والحوادث الجسام وهى بحمد الله كثيرة(3) وجميعها شاهد ناطق بصحة ما جاء فى زيارة عاشوراء.

-
- 1- تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج 14 ص 227.
 - 2- نظم درر السمطين للزرندى الحنفى ص 221 __ 223.
 - 3- راجع على سبيل المثال: تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج 14 ص 225 __ 230، وتهذيب الكمال للمزى ج 6 ص 432 __ 434، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج 3 ص 312 __ 316، ترجمة الإمام الحسين لابن عساکر ص 353 __ 363، وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص 90 وما بعدها.

رابعاً: ماذا يقول ابن كثير وابن تيمية بخصوص ما سبق؟

لقد أعمت العصبية بصيرة ابن كثير الدمشقي الأموي، وابن تيمية الحرائي فكذباً جميع ما تم تصحيحه من قبل علماء العامة قبل الخاصة، ولكنهم ولله الحمد لم يقدموا دليلاً واحداً على رفضهم واستنكارهم لبكاء السماء وما غيرها من الحوادث الاليمية المفجعة واكتفوا بكلمات التشنيع والقدح والذم للشيعية ولمن يقول بقولهم، وهو دليل على ضعف حججهم ومستوى أخلاقهم ومكانتهم العلمية والفكرية، لان العالم يواجه الحجة بالحجة والجاهل المتعصب يرد الحجة بالنباح والصياح والسب والشتم، وهذا هو ما صدر من ابن كثير وابن تيمية، ومن أراد التأكد من ذلك فلينظر الى قول ابن كثير حيث يقول: (... إن يحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام لما قتل احمرت السماء وقطرت دماً وإن الحسين بن علي رضي الله عنهما لما قتل احمرت السماء. وحدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو غسان محمد بن عمر وزنيح حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد قال لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما احمرت آفاق السماء أربعة أشهر قال يزيد واحمرارها بكاؤها وهكذا قال السدي في الكبير وقال عطاء الخراساني بكاؤها أن تحمر أطرافها وذكروا أيضاً في مقتل الحسين رضي الله عنه أنه ما قلب حجر يومئذ إلا وجد تحته دم عبيط وأنه كسفت الشمس واحمر الأفق وسقطت حجارة، وفي كل من ذلك نظر والظاهر أنه من سخف الشيعة وكذبهم ليعظموا الأمر ولا شك أنه عظيم ولكن لم يقع هذا الذي اختلقوه وكذبوه(1).

وقال في موضع آخر: (وقد ذكروا في مقتله أشياء كثيرة أنها وقعت من كسوف الشمس يومئذ، وهو ضعيف، وتغيير آفاق السماء، ولم ينقلب حجر إلا وجد تحته

دم، ومنهم من خصص ذلك بحجارة بيت المقدس، وأن الورس استحال رمادا، وأن اللحم صار مثل العلقم وكان فيه النار، إلى غير ذلك مما في بعضها نكارة، وفي بعضها احتمال(1).

وقال في موضع ثالث: (وقد ذكر الطبراني ههنا آثارا غريبة جدا، ولقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء، فوضعوا أحاديث كثيرة كذبا فاحشا، من كون الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم وما رفع يومئذ حجر إلا وجد تحته دم، وأن أرجاء السماء احمرت، وأن الشمس كانت تطلع وشعاعها كأنه الدم، وصارت السماء كأنها علقمة، وأن الكواكب ضرب بعضها بعضا، وأمطرت السماء دما أحمر، وأن الحمرة لم تكن في السماء قبل يومئذ، ونحو ذلك. وروى ابن لهيعة: عن أبي قبيل المعافري: أن الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم وقت الظهر، وأن رأس الحسين لما دخلوا به قصر الإمارة جعلت الحيطان تسيل دما، وأن الأرض أظلمت ثلاثة أيام، ولم يمس زعفران ولا ورس بما كان معه يومئذ إلا احترق من مسه، ولم يرفع حجر من حجارة بيت المقدس إلا ظهر تحته دم عبيط، وأن الإبل التي غنموها من إبل الحسين حين طبخوها صار لحمها مثل العلقم. إلى غير ذلك من الأكاذيب والأحاديث الموضوعة التي لا يصح منها شيء(2).

وقال ابن تيمية: (إن كثيرا مما روى في ذلك كذب، مثل كون السماء أمطرت دما، ومثل كون الحمرة ظهرت في السماء يوم قتل الحسين، وكذلك قول القائل: ما رفع حجر في الدنيا إلا وجد تحته دم عبيط هو أيضا كذب بين(3).

1- البداية والنهاية لابن كثير ج 6 ص 258 __ 259.

2- البداية والنهاية لابن كثير ج 8 ص 219.

3- منهاج السنة النبوية ج 4 ص 560.

أقول:

بل الكذب البين هو تكذيب ابن كثير وابن تيمية لتلك النصوص الصحيحة، وما مر من تصحيح علماء السنة لتلك النصوص المثبتة لوقوع البكاء من السماء على مصيبة سيد الشهداء وغيرها من الانفعالات الكونية حجة عليهما، ومن عرف منهج وأسلوب وحقد كل من ابن كثير وابن تيمية لا يستغرب عليهما إنكارهما لمثل هذه الحقائق الواضحة الناصعة، فالحديث الكذب بالنسبة لهما كل ما تقول به الشيعة الإمامية أو يؤيد أفكارهم ومبتنياتهم، حتى لو كان ذلك الحديث بحسب الموازين الرجالية صحيحاً ورجاله ثقات، وأما الحديث الصحيح برأيهما فهو كل حديث يقده بالشيعة ويؤدي إلى مس كرامتهم وعقائدهم حتى وإن كان هذا الحديث ساقطاً من حيث الاعتبار السندى والرجالى.

المبحث الثالث: هل يمكن أن تبكى الحيوانات والجمادات؟

إشارة

جاءت الروايات ناطقة وموضحة بأن الحسين صلوات الله وسلامه عليه قد أثر مقتله فى سائر أجزاء الكون إنسها وجنّها سمائها وأرضها وكل ما فيهما من الحجر والمدر والحيوان والشجر، وقد مرت نصوص تشير إلى هذا المعنى بوضوح.

وليس لأحد يؤمن بآيات القرآن وأحاديث النبى الأَعْظَم صلى الله عليه وآله وسلم الاعتراض على بكاء الوحوش والحيتان والطيور، أو السماوات وكواكبها، أو الأرض وأشجارها، أو البحار وأمواجها، لان القرآن الكريم وأحاديث النبى وأقوال علماء المسلمين بجميع طوائفهم، صرحت بوقوع هذه الأشياء أو قريب منها، وفيما يأتى جملة من تلك الموارد:

أولاً: شواهد قرآنية على ان لكل الموجودات عقلاً وإدراكاً

إشارة

قال الله سبحانه: ((وَحُشِرَ لِرَسولِ لَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ رَبُّ لَيْمَانَ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)) (1).

وقال تعالى: ((وَتَقَدَّرَ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ)) (2).

قال السيد المرتضى فى توضيح هاتين الآيتين: (إن فى الناس من ذهب إلى أنه لا يجوز أن يكون الهدهد وما أشبهه من البهائم كامل العقل، وهو على ما هو عليه من الهيئة والبنية، وعد ذلك فى جملة المستحيل، وهذا ليس بصحيح ولا دلالة عقلية تدل على ذلك. ومن أين لنا أن بنية قلب الهدهد وما جرى مجراه لا- تحتل العلوم التى هى كمال العقل، وإذا كان العقل من قبل العلوم والاعتقادات، وقلب البهيمة يحتل الاعتقادات لا محالة، بل كثيرا من العلوم وإن لم يكن تلك العلوم عقلا. فأى فرق بين العلم الذى هو عقل، وبين العلم الذى ليس بعقل فى احتمال القلب له؟ وما احتمال الجنس الذى هو الاعتقاد، لا بد أن يكون محتملا للنوع الذى هو العلوم) (3).

1- سورة النمل الآية رقم 17 __ 19.

2- سورة النمل الآية رقم 20 __ 24.

3- رسائل المرتضى للشريف المرتضى ج 1 ص 424 __ 425.

وقال ابن قتيبة: (قال أبو محمد ونحن نقول إن المعتقد أن الهوام والسباع والطيور لا يجوز عليها عصيان ولا طاعة مخالف لكتاب الله عز وجل وأنبياؤه ورسوله وكتب الله المتقدمة؛ لأن الله تعالى قد أخبرنا عن نبيه سليمان عليه السلام أنه تفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعدبته عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسُلطان مبین، أى بعذر بين وحجة فى غيبته وتخلفه ولا يجوز أن يعذبه إلا على ذنب ومعصية والذنوب والمعاصي تسمى فسوقا وما جاز أن يسمى عاصيا جاز أن يسمى فاسقا، ثم حكى الله تعالى عن الهدهد بعد أن اعتذر إلى سليمان فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ نبأ يقين إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم... وهذا لو كان من أقاويل الحكماء بل لو كان من كلام الأنبياء لكان كلاما حسنا وعظة بليغة وحجة بينة فكيف لا يجوز على هذا مطيع وعاص وفاسق ومهتد وقد حكى الله تعالى أيضا عن النمل ما حكاه فى هذه السورة، فقال: وورث سليمان داود وقال: يا أيها الناس علمنا منطق الطير، فجعلها تنطق كما ينطق الناس وقال حتى أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل، الآية، فجعلها تنطق كما ينطق الناس، وقال وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقال يا جبال أوبي معه والطيور، أى سبّحى... (1).

أقول: وتحذير النملة لباقي النمل من جيش نبي الله سليمان عليه السلام وأمرها لهن بدخول مساكنهن، ومعرفتها بأن هذا الذي أمامها هو نبي الله سليمان عليه السلام، وإن أولئك الذين خلفه هم جيشه وأفراد جنوده، فيه دلالة قاطعة على أنّ لها مستوى من الإدراك والعقل، وإن كان ليس بمستوى العقل والإدراك الذي منحه الله سبحانه للإنسان، بل وربما كان فهمها وعقلها وإدراكها لبعض

الحقائق الكونية يفوق ويعلو على فهم وإدراك وعقل كثير من جهال البشر.

وليست النملة بأعجب حالا من الهدهد في قصة سليمان السابقة الذكر، والذي كان يدرك المدينة التي كان فيها ويعرف اسمها حيث قال ((وَجِئْتِكَ مِنْ سَبَائِلِ بَنِي يَمِينٍ))، ويعلم أن لهذه المدينة ملكة لا ملكا، وانها محاطة بشتى أنواع النعم والقوة والمنعة وان لها عرشاً عظيماً ((إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ))، وانها وأهل تلك المدينة يعبدون ويسجدون لغير الله سبحانه وبالتحديد للشمس ((وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ))، وقد تعجب لفعالهم هذا، لأنه يخالف قانون الفطرة، وان هذا الانحراف عن فطرة التوحيد وعبادة الله سبحانه سببه الشيطان فهو الذى زين ذلك إليهم فصداهم بتزيينه هذا عن السبيل فصاروا باتباعه لا يهتدون، ثم يتساءل مستفهما ومستنكرا لفعالهم بقوله ((أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)) (1) فهل يصح كل تلك الأقوال والأفعال والاعتقادات إلا ممن له مرتبة من الكمال والعقل والإدراك والفهم، تفوق مرتبة من يسجد للشمس من دون الله سبحانه.

ثم انظر إلى أسلوب وطريقة كلام نبي الله سليمان معه من خلال قوله تعالى ((قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)) (2) فهل يصح أن يوصف بالصدق أو الكذب من لا يعقل شيئا، وليس له إدراك وفهم.

ثم هل يصح من نبي الله سليمان عليه السلام وهو الحكيم والمعصوم أن يرسل بيد الهدهد كتابا إلى تلك الملكة وقومها قائلا له: ((أَذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ)) (3) ويحمله من المضامين أشدها أهمية: ((إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ

1- سورة النمل الآية رقم 25.

2- سورة النمل الآية رقم 27.

3- سورة النمل الآية رقم 28

اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ)) (1)، لو لم يكن عليه السلام يعترف مسبقاً بعقل ذلك الحيوان وإدراكه وفهمه.

وبالجملة لا يصح بعد كل هذا التوضيح أن ينكر بعض من لا يتحمل عقله ولا تطمئن نفسه إلى هذه الحقائق القرآنية شعور وإدراك الحيوانات وان لها مرتبة من الكمال والتعقل تتناسب وعالمها وليس بالضرورة ان تكون بمستوى عقل وفهم وإدراك الإنسان سوى، لكنها أو بعضها ربما تحمل من الإدراك والتعقل ما يتصاغر أمامه عقل وإدراك وشعور كثير من جهلة أبناء آدم.

إذا كان للحيوان وغيره من الموجودات عقل وإدراك، فلماذا لم يكلف بالأحكام الشرعية؟

وربما يحلو للبعض القول بأن لو كان للحيوان أو الشجر أو غيرهما من باقى الموجودات الأخرى عقل وإدراك لكلفوا بتكاليفنا، وأمروا ونهوا وأثيبوا وعوقبوا مثلنا.

ويجاب عن هذا الإشكال: بأن مشكلة كثير من الناس هي انه يقيس كل الأشياء على نفسه فإذا ما قال الله سبحانه مثلاً يد الله فوق أيديهم تصور أن لله سبحانه يداً ووجهاً ورجلاً وغير ذلك من التجسيم الذى أساسه قصور العقل وقلة الفهم، وكذلك حينما يقال أن للحيوان حظاً ونصيباً من التعقل والإدراك تتناسب وعالمه فانه يقيس ذلك على نفسه ويتصور ان الحيوان له قدرة عقلية مثل قدرة الإنسان العقلية فى ضرب الأعداد مثلاً وتقسيمها وإخراج جذور الأرقام ووضع الخرائط الهندسية وإجراء البحوث العلمية المعقدة وغير ذلك، غافلاً عن ان هذا

المستوى الرفيع من العقل إنما خص الله سبحانه به الإنسان دون غيره وعلى هذا المستوى العقلي أجرى التكليف، والحيوان اقل من مستواه العقلي بكثير قطعاً، فلذلك لم يكلف بتكاليفنا، أو انه قد كلف ولكن بتكاليف تتناسب ومرتبته الكمالية، ألا ترى أن كل شىء فى الوجود يسبح لله سبحانه قال تعالى ((تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)) (1) ولعل هذا التسبيح هو إشارة إلى نوع من أنواع التكليف قد خفى علينا خبره وتفصيل حاله، ولعل الآية بصدد تبيان أن الوجود كله مأمور بالطاعة والانقياد لله سبحانه، ولكل فرد من أفراد تكليفه الخاص به ولكن لا تفقهون تكليفهم.

وكذلك الحال بشأن إثابتها أو عقابها فانه قد ورد فى الأثر ان الحيوانات تحشر قال تعالى ((وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ)) (2) وتعرض للحساب حتى يقتص الله للجماة من القرناء (3) ثم يقول لها كونى تراباً فترجع تراباً، وهذا المستوى من الإثابة أو العقاب إنما يتناسب ومستواها ومرتبته الكمالية.

وعلى هذا الأمر نقيس بقية أجزاء الكون، من الأرض والحجر والشجر وغير ذلك، فان لكل إدراكاً يتناسب ومراتبها الكمالية، وقد ورد فى الأثر ان كل ما فى الكون يشهد للإنسان بالخير يوم القيامة، وكذلك يشهد عليه إن قد أساء وأذنب عليها أو بقربها، فالأرض تشهد له بالطاعة، وبقاع الأرض يفتخر بعضها على بعض لان مؤمناً قد صلى عليها، فهل يصح أن يشهد من لا يدرك، أم هل يتفاخر من لا يعقل، وسيأتى ذكر الجذع الذى كان يخطب عنده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما

1- سورة الإسراء الآية رقم 44.

2- سورة التكوير الآية رقم 5.

3- بحار الأنوار للعلامة المجلسى ج 7 ص 92 الباب الخامس صفحة المحشر.

بنى له صلى الله عليه وآله وسلم المنبر تركه فصار الجذع يئن ويصرخ كما يصرخ الصبي وما هداً إلا حين احتضنه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ولا ننسى قبل كل ذلك قوله تعالى ((تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)) (1)، فالتسبيح لا يصدر إلا ممن له إدراك، ولو لم يكن المسيح مدركاً للشئء المسيح له أو المسيح به لصار فعلاً لغويا لا يستحق من البارى الذكر فى محكم كتابه العزيز، ولكن كما كررنا مرارا المشكلة فى الإنسان انه ينكر كل ما لا يدركه بحواسه، لذلك اخبر القرآن بقوله (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) كى لا يكون عدم إدراكنا لهذه الحقائق دليلاً على إنكارها وقد جاء التصريح بها فى القرآن الذى فيه تبيان كل شئء.

ثانياً: ماذا يقول الحلبي فى معجز النبى. وكراماته

قال الحلبي فى السيرة الحلبية عند استعراضه لمعجز النبى الأعظم. وكراماته التى اخترنا منها ما يتناسب والمقام الذى نحن فيه: (ومنها شهادة الشجرة له صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة فى خبر الأعرابي الذى دعاه إلى الإسلام فقال هل من شاهد على ما تقول قال نعم هذه الشجرة ادعها فدعاها فأقبلت فاستشهدها فشهدت أنه كما قال ثلاثاً ثم رجعت إلى منبتها (2). (3)

ومنها مجيء الشجرة إليه صلى الله عليه وآله وسلم لتظله وتسلم عليه فقد

1- سورة الإسراء الآية رقم 44.

2- أورد هذا الحديث الهيثمى فى مجمع الزوائد فى ج 8 ص 292 وقال: (رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح)، ورواه ابن حبان فى كتابه صحيح ابن حبان ج 14 ص 436 فى شهادة الشجر للمصطفى.

3- أقول: وقد اجتمعت كلمة المسلمين على قبول شهادة العاقل المدرك لألفاظ الشهادة العالم بموضوعها، وقبول النبى. بشهادة الشجرة ودعوتها للشهادة له بالنبوة دليل على ان لها مستوى من التعقل والإدراك يؤهلها لتلك الشهادة.

جاء أنه صلى الله عليه __ وآله __ وسلم نام أى فى الشمس فجاءت شجرة تشق الأرض حتى قامت عليه لما استيقظ ذكر له ذلك فقال هى شجرة استأذنت ربها عز وجل فى أن تسلم على فأذن لها(1). (2)

ومنها حنين الجذع إليه صلى الله عليه __ وآله __ وسلم كما تقدم(3). (4)

1- راجع أيضا تهذيب الكمال للمزى ج 1 ص 237، والوفى بالوفيات للصفدى ج 1 ص 82، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج 2 ص 360 فى ذكر نبذة من معجزاته عليه السلام.

2- وفى هذا المقطع عدة من المعانى الدالة على المطلوب، منها ان الشجرة كانت تدرك أن هذا النائب هو رسول الله.، وتدرك انه. نائب فى الشمس، وتدرك ان الشمس تؤذيه، وتدرك ان أغصانها يمكن ان تريح النبى. فيما لو صارت حائلا ما بين الشمس وبينه.، وتدرك انها لكى تتحول من مكانها وتتحرك عن موضعها لابد ان تستأذن الله سبحانه لعلمها ان الله سبحانه وحده من يملك هذه القدرة، فاخبرونا يا أولى الألباب أليس العقل والإدراك إلا هذا.

3- أخرج البخارى فى ج 4 ص 173: (حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يحيى بن كثير أبو غسان حدثنا أبو حفص واسمه عمر بن العلاء أخو أبى عمرو بن العلاء قال سمعت نافعا عن ابن عمر رضى الله عنهما كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأثاه فمسح يده عليه) وقد أخرج أيضا فى نفس الصفحة قوله (عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار أو رجل يا رسول الله ألا نجعل لك منبرا قال إن شئتم فاجعلوا له منبرا فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبى ثم نزل النبى صلى الله عليه وسلم فضمه إليه تأن أنين الصبى الذى يسكن قال كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها) وقال فى ص 173 __ 174 من نفس هذا الجزء: (عن يحيى بن سعيد قال أخبرنى حفص بن عبيد الله بن أنس ابن مالك انه سمع جابر بن عبد الله يقول كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل فكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت).

4- أقول وليس فراق النبى. لجذع الشجرة بأعظم من قتل ابنه فإذا كان الجذع قد حن وصاح كالصبى لمجرد فراق النبى له. أفلا يحق للأرض والسماء والبحار والأشجار أن تبكى الحسين وتحن عليه وتبكى لعظيم رزقته وجيل مصيبتة وفادح ما نزل به فلماذا جوزتم تلك واستعظمتهم هذه مع ان مصيبة الحسين * ورزقته ومحنته أعظم وأدهى وأمر.

ومنها شكوى البعير له صلى الله عليه ___ وآله ___ وسلم قلة العلف وكثرة العمل(1).

ومنها شكوى بعض الطيور له صلى الله عليه ___ وآله ___ وسلم بسبب أخذ بيضه أو فراخه فقد جاء أن حمرة جاءت فوق رأسه فقال صلى الله عليه ___ وآله ___ وسلم أيكم فجع هذه فقال رجل من القوم أنا أخذت بيضها فقال رده رده رحمة لها(2). (3)

ومنها سجود البعير له صلى الله عليه ___ وآله ___ وسلم الذى استصعب على أهله وصار كالكلب لا يقدر أحد أن يقرب إليه(4).

1- قد رويت روايات كثيرة فى شكاية الحيوانات لرسول الله. أيام كان فى المدينة منها ما أخرجه احمد بن حنبل فى مسنده ج 4 ص 170 ___ 171 قال: (حدثنا عبد الله حدثنى أبى ثنا عبد الله بن نمير عن عثمان بن حكيم قال أخبرنى عبد الرحمن بن عبد العزيز عن يعلى بن مرة قال لقد رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا ما رآها أحد قبلى ولا يراها أحد بعدى... وكنت عنده جالسا ذات يوم إذ جاءه جمل يخيب حتى صوب بجرائنه بين يديه ثم ذرفت عيناه فقال ويحك أنظر لمن هذا الجمل ان له لشأنا قال فخرجت ألتمس صاحبه فوجدته لرجل من الأنصار فدعوته إليه فقال ما شأن جملك هذا فقال وما شأنه قال لا أدرى والله ما شأنه عملنا عليه ونضحنا عليه حتى عجز عن السقاية فاتمرونا البارحة أن ننحره ونقسم لحمه قال فلا تفعل هبه لى أو بعنيه فقال بل هو لك يا رسول الله قال فوسمه بسمة الصدقة ثم بعث به)، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ج 9 ص 6: (رواه أحمد بإسنادين والطبرانى بنحوه، وأحد إسنادى أحمد رجاله رجال الصحيح).

2- راجع مسند أبى داود الطيالسى لسليمان بن داود الطيالسى ص 44، وراجع أيضا تاريخ الإسلام للذهبي ج 1 ص 350، وفى الأدب المفرد للبخارى ص 88 عدم تكرار (رده رده رحمة لها).

3- وفيه كما لا يخفى إشارة واضحة إلى معرفة هذا الطائر بشخص النبى. وكذلك معرفته بتأثيره فى أصحابه وان لا احد يستطيع أن يرجع إليها فراخها أو يبيضها غيره. وهل يكون العقل والإدراك إلا هذا.

4- نقل احمد بن حنبل فى مسنده ج 3 ص 310 عن جابر بن عبد الله قال أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بنى النجار إذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحدٌ إلا شدد عليه قال فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء حتى أتى الحائط فدعا البعير فجاء واضعا مشفره إلى الأرض حتى برک بين يديه قال فقال النبى صلى الله عليه وسلم هاتوا خطاما فخطمه ودفعه إلى صاحبه قال ثم التفت إلى الناس قال إنه ليس شىء بين السماء والأرض إلا يعلم أنى رسول الله إلا عاصى الجن والإنس)، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ج 9 ص 7: (رواه احمد ورجاله ثقات). أقول: ولا يخفى ما فى هذا الحديث من الإشارات المهمة الدالة على المطلوب والتي منها ان كل الموجودات تعرف النبى. وانه رسول الله وهو موافق لما روى عند الإمامية بان الولاية للرسول والإمام عرضت على كل شىء وعليه فإذا كانت الموجودات تعرف النبى. فإنها تعرف الإمام كذلك، وإذا كانت تسجد للنبي. فإنها كذلك للإمام ولمعرفتها بمنزلة النبى والإمام تأثرت حين استشهاد الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

ومنها سجود الغنم له صلى الله عليه ___ وآله ___ وسلم فى بعض حوائط الأنصار(1).

ومنها شهادة الجمل عنده صلى الله عليه ___ وآله ___ وسلم أنه لصاحبه الأعرابي دون من ادعاه ففى المعجم الكبير للطبرانى(2) عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه ___ وآله ___ وسلم فبصرنا بأعرابي آخذاً بخطام بعيره حتى

1- راجع إمتاع الأسماع للمقرئى ج5 ص247 رابع وسبعون سجود الغنم له. قال: (وأما سجود الغنم له، فخرج أبو نعيم من حديث جعفر بن محمد الفريابي قال: أخبرنا إبراهيم بن العلاء الزبيدى، حدثنا عباد بن يوسف الكندى، أخبرنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: دخل النبى صلى الله عليه وسلم حائطاً للأنصار، ومعه أبو بكر وعمر فى رجال من الأنصار، وفى الحائط غنم فسجدن له، فقال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله كنا نحن أحق بالسجود لك من هذه الغنم، فقال: إنه لا ينبغى من أمتى أن يسجد أحد لأحد، لو كان ينبغى أن يسجد أحد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها. وراجع أيضاً كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض ج1 ص312 فصل فى الآيات فى ضرور الحيوانات، وراجع أيضاً كتاب سبل الهدى والرشاد للصالحى الشامى ج9 ص561 جماع أبواب معجزاته. الباب الخامس فى سجود الغنم له.

2- المعجم الكبير للطبرانى ج5 ص141 ويوجد اختلاف فى بعض ألفاظ الرواية فيما بين رواية الحلبي هنا وبين ما هو موجود فى معجم الطبرانى فتنبه.

وقف على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونحن حوله فقال السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فرد عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجاء رجل آخر كأنه حرسى فقال الحرسى يا رسول الله هذا الأعرابي سرق سرب البعير (1) فرغا البعير ساعة وحن فأنصت له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساعة فسمع رغاءه وحنينه فلما هداً البعير أقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال للرجل انصرف عنه فإن البعير شهد عليك أنك كاذب فانصرف وأقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الأعرابي فقال أى شىء قلت حين جئت لى قال قلت بأبى أنت وأمى يا رسول الله اللهم صل على محمد حتى لا تبقى بركة اللهم سلم على محمد حتى لا يبقى سلام اللهم وارحم محمداً حتى لا يبقى رحمة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله عز وجل أبداها لى والبعير ينطق بعذرک وإن الملائكة قد سدوا الأفق.

ومنها سؤال الظبية له صلى الله عليه وآله وسلم أن يخلصها لترضع ولدها وتعود فخلصها وعادت وتلطفت بالشهادتين فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ظبية مربوطة إلى خباء فقالت يا رسول الله خلصنى حتى أذهب فأرضع خشفى ثم أرجع فتربطنى فقال لها صيد قوم وربيطه قوم ثم استحلفها أن ترجع فحلفت له فحلها فمكثت قليلاً ثم جاءت وقد نفضت ضرعها فربطها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم أتى خباء أصحابها فاستوهبها منهم فوهبها له فحلها (2).

1- فى المعجم الكبير للطبرانى هكذا: (يا رسول الله هذا الغلام سرق البعير).

2- راجع فيض القدير فى شرح الجامع الصغير للمناوى ج 5 ص 401 حرف اللام، وراجع تاريخ الإسلام للذهبي ج 1 ص 350، وراجع أيضاً سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي ج 12 ص 406 الباب الرابع فى ذكر من توسل به..

ومنها شهادة الذئب له صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة (1)(2).

فليس على من نقل هذه الوقائع وأمثالها وما لم نذكره أكثر وأكثر ان يستغرب ويستنكر بكاء السماء والملائكة والحيوانات والبحار والجنة وما فيها على مصيبة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه.

ثالثاً: خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة

اشتهر في الأخبار التي رواها الفريقان ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما هاجر إلى المدينة وأراد أن ينزل فيها ويستقر، صار يمشى في سكك المدينة ويطوف على بطونها وهو على ناقته، فصار صلى الله عليه وآله وسلم لا يمر على أهل حي من أحيائها أو بطن من بطونها إلا ويأخذوا بزمام ناقته ويعرضوا عليه النزول عندهم والاستقرار بقربهم، وهو صلى الله عليه وآله وسلم في كل ذلك يقول: (خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة) وفيما يأتي نصان يوضحان هذه الحادثة بكامل تفاصيلها: ففي الكافي بسنده عن الإمام علي بن الحسين صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (... ثم راح يومه إلى المدينة على ناقته التي كان قدم عليها

1- قال الذهبي في تاريخ الإسلام ج 1 ص 351: (عن أبي سعيد الخدري قال: بينما راع يرعى بالحرّة إذ عرض ذئب لشاة فحال الراعي بين الذئب وبين الشاة فأقعى الذئب على ذنبه ثم قال للراعي: ألا تتقى الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله إلى فقال الراعي: العجب من ذئب مقع على ذنبه يتكلم بكلام الإنس! فقال الذئب: ألا أحدثك بأعجب مني: رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق فساق الراعي شاة حتى أتى المدينة فزواها زاوية ثم دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بحدث الذئب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فقال للراعي: قم فأخبرهم قال: فأخبر الناس بما قال الذئب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدق الراعي ألا إنه من أشراط الساعة كلام السباع للإنس والذي نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس ويكلم الرجل شراك نعله وعذبة سوطه ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده. أخرجه الترمذى وقال: صحيح غريب. وقال عبد الحميد بن بهرام ومعقل بن عبيد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد الخدري نحوه وهو حديث حسن صحيح الإسناد).

2- راجع السيرة الحلبية للحلبى ج 3 ص 351 __ 353.

وعلى عليه السلام معه لا- يفارقه، يمشى بمشيه وليس يمر رسول الله صلى الله عليه وآله ببطن من بطون الأنصار إلا قاموا إليه يسألونه أن ينزل عليهم فيقول لهم: خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة، فانطلقت به ورسول الله صلى الله عليه وآله واضع لها زمامها حتى انتهت إلى الموضع الذي ترى __ وأشار بيده إلى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يصلى عنده بالجنائز __ فوفقت عنده وبركت ووضعت جرانها على الأرض فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وأقبل أبو أيوب مبادرا حتى احتمل رحله فأدخله منزله ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى عليه السلام معه حتى بنى له مسجده بنيت له مساكنه ومنزل على عليه السلام فتحولا إلى منازلهما(1).

وفى تاريخ الطبرى: (حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وآله __ وآله __ وسلم ركب ناقته وأرعى لها الزمام فجعلت لا تمر بدار من دور الأنصار إلا دعاه أهلها إلى النزول عندهم وقالوا له هلم يا رسول الله إلى العدد والعدة والمنعة فيقول لهم صلى الله عليه وآله __ وآله __ وسلم خلوا زمامها فإنها مأمورة حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم فبركت على باب مسجده(2).

أقول: وفى هذه الحادثة دليل قطعى على ان لناقته صلوات الله وسلامه عليه إدراكاً لما تفعله وانها قابلة للتكليف؛ لان الحديث واضح فهو ينص على انها مأمورة وليس الأمر سوى الله سبحانه، ولكن يجب ان لا يغيب عن الذهن ما كررناه مرارا من ان التكليف ليس بالضرورة يكون بمستوى التكليف البشرى وإنما يكلف كل موجود بما يتناسب ومستواه الكمالى.

1- الكافى للشيخ الكلينى ج 8 ص 339 __ 340 حديث إسلام على عليه السلام.

2- تاريخ الطبرى للطبرى ج 2 ص 116، وراجع أيضا فتح البارى لابن حجر ج 7 ص 192 باب هجرة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، وراجع أيضا الاستيعاب لابن عبد البر ج 1 ص 42.

وليس لأحد أن يفترض أن معنى مأمورة هو أن ملكا هو الذى كان يقودها، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نسب الفعل إلى الناقة وأوكل مسؤولية تحديد المكان إليها، ولو لم يكن للناقة مدخلية فى التحديد ولو كان هنالك ملك يقودها لما صار ضروريا أن تعلق مسألة نزول النبي على الناقة ولكان من الأنسب أن يقول النبي وبكل صراحة ان الملك بأمر الله أمرنى أن انزل فى المكان الفلانى.

رابعا: كسفت الشمس وأظلمت المدينة حين أرادوا نقل منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قال ابن حجر فى فتح البارى: (ولم يزل المنبر على حاله ثلاث درجات حتى زاده مروان فى خلافة معاوية ست درجات من أسفله وكان سبب ذلك ما حكاه الزبير ابن بكار فى أخبار المدينة شوال إلى حميد بن عبد الرحمن بن عوف قال بعث معاوية إلى مروان وهو عامله على المدينة أن يحمل إليه المنبر فأمر به فقلع فأظلمت المدينة فخرج مروان فخطب وقال إنما أمرنى أمير المؤمنين أن أرفعه فدعا نجارا وكان ثلاث درجات فزاد فيه الزيادة التى هو عليها اليوم ورواه من وجه آخر قال فكسفت الشمس حتى رأينا النجوم(1).

وقال المقرئى: (قال سفيان بن حمزة قال كثير فأخبرنى الوليد بن رباح قال: كسفت الشمس يوم زاد معاوية فى المنبر حتى رؤيت النجوم. وذكر الواقدى وغيره: أنه لما كانت سنة خمسين أمر معاوية بن أبى سفيان بحمل المنبر إلى الشام وقال: لا يترك هو وعصا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة... فلما حرك المنبر ليخرج من موضعه كسفت الشمس حتى رؤيت النجوم بادية فأعظم الناس ذلك فترك المنبر على حاله... وذكر ابن زبالة من حديث عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن

1- فتح البارى لابن حجر ج 2 ص 331 باب التأذين عند الخطبة.

عوف عن أبيه قال: بعث معاوية بن أبي سفيان إلى مروان بن الحكم عامله على المدينة يأمره أن يحمل إليه منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ما وضعه فأمر به أن يقلع فأظلمت المدينة وأصابتهم ريح شديدة... وعن عبد الله بن زياد عن ابن فطن قال: قلع مروان بن الحكم منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان درجتين والمجلس وأراد أن يبعث به إلى معاوية فكسفت الشمس حتى رأينا النجوم... ولما ولي عبد الملك بن مروان الخلافة هم بنقل المنبر فقال له قبيصة بن ذؤيب: أذكرك الله أن تفعل إن معاوية حركه فكسفت الشمس (1).

أقول: وليس إخراج منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الشام بأعظم من إخراج نساء رسول الله وحريمه وعترته سبايا يساقون إلى الشام، وليس نقل المنبر بأعظم من نقل رأس سيد الشهداء إلى ابن معاوية يزيد اللعين، فهل يحق للسماء أن تنكسف شمسها على نقل منبر صعد عليه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ولا تنكسف أو تبكى السماء على سبط النبي الذي طالما اعتلى منكب النبي وظهره وصدره الشريف.

خامسا: أظلمت المدينة من جريمة عبيد الله بن عمر بن الخطاب

لما طعن أبو لؤلؤة عمر بن الخطاب ثار ولده عبيد الله بن عمر فقتل على الظنة والتهمة ثلاثة من الأبرياء غدرا وهم الذين ذكرهم الصنعاني بقوله: (فخرج عبيد الله ابن عمر مشتملا على السيف، حتى أتى الهرمزان، فقال: اصحبني حتى ننظر إلى فرس لي، وكان الهرمزان بصيرا بالخيل، فخرج يمشى بين يديه، فعلاه عبيد الله بالسيف، فلما وجد حر السيف قال: لا إله إلا الله، فقتله، ثم أتى جفينة، وكان نصرانيا، فدعاه، فلما أشرف له علاوة بالسيف، فصلب بين عينيه، ثم أتى ابنة أبي

1- إمتاع الأسماع للمقرئ ج 10 ص 107 __ 109 فصل في ذكر منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لؤلؤة، جارية صغيرة تدعى الإسلام فقتلها، فأظلمت المدينة يومئذ على أهلها، ثم أقبل بالسيف صلتا في يده وهو يقول: والله لا أترك في المدينة سبيا إلا قتلته وغيرهم، وكأنه يعرض بناس من المهاجرين(1).

وعن ابن حجر ان المدينة قد أظلمت يومئذ ثلاثة أيام حيث قال: (...فخرج يمشى بين يديه فعلاه عبيد الله بالسيف فلما وجد حر السيف قال لا إله إلا الله ثم أتى جفينة وكان نصرانيا فقتله ثم أتى بنت أبي لؤلؤة جارية صغيرة فقتلها فأظلمت المدينة يومئذ على أهلها ثلاثا...)(2).

أقول: فإذا أظلمت الدنيا لقتل ابنة أبي لؤلؤة لأنها قد قتلت وهي صغيرة لا ذنب لها فكيف لا تظلم لقتل عبد الله الرضيع يوم عاشوراء وقد ذبح عطشانا من الوريد إلى الوريد، والذي هو بشهادة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه أكرم على الله من فصيل ناقة صالح وأعظم، وإذا كان لقتل الهرمزان وجفينة النصراني حرمة عند الله حيث بانت آثار مظلمتهم في السماء، فكيف لا تكون حرمة الحسين صلوات الله وسلامه عليه وأولاده وأصحابه وبناته أعظم واجل واكبر، وكيف لا تبين آثار مظلمتهم في السماوات والأرض وما فيهن وما فيهن لأجلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وإذا ذكرت مصابكم قال الأسي *** لجفونى اجتنبى لزيد كراك

وابكى قتيلا بالطفوف لأجله *** بكت السماء دما فحق بكاك

إن تبكهم فى اليوم تلقاهم غدا *** عيني بوجه مسفر ضحاك

يارب فاجعل حبهم لى جنة *** من موبقات الظلم والإشراك

1- المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج 5 ص 478 _ 480، وراجع أيضا تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 297، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج 38 ص 62.

2- الإصابة لابن حجر ج 5 ص 43،

فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ

إشارة

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

1: فَلَعَنَ اللَّهُ 2: أُمَّةً 3: أَسَّسَتْ أَسَاسَ

4: الظُّلْمِ 5: وَالْجَوْرِ 6: أَهْلَ الْبَيْتِ

المبحث الثالث: ماذا يمكن ان يستفاد من هذه الفقرة من الزيارة

المبحث الرابع: دلالة اللعن في المصطلح القرآني

المبحث الخامس: جزاء من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة

المبحث السادس: لا عبرة بالأكثرية والحق هو المدار

المبحث السابع: الإمام الحسين عليه السلام ميزان حساب الأمم

أهل البيت موازين رضا الله وغضبه

أمير المؤمنين ميزان أولاد الحلال وميزان الإيمان والنفاق

الزهراء ميزان غضب الله سبحانه ورضاه

الحسين ميزان حساب الأمم يوم القيامة

فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ

فى هذه الفقرة الشريفة من الزيارة مباحث جديرة بالاهتمام نستعرض فيما يأتى بعضها:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

ورد ذكر هذه الفقرة فى عدة زيارات أخرى نذكر منها على سبيل المثال ما يأتى:

منها: ما ورد فى زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فى أول يوم من رجب وليلته وليلة النصف من شعبان والتي جاء فيها: (بابى أنت وأمى ونفسى يا أبا عبد الله لقد عظمت المصيبة وجلت الرزية بك علينا وعلى جميع أهل الإسلام فلعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت ولعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم وأزالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها بابى أنت وأمى ونفسى يا أبا عبد الله اشهد لقد اقشعرت لدمائكم أظلة العرش مع أظلة الخلائق وبكتكم السماء والأرض

وسكان الجنان والبر والبحر...)(1).

ومنها: ما ورد في زيارة الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه والتي ذكرها الشيخ الصدوق قدس الله روحه بقوله: (باب في ذكر زيارة الرضا عليه السلام بطوس ذكرها شيخنا محمد بن الحسن في جامعه فقال: إذا أردت زيارة الرضا عليه السلام بطوس فاغتسل عند خروجك من منزلك... ثم تجلس عند رأسه وتقول: السلام عيك يا ولي الله، السلام عليك يا حجة الله السلام عليك يا نور الله في ظلمات الأرض... السلام عليك يا أبا الحسن ورحمة الله وبركاته إنه حميد مجيد، لعن الله أمة قتلتك لعن الله أمة ظلمتك لعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور والبدعة عليكم أهل البيت)(2).

ومنها: ما في إقبال الأعمال للسيد بن طاوس قدس الله روحه من دعاء الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه في يوم عرفة:

(... ثم تقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا خيرة الله من خلقه، وأمينه على وحيه، السلام عليك يا مولاي يا أمير المؤمنين. السلام عليك يا مولاي، أنت حجة الله على خلقه، وباب علمه ووصى نبيه والخليفة من بعده في أمته، لعن الله أمة غصبتك حقك، وقعدت مقعدك، أنا برىء منهم، ومن شيعتهم إليك. السلام عليك يا فاطمة البتول، السلام عليك يا

1- إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج 3 ص 341 __ 342 فصل (53) فيما نذكره من لفظ زيارة الحسين عليه السلام في نصف شعبان، وراجع أيضا المزار للشهيد الأول ص 142 __ 144 زيارة أول يوم من رجب وليلته وليلة النصف من شعبان، وراجع أيضا المصباح للكفعمي ص 491 __ 492 زيارة أول ليلة من رجب ويومه ونصفه.

2- عيون أخبار الرضا الشيخ الصدوق ج 1 ص 300 __ 302 باب في ذكر زيارة الرضا عليه السلام بطوس.

زين نساء العالمين، السلام عليك يا بنت رسول الله رب العالمين صلى الله عليك وعليه، السلام عليك يا أم الحسن والحسين، لعن الله أمة غصبتك حقك ومنعتك ما جعله الله لك حلالاً، أنا برىء إليك منهم ومن شيعتهم. السلام عليك يا مولاي يا أبا محمد الحسن الزكى، السلام عليك يا مولاي، لعن الله أمة قتلتك وبايعت فى أمرك وشايعة أنا برىء منهم ومن شيعتهم. السلام عليك يا مولاي يا أبا عبد الله الحسين بن على صلوات الله عليك وعلى أبيك وجدك محمد صلى الله عليه، لعن الله أمة استحلّت دمك، ولعن الله أمة قتلتك واستباحت حريمك، ولعن الله أشياعهم وأتباعهم، ولعن الله الممهدين لهم بالتمكين من قتالكم، أنا برىء إلى الله وإليك منهم... (1).

وغير ذلك الكثير وقد تركنا الإطالة رغبة فى الاختصار.

المبحث الثانى: المعنى اللغوى لهذه الفقرة الشريفة

1: فَلَعَنَ اللَّهُ

اللعن: هو وكما يقول الراغب الأصفهاني: (الطرد والإبعاد على سبيل السخط، وذلك من الله تعالى فى الآخرة عقوبة وفى الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه ومن الإنسان دعاء على غيره) (2).

وقال الطريحي فى مجمع البحرين: (واللعن: الإبعاد، وكانت العرب إذا تمرد الرجل منهم أبعده منهم وطرده لثلاث تلحقهم جرائره فيقال: لعن بنى فلان) (3).

1- إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج 2 ص 135.

2- مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 452 كتاب اللام وما يتصل بها.

3- مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج 4 ص 124.

وقال الفراهيدي: (اللَّعْنُ: التَّعْذِيبُ، والملعُن: المعذَّب... واللَّعْنَةُ: الدَّعَاءُ عَلَيْهِ. واللَّعْنَةُ: الكثير اللعْن، واللَّعْنَةُ: الذي يلعنه الناس...) (1).

واللَّعْنَةُ من الله سبحانه كما تقدم عن الراغب هو: (في الآخرة عقوبة وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيجه).

2: أُمَّةٌ

وردت لكلمة أمة عدة معانٍ ذكرت في كتب اللغة منها:

ألف: هي الجماعة من الناس (2) قال تعالى ((وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْتَأْذِنُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ)) (3)، أى وجد على الماء جماعة من الناس.

فيكون بذلك معنى الفقرة التي نحن بصدد شرحها هو: (اللهم اسخط وعذب واطرد من رحمتك الجماعة التي أسست أساس الظلم والجور على أهل البيت).

باء: وقد تطلق على الشخص المفرد الذي يدين بدين ما لوحده (4) كما سمي القرآن الكريم إبراهيم الخليل عليه السلام أمة في قوله تعالى: ((إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) (5).

فيصبح معنى الفقرة الشريفة من الزيارة: (اللهم العن واسخط وعذب واطرد من رحمتك الشخص الذي انفرد وأسس أساس الظلم والجور على أهل البيت).

1- كتاب العين ج2 ص142.

2- مجمع البحرين ج1 ص106.

3- سورة القصص الآية 23.

4- لسان العرب لابن منظور ج12 ص27.

5- سورة النحل الآية رقم 120.

جيم: وقد تطلق على الطريقة والدين (1)، كما فى قوله تعالى: ((بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ)) (2)، أى إنا على دينهم وطريقتهم مهتدون.

فيكون معنى الفقرة فى الزيارة هو:

(اللهم العن الطريقة التى كانت أساسا لظلم أهل البيت عليهم السلام والتى بها خرج حقهم عن موضعه).

والطريقة التى أسست أساس الظلم على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما لا يخفى هى التى سماها احد مؤسسيها بفلتة السقيفة، والتى كانت باب كل شر فتح على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم، بل وعلى جميع أهل الإسلام.

دال: وقد تطلق على القدوة والإمام (3).

فيكون المعنى هو: (اللهم اطرده من رحمتك واسخط وعذب الذى كان قدوة لغيره وإماما يستن بسنته ويحتذى حذوه فى الظلم والجور لأهل البيت).

وقد يكون هذا القدوة والإمام فرداً واحداً وقد يكونون جماعة، وهذا هو الفارق بين هذا المعنى والمعنى الثانى.

هاء: وقد تطلق على الحين والزمان (4) كما فى قوله تعالى: ((وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ)) (5)، أى وتذكر بعد حين ومدة من الزمن.

ومثل قوله تعالى ((وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْسِبُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ

1- الصحاح للجوهري ج 5 ص 1864.

2- سورة الزخرف الآية رقم 22.

3- معجم مقاييس اللغة ج 1 ص 27.

4- لسان العرب لابن منظور ج 12 ص 27.

5- سورة يوسف الآية رقم 45.

لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)) (1) أى أخرنا عنهم العذاب إلى مدة من الزمن محدودة.

فيصبح المعنى: (اللهم أبعد ___ لان إحدى معانى اللعن هو الإبعاد ___ عن بركتك ورحمتك تلك الحقبة من الزمن وذلك الحين الذى أسس فيه الظلم والجور على أهل البيت) (2).

1- سورة هود الآية رقم 8.

2- والسؤال الذى يطرح نفسه هو هل يمكن أن يلعن أو يبعد أو يوصف بالسوء الزمان والحين والأيام، مع أن الأيام لا ذنب لها والذنب ذنب الناس وبعبارة أخرى الذنب ذنب المظروف لا ذنب الظرف؟ ويمكن الجواب عن هذا الأمر بان الأيام فى النصوص الشرعية تكتسب البركة أو السوء والنحوسة بسبب ما يقع ويحدث فيها، أو بسبب أمر خطير يقترب بها، ألا ترى إلى القرآن كيف يطلق ويصف اليوم الذى اهلك فيه عاد بأنه يوم نحس مستمر ((كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَذُنُوبِي * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا رَأَى يَوْمَ نَحْسٍ مُّسْتَمِرًّا)) _ سورة القمر الآية 18_ 19. _ ووصف أيام العذاب التى تصيب الكافرين قال تعالى ((وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَّوْمٍ عَقِيمٍ)) _ سورة الحج الآية 55 _ وصرحت الروايات الشريفة أيضا بأن بعض الأيام والأزمنة والساعات يمكن ان تكون أيام شؤم ونحس فحينما سُئل أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه عن آخر أربعاء من الشهر لماذا صار يوم نحس وشؤم فقال صلوات الله وسلامه عليه: (آخر أربعاء فى الشهر وهو المحاق وفيه قتل قابيل هايبيل أخاه ويوم الأربعاء ألقى إبراهيم عليه السلام فى النار ويوم الأربعاء وضعوه فى المنجنيق ويوم الأربعاء اغرق الله فرعون ويوم الأربعاء جعل الله عز وجل قرية لوط عاليها سافلها ويوم الأربعاء أرسل الله عز وجل الرياح على قوم عاد ويوم الأربعاء أصبحت كالصريم ويوم الأربعاء سلط الله عز وجل على نمرود البقرة ويوم الأربعاء طلب فرعون موسى ليقتله ويوم الأربعاء خر عليهم السقف من فوقهم... ويوم الأربعاء قتل يحيى بن زكريا... ويوم الأربعاء ادخل يوسف عليه السلام السجن ويوم الأربعاء قال الله عز وجل " إنا دمرناهم وقومهم أجمعين " ويوم الأربعاء أخذتهم الصيحة ويوم الأربعاء عقروا الناقة ويوم الأربعاء أمطرت عليهم حجارة من سجيل ويوم الأربعاء شج وجه النبی صلى الله عليه وآله وكسرت ربايعيته ويوم الأربعاء أخذت العمالقة التابوت) راجع جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردى ج 16 ص 377 _ 378.

3: أَسَّسَتْ أَسَاسًا

وهاتان الكلمتان مأخوذتان من (الأس) وهو كما عرفه الفراهيدي بقوله: (والأس: أصل تأسيس البناء، والجميع: الأساس، وفي لغة: الأسس، والجميع: الأساس، ممدود... وأسست دارا: بنيت حدودها، ورفعت من قواعدها)(1).

وقال الجوهري: (الأس: أصل البناء، وكذلك الأساس، والأسس مقصور منه. وجمع الأس إساس مثل عس وعساس، وجمع الأساس أسس مثل قذال وقذل، وجمع الأسس أساس مثل سبب وأسباب. وقد أسست البناء تأسيسا)(2).

فيكون المعنى: (فلعن الله الأمة(3) التي أصّلت منهج الظلم ورفعت قواعد الجور وبنّت حدودهما عليكم أهل البيت).

وقد يطلق على الشيء الوطيد الثابت، قال صاحب كتاب معجم مقاييس اللغة: (أس: الهمزة والسين يدل على الأصل والشيء الوطيد الثابت)(4).

فيكون معنى العبارة هو: (فلعن الله امة وطدت لظلم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وثبتت قواعد الجور عليهم).

4: الظلم

قد يطلق الظلم على اخذ حق الغير، قال الفراهيدي: (والظلم: أخذك حق غيرك)(5).

1- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج 7 ص 334.

2- الصحاح للجوهري ج 3 ص 903.

3- الأمة بكافة معانيها المتقدمة سواء الجماعة أو القدوة أو الإمام أو الطريقة.

4- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس زكريا ج 1 ص 14.

5- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج 8 ص 63.

وقد يراد من الظلم إزالة الحق عن جهته واخذ الإنسان ما ليس له، قال ابن قتيبة في كتابه غريب الحديث: (الظالم هو الذى يزيل الحق عن جهته ويأخذ ما ليس له)(1).

وقد يراد منه ما ذكره الجوهري بقوله: (ظلم:...وأصله وضع الشيء في غير موضعه...وفي المثل: من استرعى الذئب فقد ظلم)(2).

فيكون معنى العبارة هو: (لعن الله امة أسست أساس إزالة الحق عن أهل البيت، وأخذت منهم ما ليس لها، ووضعته في غير موضعه الذى أراده الله سبحانه وأمر به).

5: والجور

قد يقصد به ما يكون نقيض العدل، فيكون مرادفا للفظ الظلم، قال الفراهيدي: (الجور: نقيض العدل. وقوم جارة وجورة، أى: ظلمة)(3).

وقد يراد منه السير على الطريق غير السوى، فكل من حاد عن الطريق السوى المستقيم فهو جائر، قال ابن منظور: (والجور: ترك القصد فى السير، والفعل جار يجور، وكل ما مال، فقد جار. وجار عن الطريق: عدل)(4).

فيكون معنى العبارة هو: (فلعن الله امة أسست أساس الظلم عليكم أهل البيت، وتركت طريقكم طريق الحق والاستقامة، وحادت عنه إلى الطريق الباطل فسارت على الطريق الجائر غير السوى).

1- غريب الحديث لابن قتيبة ج 1 ص 58.

2- الصحاح للجوهري ج 5 ص 1977.

3- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج 6 ص 176.

4- لسان العرب لابن منظور ج 4 ص 153.

وقد يطلق الجور على أصل الطريق أو الطريقة المائلة عن الاستقامة والموصوفة بالضلالة، قال الزبيدي في تاج العروس: (والجور: الجائر يقال: طريق جور، أى جائر، وصف بالمصدر. وفي حديث ميقات الحج، وهو جور عن طريقنا، أى مائل عنه ليس على جادته: من جار يجور، إذا ضل ومال)(1).

فيكون معنى العبارة هو: (فلعن الله امة أسست طريق الضلال المائل عن طريق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليه، والذي به هضم حق أهل البيت واستبيحت حرمتهم).

6: أَهْلَ الْبَيْتِ

أطلق لفظ أهل البيت في اللغة على من يسكن البيت قال الفراهيدي: (وأهل البيت: سكانه)(2) وكذا قال ابن منظور(3).

ومن المتيقن ان الزيارة لا تقصد من لفظ أهل البيت هذا المعنى اللغوي، لان هذا المعنى قد يدخل فيه أزواج الرجل، وجميع أولاده، بل وخدامه وعبيده، لان الجميع يسكن البيت، وهو غير مراد في هذه الفقرة حتما.

والمتيقن انها بصدد قصد الخمسة من أهل الكساء المشار إليهم في قوله تعالى: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا))(4) وهم كل من النبي الأَعْظَم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب والسيدة فاطمة الزهراء والإمامين الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فيكون معنى العبارة هو: (فلعن الله امة أسست أساس الظلم والجور على نبيه

1- تاج العروس للزبيدي ج 6 ص 217.

2- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج 4 ص 89.

3- لسان العرب لابن منظور ج 11 ص 29.

4- سورة الأحزاب الآية 33.

الأعظم ورسوله الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانتهجت غير نهجه وجارت عن طريقته وسنته إلى طريقة غيرهما، وابتدعت سنة جائزة حائدة عن الحق مضلة للأمة، وأسست أساس الظلم والجور على أمير المؤمنين وزوجته الطاهرة وابنيه الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فسلبتهم حقهم ووضعتهم ووضع حقوقهم في غير مواضعها التي وضعها الله فيها).

وقد يكون المراد من أهل البيت هم كل من ذكر في الفقرة السابقة إضافة إلى الأئمة التسعة المنصوص على عصمتهم وإمامتهم من أبناء الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين(1).

المبحث الثالث: ماذا يمكن ان يستفاد من هذه الفقرة من الزيارة

من خلال التأمل في ألفاظ هذه الفقرة من الزيارة يمكن لنا :

أولاً: ان هذه الفقرة الشريفة من الزيارة أطلقت لفظ الأمة على هؤلاء الذين أسسوا أساس الظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهو لفظ عام يشمل جنس الأمة، لذلك جىء به بصيغة النكرة، للدلالة على إرادة الشمول لجميع أفراد الأمة المتصفة بصفة تأسيس الظلم والجور على أهل البيت عليهم السلام، فيكون اللعن بناءً على ذلك متوجهاً للأمة بجميع أفرادها بشرط اتصافها بوصف التأسيس لأساس الظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بغض النظر عن عددهم وأسمائهم، وبغض النظر أيضاً عن كون المشمول بهذا اللعن فرداً وقد أطلق عليه أمة

1- وهم كل من الإمام علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي الجواد وعلي بن محمد الهادي والحسن بن علي العسكري والحجة المهدي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

__ لان الفرد كما تقدم يمكن أن يطلق عليه أمة __ أو مجموعة من الأمة أو الأمة بأسرها.

ثانيا: ان هذه الفقرة الشريفة لا تتحدث عن الأمة التي باشرت قتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه، ولا عن المرحلة الزمنية التي استشهد فيها أبو الأحرار صلوات الله وسلامه عليه، فهي تتحدث عن حقبة زمنية سبقت وقعة كربلاء بمدة زمنية طويلة، لانها تتحدث عن حقبة زمنية كان اهل البيت موجودين فيها بأعيانهم وأشخاصهم، بقرينة أنها تأتي بلفظ أهل البيت وهو لفظ يشمل الخمسة أصحاب الكساء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن ضمنهم السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، فتكون الحقبة المتيقنة والمقصودة من فقرة الزيارة هذه هي الممتدة من حين استشهاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والتحاقه بالرفيق الأعلى إلى حين استشهاد السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، وهذا متوافق مع الوثائق التاريخية المعروفة والتي صرحت بشكل قاطع ان هذه الحقبة بالتحديد هي التي تم تأسيس أساس الظلم والجور فيها على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وان كل المظالم والمآسى التي ابتلى بها أهل البيت فيما بعد كانت مستندة بأسبابها وممتدة جذورها إلى هذه الحقبة بالتحديد.

ثالثا: ان هذه الأمة وان لم تباشر قتل الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه إلا أنها أسست منهجا اقتدى به من جاء بعدها من الأمم، وإحدى خصائص هذا المنهج هو استخفافه بحرمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتهوين أمرهم وشأنهم في نظر المسلمين، ومع تطاول زمان انتهاج هذا النهج اعتادت هذه الأمة المؤسسة والأمم التي تلتها على رؤية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مظلومين مقهورين مستهانا بحقوقهم كأنهم قد اقترفوا جرما أو أتوا بذنب عظيم، فصارت الجراة عليهم واستباحة حقوقهم والتقليل من شأنهم مما تعارف أمره عند الناس، وصار المعتدى عليهم لا يلام ولا ينظر إلى اعتدائه مثل ما ينظر إلى الاعتداء على رموز باقى الصحابة، ونتيجة لهذه النظرة الاستخفافية وهذا التهاون

الاجتماعى بحقوق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومظلوميتهم نشأ جيل جديد وأمة جديدة بعد انقراض تلك الأمة المؤسسة؛ صار يرى فى قتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أمراً لا يعاب عليه، ولا يلاحق عليه من قبل الدولة مثلما يلاحق من يقتل غيرهم من عوام الأمة، بل نرى الدولة هى التى تتصدى لقتلهم وسبيهم وإذلالهم.

رابعاً: ان اللعن الموجه لهذه الأمة المؤسسة للظلم والجور على أئمة أهل البيت عليهم السلام هو لعن وجيه ومشروع ومتوافق مع آيات القرآن وقواعد الشريعة المقدسة، وله مبررات منطقية ومشروعة قد ذكرتها نفس الفقرة الشريفة للزيارة، وهذه المبررات:

ألف: فهم كما وصفتهم الزيارة ممن أسس أساس الظلم على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والظلم كما لا يخفى من الكبائر التى توعد الله سبحانه عليه بالنار والعذاب، إضافة إلى انه من الأعمال التى عدّها القرآن الكريم سبباً من الأسباب التى تستحق اللعن والطرده من الرحمة الإلهية، كما قال سبحانه: ((وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)) (1).

وقال تعالى: ((يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)) (2).

وقال سبحانه أيضاً: ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)) (3).

باء: تأسيسهم لمبدأ الجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والجور كما هو

1- سورة الأعراف الآية رقم 44.

2- سورة غافر الآية رقم 52.

3- سورة هود الآية رقم 18.

معلوم من الأمور التي صرحت الأحاديث الشريفة بأنه موجب للدخول والخلود في النار، فقد أخرج الحاكم النيسابوري في مستدرکه قال: (أخبرنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه أنبأ محمد بن أيوب أنبأ عتبان بن مالك ثنا عيينة بن عبد الرحمن أخبرني مروان ابن عبد الله مولى صفوان بن حذيفة عن أبيه عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أهل الجور وأعوانهم في النار. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)(1).

وقد لعنوا أيضا بلحاظ آخر على لسان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حيث أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرک أيضا: (...عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبي مجاب: المكذب بقدر الله والزائد في كتاب الله والمتسلط بالجبروت ليدل ما أعز الله ويعز ما أذل الله والمستحل لحرم الله والمستحل من عترتي ما حرم الله والتارك لسنتي. هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه)(2).

فهم مشمولون بفقرات هذا الحديث الأخير، فهي قد استخدمت سلطتها وجبروتها لإذلال آل الرسول صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الذين أعزهم الله وفضلهم على العالمين، فاستحلوا من عترة النبي الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ما حرم الله سبحانه، فتركوا سنة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم التي كانت جارية على إعزاز وإكرام أهل بيته بمختلف وجوه الإكرام، وفي المقابل أعزوا ورفعوا قدر ومنزلة الأراذل من الطلقاء وأبناء الطلقاء، فأذلوا بذلك ما أعز الله وأعزوا ما أذل الله سبحانه، فاستحقوا بأفعالهم هذه اللعنة من الله ومن رسوله ومن كل نبي مستجاب الدعوة.

1- المستدرک للحاكم النيسابورى ج4 ص89.

2- المصدر السابق ص90.

المبحث الرابع: دلالة اللعن في المصطلح القرآني

المتتبع لآيات القرآن الكريم يجدها مشحونة بلفظ اللعن، فقد جاء استخدام هذه المفردة في آيات الكتاب العزيز مع مشتقاتها ما يقارب الست والستين مرة تقريبا، في ست وستين آية، وهو عدد لا يستهان به ويستدعى الوقوف عنده والتأمل في مضامينه واستخراج ما خفى من مكنونه.

ونستطيع من خلال التأمل في آيات اللعن في القرآن الكريم أن نكتشف أهدافاً عديدة قد صيغ من أجلها اللعن في آيات الذكر الحكيم، ومن هذه الأهداف ما يأتي:

أولاً: قد يأتي اللعن في القرآن الكريم للحكم بالطرد والإبعاد عن الرحمة الإلهية وعدم شمول اللطف والمغفرة لأفعال معينة لا تنسجم مع الشريعة الإلهية. أو يأتي اللعن للحكم بالطرد والإبعاد لأشخاص تلبسوا بأفعال غير مرضية لله سبحانه.

كما في قوله سبحانه ((وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فِجْرًاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا)) (1). فهذه الآية المباركة تحكم على من يتلبس بصفة القتل للمؤمن، ويأتي بمثل هذا الفعل الشنيع، بالطرد من ساحة الرحمة واللطف الإلهي، وعدم شمول فعله بقانون المغفرة والرحمة فيكون بناء على ذلك دخوله في جهنم وخلوده فيها وبقاؤه في العذاب العظيم أمراً طبيعياً، لان من لم يدخل في رحمة الله ولطفه صار إلى عذابه وسخطه، ومن لم يذق طعم نعيم مغفرته ذاق طعم أليم عذابه ونقمته.

ثانياً: وقد يأتي اللعن لإعلان الموقف العملي والرفض تجاه فكرة منحرفة كقوله تعالى: ((وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ

يَسَاءُ)) (1)، فاللعن هنا بمنزلة إعلان الرفض القاطع لهذه الفكرة المنحرفة وإبعاد لها عن مقام الرضا الإلهي وطردها عن الفكر الإسلامي حتى لا- تلحق الدين ولا- المسلمين جرائر هذا القول المنحرف مثلما كانت العرب تلعن وتطرد من يسيء منها ويتمرد حتى لا تلحقهم جرائره.

ثالثا: وقد يأتي اللعن ليكون بمنزلة جرس إنذار للمجتمع المسلم بأن الشخص الملعون في هذه الآية هو خطر يحرق بالمجتمع، يمكن أن يفتك به، فالواجب على الجميع أخذ الحيطة والحذر منه وتوقيه، كما في قوله تعالى ((إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا * لَعْنَةُ اللَّهِ وَقَالَ لَا تَخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا * وَلَا ضِلَّتْهُمْ وَلَا مَنِيَّتْهُمْ وَلَا مَرَّتْهُمْ فَلْيَيْسُوكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرَثَتَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا)) (2) فهذه الآية واضحة لا يخفى وهو تحذير للناس من خبث الشيطان وفتكه لعنه الله.

وقد يكون التحذير من فئة معينة فيصاغ هذا التحذير على شكل لعن لهم كما في قوله تعالى: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ * قُلْ هَلْ أُنبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ * وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ)) (3) ففي الآية تحذير من اليهود وعدائهم ضد الأهداف الإلهية وضد الأنبياء والرسل، ذلك العداء الذي أدى بهم إلى أن مسخوا بأمر الله إلى قرود وخنازير، لكنهم رغم ذلك لم يتوبوا ولم يرجعوا إلى الحق، وبقيت سيرة النفاق

1- سورة المائدة، الآية 64.

2- سورة النساء، الآية 117-119.

3- سورة المائدة، الآية 59-61.

والكذب ملازمة لهم، حتى أن مكرهم قد بلغ إلى درجة أنهم كانوا يأتون الذين آمنوا فيدعون الإيمان برسالة النبي ودين الإسلام وهم ما زالوا لم يخرجوا من كفرهم وضلالهم.

أو كقوله تعالى: ((لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ))⁽¹⁾ ففي اللعن هنا تنبيه لكل من يفكر بأن هذه الفئة الخطرة يمكن لها في يوم من الأيام أن تهتدى إلى الصراط القويم، لان الآية توضح وبكل صراحة، أن العدا لمنهج الحق، وتكذيب الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من قبل اليهود، ليس هو وليد اليوم، بل إن لهذا الحقد والعداء جذوره التاريخية الممتدة إلى زمن نبي الله داود وعيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليهما ومن كثرة أذاهم لعنوا على لسان هذين النبيين العظيمين صلوات الله وسلامه عليهما، فينبغي والحال هذه أخذ الحيطة والحذر من هذه الفئة الخطيرة، وان لا يتوقع منهم الكثير من الهداية والكف عن منهجهم المنحرف، لان من لم يهتد كل تلكم السنين حقيق أن لا يرجي منه الكثير ولا يؤمن جانبه ساعة من الزمن.

رابعا: وقد يأتي اللعن في آيات القرآن الكريم ليكشف الآثار التكوينية للعن على الشخص الملعون، وانه مسلوب التوفيق للتوبة، محجوب القلب والعقل عن الوصول إلى الحقائق الإلهية كما في قوله تعالى: ((وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ))⁽²⁾ فالكفر والتمادى به يسبب اللعن، واللعن يسبب سلب التوفيق وتغليف القلب عن نيل المراتب الكمالية في المعرفة، لذلك نجدهم قليلا ما يؤمنون، لان الإيمان يحتاج إلى معرفة ورؤية واضحة للحق، وهؤلاء المتمادون في الكفر قد سلب الله منهم

1- سورة المائدة ، الآية 78.

2- سورة البقرة ، الآية 88.

ذلك نتيجة أعمالهم التي اختاروها، ووضعوا أنفسهم في ضمن قانونها.

والآية المباركة وان كانت تشير إلى أن البعض منهم يمكن أن تدركه الرحمة من جديد ويهتدى بهدى الإيمان فيما لو غير من مقدمات حياته لتتغير تبعاً لتلك المقدمات المترتبة عليها، قال تعالى ((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)) (1).

وأخيراً لابد من الإشارة إلى أمر هام هو: ربما تجتمع كل هذه الأسباب الأربعة في مورد قرآني معين، وربما تجتمع بعضها دون بعض، وكل ذلك يفهم من القرآنية المحيطة بالآية التي ورد فيها اللعن، كما في قوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)) (2) فهم بسبب لعن الله لهم حكم عليهم بالطرد من الرحمة، ولعنة الناس لهم عبارة عن إعلان موقف عملي واضح تجاه هؤلاء وذلك بطردهم من صفوف المؤمنين والمرحومين، والبراءة من أعمالهم وكفرهم ووقوفهم بوجه الأنبياء عليهم السلام حتى لا تلحقهم جرائمهم، وأما لعن الملائكة فهو بخذلانهم حال الحياة وعدم نصرتهم، وأخذهم بأشد العذاب بعد مماتهم.

المبحث الخامس: جزاء من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة

جرت حكمة الله سبحانه وتعالى على أن يحصى عمل كل عامل من عباده، قال تعالى: ((وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)) (3).

1- سورة الرعد، الآية 8.

2- سورة البقرة، الآية 161.

3- سورة يونس الآية رقم 61.

واقترضى عدله سبحانه أن يجزى أهل الإحسان والعمل الصالح بجزاء يتناسب وصلاح عملهم، قال تعالى ((مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) (1)، ويجزى من عمل من عباده السوء بمثله ((لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا)) (2).

وأن الفعل الصالح يعود بالصلاح على صاحبه، وكذا الفعل الطالح فلا يحق ضرره بغير أهله، لأن الله سبحانه ارفع وأعلى مرتبة من أن يصله خير عباده أو يتضرر بسوء فعلهم قال تعالى ((مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ)) (3)، وقال سبحانه أيضا: ((وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ)) (4).

وأوضحت آيات القرآن الكريم أن العباد يوم القيامة على قسمين، فمنهم من يأتي حاملا وزر نفسه فقط كما قال تعالى: ((قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ)) (5).

ولكن بعضهم الآخر يأتي يوم القيامة حاملا وزره ووزر غيره، وهؤلاء هم الذين سنوا سنة سيئة في حياتهم الدنيا وتبعهم الناس على ضلالتهم، فهم ضالون بأنفسهم، ومضلون لغيرهم، فيحملوا أوزار أنفسهم وأوزار كل من يقع في شباك ضلالهم، كما قال تعالى: ((لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ

1- سورة النحل الآية رقم 97.

2- سورة النساء الآية رقم 123.

3- سورة الجاثية الآية رقم 15.

4- سورة فاطر الآية رقم 43.

5- سورة الأنعام الآية رقم 31.

بِغَيْرِ عِلْمٍ إِلَّا سَاءَ مَا يَزُرُونَ)) (1)، وقال تعالى: ((وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَا (67) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا)) (2).

وقد عضدت الروايات الشريفة ما جاء على لسان الآيات آنفا، فعقدت كتب الحديث للفريقين أبوابا تضم أحاديث تفصل ما أوجز في آيات القرآن الكريم، نختار منها ما يأتي:

منها ما أخرجه أحمد بن محمد بن خالد البرقي قدس الله روحه في كتاب المحاسن عن ابن محبوب، عن إسماعيل الجعفرى قال: (سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من استن بسنة عدل فاتبع، كان له أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن استن بسنة جور فاتبع، كان له مثل وزر من عمل به من غير أن ينقص من أوزارهم شيء) (3).

وعنه قدس الله روحه أيضا عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: (حدثني أبان بن محمد البجلي، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (من علم باب هدى، كان له أجر من عمل به ولا ينقص أولئك من أجورهم، ومن علم باب ضلال كان عليه مثل وزر من عمل به ولا ينقص أولئك من أوزارهم) (4).

وعن الشيخ الصدوق قدس الله روحه في كتابه ثواب الأعمال عن أبان عن عبد

1- سورة النحل الآية رقم 25.

2- سورة الأحزاب الآية 67 _ 68.

3- المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ج 1 ص 27 ثواب من سن سنة عدل.

4- المصدر السابق ثواب من علم باب هدى، وراجع الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 35 باب ثواب العالم والمتعلم الحديث رقم 4.

الرحمن بن أبي عبد الله قال: (قال أبو عبد الله عليه السلام لا يتكلم الرجل بكلمة حق فأخذ بها إلا كان له مثل أجر من أخذ بها ولا يتكلم بكلمة ضلال يؤخذ بها إلا كان عليه وزر من أخذ بها)(1).

وعنه قدس الله روحه أيضا عن ميمون القداح عن أبي جعفر عليه السلام قال: (أيما عبد من عباد الله سن سنة هدى كان له أجر مثل أجر من عمل بذلك من غير أن ينقص من أجورهم شيء، وأيما عبد من عباد الله سن سنة ضلال كان عليه مثل وزر من فعل ذلك من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)(2).

وعن البخارى فى صحيحه قال: (حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم ليس من نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها وربما قال سفيان من دمها لأنه أول من سن القتل)(3).

وقد عقد الترمذى بابا أسماه (باب فى من دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة) جاء فيه: (حدثنا على بن حجر، أخبرنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من يتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا». هذا حديث حسن صحيح)(4).

1- ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ص 132 ثواب من تكلم بكلمة حق فأخذ بها.

2- المصدر السابق ثواب من سن سنة هدى.

3- صحيح البخارى ج 8 ص 151 باب إثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيئة لقول الله تعالى: ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الآية، وراجع أيضا صحيح مسلم ج 5 ص 106 __ 107.

4- سنن الترمذى ج 4 ص 149.

وقال النووي في شرح صحيح مسلم: (باب بيان إثم من سن القتل قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل منهن لأنه كان أول من سن القتل»... وهذا الحديث من قواعد الإسلام وهو أن كل من ابتدع شيئاً من الشر كان عليه مثل وزر كل من اقتدى به في ذلك العمل مثل عمله إلى يوم القيامة ومثله من ابتدع شيئاً من الخير كان له مثل أجر كل من يعمل به إلى يوم القيامة، وهو موافق للحديث الصحيح من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة، وللحديث الصحيح: من دل على خير فله مثل أجر فاعله، وللحديث الصحيح: ما من داع يدعو إلى هدى وما من داع يدعو إلى ضلالة والله أعلم(1).

أقول: لا يشك في أن الأمة المؤسسة لأساس الظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مشمولة بما تقدم من الآيات والروايات، وتحمل إضافة إلى أوزارها أوزار كل من عمل بعملها واستن بسنتها إلى يوم القيامة.

المبحث السادس: لا عبرة بالأكثرية والحق هو المدار

غالباً ما يواجه المؤمن الذي يعتقد بفكرة ظلم الأمة لأفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بسؤالين من قبل المخالفين:

الأول: هل يمكن أن نتصور أن تتعاضد أمة بكاملها وتتفق على تأسيس وترسيخ الظلم والجور على خمسة أشخاص من أهل بيت واحد؟.

الثاني: هل يعقل أن تكون هذه الأقلية هي التي على الحق والصواب بينما تكون تلك الأمة المترامية الأطراف في تعداد أفرادها على الباطل والخطأ ومجانبة الحق؟.

1- شرح مسلم للنووي ج 11 ص 166.

وليس الجواب على هذين السؤالين بصعب ولا عسير بعد ان أوضح القرآن الكريم بآيات كثيرة ان أولياء الله سبحانه كانوا على مر التاريخ يتصفون بالأقلية في مقابل مجتمعاتهم وأممهم، وان هؤلاء الأولياء مع كونهم أقلية إلا ان الحق كان معهم وفي صفهم، وتلك المجتمعات مع انها كانت تمثل الأكثرية إلا ان الباطل لم يكن يفارقها وقد تحدثت آيات القرآن بإسهاب عن هذا الموضوع، قال تعالى: ((حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ)) (1).

وقال تعالى: ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)) (2).

وقال تعالى: ((قَالَ الَّذِينَ يَبْطِئُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)) (3).

ويكفي في جريان هذه السنة في امتنا الإسلامية قوله صلى الله عليه وآله وسلم الذي نقله الهيثمي في (مجمع الزوائد): (عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع وباعا ببيع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم وحتى لو أن أحدهم جامع أمه لفعلتم. رواه البزار ورجاله ثقات) (4).

وعن الحاكم النيسابوري في المستدرک قال: (حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد

1- سورة هود الآية رقم 40.

2- سورة الحديد الآية رقم 26.

3- سورة البقرة الآية 249.

4- مجمع الزوائد للهيثمي ج 7 ص 261.

العنبري ثنا محمد بن عبد السلام ثنا إسحاق بن إبراهيم أنبا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن همام قال كنا عند حذيفة فذكروا: من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، فقال رجل من القوم: إن هذا في بني إسرائيل فقال حذيفة نعم الأخوة بنو إسرائيل إن كان لكم الحلو ولهم المر كلا والذي نفسى بيده حتى تحذوا السنة بالسنة حذو القذة بالقذة هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه(1).

وقال صاحب كتاب تحفة الأحوذى: (وفى حديث أبي سعيد عند البخارى لتبعن سنن من قبلكم شبرا شبرا وذراعا ذراعا حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن، ورواه الحاكم عن ابن عباس وفى آخره وحتى لو أن أحدكم جامع امرأته فى الطريق لفعلمتموه. قال المناوى: إسناده صحيح والسنة لغة الطريقة حسنة كانت أو سيئة والمراد هنا طريقة أهل الهوى والبدع التى ابتدعوها من تلقاء أنفسهم بعد أنبيائهم من تغيير دينهم وتحريف كتابهم كما أتى على بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل وقال النووى المراد الموافقة فى المعاصى والمخالفات لا فى الكفر وفى هذا معجزة ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم(2).

وبعد هذه المقدمة يصبح ليس عجيبا أن نرى امة كاملة تتصف بأنها مسلمة تجتمع على عداوة وظلم أهل بيت معين يتكون من عدة أشخاص، وفى قصة بنى إسرائيل واجتماعهم على ظلم موسى وأخيه هارون مع كونهم من أتباعه وأنصاره خير دليل على هذه الحقيقة، الم يعبدوا العجل وكادوا أن يقتلوا هارون بعد أن

1- المستدرک للحاکم النیسابوری ج 2 ص 312.

2- تحفة الأحوذى للمبارکفوری ج 6 ص 339__340.

استضعفه(1)، ألم يرفضوا دخول أرض الجبابة وقالوا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا، حتى اشتكى نبي الله موسى وصرح بأنه لا يملك إلا نفسه وأخاه(2)، وهو يعنى ترك الأمة بأجمعها واجتماعهم على ظلم هذين النبيين العظيمين صلوات الله وسلامه عليهما.

فلا يستغرب مستغرب بعد كل الذى مر ما صرحت به زيارة عاشوراء من انحراف الأمة الإسلامية __ إلا ما خرج بالدليل __ عن الحق ومخالفتها وصايا النبي. وتأسيسها للظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولا ينكر ذلك منكر بحجة ان أكثر الأمة لا يمكن ان يجتمع على خطأ وضلال.

المبحث السابع: الإمام الحسين عليه السلام ميزان حساب الأمم

إشارة

ان لله سبحانه وتعالى فى هذا الكون قوانين خلقها وأوجدها وأودع فيها سرّاً أن تكون كاشفة عن حقائق كونية أخرى، فتمدد الزئبق مثلاً دليل على ارتفاع درجات

1- تمام القصة المذكورة فى قوله تعالى: ((وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلُمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ * وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَوْا عَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْجِمِ بِي الْأَعْدَاءُ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)) سورة الأعراف الآية رقم 148 __ 151.

2- كما هو مذكور فى الآية المباركة التالية: ((قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)) سورة المائدة الآية رقم 24 __ 25.

الحرارة، وانقباضه وتقلصه دليل على انخفاضها، وبلوغ درجة الماء إلى مئة درجة مئوية دليل على غليانه، كما ان انخفاض درجته إلى الصفر أو اقل دليل على انجماده، والمتر وأجزاءه ميزان يقاس به المسافات، وهكذا في بقية الأشياء التي يكون وجودها ميزانا يوزن به غيرها ويقاس بالنسبة إليها بقية الأشياء.

أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين موازين رضا الله وغضبه

ولا تختص هذه الموازين بعالم المادة، وإنما تتعدى لتشمل ما هو غير مادي كالحب والبغض الإلهي، والرحمة والعذاب الإلهي، والرضا والسخط الإلهي، فإن الله سبحانه وتعالى قد خلق موازين ومقاييس تقاس بها تلك الأشياء وتوزن، وقد وردت الروايات وتضافرت الأخبار على ان أهل البيت ميزان تقاس به تلك الأمور السابقة، فعن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (سألت عن قول الله عز وجل: ((وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)) (1) قال: إن الله تعالى أعظم وأعز وأجل وأمنع من أن يظلم ولكنه خلطنا بنفسه، فجعل ظلمنا ظلمه، وولايتنا ولايته، حيث يقول: ((إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا)) (2) يعني الأئمة منا (3).

وعن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل ((فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَمَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ)) (4) فقال: إن الله عز وجل لا يأسف كأسفنا ولكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مربوبون، فجعل رضاهم رضا نفسه وسخطهم سخط نفسه، لأنه جعلهم الدعاة إليه والأدلاء عليه، فلذلك صاروا

1- سورة البقرة الآية رقم 57.

2- سورة المائدة الآية رقم 55.

3- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 146.

4- سورة الزخرف الآية رقم 55.

كذلك وليس أن ذلك يصل إلى خلقه، لكن هذا معنى ما قال من ذلك وقد قال: من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ودعانى إليها وقال: ((مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)) (1) وقال: ((إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)) (2) فكل هذا وشبهه على ما ذكرت لك وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء مما يشاكل ذلك (3).

أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ميزان أولاد الحلال وميزان الإيمان والنفاق

والأدلة الروائية مثلما جعلت من كافة أفراد أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والذي من ضمنهم الأئمة التسعة من أولاد الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كذلك جعلت كل فرد من أفرادها ميزاناً بذاته وميزت كل فرد منهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بميزة اختص بها، ومن هذه الميزات الخاصة هي جعل الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه ميزاناً لمعرفة طيب الأصل وخبثه، وكذلك جعل حبه وموالاته ميزاناً لتمييز أهل الإيمان وأهل النفاق، وكون حربه حرباً لله ولرسوله، وان الداخلة بحزبه داخل بحزب الله ورسوله والخارج عنه خارج عن ذلك، وبهذا الصدد وردت أحاديث لا يمكن استيعابها بهذا المبحث لكننا نذكر بعضاً منها تيمناً بذكر فضائل سيد الموحدين وإمام المتقين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه :

منها ما عن جابر بن عبد الله الأنصارى أنه قال: (لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فى على خصالاً، لو كانت واحدة منها فى جميع الناس لا كتفوا بها فضلاً: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: من كنت مولاه فعلى مولاه. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: على منى

1- سورة النساء الآية رقم 80.

2- سورة الفتح الآية رقم 10.

3- الكافى للشيخ الكلينى ج 1 ص 144 _ 145.

كهارون من موسى. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: على منى وأنا منه. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: على منى كنفسى، طاعته طاعتي، ومعصيته معصيتي. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: حرب على حرب الله، وسلم على سلم الله. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ولي على ولي الله، وعدو على عدو الله. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: على حجة الله وخليفته على عبادته. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: حب على إيمان، وبغضه كفر. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: حزب على حزب الله، وحزب أعدائه حزب الشيطان. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: على مع الحق والحق معه لا يفترقان حتى يردا على الحوض. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: على قسيم الجنة والنار. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: من فارق عليا فقد فارقني، ومن فارقني فقد فارق الله عز وجل. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: شيعة على هم الفائزون يوم القيامة(1).

ومنها ما عن إبراهيم القرشى قال: (كنا عند أم سلمة رضی الله عنها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي صلوات الله وسلامه عليه لا يبغضكم إلا ثلاثة ولد زنا ومنافق ومن حملت به أمه وهي حائض(2)).

عن فضيل بن عثمان، عن أبي الزبير المكي قال: (رأيت جابرا متوكيا على عصاه وهو يدور في سلك الأنصار ومجالسهم وهو يقول: على خير البشر فمن أبي فقد كفر يا معشر الأنصار أدبوا أولادكم على حب علي فمن أبي فانظروا في شأن أمه(3)).

وعن أبي أيوب الأنصاري انه قال: (اعرضوا حب علي على أولادكم، فمن أحبه فهو منكم، ومن لم يحبه فاسألوا أمه من أين جاءت به؟ فإني سمعت رسول الله

1- الأمالى للشيخ الصدوق ص 149 __ 150.

2- علل الشرائع للشيخ الصدوق ج 1 ص 142.

3- (المصدر السابق).

صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب: لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق أو ولد زنية أو حملته أمه وهي طامث(1).

عن أبي الصلت الهروي قال: قال المأمون يوماً للرضا عليه السلام يا أبا الحسن أخبرني عن جدك أمير المؤمنين بأى وجه هو قسيم الجنة والنار وبأى معنى فقد كثر فكرى فى ذلك؟ فقال له الرضا عليه السلام: يا أمير المؤمنين ألم ترو عن أبيك عن آبائه عن عبد الله بن عباس أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: حب على إيمان وبغضه كفر؟ فقال: بلى فقال الرضا عليه السلام: فقسمة الجنة والنار إذا كانت على حبه وبغضه فهو قسيم الجنة والنار، فقال المأمون: لا أبقانى بعدك يا أبا الحسن أشهد أنك وارث علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أبو الصلت الهروي: فلما انصرف الرضا عليه السلام إلى منزله أتته فقالت له: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أحسن ما أجبت به أمير المؤمنين؟ فقال الرضا عليه السلام: يا أبا الصلت إنما كلمته حيث هو ولقد سمعت أباي يحدث عن آبائه عن على عليه السلام إنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا على أنت قسيم الجنة يوم القيامة تقول للنار: هذا لى وهذا لك(2).

الزهاء صلوات الله وسلامه عليها ميزان غضب الله سبحانه ورضاه

والسيدة الطاهرة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانت ولا تزال ميزان سخط الجبار ورضا الرحمن، وهى صلوات الله وسلامه عليها ميزان رضا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغضبه، والتي من يؤذيها فقد أذى الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن يرضيها فقد أرضى الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وبهذا الصدد وردت روايات كثيرة نختار منها:

1- علل الشرائع للشيخ الصدوق ج 1 ص 145.

2- عيون أخبار الرضا صلوات الله وسلامه عليه للشيخ الصدوق ج 1 ص 92.

عن الإمام الصادق جعفر بن محمد صلوات الله وسلامه عليهما، عن أبيه صلوات الله وسلامه عليه، عن علي بن الحسين صلوات الله وسلامه عليه، عن الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: (يا فاطمة، إن الله تبارك وتعالى ليغضب لغضبك، ويرضى لرضاك، قال: ف جاء صندل، فقال لجعفر بن محمد صلوات الله وسلامه عليهما: يا أبا عبد الله، إن هؤلاء الشباب يجيئوننا عنك بأحاديث منكرة فقال له جعفر صلوات الله وسلامه عليه: وما ذاك يا صندل؟ قال: جاءنا عنك أنك حدثتهم أن الله يغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها؟ قال: فقال جعفر صلوات الله وسلامه عليه: يا صندل، أستم رويتم فيما تروون أن الله تبارك وتعالى ليغضب لغضب عبده المؤمن، ويرضى لرضاه؟ قال: بلى. قال: فما تنكرون أن تكون فاطمة صلوات الله وسلامه عليها مؤمنة، يغضب الله لغضبها، ويرضى لرضاها(1) قال: فقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته(2).

وعن الحاكم النيسابورى فى كتابه المستدرک على صحيح مسلم والبخارى قال: (حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا الحسن بن على بن عفان العامرى وأخبرنا محمد بن على بن دحيم بالكوفة ثنا أحمد بن حاتم بن أبى غرزة قال ثنا عبد الله محمد بن سالم ثنا حسين بن زيد بن على عن عمر بن على عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على بن الحسين عن أبيه عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه(3).

-
- 1- هذا الكلام من الإمام صلوات الله وسلامه عليه هو من باب تقريب هذه الحقائق لأذهان العامة الذين يستثقلون مقامات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومنازلهم التى أنزلهم الله فيها، وإلا فان رضا السيدة الطاهرة صلوات الله وسلامه عليها وغضبها لا يقاس برضا عامة المؤمنين والمؤمنات ورضاهم.
 - 2- الأمالى للشيخ الصدوق ص 467 __ 468.
 - 3- المستدرک للحاكم النيسابورى ج 3 ص 153 __ 154.

وقال الهيثمي: (وعن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك. رواه الطبراني وإسناده حسن)(1).

الحسين صلوات الله وسلامه عليه ميزان حساب الأمم يوم القيامة

والإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في زيارة عاشوراء يتبين ان له حسابا خاصا، فكما ان مصيبيته أعظم من كل المصائب وأجلّ من كل الرزايا، كذلك حسابه وميزانه يختلف عن كل الموازين، فالله سبحانه سيحاسب بالحسين صلوات الله وسلامه عليه وبدمه ومصيبته ورزيته أمما بأكملها، وزيارة عاشوراء توضح هذه الحقيقة، فستحاسب به أمة أسست أساس الظلم والجور عليه وعلى أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأمة دفعته وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم وأزالتهم عن مراتبهم.

وستحاسب به أمة قتلتها وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأمة مهّدت ومكّنت من قتله وقتل أهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأشياعهم وأتباعهم وأولياهم، وأمة أسرجت وألجمت وتنقبت وتهيات لقتاله. وسيحاسب الله به بيوتا كاملة من أمثال آل زياد وآل مروان وبنى أمية قاطبة، وسيحاسب به أفرادا شاركوا في أحداث مجزرة عاشوراء من أمثال ابن مرجانة وعمر بن سعد وشمر ويزيد وغيرهم من الملحونين.

وسيحاسب به الله سبحانه أمما وجدت بعد استشهاده واستشهاد أهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد رضيت بفعل تلك الأمم السابقة، وبررت فعل أعدائه، وخطأت الحسين صلوات الله وسلامه عليه في خروجه، ودافعت عن انتهاك حرمة أهل بيته وأصحابه يوم عاشوراء وبعده، فقد ورد في الرواية ان الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه يقتل ذراري قتلة الحسين صلوات الله وسلامه عليه ممن رضى بفعال آبائه، وممن لو

كان موجودا في الطفوف يوم عاشوراء لشارك ضده وعاون على قتله، فقد روى الشيخ الصدوق قدس الله روحه عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: (قلت لأبي الحسن على ابن موسى الرضا صلوات الله وسلامه عليه يا بن رسول الله ما تقول في حديث روى عن الصادق صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين صلوات الله وسلامه عليه بفعال آبائها فقال صلوات الله وسلامه عليه هو كذلك فقلت فقول الله عز وجل ((وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)) (1) ما معناه؟ فقال صدق الله في جميع أقواله لكن ذراري قتلة الحسين يرضون أفعال آبائهم ويفتخرون بها ومن رضى شيئا كان كمن أتاه ولو أن رجلا قتل في المشرق فرضى بقتله رجل في المغرب لكان الراضى عند الله شريك القاتل وإنما يقتلهم القايم إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم... (2).

وليس إهلاك الأمم لعة قتلهم للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه أو الرضا بقتله أو مشايعة ومبايعة قتلته أو غير تلك الأمم والبيوت والأفراد الذين سبق ذكرهم بعزيز على الله سبحانه، بعد ان ذكر القرآن الكريم إهلاك وعذاب الأمم السابقة بذنوبهم وإسرافهم وقتلهم لأنبيائهم وصلحائهم قال تعالى: ((أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَا هُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ)) (3).

وقال تعالى: ((وَلَقَدْ ذُكِّرْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكَ لَمَّا ظَلَمْتُمْ وَأَنْجَيْنَا رُسُلَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ)) (4) وقال تعالى: ((وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ

1- سورة فاطر الآية رقم 18.

2- علل الشرائع للشيخ الصدوق ج 1 ص 229.

3- سورة الأنعام الآية رقم 6.

4- سورة يونس الآية رقم 13.

وَالْمُسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ» (1).

وليس من سبق من الأنبياء بأعز وأكرم على الله سبحانه من الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه فإذا جاز إهلاك وعذاب الأمم التي قتلت أنبياءها وأوصياءها جاز وحسن إهلاك من سبق ذكره من الأمم لان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما ثبت بالدليل من قبل أكمل من جميع الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فالاعتداء عليه وعلى حرمة أشد وأعظم من الاعتداء على كل الأنبياء والرسل، بل ان الاعتداء عليه هو في حقيقته اعتداء على كل الأنبياء والرسل، وعليه فمن العدل ان يكون الانتصاف له من أعدائه والانتقام له أعظم وأشد وأكبر من كل انتقام قد شهدته الأمم السالفة السابقة التي أهلكت في أزمنة الأنبياء السابقين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ وَأَزَالَتْكُمْ عَنْ مَرَاتِبِكُمُ الَّتِي رَتَّبَكُمْ اللَّهُ فِيهَا

إشارة

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة المباركة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة المباركة

1: وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ
2: عَنْ مَقَامِكُمْ
3: وَأَزَالَتْكُمْ

4: عَنْ مَرَاتِبِكُمُ الَّتِي رَتَّبَكُمْ اللَّهُ فِيهَا

المبحث الثالث: تبيان بعض مراتب ومقامات أهل البيت عليهم السلام.

المبحث الرابع: بسبب دفع أهل البيت عليهم السلام وإزالتهم عن مراتبهم

المبحث الخامس: سبب مسارعة الأمة إلى دفع أهل البيت عليهم السلام عن مقاماتهم ومنازلهم.

وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ وَأَزَالَتْكُمْ عَنْ مَرَاتِبِكُمْ الَّتِي رَتَّبَكُمْ اللَّهُ فِيهَا فِي هَذِهِ الْفَقْرَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الزِّيَارَةِ مَبَاحِثٍ مَهْمَةٌ نَسْتَعْرِضُهَا
فِي مَا يَأْتِي مِنَ الْكَلَامِ:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة المباركة

تواترت الروايات وأجمعت نصوص الأدعية والزيارات الشريفة عن النبي الأعظم والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على أن الله سبحانه قد منح لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مقامات أنزلهم بها ومراتب رتبهم فيها، وقد تم دفعهم عنها وإزالتهم منها، وسنذكر فيما يأتي جملة من تلك النصوص الشريفة:

فمنها ما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة: (بلغ الله بكم أشرف محل المكرمين وأعلى منازل المقربين وأرفع درجات أوصياء المرسلين حيث لا يلحقه لاحق ولا يفوقه فائق ولا يسبقه سابق ولا يطمع في إدراكه طامع، حتى لا يبقى ملك مقرب ولا

نبي مرسل ولا صديق ولا شهيد ولا عالم ولا جاهل ولا دنى ولا فاضل ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح ولا جبار عنيد ولا شيطان مرید ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إلا عرفهم جلاله أمركم وعظم خطرکم وكبر شأنكم وتمام نوركم وصدق مقاعدكم وثبات مقامكم وشرف محلکم ومنزلتكم عنده وكرامتكم عليه وخاصتكم لديه وقرب منزلتكم منه(1).

ومنها ما ورد في زيارة أئمة البقيع صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: (يا موالى يا أبناء رسول الله، عبدكم وابن أمتكم، الدليل بين أيديكم، والمضعف في علوق دركم، والمعترف بحقكم، جاءكم مستجيرا بكم، قاصدا إلى حرمكم، متوسلا إلى مقامكم، متوسلا إلى الله بكم. أَدْخِلْ يا موالى، أَدْخِلْ يا أمناء الله، أَدْخِلْ يا أولياء الله، أَدْخِلْ يا ملائكة الله المحققين بهذا الحرم، المقيمين بهذا المشهد...) (2).

ومنها زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في أول شهر رجب والنصف من شعبان، والتي ذكرها السيد ابن طاوس في إقبال الأعمال حيث قال قدس الله روحه: (فيما نذكره من لفظ زيارة الحسين عليه السلام في نصف شعبان أقول: إن هذه الزيارة مما يزار بها الحسين عليه السلام أول رجب أيضا، وإنما أخرجنا ذكرها في هذه الليلة لأنها أعظم، فذكرناها في الأشرف من المكان، وهى: ... بأبى أنت وأمى ونفسى يا أبا عبد الله لقد عظمت المصيبة وجلت الرزية بك علينا وعلى جميع أهل الإسلام، فلعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت، ولعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم وأزالتكم عن مراتبكم التى رتبكم الله فيها. بأبى أنت وأمى ونفسى يا أبا عبد

1- من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج 2 ص 613 _ 614، عيون أخبار الرضا عليه السلام الشيخ الصدوق ج 1 ص 307.

2- المزار لمحمد بن المشهدى ص 88.

الله أشهد لقد اقشعرت لدمائكم أظلة العرش مع أظلة الخلائق، وبكتكم السماء والأرض وسكان الجنان والبر والبحر، صلى الله عليك عدد ما في علم الله... (1).

وسياتى تفصيل الكلام حول بعض مقاماتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وحقيقة إبعاد الأمة لهم عن تلك المراتب والمقامات التى منحها لهم الله سبحانه وتعالى فى مبحث مستقل لاحقا.

المبحث الثانى: المعنى اللغوى لهذه الفقرة المباركة

1: وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعْتُمْ

قد سبق فى الفقرة السابقة توضيح وتبيان معنى كل من كلمة (لَعَنَ) و (أُمَّةً) وبقي أن نعرف معنى (دَفَعْتُمْ) وضمير الجمع عائد بلا ريب إلى أهل البيت الذين مر ذكرهم فى الفقرة السابقة، أما لفظ (دفع) فقد استعمل بمعان أربعة هى:

الأول: استعمل بمعنى المنع، قال الفراهيدى: (دفع: دفعته عنه كذا وكذا دفعا ومدفعا، أى: منعت) (2). فيصبح معنى العبارة هو (ولعن الله أمة منعتكم عن مقاماتكم وأزالتمكم عن مراتبكم التى رتبكم الله فيها).

الثانى: وقد يكون الدفع من المدافعة فيكون بمعنى المماثلة، قال الجوهرى فى الصحاح: (والمدافعة: المماثلة) (3). وقال ابن منظور: (والمدافعة: المماثلة. ودافع فلان فلانا فى حاجته إذا ماطله فيها فلم يقضها) (4) فيكون المعنى لعن الله أمة ماطلتكم

1- إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج 3 ص 341 __ 342 فصل 53.

2- كتاب العين للخليل الفراهيدى ج 2 ص 45 باب العين والبدال والفاء معهما.

3- الصحاح للجوهرى ج 3 ص 1208 فصل الدال مادة دفع.

4- لسان العرب ابن منظور ج 8 ص 89.

عن مقامكم ومراتبكم التي رتبكم الله فيها)، أو (لعن الله امة ماطلت دون وصولكم إلى مقاماتكم ومراتبكم التي رتبكم الله فيها).

وأهل البيت وكما هو الثابت في الآيات والروايات سيرد لهم الله سبحانه هذه المنازل والمراتب في زمن الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه وستجتمع له السلطة الظاهرية والباطنية، ولكن بعد مفاطلة من الظالمين يطول أمدها، ويهلك فيها الكثير ممن سار على نهج تلك الفئة التي جلست في مجلس أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وغصبت مقامهم، فهم ملعونون مسخوط عليهم بسبب منعهم ومفاطلتهم التي تسببت في إضلال فئة من الناس ليست بالقليلة، وكذلك تسببت في تعطيل حدود الله من أن تقام على أيدي أصحابها الشرعيين، وأيضا أسهمت تلك المفاطلة بتكبيد أهل البيت عليهم السلام المتاعب والمصاعب والمحن والآلام بل وتكبدوا في سبيل إعادة السلطة الإلهية من أيدي الغاصبين إلى التصحية بدمائهم الزكية ونفوسهم المقدسة ثمنا لذلك.

الثالث: وقد يكون الدفع بمعنى الإسراع: (دفع دفعت إلى فلان شيئا ودفعت الرجل فان دفع. واندفع الفرس، أى أسرع في سيره، واندفعوا في الحديث)(1).

فيكون معنى العبارة (ولعن الله امة أسرع في دفعكم عن مقامكم وأزالتم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها) وهذا ما حصل فعلا فبمجرد أن مات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والتحق بربه سارعت أمته وهو بعد لم يمدفن إلى دفع أهل البيت عن مقاماتهم ومراتبهم ومن أجلى مراتبهم ومقاماتهم مقام الولاية ومرتبة الإمامة.

الرابع: وقد يكون بمعنى الإزالة بقوة، قال ابن منظور: (دفع: الدفع: الإزالة

بقوة. دفعه يدفعه دفعا ودفاعا ودافعه ودفعه فاندفع وتدفع وتدافع(1). فيكون المعنى (ولعن الله أمة أزالكم بالقوة عن مقامكم ومراتبكم التي رتبكم الله فيها) فيكون هذا المعنى مرادفا للفظ (وأزالكم) الوارد ذكره في نفس هذه الفقرة.

وكل هذه المعاني الأربعة محتملة المراد من قبل الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه لان جميعها قد وقع في الخارج، فان التاريخ يثبت وبصورة لا تقبل الشك ان الأمة قد منعت وماطلت وأسرعت واستعملت القوة في إزالة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مراتبهم ومنازلهم التي رتبهم الله فيها.

2: عَنْ مَقَامِكُمْ

عَنْ: وردت لها معانٍ عدة في اللغة، والمعنى الأنسب لها في هذه الفقرة أن تكون بمعنى (من) لأنها إحدى معانيها(2) وهي نظير قوله تعالى ((وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ)) (3).

مَقَامِكُمْ: ضمير الجمع عائد إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين ذكرتهم الفقرة السابقة من الزيارة، ولفظ (مقام) جاء في اللغة بمعنى (موضع) (4) ومنه قوله تعالى: ((وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا)) (5) أى لا موضع لكم فارجعوا، وقوله تعالى: ((خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا)) (6)، أى حسنت مستقرا وموضعا.

1- لسان العرب ابن منظور ج 8 ص 87.

2- موسوعة معاني الحروف العربية ص 134 للدكتور على سلمان.

3- سورة الشورى الآية رقم 25.

4- الصحاح للجوهري ج 5 ص 2017 مادة قوم.

5- سورة الأحزاب الآية رقم 13.

6- سورة الفرقان الآية رقم 76.

3: وَأَزَالَتَكُمْ

الواو كما لا يخفى هنا للعطف والجملة معطوفة على ما قبلها والمعنى (ولعن الله أمة أزالتكم عن مراتبكم) وضمير الجمع راجع إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولفظ (أزال) استعملت في اللغة بمعان عدة وجميعها محتملة المراد:

الأول: قد يكون (أزال) من الزوال بمعنى الذهاب أو الاستحالة من شيء إلى شيء أو الاضمحلال، قال ابن منظور: (الزوال: الذهاب والاستحالة والاضمحلال) (1) والاستحالة تشمل كل ما تحول أو تغير من الاستواء إلى الاعوجاج (2).

فيكون معنى الفقرة من الزيارة هو (ولعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم، وذهبت بكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها، وتحول حالها معكم من الاستواء إلى الاعوجاج، فاضمحلّت بذلك مراتبكم وذهبت مقاماتكم).

الثاني: وقد يكون من الزوال بمعنى التنحية والتحريك، قال ابن منظور: (الزول الحركة، يقال رأيت شبحاً ثم زال أي تحرك. وزال القوم عن مكانهم إذا حصوا عنه وتنحوا) (3).

وقال الشيخ الطريحي في مجمع البحرين: (ونحى الشيء: أزاله، يقال: نحيتَه فتنحى ونح هذا عنى أي أزاله وأبعده عنى) (4).

فيكون معنى فقرة الزيارة هو: (ولعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم ونحتكم وحركتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها).

1- لسان العرب لابن منظور ج 11 ص 313 فصل الزاى المعجمة.

2- القاموس المحيط ج 3 ص 364.

3- لسان العرب لابن منظور ج 11 ص 313 فصل الزاى المعجمة.

4- مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج 4 ص 284.

4: عَنْ مَرَاتِبِكُمُ الَّتِي رَتَّبَكُمُ اللَّهُ فِيهَا

عَنْ: تقدم الحديث عن لفظ (عَنْ) وقلنا انها هنا بمعنى (من).

مَرَاتِبِكُمْ: ضمير الجمع عائد إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، و(مَرَاتِبٍ) جمع (رتبة) أو (مرتبة) والمرتبة كما جاء في اللغة هي المنزلة الرفيعة الثابتة عند الملوك وأشباههم، قال الجوهري: (رتب: الرتبة: المنزلة، وكذلك المرتبة)(1)

وقال ابن منظور: (والرتبة والمرتبة: المنزلة عند الملوك ونحوها. وفي الحديث: من مات على مرتبة من هذه المراتب، بعث عليها، المرتبة: المنزلة الرفيعة)(2).

التي: اسم إشارة وضع في اللغة للدلالة على المؤنث.

رتبكم الله فيها: وهذه العبارة تريد بيان ان الفاعل والمنزل والواضع والمثبت لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في تلك المراتب والمنازل المتقدمة هو الله سبحانه وتعالى، وبمعنى آخر ان تلك المراتب والمنازل التي ذكرت سابقا لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي رتب ومنازل إلهية ربانية، وان شرعيتها وأهميتها مستمدة من الله سبحانه فإذا قبلها الناس فعن الله سبحانه وتعالى يقبلون، وإذا رفضوها فلا أمر الله سبحانه وتعالى وحكمه يردون.

المبحث الثالث: تبيان بعض مراتب ومقامات أهل البيت عليهم السلام**إشارة**

لابد قبل البدء بالكلام من الاعتراف والتأكيد على مسألة مهمة وهي أن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يعلم بحقيقة مراتبهم ومقاماتهم إلا الله سبحانه، ولا يحصيها إلا هو جل شأنه، فبعضها كشف لنا على لسان الآيات المباركة والروايات الشريفة، وكثير منها قد حجب خبره عنا لأسباب غيبية ربما، وربما

1- الصحاح للجوهري ج 1 ص 133.

2- لسان العرب لابن منظور ج 1 ص 410 فصل الرءاء.

لعدم وجود قلوب تسع وتحتمل تلك الحقائق، لأنه وبسبب التربية الخاطئة للأمة التي أخذت أكثر تعاليمها من مناوئى أهل البيت وأعدائهم والذين كانوا سببا أساسيا فى طمس تلك المنازل والتكتم على تلك المراتب، صار علماء الإمامية رضوان الله تعالى عليه وأتباعهم يرمون بالكفر والشرك والخروج عن جادة الحق والإسلام لأدنى تصريح بأدنى مرتبة من مراتبهم ومقاماتهم ومنازلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فصار أعداؤهم يحاربون تلك المراتب والمقامات حقدا وبغضا، وصار أولياؤهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يكتمونها تقية وخوفا.

ثم وبسبب طول زمن التقية والخوف من الظالمين، وبسبب قلة ما يكتب فى مجال مراتب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومقاماتهم ولاسيما تلك التى تتعلق بمراتبهم ومنازلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قبل عالم الدنيا، صار كثيرا من أتباع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليه يستثقل ويستغرب أكثر مقامات أئمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ويعدّها وبسبب الجهل وعدم الاطلاع على الأحاديث والروايات غلوا ومبالغة.

وربما اعتبر البعض الآخر ومن باب المجاملة والمماشاة للمخالفين من بقية المذاهب الأخرى وغيرهم بان الكلام فى مراتبهم وتوضيح منازلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ليس مناسبا فى هذا الوقت الذى تعيش فيه الأمة الحساسية والاحتقان السياسى والمذهبى، متناسين باجمعهم أن السكوت والتأجيل وعدم توضيح مقامات أهل البيت ومراتبهم التى رتبهم الله فيها خيانة عظمى ومشاركة من حيث يعلمون أو لا يعلمون فى مخطط القضاء والإقصاء والدفع لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم، وان السكوت وعدم تبيان هذه المقامات والمنازل لعوام الشيعة وبسطائهم تعد معونة مجانية لأولئك المزيلىين لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مراتبهم التى رتبهم

الله فيها وخصهم بها.

لذلك يجب على كل من له القدرة والقوة، تبيان ما يقدر على تبيانه من تلك المراتب والمقامات، نصرة ودفاعا عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فى حربهم مع من حاول ويحاول إلى الآن دفع وإزالة أهل البيت عن مراتبهم الإلهية، وإخفاء وطمس منازلهم الربانية، وما هذه الوريقات فى هذا المبحث وغيره إلا تطبيق وعمل بما أسلفت من وجوب النصرة والتصريح على كل من يقدر على ذلك ويستطيع.

ونحن قد أوضحنا فى مبحث سابق جملة من منازلهم وما خصهم الله سبحانه وتعالى به قبل الخلق وفى عالم الأضلاب والأرحام، وسنكمل للقارئ العزيز جملة أخرى من تلك المراتب التى دفعوا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عنها وأزيلوا منها.

المرتبة الأولى: مرتبة الاصطفاء على جميع العالمين

إشارة

هنالك سنن وقوانين خلق الله سبحانه وتعالى على أساسها الكون، وبها يدار نظام الحياة، وواحدة من تلك السنن الكثيرة هى سنة الاصطفاء وقانون الاختيار، فالله سبحانه وتعالى كامل ليس لكماله حد والكمال صفة من صفاته الذاتية، فلا عجب والحال هذه أن يصطفى ويختار كل ما هو كامل فى عالم الوجود ويفضله بعد أن يختاره ويصطفيه على من هو اقل منه كمالا ومرتبة، ونستطيع فيما يأتى ان نستفيد من هذه القاعدة لإثبات أن الله سبحانه خص أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بمرتبة الاصطفاء على جميع الموجودات وأنزلهم منزلة لا يطمع فى إدراكها طامع لعلوها ورقبها، وذلك من خلال الخطوات التالية:

ألف: اصطفاء الإنسان على بقية موجودات الأرض

ومن دقق النظر في هذا الكون بكل جزئياته يجده قائما على أساس الاصطفاء والاختيار للأكمل فالأكمل، والإنسان له من الكمال ما يفوق ويعلو على باقى الموجودات على هذه الأرض، فهو الأفضل وهو المصطفى وهو المختار من قبل الله سبحانه دونها، بل لأجله قد خلق كل ما على الأرض، ولولا- وجوده لما أوجدها قال تعالى: ((هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))⁽¹⁾، وفي الآية المباركة تصريح بأن كل ما فى الكون قد خلق لأجل هذا الإنسان لأنه أكملها وسيدها فهو علة وجودها⁽²⁾ وتحققها فى الخارج.

باء: اصطفاء الأكمل من بين أفراد الإنسان

وقانون الاصطفاء والاختيار جار على أفراد الإنسان أيضا، لأن أفراد الإنسان ليسوا كلهم على وتيرة واحدة من الكمال والنقاوة، ففيهم الكامل وفيهم الأكمل، كما ان فيهم السيئ وفيهم الأسوأ، فلما كان الله سبحانه كاملاً ومن صفاته الكمال فمن الطبيعى انه سيختار الكامل من جنس الإنسان بل الأكمل ويفضله من بعد أن يصطفيه على بقية خلقه، قال تعالى: ((قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ))⁽³⁾.

وقال تعالى: ((اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ))⁽⁴⁾.

1- سورة البقرة الآية رقم 29.

2- المقصود بالعلة هنا هو العلة الغائية.

3- سورة الأعراف الآية 128.

4- سورة الحج الآية رقم 75.

جيم: اصطفاؤه أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على الأنبياء والرسل

وقد شاء الله سبحانه أن يصطفى من أهل كل زمان أفضلهم وخيرتهم فيجعلهم رسلا وأنبياء كما قال تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ))⁽¹⁾ فنصبتهم سبحانه خلفاء في أرضه وحججا على البقية من عباده.

ثم اختار سبحانه من هؤلاء الصفوة صفوة أخرى، ومن هؤلاء الكاملين من هو الأكمل، فكانوا أربعة عشر معصوما هم كما في الروايات فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها وتسعة من ذرية الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهم صفوة الصفوة، وخيرة الخيرة، وقد مر في بحث سابق إثبات أنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أفضل وأكمل من جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن أمهم أيضا.

دال: اصطفاؤه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

ثم اختار سبحانه من هؤلاء الأربعة عشر أكثرهم كمالا وارتفاعهم منزلة فاصطفاه عبدا ورسولا وحيبيا، فكان سيد من خلق، وصفوة من اصطفى، وأكرم من اعتمد، قدمه على أنبيائه وبعثه إلى الثقليين من عباده.

فإذا كان هؤلاء الأربعة عشر معصوما صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أكمل من جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فالنبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم أكمل هؤلاء الأربعة عشر معصوما.

وإذا كان هؤلاء الأربعة عشر معصوما صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم صفوة الصفوة كما بينا، فنبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم صفوة هؤلاء الصفوة، فلذلك صار أهلا لأن تختتم بنبوته النبوات، وبشريعته الشرائع، وقد ورد في الحديث المشهور عند السنة والشيعنة

ما يؤيد هذا المعنى ويؤكد، فعن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم)(1).

هاء: اصطفاء الله سبحانه من أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الأكمل فالأكمل

ثم اختار سبحانه من بعد النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم أكمل الثلاثة عشر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فاختار أمير المؤمنين عليا صلوات الله وسلامه عليه، فجعله كنفس رسوله دمه من دمه، ولحمه من لحمه، ثم اختار له كفؤا ونظيرا وزوجه من فاطمة صلوات الله وسلامه عليها من فوق سبع سماوات، كما هو مروى فى الحديث عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حينما خاطب ابنته الصديقة بقوله: (إن الله اطلع على أهل الأرض إطلاعة فاختر منهم أباك فجعله نبيا، واطلع على عليهم ثانياة فاختر منهم بعلك(2) فجعله وصيا، وأوحى إلى أن انكحه، أما علمت يا فاطمة انك بكرامة الله إياك زوجتك أعظمهم حلما، وأكثرهم علما)(3).

فكانا صلوات الله وسلامه عليهما سببا لإيجاد خيرة الأوصياء بعد أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه، فولدا الحسن صلوات الله وسلامه عليه، ثم تبعه الحسين صلوات الله وسلامه عليه، ثم شاء سبحانه وتعالى ولحكمة هو أعلم بها، أن يجعل امتداد الإمامة والوصاية على الأمة فى ذرية الحسين بن على صلوات الله وسلامه عليهما فكانوا تسعة لا يغيب منهم نجم إلا وطلع نجم آخر

1- سنن الترمذى ج 5 ص 243 ، المصنف لابن أبى شيبة ج 7 ص 430 ، الدر المنثور ج 3 ص 294 ، الطبقات الكبرى لابن سعد ج 1 ص 20.

2- النص إلى هنا منقول فى كتاب المواقف للايجى ج 3 ص 634، ومثله فى كنز العمال للمتقى الهندى ج 11 ص 605.

3- إعلام الورى بأعلام الهدى للشيخ الطبرسى ج 1 ص 317.

مكانه، حتى لا تخلو الأرض من حجة، إقامة لدينه وحجة على عباده، ولئلا يزول الحق عن مقره، ويغلب الباطل على أهله، ولكي لا يقول أحد من العباد لولا أرسلت إلينا إماماً منذراً، وأقمت لنا علماً هادياً فنتبعه من قبل أن نذل ونخزي.

واو: علة اصطفاء الله سبحانه لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

ولا يظن ظان أو يتوهم متوهم بأن هذا الاصطفاء الإلهي كان عفويا ومن غير حكمة وموازن اقتضت هذا التفضيل، فالله سبحانه وتعالى ليس بينه وبين احد من العباد قرابة ولا نسب، وكل العباد بالنسبة إليه سبحانه وتعالى من حيث الخلق والعبودية على حد سواء، فهو الخالق وهم المخلوقون، وهو السيد ومالك الملك والملكوت وهم عبيد لا يملكون إلا ما ملكه لهم سيدهم وخالقهم.

والميزان في التفاضل والتكامل عند الله سبحانه وتعالى قد تم إيضاحه في قوله سبحانه وتعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) (1)، فالتقوى والذوبان في الطاعة والخضوع لله سبحانه وتعالى هي ميزان الفضل وعليها الاعتماد في رفع الدرجات والمنازل عنده سبحانه، فأكمل العباد أتقاهم، وأرفعهم أكثرهم ذوباناً في طاعته وأشدهم سعياً في مرضاته.

والتفضيل للرسول والأنبياء والأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على بقية الناس ليس بخارج عن هذه القاعدة، فهم الأفضل لتفاضلهم بتقواهم وترفعهم عن هذه الدنيا الدنية وذوبانهم في العبودية الخالصة لله سبحانه وتعالى، وهو السبب من وراء اصطفاؤهم واختيارهم.

واصطفاء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على بقية الأنبياء والمرسلين والأوصياء

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ناتج أيضا عن أنهم الأكمل في مقام العبودية والطاعة والذوبان في الله سبحانه وتعالى، وهم الأشد زهدا وترفعا عن هذه الدنيا وزبرجها وزخرفها، ولشدة تعلق قلوبهم بالله.

وفي الدعاء المعروف بدعاء الندبة الشريف الذي يقرأ في زمن الغيبة، توضيح جلي لهذه الحقيقة، ففي بداية فقرات هذا الدعاء تصريح واضح لسبب اجتناب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين واصطفائهم حيث ورد فيه: (اللهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك، الذين استخلصتهم لنفسك ودينك، إذ اخترت لهم جزيلا ما عندك من النعيم المقيم، الذي لا زوال له ولا اضمحلال، بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية، وزخرفها وزبرجها، فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء به. فقبلتهم وقربتهم وقدرت لهم الذكر العلى والثناء الجلى، وأهبطت عليهم ملائكتك، وكرمتهم بوحيك ورفدتهم بعلمك، وجعلتهم الذريعة إليك والوسيلة إلى رضوانك)(1).

المرتبة الثانية: مرتبة الوصاية والخلافة للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

ألف: الوصاية خاضعة لقانون تقديم الأفضل على الفاضل

قد تبين لنا فيما مر أن النظام الكونى قائم على تقديم الأكمل على الكامل، والأفضل على الفاضل، ومسألة الوصاية والخلافة ليست بخارجة عن هذا القانون، ومن تتبع آيات القرآن الكريم يجدها صريحة في جعل خلافة الرسل والأنبياء خاضعة لنظام الاصطفاء، فيختار سبحانه وتعالى من كل أمة الأفضل من بينهم فيرسله نبيا، فإذا مات أو قتل ناب عنه الأكمل من أهل ذلك الزمان.

1- المزار لمحمد بن المشهدى ص 574 الدعاء للندبة.

إلى أن وصلت النبوة والإمامة والخلافة إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام فجعل الله سبحانه النبوة والتوحيد الخالص في ذريته كما قال تعالى: ((وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)) (1)، وقال ابن العربي في كتابه أحكام القرآن: (الكلمة وهي النبوة في قول والتوحيد في قول آخر ولا جرم لم تزل النبوة باقية في ذرية إبراهيم والتوحيد هم أصله وغيرهم فيه تبع لهم) (2).

باء: استمرار النبوة في ذرية نبي الله إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه

واستمر الأنبياء والأوصياء من ولد إبراهيم يتلو بعضهم بعضا يتوارثون الكتاب والنبوة على حسب نظام الاصطفاء والكمال قال تعالى: ((ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)) (3).

جيم: وصاية نبي الله إسماعيل صلوات الله وسلامه عليه ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم

إلى أن وصلت النبوة إلى إسماعيل صلوات الله وسلامه عليه فصارت النبوة في عقبه وولده وذريته، وكانت كنانة أفضل بيوت ذريته، فانتقلت إليها النبوة دون غيرها، وكانت قريش أفضل بيت في كنانة فخصهم الله سبحانه بالاصطفاء وجعل فيهم النبوة دون غيرها من سائر بيوت كنانة، ثم كان بيت هاشم بن عبد المطلب هو أكمل بيت في قريش وأفضلها، فاختره الله سبحانه بالنبوة دون سائر بيوت قريش، ثم كان نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل بني هاشم فاختره سبحانه للنبوة دونهم وأورثه

1- سورة الزخرف الآية 28.

2- أحكام القرآن لابن عربي ج4 ص 102.

3- سورة فاطر الآية 32.

الكتاب على وفق نظام الاستحقاق والأفضلية، وقد روى واثلة بن الأسقع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يؤكد هذا المعنى حيث قال: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم)(1).

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: (قد ذكرنا بالأسانيد الحسان والطرق الصحاح قوله صلى الله عليه وسلم: إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم)(2).

إذن فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ووفقا لهذه الرواية قد استحق الوصاية عن نبي الله إسماعيل صلوات الله وسلامه عليه بشيئين:

الأول: كونه صلى الله عليه وآله وسلم من بني هاشم الذين هم أفضل ولد نبي الله إسماعيل صلوات الله وسلامه عليه.

الثاني: كونه صلى الله عليه وآله وسلم الإنسان الأفضل والأكمل من بني هاشم.

دال: حتمية وصاية الإمام على صلوات الله وسلامه عليه بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

فلما جاء وعد الله سبحانه ونزل بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ما نزل بكل الأنبياء والرسل، وحان وقت استشهاده ورحيله إلى خالقه، ولم يكن من المعقول أن يتوقف نظام الوصاية الذي امتد منذ نزول آدم صلوات الله وسلامه عليه إلى وقت نبينا الأعظم

1- صحيح مسلم ج 7 ص 58 باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليم الحجر عليه قبل النبوة.

2- الاستيعاب لابن عبد البر ج 1 ص 26 __ 27.

صلى الله عليه وآله وسلم، فكان ولا بد ووفقاً لـ ((سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا)) (1) ان يستمر وجود الأوصياء وأن لا يترك العباد من غير حجة ودليل يستدلون به عليه، فكان لا بد أن ينوب عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من يؤدي دور الحجة على الناس، ولكي لا يقول العباد ((رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)) (2).

ولكن يبقى السؤال المهم هو: من الذى سيقوم بدور الخليفة والحجة ويؤدي دور ومهام النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟.

ولا اعتقد ان هنالك صعوبة فى تعيين من هو ذلك الخليفة فيما لو طبقنا القاعدتين المتقدمتين اللتين على أساسهما استحق النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرتبة الوصاية عن أبيه إسماعيل صلوات الله وسلامه عليه واللتين تقدم ذكرهما آنفاً.

فوفقاً للقاعدة الأولى: يجب أن يكون هذا الخليفة من ذرية نبي الله إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه ومن كنانة بالتحديد، ثم من قريش ومن بنى هاشم على وجه الخصوص.

ووفقاً للقاعدة الثانية: يجب أن يكون هذا الخليفة والحجة من المصطفين حتى يمكن له أن يرث الكتاب وفقاً لقوله تعالى: ((ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا)) (3).

ولو تتبعنا أحوال الصحابة وحواربي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لما وجدنا من يشتمل على تلك الميزتين غير الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه فهو من آل إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه، وهو من كنانة، ومن قريش ومن بنى هاشم،

1- سورة الأحزاب الآية رقم 62.

2- سورة القصص الآية رقم 48.

3- سورة فاطر الآية 32.

فيكون هو المتعين دون غيره من الذين اعتلوا كرسى الحكم بعد استشهاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

وهو صلوات الله وسلامه عليه ممن اصطفى الله سبحانه وتعالى وممن عنده علم الكتاب وهو المقصود بقوله سبحانه وتعالى: ((وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)) (1)، فقد تواتر الخبر عند الشيعة الإمامية تبعاً لائمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بأن المقصود من قوله سبحانه وتعالى: ((وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)) هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه.

فعن محمد بن الحسن الصفار وغيره قال: (... عن عبد الله بن بكير عن أبي عبد الله عليه السلام قال كنت عنده فذكروا سليمان وما أعطى من العلم وما أوتي من الملك فقال لي وما أعطى سليمان بن داود إنما كان عنده حرف واحد من الاسم الأعظم وصاحبكم الذي قال الله ((قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)) وكان والله عند علي عليه السلام علم الكتاب فقلت صدقت والله جعلت فداك (2).

وعن علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه عن إبراهيم الأشعري عن محمد بن مروان عن نجم عن أبي جعفر صلوات الله وسلامه عليه في قول الله سبحانه وتعالى ((قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)) قال: (صاحب علم الكتاب علي عليه السلام) (3).

1- سورة الرعد الآية رقم 43.

2- بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص 232 باب مما عند الأئمة عليهم الصلاة والسلام من اسم الله الأعظم وعلم الكتاب الحديث رقم 1.

3- بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص 234 باب مما عند الأئمة عليهم الصلاة والسلام من اسم الله الأعظم وعلم الكتاب الحديث رقم 6.

وقد وافق الإمامية من ان المقصود من قوله سبحانه وتعالى: ((وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ))، هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه الثعلبي في تفسيره، حيث أخرج حديثين ذكر فيهما ان المراد من صاحب علم الكتاب هو ما ذكرنا(1).

وكذلك وافقنا الحاكم الحسكاني(2) حيث أخرج في كتابه شواهد التنزيل(3) مجموعة كبيرة من الأحاديث تنص بأجمعها على أن صاحب علم الكتاب هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه.

فيكون أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه مشتقاً على كونه من بني هاشم وعنده علم الكتاب فيكون هو المصطفى من بين جميع الصحابة للوصاية والخلافة والنيابة عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

هاء: حتمية وصاية الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بعد الإمام علي صلوات الله وسلامه عليه

ويمكن لنا أن نسير بنفس هذا الطريق لإثبات إمامة ووصاية كل من الإمامين الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما، فهما من بني هاشم فلا يجوز تقديم أحد عليهما حتى وان كان من قريش، لان بني هاشم اصطفاهم الله سبحانه على قريش.

وهما صلوات الله وسلامه عليهما ممن اصطفاهما الله سبحانه وتعالى على بقية بني هاشم بنص آية التطهير فيكونان من ورثة الكتاب ((ثُمَّ أُورِثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا)) (4)،

1- تفسير الثعلبي ج 5 ص 302 __ 303 في تفسير سورة الرعد الآية رقم 43.

2- قال عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ ج 3 ص 1200: (الحسكاني القاضي المحدث أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسان القرشي العامري النيسابوري الحنفى الحاكم ويعرف بابن الحذاء شيخ متقن ذو عناية تامة بعلم الحديث، وهو من ذرية الأمير عبد الله بن عامر بن كريز الذى افتتح خراسان زمن عثمان وكان معمرًا عالى الإسناد).

3- شواهد التنزيل الحاكم الحسكاني ج 1 ص 400 __ 405.

4- سورة فاطر الآية 32.

فتكون الوصاية لهما من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعد أبيهما صلوات الله وسلامه عليه بلا منازع، وذلك بغض النظر عن كل النصوص الأخرى التي بينت فضلها ومنزلتها من الله سبحانه ومن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبنفس هذه الطريقة أيضا نستطيع أن نثبت إمامة الأئمة التسعة من ذرية الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين واحدا بعد واحد، فهم من بنى هاشم وهم أفضلهم، فتكون الوصاية ووراثة الكتاب حقا طبيعيا لهم، وبهذا المعنى وردت الأخبار عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فعن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه في قول الله سبحانه: ((قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)) قال: (إيانا عنى وعلى عليه السلام أولنا وأفضلنا وخيرنا)(1).

وعن عمر بن أذينة عن بريد بن معاوية قال قلت لأبي جعفر صلوات الله وسلامه عليه: ((قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)) قال: (إيانا عنى وعلى عليه السلام أولنا وعلى أفضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله)(2).

المرتبة الثالثة: مرتبة تربية الأمة عقائدياً وتزكيتهم روحياً

إشارة

إن واحدة من أعظم التكاليف التي كلف بها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هي مرتبة تربية الأمة وتعليمها والأخذ بيدها إلى سبيل الاستقامة والصلاح قال الله سبحانه: ((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)) (3) وقد قام بها على أحسن وجه وأكملها نبينا الأعظم

1- بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص 234 باب مما عند الأئمة عليهم الصلاة والسلام من اسم الله الأعظم وعلم الكتاب الحديث رقم 7.

2- المصدر السابق ص 235 الحديث رقم 12.

3- سورة الجمعة الآية 2.

صلى الله عليه وآله وسلم فجزاه الله عن أمته أفضل وأحسن جزاء المحسنين.

من سعادة هذه الأمة ان كان مربيها ومعلمها محمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

معلوم بالوجدان أن المعلم كلما كان ارفع درجة كلما كان تعليمه أرقى وأنفع، وكلما كان زكياً طاهراً كلما كان منهجه أوقع في القلب وأنجع، وقد كان من سعادة هذه الأمة ان كان المربي والمعلم والمهذب لها هو شخص الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والذي قد ثبت بالدليل القطعي انه أكمل البشرية وأرفعهم مقاما. فينبغى على هذه الأمة أن تقوم بشكر الله سبحانه الذي منّ عليهم بهذه الفضيلة، ووهبهم مثل هذا المعلم والمربي الكامل.

ولذلك عدّ القرآن الكريم إرسال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذه الأمة فضلا ومنة وينبغى على الجميع تذكرها وعدم تجاهلها والتغاضي عنها، قال سبحانه: ((لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)) (1).

فهو صلى الله عليه وآله وسلم الدعوة التي ذكرها نبي الله إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه لهذه الأمة المسلمة لما ناجى ربه سبحانه وتعالى بقوله: ((رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) (2).

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (أنا دعوة إبراهيم، وكان آخر من بشر بي عيسى بن مريم) (3).

1- سورة آل عمران الآية 164.

2- سورة البقرة الآية 129.

3- الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي ج 1 ص 414 __ 415.

شروط ومؤهل المتصدى لتربية الأمة

لابد وبحسب العقل قبل النقل أن يتمتع الشخص المتصدى لتربية الأمة بشرطين أساسيين ليتسنى له القيام بهذه المهمة الإلهية العظيمة:

الشرط الأول: أن يكون أفضل من جميع أفراد الأمة، وتكون مرتبته الكمالية أعلى كل المراتب الكمالية في عالم الوجود، وذلك لان القصد من نصبه مربيا للناس هو الأخذ بأيديهم إلى أعلى درجات الكمال الذى من أجله خلقوا، وما لم يكن ذلك المربي حائزا لذلك الكمال، وجامعا لكل تلك الرتب، فانه لا يتمكن من الأخذ بيد غيره ليوصله إلى ذلك الكمال وتلك المراتب، لان فاقد الشيء لا يعطيه.

الشرط الثانى: لابد لهذا المربي قبل أن يعلم الأمة الكتاب والحكمة أن يكون هو وبالدرجة الأولى عالما بهذا الكتاب متبحراً فيه ومطلعاً على كل أسراره وجميع غوامضه، لعدم إمكان أن يكون هذا المربي يعلم غيره ما لا يعلمه، ولا أن يلقى من الحكمة ما لا يحسنه، وفقاً لقاعدة فاقد الشيء لا يعطيه بحال من الأحوال.

هذه الشروط لا تتوفر بعد النبي إلا فى أمير المؤمنين على صلوات الله وسلامه عليه

ولا خلاف بين المسلمين فى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يجمع بين كلا الشرطين أيام حياته المباركة، ولكن الكلام فىمن يجمع هاتين المنزلتين بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم وارتحاله إلى الرفيق الأعلى.

والنبوة وان انتهت بموته صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن الأمة ما زالت بعد بحاجة إلى المربي والمعلم والمزكى من بعده، لأنها لم تبلغ مرحلة العصمة والكمال فى حياة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حتى يمكن أن تستغنى وتترك من دون مرب ومعلم وقائد يضع

لها الحلول لمشاكلها المادية والمعنوية، لذلك يصبح من اللازم والضروري وجود من يخلف النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في مقام التربية والتزكية لهذه الأمة، ويلزم كذلك أن يتمتع هذا الخليفة المربي بالشرطين السابقين اللذين بينهما آنفاً ولنفس السبب الذي تم ذكره من قبل.

وبناء على ما تقدم شرحة في المرتبتين الأولى والثانية(1) من مراتب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا نجد صعوبة في تحديد الذي يستحق أن يكون خليفة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في تولى مرتبة التزكية والتربية والتعليم للأمة.

فأمير المؤمنين على صلوات الله وسلامه عليه هو الأكمل وهو الأفضل على الإطلاق من بعد شخص الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وبهذا يتحقق الشرط الأول من شروط المتصدى لتربية الأمة.

وكذلك هو الأعلم من بين كل الصحابة بالقرآن وأحكامه ولطائفه ودقائق تركيبته، وهو الأكثر إحاطة بأسرار الشريعة وأحكامها، فينحصر مقام المربي به دون غيره من الصحابة أجمعين.

حديث (أنا مدينة العلم وعلى بابها) يشهد بذلك

ويشهد بأعلمية أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بالقرآن والشريعة قول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بحقه: (أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأتته من بابها)(2).

1- الأولى هي مرتبة الاصطفاء والثانية هي مرتبة الوصاية والخلافة.

2- (المعجم الكبير للطبراني ج 11 ص 55، الاستيعاب لابن عبد البر ج 3 ص 1102، فيض القدير للمناوي ج 1 ص 49، تفسير القرطبي ج 9 ص 633).

وقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين خمسة أحاديث حکم علیها بالصحة تنص بأجمعها علی أن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه علیه هو باب علم المصطفى صلى الله علیه وآله وسلم فراجع (1).

وقال الفتى فى تذكرة الموضوعات ردا على من أنكر صحة الحديث وحكم بضعفه: (أنا مدينة العلم وعلى بابها أورده من حديث على وابن عباس وجابر، قلت: قد تعقب العلاءى على ابن الجوزى فى حكمه بوضعه فإنه ينتهى بطرقه إلى درجة الحسن فلا يكون ضعيفا فضلا عن أن يكون موضوعا، وقال ابن حجر صححه الحاكم وخالفه ابن الجوزى فكذبه، والصواب خلاف قولهما والحديث حسن لا صحيح ولا كذب) (2).

وقال المناوى فى الفيض القدير: (وقال ابن معين: لا أصل له. وقال الدارقطنى: غير ثابت وقال الترمذى عن البخارى: منكر، وتعقبه جمع أئمة منهم الحافظ العلاءى فقال: من حكم بوضعه فقد أخطأ والصواب أنه حسن باعتبار طرقه لا صحيح ولا ضعيف وليس هو من الألفاظ المنكرة التى تابها العقول... وقال الزركشى: الحديث ينتهى إلى درجة الحسن المحتج به ولا يكون ضعيفا فضلا عن كونه موضوعا، وفى لسان الميزان هذا الحديث له طرق كثيرة فى المستدرک أقل أحوالها أن يكون للحديث أصل فلا ينبغى إطلاق القول عليه بالوضع... ورواه الخطيب فى التاريخ باللفظ المزبور من حديث ابن معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس ثم قال: قال القاسم: سألت ابن معين عنه فقال: هو صحيح. قال الخطيب: قلت أراد أنه صحيح من حديث أبى معاوية وليس باطل إذ رواه غير واحد عنه وأفتى

1- المستدرک للحاكم النيسابورى ج 3 ص 126 __ 127 أنا مدينة العلم وعلى بابها.

2- تذكرة الموضوعات للفتى ص 95.

بحسنه ابن حجر وتبعه البخارى فقال: هو حديث حسن(1).

وقال المناوى أيضا: (قال الراغب: والباب يقال لمدخل الشئ وأصله مداخل الأمكنة كباب الدار والمدينة ومنه يقال فى العلم باب كذا وهذا العلم باب إلى كذا أى منه يتوصل إليه ومنه خبر: «أنا مدينة العلم وعلى بابها» أى به يتوصل(2).

وقال فى موضع آخر: (أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأت الباب فإن المصطفى صلى الله عليه وسلم المدينة الجامعة لمعاني الديانات كلها، ولا بد للمدينة من باب فأخبر أن بابها هو على كرم الله وجهه فمن أخذ طريقه دخل المدينة ومن أخطأه أخطأ طريق الهدى وقد شهد له بالأعلمية الموافق والمخالف والمعادى والمخالف، خرج الكلاباذى أن رجلا سأل معاوية عن مسألة فقال: سل عليا هو أعلم منى فقال: أريد جوابك قال: ويحك كرهت رجلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعزه بالعلم عزا وقد كان أكابر الصحب يعترفون له بذلك وكان عمر يسأله عما أشكل عليه، جاءه رجل فسأله فقال: ههنا على فأسأله فقال: أريد أسمع منك يا أمير المؤمنين قال: لا أقام الله رجليك ومعى اسمه من الديوان(3).

ويشهد بذلك أيضا قول عمر بن الخطاب: (على أقضانا(4) والقضاء كما لا يخفى يستلزم علوما كثيرة يجب أن يحيط بها القاضى ومن أهم تلك العلوم علم الكتاب وجميع تفاصيل أحكامه وغوامض أسرار.

1- فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوى ج 3 ص 61.

2- المصدر السابق: ج 1 ص 49.

3- المصدر السابق: ج 3 ص 60 __ 61.

4- مسند احمد بن حنبل ج 5 ص 113 ، فتح البارى لابن حجر ج 7 ص 60 ، الاستيعاب لابن عبد البر ج 1 ص 17 ، تفسير ابن كثير ج 1 ص 155.

وبنفس هذه الطريقة من الاستدلال وبالاستفادة مما سبق يمكن إثبات أحقية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لتولى منصب التربية والتعليم والأخذ بيد الأمة نحو أعلى مراتب الكمال، بوصفهم الأكمل والأعلم.

صعوبة القيام بمهمة التربية وحساسيتها

ولا يتوهم بأن مرتبة تربية الأمة وتركيتها يمكن أن تمنح لكل من هب ودب من البشر، وذلك لعظيم أهميتها وجسيم خطرها، ولأنه لا يجيدها غير أربابها الشرعيين ومن جعلت له من الله على نحو الاصطفاء والاختيار.

والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على عظيم منزلته وكماله وشديد تحمله كان يضيق صدره في بعض الأحيان كما قال الله ((وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ)) (1) فكان غالباً ما يواسيه الله سبحانه ويوصيه بالصبر والثبات كما في قوله تعالى: ((فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى)) (2)، وقال سبحانه وتعالى ((فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوْعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ)) (3)، فإذا كان صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يضيق ويستدعى المواساة والوصية بالصبر فكيف حال من هو غير معصوم ولا مؤيد ومسدد من قبل الله سبحانه وتعالى.

وأمر التربية والتزكية والتوجيهات يسير به المعصوم نبياً كان أو إماماً على وفق برنامج محدد ومعين ووفق نظام وإشراف الهى لا يزيد المعصوم صلوات الله وسلامه عليه من تلقاء نفسه شيئاً إلا على وفق إذن خاص ولو حاد عن هذا النهج __ وحاشاه أن يحيد __

1- سورة الحجر الآية 97.

2- سورة طه الآية رقم 130.

3- سورة الأحقاف الآية رقم 35.

لتعرض من الله سبحانه وتعالى إلى ما أشارت له الآية المباركة ((وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ * وَإِنَّهُ لَتَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ))⁽¹⁾، فكيف يكون يا ترى حال من يتسلق إلى هذا المنصب ويتصدى له من دون أن يكون لذلك أهلاً.

ولا يخفى أيضاً ما للتربية من اثر سلبي أو ايجابي بحسب جنسها فإن تولأها أولياء الله الكاملون المعصومون المطهرون من كل رجس وعيب فإن أثرها سيكون ايجابيا تنمو به الأمة وتتكامل وترقى في سلم الفضائل، أما لو تصدى لتربية الأمة غير المعصوم والخائن والغاصب والمداهن والمقصر فإن أثره سيكون وخيما وسوف لن تؤول أمور الأمة إلى أكثر من أن يصبح حال أفرادها عين حال ذلك المربي وأوصافهم وأوصافه ومعائبهم معائبه، فيقع ذلك المربي في محذور حمل أثقاله وأوزاره وإثم توليه وتقديمه على الأنبياء والأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بغير حق، وأثقال وأوزار من يسقط في حبال اتباعه وطاعته.

إذن فمسألة تولي أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لمقاماتهم ومراتبهم التي رتبهم الله فيها، ودفع أعداء أهل البيت لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن تلك المراتب والمنازل وتسلبهم عليها ظلما وعدوانا هي مسألة غاية في الأهمية وعلى أساسها يترتب هلاك الأمة أو صلاحها، وعلى اتباع احد الفريقين⁽²⁾ يتوقف رضوان الله والجنة أو غضبه والنار فليُنظر كل مسلم ومؤمن في أي ركاب يضع قدمه.

وهناك مقامات ومراتب لأهل البيت عليهم السلام أعرضنا عن الخوض في تفاصيلها طلبا للاختصار.

1- سورة الحاقة الآية 44 _ 46.

2- الفريق الأول هم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليه، والثاني هم الذين غضبوا مراتبهم ونزوا على مواضعهم.

المبحث الرابع: بسبب دفع أهل البيت عليهم السلام وإزالتهم عن مراتبهم

محق الدين وتحريف الأحكام

من يتابع التاريخ الإسلامى ويمعن النظر فى مرحلة ما بعد وفاة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يجد أن كارثة عظيمة ورزية جليلة قد حلت بالدين الإسلامى وأحكامه، وهذه الكارثة هى ما يمكن أن نسميها بكارثة محق الدين وتحريف معالم الإسلام وأحكامه.

فجميع المسلمين مجمعون على أن النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يرحل عن هذه الدنيا إلا بعد أن أكمل مهمته فى التبليغ وإكمال الدين، وهو ما نص عليه القرآن الكريم بقوله: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا))⁽¹⁾، وعليه فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أكمل دينه الذى ارتضاه للناس، والنبى صلى الله عليه وآله وسلم قد أدى جميع ذلك بكل إخلاص وحرص إلى أمته، فما الذى جرى لينقلب هذا الدين الكامل التام الذى لا يشوبه نقص ولا يعتريه اعوجاج وخلال بضعة سنين ليتحول إلى دين مشوه لا روح له، ويصبح المجتمع الإسلامى وخلال مدّة قصيرة لا يتذكر ولا يعرف أوضاع الأحكام الشرعية التى جاء بها النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، والتى مارسها هو وأصحابه ولسنين عديدة، كالصلاة والصيام وغيرها من الأحكام الواضحة التى كان من المفترض أن تكون بديهية لجميع أفراد الصحابة، فهذه ظاهرة جديرة بالبحث والتمحيص لمعرفة الأسباب التى أدت إلى هذا الانقلاب السريع والواسع لمبادئ وأسس الشريعة والنظام فى المجتمع الإسلامى بعد رحيل النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وستثبت فيما يأتى بما لا

1- سورة المائدة الآية 3.

يقبل الشك ان السبب الأساس لهذا الانقلاب الخطير هو دفع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم وإزالتهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها، وفيما يأتي تفصيل لهذه الحقيقة.

هل فى هذه الحقيقة افتراء على الصحابة؟

إشارة

وليس فيما تقدم أى نوع من أنواع الافتراء والتجنى على الصحابة، لأن ما ذكرناه آنفا ليس من الأشياء الخفية، وكل ما قلناه مبنى على الاعترافات الكثيرة التى شهد بها الصحابة أنفسهم على أنفسهم، أو على بعضهم البعض، أو على حقة هم عاشوا أيامها ونقلوا لنا حقائقها المريرة.

فالصحابة أنفسهم قد اعترفوا وبمناسبات شتى بوقوع هذا المحق والتحريف الذى طرأ على الإسلام وأحكامه وتشريعاته، ولا يخفى أن شهادة الصحابة على أنفسهم، أو شهادتهم على بعضهم البعض، أو شهادتهم على عصرهم الذى عاشوا فيه وشهدوا أيامه، تعدّ مهمة وخطيرة فى نفس الوقت، لأنها شهادة حضور ودراية ومعايشة للواقع الذين عاشته الأمة الإسلامية فى تلك المرحلة المهمة من مراحل التاريخ الإسلامى والتي تعدّ مرحلة تأسيس وتأصيل بالنسبة لما بعدها من المراحل.

ولكى لا يكون كلامنا مجرد إدعاء، فاننا نقدم للقارئ العزيز بعض تلك الشهادات التى عكست وبشكل لا يقبل التأويل فداحة تلك الفاجعة، وبشاعة تلك المصيبة التى نزلت على الإسلام وأهله، وقد اخترنا على عجل مجموعة من الشواهد لأفراد عاشوا تلك الأيام وسجلوا شهاداتهم ومعانياتهم تارة بأسلوب الحسرة والألم على ما فات وتمنى أن يعود ما قد كان، وتارة بأسلوب الرفض والنقمة على الواقع

الذى وصلت إليه الأمة، وغالبا ما تصاحب هذه الشهادات دموع تجرى على حدود الشهود عليها تمسح عنهم بعض الشعور بوخز الضمير لمشاركتهم بنحو أو بآخر فى إيجاد هذا الواقع المرير.

وستترك التعليق على تلك الشهادات والاعترافات، لأنها وحدها كافية فى إيضاح الصورة وبشكل لا يقبل الشك.

الشاهد الأول: أنس بن مالك يعترف بأنه لم يبق من الدين شيئا حتى الصلاة

قال البخارى فى صحيحه: (حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا مهدي عن غيلان عن أنس قال: ما أعرف شيئا مما كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم؟ قيل: الصلاة، قال: أليس ضيعتم ما ضيعتم فيها؟!) (1).

وقال أيضا: (حدثنا عمرو بن زراراة قال أخبرنا عبد الواحد بن واصل أبو عبيدة الحداد عن عثمان بن أبى رواد أخو عبد العزيز قال سمعت الزهرى يقول دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكى فقلت له ما يبكيك فقال لا أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت) (2).

الشاهد الثانى: أبو الدرداء يغضب لعدم بقاء شيء من أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وقال البخارى أيضا: (حدثنا عمر بن حفص قال حدثنا أبى قال حدثنا الأعمش قال سمعت سالما قال سمعت أم الدرداء تقول دخل على أبو الدرداء وهو مغضب، فقلت: ما أغضبك؟ فقال: والله ما اعرف من أمة محمد صلى الله عليه

1- صحيح البخارى ج 1 ص 134 باب تضييع الصلاة عن وقتها.

2- صحيح البخارى ج 1 ص 134 باب تضييع الصلاة عن وقتها.

وسلم شيئاً إلا أنهم يصلون جميعاً(1).

الشاهد الثالث: سهيل بن مالك يعترف أيضاً

وروى الإمام مالك بن أنس بن مالك فى كتابه الموطأ: (حدثنى يحيى عن مالك، عن عمه أبى سهيل بن مالك، عن أبيه، أنه قال: ما أعرف شيئاً مما أدركت عليه الناس، إلا النداء بالصلاة(2)).

الشاهد الرابع: البراء بن عازب يعترف بأن الصحابة أحدثوا بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم

وعن البخارى فى صحيحه قال: (حدثنى أحمد بن اشكاب حدثنا محمد بن فضيل عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال لقيت البراء بن عازب رضى الله عنهما فقلت طوبى لك صحبت النبى صلى الله عليه وسلم وبايعته تحت الشجرة فقال يا ابن أخى إنك لا تدري ما أحدثنا بعده(3)).

الشاهد الخامس: عبد الله بن عباس يصرح بأن القوم تركوا السنة بغضا لعلى

أخرج البيهقى فى السنن الكبرى: (عن سعيد بن جبير قال كنا عند ابن عباس بعرفة فقال: يا سعيد مالى لا أسمع الناس يلبون فقلت يخافون معاوية فخرج ابن عباس من فسطاطه فقال لبيك اللهم لبيك وان رغم أنف معاوية اللهم عنهم فقد تركوا السنة من بغض على رضى الله عنه(4)).

1- صحيح البخارى ج 1 ص 159 باب وجوب صلاة الجماعة.

2- كتاب الموطأ للإمام مالك ج 1 ص 72 كتاب الصلاة باب ما جاء فى النداء للصلاة.

3- صحيح البخارى ج 5 ص 65 __ 66 باب غزوة الحديبية.

4- السنن الكبرى للبيهقى ج 5 ص 113 باب الوقوف بعرفة.

الشاهد السادس: عثمان بن عفان يكتّم أحاديث النبي خوف أن يتفرق الناس عنه

أخرج احمد بن حنبل فى مسنده:

(عن أبى صالح مولى عثمان بن عفان قال: سمعت عثمان يقول على المنبر: أيها الناس إنى كتمتكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كراهية تفرقكم عنى ثم بدا لى أن أحدثكموه ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: رباط يوم فى سبيل الله تعالى خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل)(1).

لماذا تراجعت الأمة هذا التراجع الخطير والسريع؟

والسؤال الذى يجب أن نبحث له عن إجابة حقيقية هو: ما الذى جرى على الصحابة حتى تغيروا وتبدلت أحوالهم بهذه السرعة المذهلة؟ ففقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم تمض عليه إلا سنوات معدودات، ومع ذلك ماتت سنته وأحكامه، بل مات الإسلام وشرعه، بشهادة من كان يعيش من الصحابة فى تلك الأيام.

ولا نجد جوابا يمكن أن نركن إليه سوى أن هذا الانحراف والتردى الذى وقعت فيه الأمة كاب بسبب فقدانها للمربي والمعلم والحافظ للشريعة، وذلك لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يمارس هذا الدور طوال مدّة حياته الطيبة المباركة، فلما حل اجله ودعاه خالقه سبحانه وتعالى لجواره أوكل هذه المهمة العظيمة والخطيرة إلى أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ومن بعده إلى الأئمة من أهل بيته، لكن الأمة وبسبب سوء اختيارها قد حالت بينهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وبين هذا المرتبة التى رتبهم الله فيها، فتقمص هذا المنصب من لا أهلية له لمنصب المربي والمرشد للأمة، وتصدى لهذه المهمة أناس كانوا

1- مسند احمد للإمام احمد بن حنبل ج 1 ص 65 مسند عثمان بن عفان.

بحاجة مستمرة ودائمة إلى هداية الآخرين وإرشادهم، وهو ليس افتراء منا على أحد، فقد قال الأول بعد أن صار حاكما: (إنما أنا بشر ولست بخير من أحد منكم فراعوني فإذا رأيتموني استقمتم فاتبعوني وان رأيتموني زغت فقوموني واعلموا أن لى شيطانا يعتريني)(1).

فمن يكون بحاجة دائمة إلى مشورة ومساعدة وهداية الآخرين كيف له أن يهدى أو يرشد غيره؟ وكيف يستطيع أن يهدى إلى الحق من هو محتاج إلى الآخرين ليقوموه إذا زاغ، وكيف يمنع عن الأمة ويدفع عن المسلمين كيد الشيطان ومخططاته من كان له شيطان يعتريه ((قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ))(2).

فسبب التراجع المستمر والانحطاط المتواصل لمستوى الدين والإسلام هو دفع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم وإزالتهم عن منازلهم، واعتلاء غيرهم ممن لا أهلية له ولا لياقة لتلك المناصب والمراتب، ولهذه الحقيقة شاهد من السنة النبوية الشريفة فقد روى عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (إذا أم الرجل القوم وفيهم من هو خير منه لم يزالوا في سفال)(3) وفي حديث آخر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضا قال: (ما من قوم ولوا أمورهم رجلا- وفيهم من هو خير منه إلا- كان أمرهم إلى سفال)(4).

1- الطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص212، تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج30 ص303.

2- سورة يونس الآية رقم 35.

3- المغني لعبد الله بن قدامة ج2 ص20، والشرح الكبير لعبد الرحمن بن قدامة ج2 ص20، وكنز العمال للمتقى الهندي ج6 ص78.

4- شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ج1 ص197.

المبحث الخامس: سبب مسارعة الأمة إلى دفع أهل البيت عليهم السلام عن مقاماتهم ومنازلهم

إشارة

اتّسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته الشخصية بنمط وأسلوب خاصين، فسيرة الزهد والإعراض عن الحياة الدنيا وملذاتها كانت صفته التي لازمته طوال مدّة بقائه صلى الله عليه وآله وسلم في دار الدنيا.

حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم زهد وعفة وصلاح

وقد نقل لنا الصحابة الذين عاشوا أيام حياته الطيبة المباركة هذه الحقيقة فعن عائشة قالت: (ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض) (1).

وعن ابن عباس قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير) (2).

وقد أخرج النووي في رياض الصالحين عن عبد الله بن مسعود قال: (نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه. قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء. فقال: ما لى وللدنيا ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها، رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح) (3).

-
- 1- سنن الترمذى ج 4 ص 9 ، مسند أبى داود الطيالسى ص 198 ، البداية والنهاية لابن كثير ج 6 ص 58.
 - 2- مسند أحمد بن حنبل ج 1 ص 255 ، سنن الترمذى ج 4 ص 10 ، المعجم الكبير للطبرانى ج 11 ص 259.
 - 3- رياض الصالحين ليحيى بن شرف النووى ص 269 _ 270.

ولا يتوهم بأن هذا التقشف في العيش ناتج عن قصور في منزلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند الله سبحانه وتعالى أو هوانه في الملأ الأعلى حاشاه، بل لأجل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ينظر إلى الدنيا بنظر القرآن الكريم وبعين الملأ الأعلى، فكانت عنده وكل ما فيها متاعاً زائلاً وان من يركن إليها ويغتر بها فقد ((أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَدِّمَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارُ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)) (1) ولو شاء صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعو الله سبحانه وتعالى أن يملأ له الأرض ذهباً لفعّل، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (عرض على ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً. قلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً...) (2).

الفقر عنوان حب النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

لم يكتف النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من جعل الزهد والترفع عن هذه الدنيا ولذاتها شعاراً له، حتى جعل ميزان القرب والبعد عنه صلى الله عليه وآله وسلم وعن الله سبحانه هو مقدار زهد العبد وترفعه عنها، فأقربهم إليه أزهدهم فيها، وأغبطهم عنده أشدهم تعلقاً بالآخرة لأنها الأبقى، وقد أوضح النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا الميزان بقوله: (إن أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة، أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضاً في الناس لا يشار إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافاً فصبر على ذلك) (3).

1- سورة التوبة الآية رقم 109.

2- مسند احمد ج5 ص254، فتح الباري لابن حجر ج11 ص250، الجامع الصغير للسيوطي ج2 ص152.

3- تفسير البغوي ج1 ص177، كنز العمال ج3 ص153، الجامع الصغير ج1 ص337، سنن الترمذي ج4 ص6.

وفى حديث آخر جعل صلى الله عليه وآله وسلم الفقر من علامات حبه، فعن الحاكم النيسابورى فى المستدرک على الصحيحين قال: (فقد حدثنا على حمشاذ العدل ثنا محمد بن غالب ثنا عفان ثنا همام حدثنى إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أبى ذر رضى الله عنه انه أتى صلى الله عليه وآله فقال إني أحبكم أهل البيت فقال له النبى صلى الله عليه وآله فأعد للفقر تجفافا فان الفقر أسرع إلى من يحبنا من السيل من أعلى الأكمة إلى أسفلها. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين (1) ولم يخرجاه (2)، فجعل صلى الله عليه وآله وسلم وفقا لهذا الحديث علامة الحب الصادق لشخص النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو الفقر، لأنك لا تجد واحدا من الناس سواء من الصحابة أو من بقية المؤمنين برسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا ويدعى بأنه يحب النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولكن لكل شىء علامة وعلامة صدق المحبة هي الفقر والزهد فى هذه الدنيا الدنية.

وعن النووى فى رياض الصالحين عن عبد الله بن مغفل قال: (قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله والله إني لأحبك. فقال: انظر ماذا تقول، قال: والله إني لأحبك «ثلاث مرات» فقال: إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا فإن الفقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاه، رواه الترمذى وقال حديث حسن (3).

تفاعل المسلمين مع نهج النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولكن بشكل مؤقت

وقد سار المسلمون على هذا النهج فى التقشف والزهد وترك الدنيا سنين عدة، حتى إن بعضهم كان يغمى عليه من شدة الجوع والفقر والحاجة، فعن فضالة بن عبيد قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى بالناس يخرج رجال من قامتهم

1- يقصد بالشيخين البخارى ومسلم فمع ان الحديث صحيح وفقا لموازينهما إلا أنهما لم يخرجاه.

2- المستدرک للحاكم النيسابورى ج 4 ص 331.

3- رياض الصالحين ليحيى بن شرف النووى ص 269.

فى الصلاة من الخصاصة وهم أصحاب الصفة حتى تقول الأعراب هؤلاء مجانين فإذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف إليهم، فقال لو تعلمون: مالكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة(1).

وبروحية الزهد فى الدنيا والإعراض عن زخارفها كان يخرج أكثر أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم للقتال والجهاد فى سبيل الله سبحانه وتعالى، فعن سعد بن مالك قال: (إنى أول رجل من العرب رمى بسهم فى سبيل الله، ولقد رأيتنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام إلا الحبلة وهذا السمر، حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة(2)، وقال سعد بن أبى وقاص أيضا: (ولقد رأيتنى أغزو فى العصابة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما نأكل إلا ورق الشجر والحبلة حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة والبعير(3).

انقلاب الصحابة على نهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغزوة تبوك أعظم دليل

لم يستمر ولشديد الأسف ذلك الانشداد والعمل والسير على نهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قبل أصحابه سنين طويلة، فقد صار الشعور بعدم كون الدنيا ذات قيمة وأهمية يضعف يوما بعد يوم فى قلوب الصحابة، وبدأ الصحابة يتجهون اتجاها ماديا دنيويا ولاسيما فى السنين الأخيرة من عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخير شاهد على

-
- 1- صحيح ابن حبان ج2 ص502، فيض القدير فى شرح الجامع الصغير للمناوى ج5 ص404، المعجم الكبير ج18 ص310.
 - 2- مسند احمد بن حنبل ج1 ص181، سنن الترمذى ج4 ص12، السنن الكبرى للبيهقى ج1 ص106.
 - 3- صحيح مسلم ج8 ص215، مسند احمد بن حنبل ج1 ص174، سنن الدارمى ج2 ص208، سنن الترمذى ج4 ص11.

هذه الحقيقة هو ما وقع في السنة التاسعة للهجرة النبوية المباركة وبالتحديد في غزوة تبوك.

ففي هذه السنة وبحسب ما يدعى المؤرخون كان المسلمون يمرون بعسرة شديدة جراء القحط والجفاف الذي أصاب الحجاز حتى أطلق على ذلك العام بعام العسرة أو سنة العسرة، وسموا جيش تبوك بجيش العسرة، ولعل سبب تسميته بهذا الاسم يعود إلى تلك المصاعب الجسام التي واجهها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتهيئة هذا الجيش والتي سنعرف قسماً منها في أثناء تسلسل البحث.

سبب غزوة تبوك وحث النبي صلى الله عليه وآله وسلم للناس على الالتحاق بالجيش

وقد كان سبب الغزوة كما نص عليه المؤرخون هو أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد وصلت إليه أخبار مفادها أن ملك الروم قد هباً جيشاً عظيماً لغزو المسلمين؛ لأنهم وبحسب رؤيته القاصرة صاروا يشكلون تهديداً حقيقياً للدولة الرومانية، بسبب ان دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمد الإسلامي وصل إلى أرض الشام التي كانت مستعمرة من مستعمرات الدولة الرومانية في ذلك الوقت، فقرر ملك الروم بسبب هذا التهديد غزو الجزيرة العربية وإخضاعها للسلطة الرومانية والقضاء على الدولة الإسلامية في نفس الوقت، فحشد جيوشه في منطقة تبوك المتاخمة لأرض الحجاز، ليبدأ من هنالك الجيش المعتدى بالتحرك.

فرأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان في مثل هذا التحرك تهديداً لأساس الدولة التي شيدت بدماء الشهداء والمضحيين والمخلصين من الصحابة، والتي بذل النبي وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الغالي والنفيس من اجل إرساء قواعدها، لذلك قرر مواجهة هذا التهديد بنفسه الشريفة، وان يحشد لمواجهة الجيش الروماني اكبر عدد ممكن من

المسلمين وحلفائهم.

فأرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم رسله إلى القبائل العربية وصرح لهم بأنه يريد غزو الروم، خلافا لعادته صلى الله عليه وآله وسلم في سائر غزواته وحروبه التي سبقت تبوك، إذ لم يكن صلى الله عليه وآله وسلم يخبر عن مقصده إلا خواص أصحابه، حتى لا يتسرب الخبر إلى مسامع العدو، وليس هذا التصريح بالمقصد إلا من أجل أن يضع النبي الجميع على محك الاختبار كي يتبعه من يتبعه على بينة، ويتخلف من يتخلف عنه عن بينة أيضا، وليكشف، من ثم، إلى الأجيال وعلى امتداد العصور تلك الظروف القاسية التي كانت تحيط به وبدعوته، وليبين لنا وللأجيال زيف تلك الأمة المتسترة بلباس الإسلام والإيمان والتي متى ما محصت بالبلاء والاختبار ظهرت حقيقتها جليلة واضحة للعيان.

كيف استجاب الصحابة لدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالالتحاق بجيش تبوك

بعدما دعا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الناس للتجهز وإعداد العدة للمسير إلى تبوك لقتال الروم استقبل الناس هذه الدعوة على ثلاثة أقسام نستطيع أن نجمل حولهم القول فيما يأتي:

القسم الأول: وهم الذين استجابوا لدعوة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بنفس مطمئنة وقلب عامر بالإيمان تاركين من خلفهم النساء والأطفال امثالاً لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهؤلاء ولشديد الأسف القلة القليلة من ذلك الجيش كما سنعرف.

القسم الثاني: وهم الذين تجهزوا واستجابوا لدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كرها وبلا أدنى رغبة للخروج والشخص لمواجهة العدو وترك المدينة، وهذه الشريحة من الناس كانت تمثل الطبقة الكبرى من الجيش، والذين تشبثوا بمختلف الأعداء

والحجج في سبيل التخلف عن الجيش، فتجهزوا يوم تجهزوا وهم كارهون.

وهذه الحقيقة المرة صرح بها المؤرخون أمثال ابن هشام في سيرته، إذ قال: (إن رسول الله أمر بالتهيؤ لغزو الروم وذلك في زمن من عسرة الناس وشدة من الحر وجذب في البلاد، وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص)(1).

وقال ابن الأثير في تاريخه: (وكانت الثمار قد طابت فأحب الناس المقام في ثمارهم فتجهزوا على كره)(2).

وقال المقرئ وغيره من المؤرخين: (وكان الناس في حر شديد وحين طابت الثمار وأحبت الظلال والناس يحبون المقام ويكرهون الشخوص عنها...)(3).

من هم المعبر عنهم بلفظ الناس في القسم الثاني

إشارة

ويظهر من النصوص السابقة عدة من الحقائق المهمة:

1: إن عدد الكارهين للخروج والرافضين للاستجابة لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بلغ مقدارا كبيرا جدا بحيث استدعى المؤرخين إلى وصفهم بكلمة الناس، فقال عنهم ابن هشام (والناس يحبون المقام... ويكرهون الشخوص) وقال ابن الأثير (فأحب الناس المقام... فتجهزوا على كره) وقال المقرئ (والناس يحبون المقام ويكرهون الشخوص) فإطلاق اسم الناس عليهم دليل على أن أغلب من التحق بجيش العسرة

1- السيرة النبوية لابن هشام ج4 ص943، السيرة الحلبية ج3 ص99، الدر المنثور للسيوطي ج3 ص248، تاريخ الإسلام للذهبي ج2 ص627.

2- الكامل في التاريخ لابن الأثير ج2 ص277.

3- إمتاع الأسماع ج2 ص48، تاريخ الطبري ج2 ص366، الدر المنثور ج3 ص248، تاريخ مدينة دمشق ج2 ص33.

كان موصوفاً بالثناقل والكراهية للشخص والامتنال لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إذ لو كان الرفض والمثاقل فئة قليلة محدودة لما صح وصفهم بالناس، إذ إن إطلاق لفظ الناس يقتضى الأعم الأغلب من سكان المدينة المنورة لا فئة قليلة منهم، وعلى هذا جرت عادة العرب فى كلامهم، وهو فى آيات القرآن الكريم من الوضوح بمكان قال سبحانه وتعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) (1)، وقال سبحانه وتعالى أيضا: ((وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا)) (2)، وقال سبحانه وتعالى أيضا: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ)) (3).

2: وكذلك يظهر من النصوص السابقة، ان العدد الغالب من الصحابة بدأ يتجه اتجاها دنيويا محضاً غير ما كان يعهده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم منهم، فقد كانت غاية كل واحد منهم فيما سبق من الأيام، أن ينال الثواب والأجر الذى وضعه الله سبحانه وتعالى للمجاهدين، فكانوا فيما سبق على استعداد لترك الدنيا وما فيها من أهل وولد وأموال وثمار من أجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقتل فى سبيل الله والجنة. أما اليوم وفى تبوك بالذات وبعد طول المدة واشتداد المحنة قست القلوب فتثاقلوا عن النصره ورضوا بالعرض الأدنى وحلت الدنيا فى أعينهم.

القسم الثالث: العاصون لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الصحابة

وهم المتخلفون الذين واجهوا أمر النبي بالتجهيز لجيش العسرة بالعصيان والتحدى، وهم ما بين الثلاثين ألفا والسبعين ألفا من المقاتلين، قال جلال الدين السيوطى: (قال ابن إسحاق كانوا ثلاثين ألفا وقال أبو زرعة الرازى كانوا سبعين

1- سورة البقرة الآية رقم 21.

2- سورة الإسراء الآية رقم 89.

3- سورة الحج الآية رقم 1.

وقد نص المؤرخون على ان عدد المتخلفين عنه صلى الله عليه وآله وسلم فى غزوة تبوك (هم ليسوا بأقل العسكرين)(2) أى إن عدد من خرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى عسكره كان مساوياً لعدد من تخلف، فإذا عرفنا أن عدد من خرج مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يتراوح ما بين الثلاثين والسبعين ألف مقاتل على اختلاف التقادير، فيصبح عدد المتخلفين عنه صلى الله عليه وآله وسلم يتراوح ما بين الثلاثين والسبعين ألف متخلف.

أفعال يستنكرها الدين ويندى لها جبين الأحرار من أهل الإيمان

لم يكتف هذا القسم الثالث من العاصين بمخالفة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وعدم التهيؤ والاستعداد للخروج معه حتى تعدى خبثهم الحد، وبدأ وضعهم يأخذ أبعاداً جديدة وخطيرة ليست فى صالح النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولا الرسالة، فتشكلت بعض الجماعات المناوئة لتحركات النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان هدفها الوقوف بوجه مخططاته وإفشال مساعيه لجمع الجيش وتجهيزه.

منهم الذين اجتمعوا فى بيت من بيوت المدينة يثبطون الناس ويخوفونهم من لقاء الروم حتى اضطر النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى ان يبعث إليهم من يفرقهم ويحرق البيت عليهم وينهى اجتماعهم(3).

ومنهم الجند بن قيس الذى كان يحرض الناس علنا ويخوفهم قتال الروم

1- الديباج على مسلم لجلال الدين السيوطى ج 6 ص 120.

2- الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 165، تاريخ الطبرى ج 2 ص 368، البداية والنهاية ج 5 ص 11، السيرة النبوية ج 4 ص 12، تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 631.

3- السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 944، البداية والنهاية لابن كثير ج 5 ص 7، السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 6.

ويشطهم عن الالتحاق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ومنهم الذين كانوا يشيعون بين المسلمين ان لا تنفروا في فصل الصيف وحره وانتظروا فصل الشتاء وطيب جوه فأنزل الله سبحانه وتعالى فيهم قوله: ((فَرَحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (81) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) (1).

وأضمر كثير من هؤلاء المتخلفين بل وحتى كثير من الملتحقين على كره وإجبار ما في نفوسهم من العداوة والنفاق والتثاقل مخافة أن ينزل فيهم قرآن يتلى يخبر الناس بحقيقة ضمائرهم ويكشف الستار عن مكنون سرائرهم وهم الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله ((يَحْذَرُ الْمُتَأَفِّفُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ)) (2).

وأنت خبير بحكمة نزول القرآن الكريم في كل حدث في هذه الأيام وفي كل فعل بل وحتى في كل ضحكة لهؤلاء المتمردين كما في قوله تعالى ((فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا)) (3) فهو دليل على أن تلك الأقوال والأفعال وحتى الضحكات كانت تجد لها أرضا خصبة تؤثر فيها، وهو دليل على أن هذه الجماعات المتمردة كان لها نفوذ واسع وقوى وكلمة مسموعة في صفوف تلك الأمة، وإلا كيف استطاعوا التأثير في الأمة وإقناع ثلاثين ألفا أو سبعين ألفا.

وعلى أي حال فقد كانت هذه الظاهرة من العصيان الجماعي لأوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والوقوف العلني بوجهه صلى الله عليه وآله وسلم هي بداية تحول جديد للصحابة وهو ما

1- البداية والنهاية ج 5 ص 6 ، إمتاع الأسماع للمقريزي ج 8 ص 392 ، السيرة الحلبية ج 3 ص 103.

2- سورة التوبة الآية رقم 64.

3- سورة التوبة الآية رقم 82.

يمكن أن نعدّه بداية ظهور الردة العلنية والجماعية التي أعقبتها فتناً وردات.

وليست هذه الحادثة الشاهد الوحيد الذى يبين هذا التحول والتبدل فإن شئت فتأمل فى بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم لجيش أسامة وتخلّفهم عن الجيش ورفضهم تسييره حتى لعنهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم وغيرها من الحوادث التى تجعل الحق أمامك كالشمس.

نتائج مهمة نختم بها هذا المبحث

إشارة

يمكن ومن خلال ما مر أن نخلص إلى عدة نتائج مهمة يتضح من خلالها علة مسارعة الأمة بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بتتحية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم ومراتبهم التى رتبهم الله فيها، ومن هذه النتائج ما يأتى:

الأولى: أنهم ملوا سيرة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومنهجه فى الزهد وترك الدنيا

ان كراهة المسلمين للقتل والتثاقل عن التضحية والركون إلى الدنيا وكراهية خروجهم مع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فى تبوك وغيرها(1) والتخلف عنه بحجة ان الثمار قد طابت والظلال قد حلت فى أعينهم وغير ذلك من الأسباب التافهة، كل هذه الحجج والأعذار توضح ان المسلمين قد ملوا فى السنوات الأخيرة

1- منها: أنهم كرهوا الجهاد وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى تركه ورغبوا فى الدنيا وزهدوا فى ثواب الآخرة وبخلوا بأنفسهم عن نصره حتى أنزل الله تعالى فيهم قرآنا، فقال تعالى: «كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون* يجادلونك فى الحق من بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون» سورة الأنفال 5 ___ 6. ومنها: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرهم بالخروج إلى بدر فتثاقلوا عنه واحتجوا عليه ودافعوه عن الخروج معه فأنزل الله تعالى فيهم: (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب) راجع كتاب وقفة مع الدكتور البوطى لهشام آل قطيط ص 149.

من حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الفقر وحياة التقشف التي كان يمتاز بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويشجع المجتمع عليها، وخافوا من القتل والقتال في سبيل الله سبحانه.

ونفس هذا السبب قد شارك ولحد بعيد في انقلاب الناس وإعراضهم عن بيعة الإمام على صلوات الله وسلامه عليه بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فانهم قد تيقنوا بأن عليا صلوات الله وسلامه عليه لو قدر له أن يصل إلى الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه سيسير فيهم بنفس سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيستمر من ثم في جهاد الكفار والمنافقين وسيستمر على نفس المنهج في التقشف والزهد، فكرهوا ذلك وأحبوا الراحة وطمحووا إلى الدعة والترف في العيش، وأحبوا الدنيا التي هي رأس كل خطيئة وركنوا إليها، وضربوا بكل وصايا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عرض الحائط.

فالأمة جميعا إلا ما خرج بالدليل كانت تتمنى أن يتغير الحال الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لذلك ما إن بادر جمع منهم إلى تنحية الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقامهم ومراتبهم التي رتبهم الله فيها حتى أطاعتهم الأمة بكل أفرادها، وهو ما يدل على وجود تواطؤ اجتماعي على غضب حق أهل البيت صلى الله عليه وآله وسلم ورفض ولايتهم وكراهية أمرهم، ولكن لم يكن للبعض الجرأة على المبادرة في التغيير والرفض، وما إن تجرأ بعضهم وأسس هذا الأساس حتى عمه الجميع بالرضا والقبول فعمهم الله سبحانه باللعن والسخط.

الثانية: دور المتخلفين عن غزوة تبوك في دفع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مراتبهم

لقد حاول البعض ان يضع ذلك العدد الضخم من المتخلفين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك في خانة (عبد الله بن أبي) المنافق تمويها وطمسا للحقيقة(1)،

1- قال ابن كثير في السيرة النبوية ج4 ص 11 __ 12: (قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق: ثم استتب برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره وأجمع السير، فلما خرج يوم الخميس ضرب عسكره على ثنية الوداع ومعه زيادة على ثلاثين ألفا من الناس، وضرب عبد الله بن أبي عدو الله عسكره أسفل منه وما كان فيما يزعمون بأقل العسكرين. فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبي في طائفة من المنافقين وأهل الريب).

والتحقيق يكشف لنا ان العدد الأكبر منهم كان من المهاجرين والأنصار من غير جماعة عبد الله بن أبي، ويدل على ذلك رواية كلثوم بن الحصين لما سأله النبي عن أقوام قد تخلفوا عنه صلى الله عليه وآله، فقال صلى الله عليه وآله لكلثوم وقلبه يعتصر ألماً: (ما منع احد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إبله امرأً شيطاً في سبيل الله، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: إن أعز أهلى على أن يتخلف عنى المهاجرون والأنصار وغفار وأسلم)(1).

وقال الثعلبى فى تفسير قوله سبحانه وتعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ)) (2): (الآية فيها حث من الله سبحانه لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على غزوة تبوك، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف أمر بالجهاد لغزوة الروم، وذلك فى زمان عسرة من الناس وجذب من البلاد وشدة من الحر فأحرقت النخل وطابت الثمار وعظم على الناس غزوة الروم، وأحبوا الظلال والمقام فى المسكن والمال، فشق عليهم الخروج إلى القتال)(3) فالآية باعتراف الثعلبى فيها حث لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم من عظم

-
- 1- () صحيح ابن حبان ج 16 ص 248، المعجم الكبير للطبرانى ج 19 ص 186، موارد الظمان للهيشمى ج 5 ص 355، البداية والنهاية ج 5 ص 24، السيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 956، السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 34، المستدرک للحاكم النيسابورى ج 3 ص 594.
- 2- سورة التوبة الآية رقم 38.
- 3- تفسير الثعلبى ج 5 ص 46 تفسير سورة التوبة الآية 38.

وشق عليهم الخروج إلى القتال.

وقال السمعاني في تفسير هذه الآية: (نزلت الآية في غزوة تبوك، وكانت الغزوة في حارة القيظ حين أينعت الثمار وطابت الظلال فشق على المسلمين مشقة شديدة وتخلف بعضهم بالعدر، وتخلف بعضهم بلا عذر، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقوله: «اثاقلتم إلى الأرض» أى: ثاقلتم؛ وحقيقة المعنى: قعدتم عن الغزو وكرهتم الخروج) (1). وقوله: فشق على المسلمين، وقوله: وتخلف بعضهم، أى بعض المسلمين بعذر، وقوله: وتخلف بعضهم، أى بعض المسلمين بلا عذر، فيه إشارة واضحة لما قدّمنا.

والمهم أن نعرف أن هذه التكتلات المتمردة من المهاجرين والأنصار وغفار وأسلم كان لها الأثر البالغ في سلب البيعة من الإمام أمير المؤمنين على صلوات الله وسلامه عليه وإنكار الوصية له، لأن من لا يطيع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بتجهيز غزوة، كيف يعقل أن يطيعه في تولية الإمام على صلوات الله وسلامه عليه من بعده، والذي يعلم الجميع بأنه صلوات الله وسلامه عليه نسخة منه صلى الله عليه وآله وسلم لا بل هو نفسه.

الثالثة: تقهقر الأنصار عن نصره النبي صلى الله عليه وآله وسلم أدى إلى انقلاب موازين الصراع

إن الأنصار بوصفهم قد بايعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم على النصر والمؤازرة وردع كل من يحاول تشييط الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنهم في تبوك بالذات صار يعصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمراى ومسمع منهم دون أن يحركوا ساكناً، فلم يتكلف واحد منهم الرد على التحريض العلنى للجد بن قيس، أو غيره من الذين اجتمعوا في بيت من بيوت المدينة، يحرضون الناس على التخلف حتى أحرق النبي صلى الله عليه وآله وسلم

عليهم البيت، وهذا السكوت إن دل على شيء، فإنه يدل على أن الأنصار قد اتصلوا عن البيعة، وتخاذلوا عن النصرة، فلم يعودوا يردون جوراً ولا هم ينصرون، حتى إن كثيراً منهم بقي مع القواعد والمتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذا التخاذل والنكث للبيعة والنصرة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان له الأثر البالغ في سلب أهل البيت حقهم وتنحيتهم عن مراتبهم وإزالتهم عن مقامهم الذي أقامهم الله سبحانه وتعالى فيه، لأن الأنصار لو كان قد قدر لهم أن يقفوا مع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لما كان لأحد القدرة على منازعة أهل البيت حقهم ولما طمع في إزالتهم عن مراتبهم طامع.

من هذا المنطلق نفهم سبب قيام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بحمل السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها ليلاً ليظف وإياها على مجالس الأنصار يسألانهم النصرة على من ظلمها وظلم أهل بيتها، وإلقاء الحجّة عليهم ووضعهم أمام مسؤولياتهم وشروطهم التي اشترطوها على أنفسهم يوم بايعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووعدوه النصرة لدينه، لكنهم وبعد كل مرة يطلب منهم ذلك يجيبون: (يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به فقال لهم على عليه السلام: أفكنت ادع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته لم ادفنه وأخرج أنازع سلطانه؟ فقالت لهم فاطمة صلوات الله وسلامه عليها: ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم⁽¹⁾ ولم يكن جوابهم هذا بمستغرب بعد أن سبق وشرحنا حالهم وتناقضهم عن النبي ونصرتهم، فكيف يا ترى ينصرون علياً وأهل بيته وهم قد ملوا أيام رسول الله وكل شيء يمكن أن يذكرهم أيامه ويعيد عليهم سنته.

1- الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص 19 تحقيق الزيني، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 6 ص 13، غاية المرام للسيد هاشم البحراني ج 6 ص 18، شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي ج 10 ص 295.

وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ

إشارة

المبحث الأول: إثبات الصدور لهذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه العبارة الشريفة

1: وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً

2: قَتَلَتْكُمْ

المبحث الثالث: اللعن يتعدد بتعدد السبب الموجب له

المبحث الرابع: هل يمكن أن تكون لأبدان أهل البيت عليهم السلام قابلية البقاء والخلود

المبحث الخامس: أدلة إثبات قتل الأمة لأهل البيت عليهم السلام

المبحث السادس: أدلة جواز لعن قتلة أهل البيت عليهم السلام

وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ فِي هَذِهِ الْفَقْرَةِ الشَّرِيفَةِ كغَيرِهَا مِنَ الْفَقَرَاتِ مَبَاحِثٍ مَهْمَةٌ نَسْتَعْرِضُهَا فِيهَا مَا يَأْتِي:

المبحث الأول: إثبات الصدور لهذه الفقرة الشريفة

تواتر اللعن على قتلة أهل البيت عامة وعلى قتلة الإمام أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه خاصة في متون الزيارات والروايات اخترنا منها ما يأتي:

عن صفوان الجمال قال: (استأذنت الصادق عليه السلام لزيارة مولانا الحسين عليه السلام، فسألته أن يعرفني ما أعمل عليه... ثم تأتي باب القبة وقف من حيث يأتي الرأس وقل: السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله السلام عليك يا وارث نوح نبي الله... فلعن الله أمة قتلتك ولعن الله أمة ظلمتك ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به يا مولاي يا أبا عبد الله أشهد أنك كنت نورا في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها، وأشهد أنك من دعائم الدين وأركان المؤمنين...) (1).

ومنها ما عن يونس بن عبد الرحمن انه قال للإمام الصادق: (جعلت فداك إني كثيرا ما أذكر الحسين صلوات الله وسلامه عليه فأى شىء أقول؟ فقال: قل صلى الله عليك يا أبا عبد الله تعيد ذلك ثلاثا فإن السلام يصل إليه من قريب ومن بعيد، ثم قال: إن أبا عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه لما قضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ومن ينقلب فى الجنة والنار من خلق ربنا وما يرى وما لا يرى... ثم امش إليه حتى تأتیه من قبل وجهه فاستقبل وجهك بوجهه وتجعل القبلة بين كتفك ثم قل: السلام عليك يا حجة الله وابن حجته، السلام عليك يا قتيل الله وابن قتيله... لعنت أمة قتلتك وأمة خالفتك وأمة جحدت ولا يتكلم وأمة ظاهرت عليكم وأمة شهدت ولم تستشهد، الحمد لله الذى جعل النار مشواهم وبس ورد الواردين وبس الورد المورود والحمد لله رب العالمين وصلى الله عليك يا أبا عبد الله أنا إلى الله ممن خالفك برىء(1).

وعن الإمام أبى عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه أيضا قال: (إذا دخلت الحائر فقل: اللهم ان هذا مقام أكرمتنى به وشرفتنى به، اللهم فأعطنى فيه رغبتى على حقيقة إيمانى بك وبرسلك، سلام الله عليك يا ابن رسول الله... ثم كبر سبع تكبيرات، ثم تمشى قليلا، ثم تستقبل القبر وتقول: الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدره تقديرا، اشهد انك دعوت إلى الله وإلى رسوله، ووفيت لله بعهدده، وقرمت لله بكلماته، وجاهدت فى سبيل الله حتى أتاك اليقين لعن الله أمة قتلتك، ولعن الله أمة خذلتك، ولعن الله أمة خذلت عنك(2).

1- الكافى للشيخ الكلينى ج 4 ص 575 _ 577.

2- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 358 _ 362 الباب 79 زيارات الحسين بن على صلوات الله وسلامه عليها.

وعن أبان بن عثمان، عن أبي همام، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، قال: (إذا أتيت قبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه فقل: السلام عليك يا أبا عبد الله، لعن الله من قتلك، ولعن الله من شرك في دمك، ومن بلغه ذلك فرضى به، وأنا إلى الله منهم بريء)(1).

وعن الحسين بن عطية أبي ناب بياع السابري قال: سمعت أبا عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وهو يقول: (من أتى قبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه كتب الله له حجة وعمرة وعمرة وحجة، قال: قلت: جعلت فداك فما أقول إذا أتيت، قال: تقول: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك يوم ولدت ويوم تموت ويوم تبعث حيا، اشهد انك حي شهيد ترزق عند ربك، وأتوالى وليك وأبرأ من عدوك، وأشهد أن الذين قاتلوك وانتهكوا حرمتك ملعونون على لسان النبي الأمي)(2).

ولو أردنا الاستقصاء لكل ما ورد من لعن للأمة التي قتلت أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لطلال بنا المقام وفيما قدمنا كفاية لمتدبر.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه العبارة الشريفة

1: وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً

الواو عاطفة وما بعدها معطوف على ما سبق، وقد مر في الفقرات السابقة معنى اللعن والأمة، فراجع(3).

1- المصدر السابق ص 392 __ 393.

2- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 390 __ 391.

3- راجع شرح عبارة (فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ النَّبِيِّتِ) المتقدم شرحها.

2: قَتَلْتَكُمْ

القتل: وهو كما عرفه الفراهيدي بقوله: (قتله إذا أماته بضرب أو جرح أو علة)(1).

وهو كما فى الجواهر: (إزهاق النفس المعصومة وإخراجها من التعلق بالبدن)(2).

وقال أبو هلال العسكري فى الفرق ما بين القتل والموت: (القتل هو نقض البنية الحيوانية ولا يقال له قتل فى أكثر الحال إلا إذا كان من فعل آدمى... والموت عرض أيضا يضاد الحياة... ولا يكون إلا من فعل الله... والموت ينفى الحياة مع سلامة البنية، ولا بد فى القتل من انتقاض البنية)(3).

والقتل غالبا ما يصحبه إذلال حين الإماتة، قال صاحب معجم مقاييس اللغة: (قتل: القاف والتاء واللام أصل صحيح يدل على إذلال وإماتة يقال قتله قتلا)(4).

وضمير الجمع فى (قَتَلْتَكُمْ) يعود إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والجملة معطوفة على ما قبلها.

المبحث الثالث: اللعن يتعدد بتعدد السب الموجب له

كثيرا ما نرى فى زيارة عاشوراء أن اللعن للشخص الواحد أو للفئة الواحدة يتكرر لأكثر من مرة، وعليه فربما يتصور البعض بأن هذا التكرار يعد غير منسجم مع البلاغة ومع ما عرف من فصاحة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

1- كتاب العين للخليل الفراهيدي ج 5 ص 127 باب القاف والتاء واللام معهما.

2- جواهر الكلام للشيخ الجواهرى ج 42 ص 11.

3- الفروق اللغوية لأبى هلال العسكري ص 420 تحت رقم 1688 الفرق بين القتل والموت.

4- معجم مقاييس اللغة لأبى الحسين أحمد بن فارس زكريا ج 5 ص 56.

والصحيح انه ليس كل أقسام وأنواع التكرار يعدّ لغواً وغير منسجم مع البلاغة، لان التكرار الذي يكون من ورائه هدف يستدعى التكرار يستثنى من اللغو وعدم البلاغة. والقرآن الكريم ملئ بالآيات المكررة كقوله سبحانه وتعالى ((فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)) فقد تكرر ذكرها في سورة الرحمن واحداً وثلاثين مرة، ولا يوجد قائل من المسلمين يقول بزيادتها ولغويتها والعياذ بالله بحجة تكرارها وذلك لان في تكرارها، هدفاً يصح هذا التكرار.

وتكرار اللعن للأمة أو غيرها من المفردات التي كررت أو ستكرر لاحقاً في فقرات الزيارة ليس بخارج عن مثل هذا التكرار الهادف، ومن أهم أهداف تكرار اللعن في الزيارة هو تبيان الأدوار المتعددة التي قامت بها تلك الجماعات والشخصيات الملعونة، والتي أوجبت تعدد اللعن وتكراره.

فقد تلعن الأمة نتيجة تأسيسها للظلم والجور على أهل البيت صلى الله عليه وآله وسلم، فتستحق بذلك الشمول بالغضب والطرده من الرحمة الإلهية، وقد تلعن تارة أخرى ومن منظور آخر ولسبب ثانٍ يستوجب اللعن، كمثل أن يكونوا من الدافعين لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم ومراتبهم التي رتبهم الله فيها أو بسبب قتلهم لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أو غير ذلك.

وقد يلعن الفرد بصفته فرداً ضمن أمة ارتكبت فعلاً موجباً للعن، كأن يكون ممن شارك في قتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أو يكون ممن مهد ومكن الآخرين من قتلهم، وقد يلعن بصفته فرداً ينتمي إلى بيت من البيوت الملعونة كآل أمية وغيرهم، وقد يلعن كفرد بقطع النظر عن ارتباطه بالأمة أو بالبيت الذي ينتمي إليه، فيلعن

على اعتبار ان له دوراً شخصياً مهماً فى معركة كربلاء كما لعن الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله وأمثاله.

فيتين مما سبق ان لتكرار بعض فقرات وألفاظ زيارة عاشوراء هدفاً مهماً للغاية، فبالترار نكتشف الأدوار المتعددة التى قامت بها تلك الشخصيات والجماعات التى كان لأفعالهم وأقوالهم تأثير مباشر أو غير مباشر فى إحداث فاجعة كربلاء.

المبحث الرابع: هل يمكن أن تكون لأبدان أهل البيت عليهم السلام قابلية البقاء والخلود

إشارة

الظاهر لمن تأمل فى نصوص الروايات الشريفة الواردة عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هو أن الله سبحانه وتعالى خلق النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة أهل البيت والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بحيث ميزهم عن باقى العالمين، وقد مر بعض التفصيل فى مبحث (سلامتهم عليهم السلام فى عالم الطينة)، وسنضيف هنا ميزة أخرى وهى: ان الله سبحانه قد خلق أبدانهم من طينة قابلة للبقاء والاستمرار الوجودى ما لم يحلُ بين هذا البقاء والاستمرار حائل، ويمكن أن نستدل على هذه الحقيقة بما يأتى:

أولاً: لعدم وجود مانع عقلى من ذلك

العقل لا يمنع من خلق الله سبحانه وتعالى لبدن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأبدان بقية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالكيفية التى تقبل البقاء والاستمرار الوجودى. وذلك لان القدرة الإلهية غير محدودة ولا مقيدة بقيد، إلا أن يكون ذلك القيد مستحيل التحقق

عقلا، وخلق النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بتلك الكيفية مما لا يستحيله العقل، فيكون داخلاً في نطاق القدرة الإلهية، فعلينا حينئذ ان نبحث في الأدلة الشرعية والروائية لتتأكد هل وقعت وتحققت تلك المسألة في الخارج أم لا، وهو ما سيتبين في الأدلة اللاحقة.

ثانياً: وجود المقتضى لذلك

إشارة

وإضافة إلى عدم وجود المانع العقلي الذي أوضحناه سابقاً، يمكن ان نجد مقتضياً أو عدة مقتضيات ترجح خلق بدن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وباقي أئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بحيث يكون لها قابلية البقاء والاستمرار الوجودي، ومن هذه المقتضيات والمرجح ما يأتي:

المرجح الأول: لإظهار فضلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين واختصاصهم وتقديمهم على كل البشر

جرت سنة الله سبحانه وتعالى أن يظهر عظيم شأن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في كل مراحل وأطوار الخلق، وقد مر علينا سابقاً عنايته سبحانه لهم في عالم الأشباح والظلال والذرة والأصلاب وغيرها من العوالم، فيكون خلقهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وخلق أبدانهم في عالم الدنيا على الكيفية التي تقدمت داخلاً تحت عنوان إظهار الفضل والاختصاص والامتياز على بقية أفراد البشر.

وهذا مقصد مقبول عقلاً ونقلاً، أما العقل فلعدم وجود المانع، وأما النقل فقد وردت الروايات والزيارات على أن كثيراً من الألفاظ الإلهية تعطى لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بعلّة تبيان منازلهم وقربهم واختصاصهم بالله سبحانه وتعالى ويكفي أن نستعرض ما جاء في الزيارة الجامعة الشريفة وبالتحديد عند قوله صلوات الله وسلامه عليه: (...فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين وأعلى منازل المقربين وأرفع درجات المرسلين

حيث لا - يلحقه لا - حق ولا - يفوقه فائق ولا يسبقه سابق ولا يطمع في إدراكه طامع حتى لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا صديق ولا شهيد ولا عالم ولا جاهل ولا دني ولا فاضل ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح ولا جبار عنيد ولا شيطان مرید ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إلا عرفهم جلاله أمرهم وعظم خطرهم وكبر شأنهم وتمام نورهم وصدق مقاعدكم وثبات مقامكم وشرف محللكم ومنزلتكم عنده وكرامتكم عليه وخاصتكم لديه وقرب منزلتكم منه بأبي أنتم وأمي وأهلي ومالي وأسرتي... (1).

المرجح الثاني: لمعاصرة أكبر عدد من المكلفين لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

ان في نعمة بقائهم وطول عمرهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وديمومة وجودهم فائدة لأكثر عدد ممكن من المكلفين وعلى اختلاف العصور والأزمان، لان في وجودهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فوائد لا تحصى ولا تعد، ويمكن لنا اختيار بعض فوائد وجودهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين:

ألف: أنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أمان لأهل الأرض من العذاب، كما قال سبحانه وتعالى بخصوص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: ((وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)) (2). وعن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه قال: (قال رسول صلى الله عليه وآله: النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل

1- عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ج 1 ص 307 ما يجزى من القول عند زيارة جميع الأئمة عليهم السلام عن الرضا عليه السلام ذكر الزيارة الجامعة الكبيرة. وراجع نفس المصدر ج 2 ص 613 الزيارة الجامعة.

2- سورة الأنفال الآية رقم 33.

الأرض(1)، وعن جابر بن يزيد الجعفي قال: (قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام: لأي شيء يحتاج إلى النبي صلى الله عليه وآله والإمام؟ فقال لبقاء العالم على صلاحه وذلك أن الله عز وجل يرفع العذاب عن أهل الأرض إذا كان فيها نبي أو إمام قال الله عز وجل: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وقال النبي صلى الله عليه وآله: النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يكرهون وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يكرهون(2).

باء: وهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وسيلة من وسائل قبول التوبة والاستغفار لعامة المخطئين والعاصين من أفراد الأمة، وقد صرح القرآن الكريم بهذه الحقيقة فيما يخص نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله سبحانه: ((وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا)) (3)، وفيما يخص باقي أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين روى أبو ذر الغفاري قوله: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركب فيها نجي ومن تخلف عنها غرق إنما مثل أهل بيتي فيكم باب حطة من دخله غفر له ومن لم يدخل لم يغفر له(4).

وفي رواية جابر بن يزيد الجعفي قال: (قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام: لأي شيء يحتاج إلى النبي صلى الله عليه وآله والإمام؟ فقال...

-
- 1- كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص 205.
 - 2- علل الشرائع للشيخ الصدوق ج 1 ص 123 __ 124.
 - 3- سورة النساء الآية رقم 66.
 - 4- بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار ص 317.

وبهم يمهل أهل المعاصى ولا يعجل عليهم بالعقوبة والعذاب... (1).

جيم: أهمية وجودهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من الناحية التشريعية، فباستمرار وجود النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يستمر نزول القرآن، ويستمر الممثل الحقيقي والمرجع الحقيقي للسماء على الأرض، ولا يحتاج الناس إلى اخذ معالم دينهم وأحكام شريعتهم بالقياس والاستحسان بل وحتى بالاجتهاد.

أقول: وتوجد فوائد أخرى لوجودهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يطول استقصاؤها في هذه العجالة، وقد وردت بأجمعها في كتب الحديث ومتون الزيارات (2).

وبناء على ما تقدم ففي طول بقائهم ودوام وجودهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فرصة لأكثر عدد ممكن من المكلفين للاستفادة والانتفاع من هذه النعمة العظيمة، التي لا تخفى على أولى الألباب، ولو كان للنبي وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين اليوم وجود بين الناس، لكان للحياة طعم آخر وقيمة أخرى، ولمنعوا بوجودهم كثيراً من المظالم والمآسى، ولما انتكست أحوال الأمة هذا الانتكاس الرهيب.

1- علل الشرائع للشيخ الصدوق ج 1 ص 124.

2- راجع على سبيل المثال ما ورد في الزيارة الجامعة التي رواها الشيخ الصدوق في (من لا يحضره الفقيه ج 2 ص 615) (وأنتم نور الأخيار، وهداة الأبرار، وحجج الجبار، بكم فتح الله وبكم يختم وبكم ينزل الغيث، وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه وبكم ينفس الهم ويكشف الضر). وما رواه الشيخ الصدوق في (الأمالي ص 252 __ 253) (عن سليمان بن مهران الأعمش، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين «عليهم السلام»، قال: نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغر المحجلين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان أهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وبنا ينشر الرحمة، ويخرج بركات الأرض، ولولا ما في الأرض منا لساخت بأهلها).

ثالثاً: وجود الروايات الدالة على وقوع ذلك

إشارة

وردت روايات عديدة فيها إشارات واضحة على مسألة خلق أبدان أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بحيث يكون لها قابلية الخلود والبقاء والاستمرار ما دام للدنيا وجود، نختار فيما يأتي عدة شواهد روائية مع مراعاة المهم منها:

ألف: روايات الطينة تدل على ذلك

عن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه قال: سمعته يقول: (إن الله خلقنا من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من ذلك الطينة ولم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقهم منه نصيباً إلا للأنبياء، ولذلك صرنا نحن وهم: الناس، وصار سائر الناس همجاً، للنار وإلى النار) (1).

ومنها ما عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يقول: (إن الله خلقنا من أعلى عليين وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا، وخلق أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوى إلينا، لأنها خلقت مما خلقنا...) (2).

ويمكن لنا ان نستنتج من هذين الحديثين حقيقتين مهمتين هما:

أولاً: ان أرواح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين خلقت من نور عظمة الله سبحانه وتعالى، وهو شيء لم يشاركهم فيه أحد.

ثانياً: وأما أبدانهم الشريفة فخلقت من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش،

1- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 389.

2- المصدر السابق ج 1 ص 390.

وان أرواح شيعتهم وقلوبهم قد خلقت من نفس طينة أبدان الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لم يشاركهم في ذلك أحد غير الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وعليه فأبدان الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لها مجانسة ومثابهة وسنخية مع أرواح شيعتهم، وبما أن واحدة من صفات الأرواح هي قابلية الاستمرار والخلود والبقاء الوجودي، فيكون لأبدانهم الشريفة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين نفس هذه الخاصية لوجود حالة السنخية بينهما كما تقدم.

وقد أشار إلى ذلك المولى محمد صالح المازندراني في شرح الرواية الأولى حيث قال ما نصه: (قوله «وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا» فيه دلالة على أن جسدهم جسد روحاني وبدنهم بدن نوراني حتى أنه اشتق منه الروح المجرد الصرف... وأنت إذا تأملت فيما ذكر علمت أن بين أبداننا وأبدانهم مباينة في المادة مقارنة في المحل وكذا بين أرواحنا وأرواحهم ويظهر بواقى النسب بالتأمل الصادق إن شاء الله تعالى(1).

باء: حديث أبي مويهبة من كتب أهل السنة يدل على ذلك أيضا

ذكر الطبراني في كتابه المعجم الكبير: (عن أبي مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: طرقتني النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال: أبا مويهبة انطلق فإني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع، فانطلقت أو قال فانطلقنا فلما توسط البقيع استغفر لأهل المقابر، ثم قال: ليهن لكم ما أصبحتم فيه لو تدرن مما نجاكم الله منه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الأولى، ثم قال: يا أبا مويهبة هل علمت أن الله خيرني أن يؤتيني خزائن الأرض والخلد فيها ثم الجنة وبين لقاء ربي قال: قلت بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن

1- شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج 6 ص 395.

الأرض والخلد فيها، قال: كلا يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي، ثم استغفر لأهل المقابر وانصرف فلما انصرف بدأه شكواه الذى قبض فيه صلى الله عليه وسلم(1).

وقوله: (هل علمت أن الله خيرنى أن يؤتىنى خزائن الأرض والخلد فيها ثم الجنة وبين لقاء ربي) دال دلالة واضحة على انه صلى الله عليه وآله وسلم لو اختار البقاء والخلود فى الدنيا لكان له ذلك، وهذا البقاء والخلود لا يكون إلا بوجود قابلية لبدنه الشريف لهذا الخلود والاستمرار، ولا- يقال ان ذلك ربما يحصل بمعجزة، لان المعجزة لا يصل الأمر إليها ما دام القانون الطبيعى كافياً فى تحقيق الغرض، وقد ثبت بالعقل والنقل إمكان ان يحدث ذلك بصورة طبيعية من خلال خلق بدنه الشريف من طينة قابلة للدوام والبقاء والاستمرار، فلا تصل النوبة حينئذ إلى المعجزة.

جيم: حديث عائشة من مصادر أهل السنة يدل على ذلك أيضا

أخرج احمد بن حنبل فى مسنده: (عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا مما أسمعته يقول إن الله لم يقبض نبيا حتى يخيره قالت فلما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول بل الرفيق الأعلى من الجنة قالت قلت إذا والله لا يختارنا وقد عرفت انه الذى كان يقول لنا ان نبيا لا يقبض حتى يخير) (2).

1- المعجم الكبير للطبرانى ج 22 ص 347، وراجع ايضا سنن الدارمى لعبد الله بن بهرام الدارمى ج 1 ص 36 __ 37، وأيضا راجع مسند احمد لأحمد بن حنبل ج 3 ص 488 __ 489.

2- نحن لا نتفق مع عائشة فى ان كل الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كان لهم ميزة الاختيار ما بين البقاء فى الدنيا والرحيل إلى الرفيق الأعلى، لما صح فى رواياتنا التى ورد ذكر بعض منها من ان هذه المرتبة والميزة خص بها أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ونبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على رأسهم دون جميع العالمين، لكن عائشة وغيرها دأبوا على أن لا يجعلوا الرسول الله وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين خصوصية يتفردون بها ويمتازون بها عن غيرهم.

ويعلق على هذه الرواية بنفس ما مر في رواية أبي مويهبة خادم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم السابقة الذكر.

فائدة الخوض في هذا البحث

إشارة

بسبب عدم تذوق مباحث مهمة كهذه، وبسبب ضعف التوجه العقائدي لدى الكثير من متفلسفة هذا العصر، وبسبب غلبة بعض التوجهات المعاصرة التي تحاول بكل حدها وحديدها تسطيح المفاهيم العقائدية ولاسيما تلك التي تتعلق بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومقاماتهم ومراتبهم ومنازلهم، بسبب كل ذلك وغيره ربما يعترض البعض على إثارة مثل هذه المباحث التي تكاد تدرس في كتابات المعاصرين، وربما يحلو للبعض الآخر بسبب الجهل وقلة الإكتراث لحقوق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين المغصوبة المهضومة أن يرى ترك الخوض في هذه المباحث وأمثالها، لأنها غير مألوفة ولا متداولة عند العوام، وربما تثير سخيرية أو استهزاء بعض المذاهب الإسلامية الأخرى أو حتى بعض الأديان السماوية الأخرى، وعليه فيجب بحسب نظر أولئك القاصر ترك البحث وضرب الجهد عن مثلها صفحا، والالتفات إلى المباحث التي تحمل سمة الحداثة والعصرنة والتي تحاول تقريب وجهات النظر الإسلامية بعضها من البعض الآخر، من دون الإساءة إلى مشاعر الآخرين واستجلاب سخريتهم.

ويمكن ان يجاب هؤلاء وأمثالهم بما يأتي:

أولا: ان عدم مألوفية هذه المباحث عند العوام وباقي المذاهب والأديان لا يعدّ دليلا كافيا للإعراض والخبجل من ذكر وإيراد مثل هذه المباحث، لان العوام والبسطاء من الناس ليسوا ميزانا لتبيين الحقائق وعدمها، بل ان عدم معرفة العوام بهذه المباحث يكون دليلا إضافيا يستدعى نشر هذه المباحث الشريفة ليستفيد منها من

لا يعرف ويتعلم منها من ليس له القدرة على البحث والتحليل.

ثانيا: ان إثارة هذه المباحث للسخرية والاستهزاء والاستهجان على فرض تحققه من بقية الأديان والمذاهب الأخرى لا يعد مبررا لرفض هذا المبحث وأمثاله، لأننا لو جعلنا الميزان في ذكر الحقائق هو سخرية الآخرين وعدمها لما أمكن لمؤلف شيعي ان يكتب كتابا واحدا، لان جميع أفكار الشيعة الإمامية تستدعي السخرية والاستهزاء من وجهة نظر الآخرين، وعليه يجب ان يكسر علماء الشيعة أفلامهم ويتركوا البحث والكتابة والنقاش لان كل ما يتم كتابته من قبلهم يستهزأ به ويستهجن من قبل الآخرين، ولا يوجد عاقل يقول بمثل هذا الرأي.

بل يجب أيضا إلغاء القرآن والشريعة الإسلامية بكاملها لان الغرب وباقي الديانات تشنع عليه وتستهجنه ويجب ان يلغى الحجاب وتشيع الفاحشة وتباع الخمر على الأرصفة لان الغرب وباقي الديانات تتراح لذلك، وقد صدق الله سبحانه وتعالى حيث قال ((وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)) (1).

ثالثا: لا يجوز التحجج بالوحدة بين الأديان أو بين باقى المذاهب الإسلامية لرفض هذه المباحث المهمة، لان الوحدة إذا صارت على حساب إنكار مبادئ أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والتعظيم على حقوقهم ومقاماتهم ومراتبهم التي رتبهم الله فيها فستتحول حينئذ إلى أداة تهديم لأركان المذهب، لان من يبدأ برفض هذه المباحث بسبب الوحدة، فانه سوف لن يقف عند حد، فسيستتبعها يقينا نكران الشهادة الثالثة في الأذان، وبعدها ستمحى الشهادة بحى على خير العمل، وبعدها سيلغى السجود على التربة، وبعدها ستلغى وتحارب زيارات أهل البيت

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشعائرهم ومراسم عزائهم، وهكذا ستستمر سياسة الإلغاء حتى يمسح الدين وتضمحل الحقائق، كل ذلك بسبب شعار الوحدة، أو بسبب الفهم الخاطئ أو التطبيق الخاطئ لشعار الوحدة، حتى نصبح وبالتدريج ممن يشارك في غضب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حقوقهم، ودفعهم بقصد أو بغير قصد عن مراتبهم ومقاماتهم التي ابعدوا عنها.

إضافة إلى كل ما سبق فإن البحث في هذا الموضوع يستبطن عدة من الفوائد الكبيرة، وله نتائج يمكن الاستفادة منها في إثبات مباحث عقائدية أخرى كما سنرى، وفيما يأتي نختار فائدتين يمكن أن تترتب على هذا المبحث، ونترك البقية الأخرى موكولة إلى القارئ وفطنته.

الفائدة الأولى: تضع توضيحا شافيا لطول عمر الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه

ان طول عمر الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه هو من المباحث التي طال الكلام حولها، وتعددت مشارب الباحثين في كيفية تقريبه للأذهان من جهة، وإثبات إمكان وقوعه وحدوثه من جهة أخرى، لكن جميعهم أكدوا على أن طول بقائه صلوات الله وسلامه عليه وامتداد وجود شخصه المقدس راجع إلى قانون المعجزة، وعلى هذا الأمر بنيت الأدلة وأسست الحجج.

غير ان هذا المبحث الذي أثبتنا من خلاله أن أبدان أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، — والإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه واحد منهم — بذاتها قابلة للبقاء والاستمرار والخلود سيكون بمنزلة تغيير جذري لمسألة العلة الحقيقية التي من أجلها استمر وامتد عمر الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه إلى وقتنا هذا بل إلى اليوم الموعود، وستخرج هذه المسألة من كونها مسألة إعجازية غيبية إلى مسألة طبيعية، على اعتبار ان البقاء والخلود من

خواص بدنه المقدس، ما لم يحل دون ذلك حائل، وإذا كان لبدنه الشريف صفة البقاء والخلود فلا تبقى أى حاجة للتدخل الإعجازى، لان المعجزة كما هو ثابت فى محله، لا يصار إليها إلا بعد انسداد وقصور الأسباب الطبيعية، وهذا الشرط منفى هنا، لإمكان تحقق طول البقاء بالطرق الطبيعية وبالتوضيح السابق، فلا يلجأ إلى المعجزة بحال من الأحوال.

الفائدة الثانية: لتبيان الجريمة النكراء التى حالت دون التمتع بوجودهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

ان أصل وجود النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بغض النظر عن أى حيثية أخرى هو نعمة إلهية يجب على الجميع معرفتها والإقرار بها، إذ ان وجود الأبرار والصالحين والأخيار ومن فضلهم الله سبحانه وتعالى على جميع العالمين من الأولين والآخرين لهو نعمة ومنة، لا ينكرها إلا من عميت بصيرته، فكيف لو اقترنت بوجودهم فوائد عظيمة ومنن إضافية جسيمة، فان المنة ستكون ولا ريب أعظم والنعمة أتم، وقد بينا أنفا ان وجودهم وسيلة يستجلب بها كل خير ويدفع بهم كل سوء وشر.

وعليه فأعظم جريمة وقعت فى تاريخ المسلمين هى إزهاق تلك الأرواح الطاهرة والحيلولة دون ان تستفيد الأمة من نعمة خلود هؤلاء الأطهار بين صفوفها، فالأمة التى أزهدت أرواح أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وحالت دون استمرار وجودهم ودون فرصة الاستفادة من ثمرات بقائهم وخلودهم تستحق اللعن والطرده والإبعاد عن الرحمة الإلهية، وتحمل جميع التبعات المترتبة على ذلك، وكذلك تتحمل جميع المفاسد التى ترتبت على فقد أولئك الأطهار، والتى منها انقطاع الوحي والتشريع عن أهل الأرض، وتشتت كلمة الأمة وتشعبهم شيعا وأحزابا، وما نتج عن ذلك من فساد فى الأرض وإراقة للدماء.

المبحث الخامس: أدلة إثبات قتل الأمة لأهل البيت عليهم السلام

إشارة

ان ضمير الجمع فى كلمة (قتلتكم) فى فقرة (ولعن الله امة قتلتمكم) كما أوضحنا فى المعنى اللغوى راجع إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشامل للخمسة أصحاب الكساء، وهذا الإطلاق فى العبارة يدل وبوضوح على أن جميع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد تعرضوا للقتل وما مات منهم احد حتف انفه.

وتطبيق تعريف القتل الذى هو بمعنى: (الإماتة بضرب أو جرح أو سم أو علة...إذا كان من فعل آدمى)(1) واضح فى مورد أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه، والإمامين الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما فان موتهم كان بفعل الغير، وإذا كان بفعل الغير فهو داخل فى معنى القتل، وتواتر وقوعه خارجاً أشهر من ان يستدل عليه بدليل.

الأدلة على قتل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم واستشهاده

إشارة

يمكن لنا أن نقدم عدة أدلة على أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج عن هذه الدنيا إلا مقتولا شهيدا، نخص بالذكر منها ما يأتى:

الدليل الأول: قابلية بدنه الشريف للخلود والبقاء الوجودى تدل على ذلك

بناء على ما تقدم فى المبحث السابق من ان بدن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبدان بقية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد خلقت بطريقة قابلة للخلود والاستمرار الوجودى، ما لم يحل بوجه هذا الخلود والاستمرار حائل، فيصبح واضحاً ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما لم يستمر وجوده المقدس فهذا يعنى ان حائلاً قد حال دون ذلك، وان هذا الحائل من

1- (: لسان العرب لابن منظور ج 11 ص 547، كتاب العين للفراهيدى ج 5 ص 127.

فعل آدمى لان الله سبحانه وتعالى خلقه صلى الله عليه وآله وسلم وله قابلية الاستمرار فمن غير المعقول أن يكون ذلك الحائل حائلا إلهيا، وإذا لم يكن إلهيا لابد أن يكون آدميا، وبه يتحقق معنى القتل.

الدليل الثاني: تسالم قتله في مذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

تسالم عند علماء مذهب أهل البيت رضوان الله تعالى عليهم قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسموما، وبهذا الصدد يقول الشيخ الطوسي قدس الله روحه: (قبض رسول الله صلى الله عليه وآله مسموما لليلتين بقيتا من صفر سنة عشر من الهجرة) (1).

وقال الشيخ المفيد قدس الله روحه: (وقبض صلى الله عليه وآله بالمدينة مسموما يوم الاثنين ليلتين بقيتا من صفر سنة عشر من هجرته، وهو ابن ثلاث وستين سنة) (2).

الدليل الثالث: روايات أهل السنة تشهد بقتله صلى الله عليه وآله وسلم واستشهاده

قد اشتهر في كتب العامة بأنه صلى الله عليه وآله وسلم مات مسموما، فعن احمد بن حنبل عن عبد الله بن مسعود قال: (لان أحلف تسعا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قتل قتلا أحب إلى من أن أحلف واحدة أنه لم يقتل، وذلك إن الله اتخذ نبياً واتخذ شهيداً) (3)، قال الهيثمي معلقاً على هذا الحديث: (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح) (4).

وقد كان الشعبي يقول: (والله لقد سم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسم أبو بكر

1- تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج 6 ص 2، وأيضا بحار الأنوار للمجلسي ج 22 ص 514،

2- المقنعة للشيخ المفيد ص 456، وراجع أيضا منتهى المطلب للعلامة الحلي ج 2 ص 891.

3- مسند احمد بن حنبل ج 1 ص 408 مسند عبد الله بن مسعود.

4- مجمع الزوائد للهيثمي ج 9 ص 341.

وقتل عمر بن الخطاب صبيرا وقتل عثمان بن عفان صبيرا وقتل علي بن أبي طالب صبيرا وسم الحسن بن علي وقتل الحسين(1).

والذى يتبين من كلام الطبرى وغيره ان مسألة موت النبى صلى الله عليه وآله وسلم بفعل الغير هو مما كان مشتهرا أمره بين كافة أفراد المسلمين من الصحابة وغيرهم حيث قال فى تاريخه: (وكان المسلمون يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات شهيدا، مع ما أكرمه الله به من النبوة)(2).

من الذى قتل النبى صلى الله عليه وآله وسلم

على الرغم من إجماع المسلمين تقريبا على استشهادة صلى الله عليه وآله وسلم بالسّم، إلا أن الاختلاف قد وقع بينهم فى تحديد الجهة التى قامت بسّمه وإزهاق روحه المقدسة، فالعامة تروى بأنه صلى الله عليه وآله وسلم قد سم من قبل اليهود قبل سنتين من وفاته صلى الله عليه وآله وسلم حينما قامت يهودية بتقديم شاة مشوية ومسمومة إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأكل منها لقمة فبقي أثر هذه اللقمة يتكرر كل عام عليه بالأذى ورووا عنه انه صلوات الله وسلامه عليه قال: (ما زالت أكلة خبير تعتادنى كل عام حتى كان هذا أوان قطع أبهرى __ شريانى __)(3).

وأما علماء الخاصة فقد تباينت آراؤهم فى سبب موت النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فمنهم من ذهب إلى ما يذهب إليه أبناء العامة، ومنهم من ذهب إلى ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد سم على يد بعض المقربين من الصحابة.

1- المستدرک على الصحیحین للحاکم النیسابوری ج 3 ص 59.

2- تاریخ الطبرى ج 2 ص 303، تفسير الثعلبى ج 9 ص 53، تفسير البغوى ج 4 ص 198.

3- الجامع الصغير لجلال الدين السيوطى ج 2 ص 497، وقريب منه فى مسند احمد ج 6 ص 18، المحلى لابن حزم ج 11 ص 27، معرفة السنن والآثار للبيهقى ج 7 ص 298.

وليس هنا محل تحقيق ذلك إلا ان فقرة (ولعن الله امة قتلتمكم) فيها تصريح واضح بان الأمة التي قتلت أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي بذاتها التي قتلت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إضافة إلى وجود روايات تؤكد على ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأكل من الطعام المسموم الذي قدم له بخبير، قال الطبرى: (فلاك صلى الله عليه وآله وسلم منها مضغة فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور الأنصارى من بنى سلمة من الخزرج قدّ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني انه مسموم)⁽¹⁾.

فمن هذا وغيره استبعد بعض الباحثين أن يكون اليهود هم من قام بسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ليس من باب تبرئتهم، فهم أهل لكل سوء، وكهف لكل نفاق ومؤامرة، ولكن الإنصاف فى البحث وحق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحرمة تستدعى أن يزاح الستار عن الفاعل الحقيقى لهذه الفاجعة النكراء والجريمة الشنعاء، وأصابع الاتهام تشير إلى بعض الأطراف القريبة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إما مستقلة وإما متعاونة مع أطراف يهودية أخرى.

الأدلة على قتل السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها

إشارة

اجتمعت كلمة العامة والخاصة على أن السيدة الطاهرة فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها قد ماتت وهى بعمر الثمانية عشر سنة، ولكن اختلفوا فى أن موتها هل كان بفعل الغير أم لا، ونحن وبسبب ما بين أيدينا من أدلة روائية نقطع بموتها بسبب فعل الغير، ولنا على ذلك عدة من الأدلة نستعرض بعضها فيما يأتى:

1- تاريخ الطبرى ج2 ص303، السيرة النبوية لابن هشام ج3 ص801، البداية والنهاية لابن كثير ج4 ص240.

الدليل الأول: قابلية بدننا الشريف للخلود والبقاء الوجودى يدل على ذلك

تقدم فيما سبق طريقة الاستدلال بهذا الدليل على حتمية قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإماتته بفعل الغير ونفس الطريقة تلك يمكن تطبيقها هنا لنتتج عين ما نتج سابقا.

الدليل الثانى: قصر عمرها يدل على ذلك

إن قصر عمر السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها(1) يدل وبغض النظر عن كل دليل روائى أو تاريخى على ان وفاتها صلوات الله وسلامه عليها كانت بفعل فاعل، إذ انه وبحسب ما اعتاده الناس فى الحياة العامة لا يكون موت الإنسان وهو بمثل هذه السن إلا لأحد سببين:

الأول: أن يكون المرض هو الذى يعجل بموت من يكون بهذا العمر.

الثانى: تعرضه للاعتداء والقتل من قبل إنسان آخر.

والثابت تاريخيا إن كلا الأمرين قد اجتماعا فى موت السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، فقد تعرضت للضرب والاعتداء المباشر من قبل بعض الصحابة، ونتيجة لهذا الاعتداء مرضت واعتلت وبقيت فى علة دائمة إلى أن ماتت روحى فداها.

والأفطع من هذا وبحسب ما يفهم من عبارة (ولعن الله امة قتلتمكم) هو أن تشترك الأمة جميعها بقتلها تارة بالمباشرة، وأخرى بتهيئة الأسباب والمقدمات لقتلها

1- () قال الشيخ الكلينى فى كتاب الكافى ج 1 ص 458: (ولدت فاطمة عليها وعلى بعلمها السلام بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس سنين وتوفيت عليها السلام ولها ثمان عشرة سنة وخمسة وسبعون يوما وبقيت بعد أبيها صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوما).

وهضمها، أو بالسكوت على الاعتداء على حرمتها وعدم الاكتراث لما جرى عليها، وفي قول أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام تصريح بهذه الحقيقة فبعد ما فرغ من دفنها روى فداها وقف مخاطبا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (وستبتك ابنتك بتظافر أمتك على هضمها فأحفظها السؤال واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلا... ولولا غلبة المستولين لجعلت المقام واللبث لزاما معكوكفا ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزية، فبعين الله تدفن ابنتك سرا وتهضم حقها وتمنع إرثها ولم يتباعد العهد ولم يخلق منك الذكر وإلى الله يا رسول الله المشتكى وفيك يا رسول الله أحسن العزاء صلى الله عليك وعليها السلام والرضوان)(1).

الدليل الثالث: النصوص التاريخية والروائية تدل على ذلك أيضا

والأخبار عن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مجمعة على أن السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها قد ماتت بفعل الغير، حتى اشتهرت بلقب الشهيدة في متون الروايات والزيارات الشريفة منها:

أولا: ما روى عن الإمام موسى بن جعفر صلوات الله وسلامه عليهما انه قال: (ان فاطمة عليها السلام صديقة شهيدة)(2).

قال المولى محمد صالح المازندراني في شرحه لهذا الحديث: (والشهيد من قتل من المسلمين في معركة القتال المأمور به شرعا، ثم اتسع فأطلق على كل من قتل منهم

1- روضة الواعظين للفتال النيسابوري ص 152 ، شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج 7 ص 214.

2- الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 458.

ظلما كفاطمة عليها السلام إذ قتلوها بضرب الباب على بطنها وهي حامل فسقط حملها فماتت لذلك(1).

وقال العلامة المجلسي قدس الله روحه في تعليقه على الخبر السابق: (ثم إن هذا الخبر يدل على أن فاطمة صلوات الله عليها كانت شهيدة، وهو من المتواترات. وكان سبب ذلك: أنهم لما غصبوا الخلافة، وبايعهم أكثر الناس بعثوا إلى أمير المؤمنين ليحضر للبيعة، فأبى. فبعث عمر بنار ليحرق على أهل البيت بيتهم، وأرادوا الدخول عليه قهراً، فمنعتهم فاطمة عند الباب، فضرب قنذ غلام عمر الباب على بطن فاطمة، فكسر جنبها، وأسقط لذلك جنينا كان سماه رسول الله محسناً. فمرضت لذلك، وتوفيت صلوات الله عليها في ذلك المرض(2).

وفي رواية ثانية ان عمر بن الخطاب هو الذى ضربها فماتت صلوات الله وسلامه عليها متأثرة بضربته، فقد أخرج الشيخ المفيد في كتاب الاختصاص: (فمضت ومكثت خمسة وسبعين يوماً مريضة مما ضربها عمر(3)).

وقال شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه: (ومما أنكر عليه: ضربهم لفاطمة عليها السلام. وقد روى أنهم ضربوها بالسياط. والمشهور الذى لا خلاف فيه بين الشيعة: أن عمر ضرب على بطنها حتى أسقطت، فسمى السقط محسناً، والرواية بذلك مشهورة عندهم. وما أرادوا من إحراق البيت عليها، حين التجأ إليها قوم، وامتنعوا من بيعته. وليس لأحد أن ينكر الرواية بذلك، لأننا قد بينا الرواية الواردة من جهة العامة، من طريق البلاذرى، وغيره ورواية الشيعة مستفيضة

1- شرح أصول الكافي ج 7 ص 213.

2- مرآة العقول ج 5 ص 392.

3- الاختصاص للشيخ المفيد ص 185 حديث بنى ساعدة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

به، لا يختلفون في ذلك(1).

وقال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: (طفحت واستفاضت كتب الشيعة، من صدر الإسلام والقرن الأول، مثل كتاب سليم بن قيس، ومن بعده إلى القرن الحادى عشر وما بعده بل وإلى يومنا هذا، كل كتب الشيعة التي عنيت بأحوال الأئمة، وأبيهم الآية الكبرى، وأمهم الصديقة الزهراء صلوات الله عليهم أجمعين، وكل من ترجم لهم، وألف كتابا فيهم، وأطبقت كلمتهم تقريبا أو تحقيقا في ذكر مصائب تلك البضعة الطاهرة، أنها بعد رحلة أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ضرب الظالمون وجهها، ولطموا خدها، حتى احمرت عينها وتناثر قرطها، وعصرت بالباب حتى كسر ضلعها، وأسقطت جنينها، وماتت وفي عضدها كالدملج. ثم أخذ شعراء أهل البيت سلام الله عليهم هذه القضايا والرزايا ونظموها في أشعارهم ومراثيهم، وأرسلوها إرسال المسلمات: من الكميت والسيد الحميرى، ودعبل الخزاعى، والنميرى، والسلامى، وديك الجن، ومن بعدهم، ومن قبلهم إلى هذا العصر. وتوسع أعظم شعراء الشيعة فى القرن الثالث عشر، والرابع عشر، الذى نحن فيه، كالخطى، والكعبى، والكوازين، وآل السيد مهدي الحلبيين، وغيرهم ممن يعسر تعدادهم، ويفوق الحصر جمعهم وآحادهم. وكل تلك الفجائع والفظائع، وإن كانت فى غاية الفظاعة والشناعة، ومن موجبات الوحشة والدهشة، ولكن يمكن للعقل أن يجوزها، وللأذهان والوجدان أن تستسيغها، وللأفكار أن تقبلها، وتهضمها، ولا سيما وأن القوم قد اترفوا فى قضية الخلافة، وغصب المنصب الإلهى من أهله ما يعد أعظم وأفظع(2).

1- تلخيص الشافى ج 3 ص 156.

2- جنة المأوى ص 78 _ 81.

ثانيا: ما تواتر في زيارتها صلوات الله وسلامه عليها من إطلاق لقب الشهيدة عليها، فقد أخرج الشيخ الصدوق زيارة لها صلوات الله وسلامه عليها جاء فيها: (السلام عليك يا أم الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة، السلام عليك أيتها الرضية المرضية السلام عليك أيتها الفاضلة الزكية...) (1).

ومنها ما ذكره الشيخ المفيد قدس الله روحه في كتاب المزار قال: (إذا أردت زيارتها فقف بالروضة وقل: السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله، السلام على ابنتك الصديقة الطاهرة السلام عليك يا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله يا سيدة نساء العالمين أيتها البتول الشهيدة الطاهرة، لعن الله مانعك إرثك ودافعك عن حقك والراد عليك قولك لعن الله أشياعهم وأتباعهم وألحقهم بدرك الجحيم صلى الله عليك وعلى أبيك وبعلك وولدك الأئمة الراشدين وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته) (2).

وقد أخرج العلامة المجلسي قدس الله روحه زيارة أخرى لها صلوات الله وسلامه عليها جاء فيها: (اللهم صل على السيدة المفقودة، والكريمة المحمودة، والشهيدة العالية) (3).

وبهذا وغيره مما لم نذكره لمراعاة الاختصار نستطيع أن نقطع بأن أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين شملتهم آية التطهير كلهم قد تعرض للقتل وما مات منهم احد حتف أنفه، فلعنن امة قتلتهم ولعنن امة أعانت على قتلهم ولعنن امة رضيت بقتلهم إلى يوم القيامة.

1- من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج 2 ص 573.

2- المزار للشيخ المفيد ص 179 مختصر زيارة أخرى لها صلوات الله وسلامه عليها.

3- بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 99 ص 220 الباب التاسع زيارتهم عليهم السلام في أيام الأسبوع والصلاة عليهم مفصلا.

المبحث السادس: أدلة جواز لعن قتلة أهل البيت عليهم السلام

إشارة

قد يجد البعض في نفسه بعض الحرج من اللعن الوارد في زيارة عاشوراء وغيرها في حق قتلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين متناسيا أنّ أئمة أهل البيت لا يلعنون جزافا وان مسلكهم مسلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومسلك القرآن الكريم الذى لا يلعن إلا من يستحق اللعن، ولا يطرد من الرحمة إلا من أساء وطرده نفسه منها بسوء عمله واختياره، ونستطيع فيما يأتى ان نستعرض وعلى عجلة ستة أدلة تدل على جواز لعن قتلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهى كما يأتى:

الدليل الأول: القاتل للنفس المؤمنة كافر والكافر يجوز لعنه إجماعا

وفى هذا المعنى آيات كريمة وأحاديث شريفة كثيرة تطبق بأجمعها على أن القاتل للنفس المؤمنة عن عمد وإصرار خارج عن الإيمان داخل فى سلك الكفار، ومن هذه النصوص الشريفة ما يأتى:

قال الله سبحانه وتعالى: ((وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فِجْرًاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا))⁽¹⁾، والخلود فى النار لا يكون إلا مع عدم الإيمان، لان المؤمن حتى لو دخل النار فانه لا يخلد فيها، والإيمان فى الآخرة لا يقابله إلا الكفر، فمن لم يكن مؤمنا لا يكون إلا كافرا⁽²⁾.

وفى الحديث عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (من قتل

1- سورة النساء الآية رقم 93.

2- لا يخفى ان قوانين الدنيا تختلف اختلافا جذريا عن قوانين الآخرة، ففى القوانين الدنيوية يوجد إسلام وإيمان وكفر ونفاق، وفى الدنيا جعلوا الإسلام مقابلاً للكفر، وصيروا الإيمان مقابلاً للنفاق، وهذا التفريق بين الإسلام والإيمان فى عالم الدنيا هو لأسباب غير خافية على النبيه الفطن، أما فى الآخرة فلا يوجد غير الإيمان ويقابله الكفر، فمن لم يكن مؤمنا كان كافرا.

مؤمننا متعمدا فقد كفر بالله(1).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضا قال: (من أعان على قتل امرئ مسلم بشرط كلمة لقي الله مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله(2) واليأس من رحمة الله وروحه لا يكون إلا من صفات الكافرين كما قال الله سبحانه وتعالى: ((إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)) (3)، ويمكن لنا الاستفادة من هذا الحديث بعدة أوجه، منها ان ما ورد في الحديث الشريف هو جزء لمن أعان على قتل المسلم فيكون القاتل للمسلم مشمولاً بالكفر من باب أولى، هذا أولا، وثانيا: هذا الحديث الشريف لا يجوز لنا لعن القاتل لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقط بل ويجوز لنا لعن من أعان على قتلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (أيها الناس لا ترجعوا بعدى كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض، ولا يؤخذ الرجل بجريرة أبيه ولا بجريرة أخيه(4)).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة وفيما قدمنا كفاية لمتدبر وبه نستطيع إثبات ان القاتل للنفس المؤمنة عن عمد كافر والكافر يكون مشمولاً بقوله سبحانه وتعالى ((فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ)) فيجوز حينئذ لعن كل قاتل، ويكون أولى الناس باللعن من قتل خيرة المؤمنين وسادة المسلمين وصفوة الناس أجمعين من الأولين والآخرين فلو كان هنالك وصف أشد من الكفر لما ترددنا في إطلاقه عليهم لعظيم ما جنوه وفداحة ما اقترفوه.

1- ميزان الاعتدال للذهبي ج2 ص100، تفسير ابن كثير ج1 ص549، الكامل لابن عدى ج3 ص203.

2- مسند أبي يعلى لأبي يعلى الموصلى ج10 ص308.

3- سورة يوسف الآية رقم 87.

4- مجمع الزوائد للهيثمي ج6 ص283 باب لا يجنى أحد على أحد ولا يؤخذ أحد بجريرة غيره، وقال الهيثمي بعد إيراده: (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح).

الدليل الثاني: إن قتل أهل البيت إفساد في الأرض والمفسد في الأرض ملعون

قال الله سبحانه وتعالى ((فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ)) (1) فبين تعالى ان الإفساد في الأرض يستتبع اللعن والطرده من الرحمة الإلهية، وقد اتفقت الروايات الشريفة على أن القتل هو من مصاديق الإفساد في الأرض، وقد ورد في الحديث الشريف أن السماوات والأرض وما فيهن لا تعدل عند الله سبحانه وتعالى نفساً مظلومة تزهق بباطل.

فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (والذى نفس محمد بيده لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا) (2). وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لزوال الدنيا وما فيها أهون على الله من قتل مسلم بغير حق) (3). وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لزوال الدنيا جميعاً أهون على الله من دم يسفك بغير حق) (4).

فإذا كان القتل من مصاديق الإفساد في الأرض وموجباً لللعن فإن قتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أكبر وأعظم مصاديق ذلك الإفساد وصاحبه يستحق أغلظ درجات اللعن وأشدّها.

وقد يكون للفساد وجه تحقق آخر، وهو أن قتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إفناء وإبادة للأخيار وإبقاء للأشرار والمفسدين، وهو من باب رفع أحد النقيضين

1- سورة محمد الآية 22.

- 2- كنز العمال للمتقى الهندي ج 15 ص 32، الدر المنثور لجلال الدين السيوطي ج 2 ص 198، المجموع لمحيى الدين النووي ح 18 ص 345، مغنى المحتاج لمحمد بن احمد الشربيني ج 4 ص 2، إعانة الطالبين للبكرى الدمياطى ج 4 ص 124.
- 3- تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج 65 ص 193، كنز العمال للمتقى الهندي ج 15 ص 32.
- 4- كنز العمال للمتقى الهندي ج 15 ص 32، الكامل لعبد الله بن عدى ج 3 ص 145، تهذيب الكمال للمزى ج 9 ص 237.

واثبات الآخر، وهذا الإفناء والإبادة للأخيار وإبقاء الفجار والأشرار وهو من أعظم الفساد في الأرض والمفسد يصح لعنه والتبرؤ منه بنص كتاب الله سبحانه وتعالى.

الدليل الثالث: في قتلهم نقض للعهد وقطعا لما أمر الله به أن يوصل

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه ((وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)) (1).

ويمكن أن نتصور لنقض العهد وقطع ما أمر الله سبحانه وتعالى به أن يوصل عدة صور:

ألف: ان القاتل لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ناقض للعهد الذي أخذه الله سبحانه وتعالى على العباد، لأنه سبحانه وتعالى قد أمر عباده بحفظ النفس وأخذ عليهم العهد والميثاق أن لا يقتلوا أنفسهم ولا أولادهم ولا غيرهم من بنى جنسهم قال سبحانه وتعالى ((وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَضْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ)) (2). وقال سبحانه وتعالى أيضا ((وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ)) (3) وقال سبحانه وتعالى في آية ثالثة ((مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا)) (4) فالقاتل لأهل البيت ناقض لجميع هذه العهود والمواثيق المأخوذة من قبل الله سبحانه وتعالى على عباده وناقض العهد والميثاق يجوز لعنه قال الله سبحانه وتعالى ((فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً)) (5).

1- سورة الرعد الآية رقم 25.

2- سورة البقرة الآية رقم 84.

3- سورة الإسراء الآية رقم 33.

4- سورة المائدة الآية 32.

5- سورة المائدة الآية رقم 13.

باء: إن الله سبحانه وتعالى أوجب على الناس مودة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بقوله: ((قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)) (1) وقد بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرباه حينما سأله المسلمون: (من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم فقال صلى الله عليه وآله: علي وفاطمة وابناهما) (2) وقاتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قاطع لهذه المودة حتما فيكون مشمولاً بقوله سبحانه وتعالى ((وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)) (3) فيجوز حينئذ لعنهم لهذه العلة.

جيم: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج من الدنيا حتى اخذ على المسلمين العهد والميثاق والبيعة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه في يوم غدیر خم عند رجوعه من حجة الوداع حيث ارتقى منبرا اعد له وصاح في الناس: (... يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. ثم قال: أيها الناس إنى فرطكم وإنكم واردون على الحوض، حوض أعرض مما بين بصرى وصنعاء، فيه آنية عدد النجوم قدحان من فضة، وإنى سائلكم حين تردون على عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيها الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم فاستمسكوا به، لا تضلوا ولا تبدلوا، والثقل الأصغر عترتى أهل بيتى فإنه قد نبأنى اللطيف الخبير إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض) (4).

1- سورة الشورى الآية 23.

2- المعجم الكبير للطبرانى ، تفسير الكشاف للزمخشري ج3 ص467، تفسير الثعلبي ج8 ص37، شواهد التنزيل للحاكم الحسكى انى ج2 ص194، تفسير النسفى ج4 ص101، تفسير الرازى ج27 ص166، تفسير ابن عربى لابن العربى ج2 ص219، فتح القدير للشوكانى ج4 ص537.

3- سورة الرعد الآية رقم 25.

4- المعجم الكبير للطبرانى ج3 ص180، كنز العمال للمتقى الهندى ج1 ص189 وج5 ص289، تاريخ دمشق لابن عساکر ج42 ص220، البداية والنهاية لابن كثير ج7 ص386.

ومهما فهمنا من كلمة الولي فلا إن معانيها تجمع على ضرورة رعاية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وحفظ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم الذي هو عهد الله سبحانه وتعالى، والقاتل لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ناقض لهذا العهد ناكث للميثاق فيكون مشمولاً بقول الله سبحانه وتعالى ((وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)) (1).

الدليل الرابع: ان في قتلهم إيذاءً للنبي ومؤذى النبي ملعون

قد اتفقت كلمة المسلمين ومن دون مخالف على ان أذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حرام قليله وكثيره، قال الحطاب الرعيني نقلاً عن القرطبي في شرح صحيح مسلم: (يحرم علينا كل فعل يؤذيه وإن كان في أصله مباحاً لكنه إذا أدى إلى أذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ارتفعت الإباحة وحصل التحريم) (2).

وقال الشيخ الطبرسي: (والأذى قد يكون بالفعل، وقد يكون بالقول) (3)، وقد أفتى علماء العامة قبل الخاصة بكفر من أذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأوجبوا قتله منهم:

ابن حزم حيث قال: (إن كل من أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر مرتد يقتل ولا بد وباللله تعالى التوفيق) (4). وقال ابن حجر: (إن من أذى النبي صلى الله عليه وسلم بقول أو فعل يقتل) (5). وقال ابن تيمية: (من أذى الرسول فقد أذى الله لان حق الله وحق رسوله متلازمان وفي هذا وغيره بيان لتلازم الحقين، وأن جهة حرمة الله

1- سورة الرعد الآية رقم 25.

2- مواهب الجليل للحطاب الرعيني ج 5 ص 12.

3- تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي ج 5 ص 79.

4- المحلى لابن حزم ج 11 ص 414.

5- فتح الباري ابن حجر ج 8 ص 369.

تعالى ورسوله جهة واحدة، فمن آذى الرسول فقد آذى الله، ومن أطاعه فقد أطاع الله، لأن الأمة لا يصلون ما بينهم وبين ربهم إلا بواسطة الرسول، ليس لأحد منهم طريق غيره، ولا- سبب سواه، وقد أقامه الله مقام نفسه في أمره ونهيه وإخباره وبيانه، فلا يجوز أن يفرق بين الله ورسوله في شيء من هذه الأمور(1).

ودليل الجميع هو قوله سبحانه وتعالى ((إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا)) (2) وقوله سبحانه وتعالى ((وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) (3).

ويلزم من حرمة إيذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم حرمة من يتأذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأذيتهم وقد ثبت على نحو القطع انه صلى الله عليه وآله وسلم يؤذيه ما يؤذى أهل بيته وعترته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (إن الله عز وجل اشتد غضبه على اليهود أن قالوا عزير ابن الله، واشتد غضبه على النصارى أن قالوا المسيح ابن الله، وأن الله اشتد غضبه على من أراق دمي وأذاني في عترتي) (4).

وقد ورد أيضا انه صلى الله عليه وآله وسلم قال في حق ابنته السيدة فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليها: (فاطمة بضعة مني من أذاها فقد أذاني) (5).

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم في حق أخيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

-
- 1- الصارم المسلول لابن تيمية ص 40-41.
 - 2- سورة الأحزاب الآية 57.
 - 3- سورة التوبة الآية 61.
 - 4- الدر المنثور لجلال الدين السيوطي ج 3 ص 230، والكامل لعبد الله بن عدى ج 6 ص 302.
 - 5- المجموع لمحيي الدين النووي ج 20 ص 244، شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ج 3 ص 30، السنن الكبرى للبيهقي ج 10 ص 202، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 16 ص 273.

صلوات الله وسلامه عليه: (من آذى عليا فقد آذاني)(1).

وعن أنس بن مالك قال: (بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم راقد في بعض بيوته على قفاه إذ جاء الحسن يدرج حتى قعد على صدر النبي صلى الله عليه وسلم ثم بال على صدره فجئت أميطة عنه فاستنبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك يا أنس دع ثمرة فؤادي فإن من آذى هذا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله)(2).

وقد خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوما من بيت عائشة فمر على فاطمة صلوات الله وسلامه عليها فسمع حسينا يبكي فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (ألم تعلمي إن بكاءه يؤذيني)(3).

فإذا كان بكاء الحسين صلوات الله وسلامه عليه يؤذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يا ترى لو رآه على الرمضاء مقتولا، ورأسه على الرمح مشهورا، يطاف به وبحريمه من بلد إلى بلد. وإذا كان الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه ثمرة فؤاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤذيه ما يؤذيه فكيف به لو رآه يتلوى من السم يخرج كبده قطعة بعد قطعة، أم ماذا يقول صلى الله عليه وآله وسلم لو شاهد جنازته صلوات الله وسلامه عليه ترمى بالسهام والحجارة ليس من ذنب إلا لأنه أراد أن يدفن قرب جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أم كيف يصبر قلبه صلى الله عليه وآله وسلم وهو يرى المسمار يخترق قلب التقى ويكسر صدر الهدى ويقع في صدر ابنته الطاهرة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، أم كيف للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يتأذى من أمته ولا يلعنها وهو يراها تجرع ابن عمه ووصيه أنواع المحن وألوان الرزايا.

1- مسند احمد بن حنبل ج3 ص484، صحيح ابن حبان ج15 ص367، الاستيعاب لابن عبد البر ج3 ص1183، الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي ج2 ص547، التاريخ الكبير للبخارى ج6 ص307، الإصابة لابن حجر ج4 ص534، تاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص631.

2- المعجم الكبير للطبراني ج3 ص43، كنز العمال للمتقى الهندي ج12 ص125.

3- المعجم الكبير ج3 ص116، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج14 ص171، ترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص190.

الدليل الخامس: فى قتل أهل البيت إيذاء للمؤمنين ومؤذيتهم ملعون

قال تعالى ((وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا)) (1) وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من آذى مسلماً فقد آذانى ومن آذى مسلماً فقد آذى الله) (2)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: (من آذى مسلماً فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله) (3) وقد مر فى الدليل السابق ان آذى النبى صلى الله عليه وآله وسلم محرم وانه من الأفعال التى تستوجب اللعن.

وفى قتل احد أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين آذى له على المستوى الشخصى، وهو مؤمن ومسلم، بل من سادة المسلمين وخيرة المؤمنين، فىكون أذاه بوصفه واحداً من المسلمين آذى للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ومؤذى النبى صلى الله عليه وآله وسلم يستحق اللعن.

وفى قتل احد أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كذلك آذى لبقية أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من المؤمنين فىكون مؤذيتهم ملعوناً قد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً.

وفى قتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إيذاء لبقية المؤمنين من غير أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فإن نار مصابهم باقية فى قلوب المؤمنين منذ يوم مقتلهم إلى يوم الناس هذا بل إلى يوم القيامة، والمتسبب فى إيذاء المؤمنين عامة يستحق أشد درجات اللعن والطرده من الرحمة الإلهية.

1- سورة الأحزاب الآية 58.

2- تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج 42 ص 201.

3- كنز العمال للمتقى الهندى ج 16 ص 10، الجامع الصغير لجلال الدين السيوطى ج 2 ص 547، البداية والنهاية لابن كثير ج 7 ص 383.

الدليل السادس: فى قتل أهل البيت قطع للأرحام وحكم بغير ما انزل الله

قال سبحانه وتعالى:

((فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ)) (1)، وقال سبحانه وتعالى أيضاً ((وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)) (2).

وهذه الآيات الكريمة تتحدث عن أولئك الذين يتولون الحكم وإدارة أمور الناس فيستغلون هذه المناصب ليفسدوا فى الأرض بالظلم والجور، فتكون إحدى نتائج ظلمهم وفسادهم قطعهم للأرحام وحكمهم بما لم ينزل الله سبحانه وتعالى، فيكون فعلهم هذا مستوجبا للعن والطرده والإبعاد من الرحمة الإلهية.

وقد تقدم ان قتل النفس المحترمة من أوضح مصاديق الظلم والفساد، وأعظم منه قتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيكون فاعله مشمولاً بقوله سبحانه وتعالى ((أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ)).

والقتل هو أيضا حكم بما لم ينزل الله سبحانه، فالله سبحانه وتعالى قد انزل بشريعته حفظ النفس والرحم ووصلهما وعدم قطيعتهما، وهؤلاء الظالمون قد حكموا على العباد بإزهاق النفوس وقطع الأرحام فيكون حكمهم غير مطابق لحكم الله سبحانه فيصح حينئذ لعنهم بهذا السبب.

كما أنّ الله سبحانه وتعالى قد انزل فى جميع شرائعه وجوب حفظ النفس والرحم ووصلهما وعدم قطيعتهما، فيكون الحكم بقتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من قبل الحكام الظالمين غير مطابق لحكم الله سبحانه وتعالى فيصح حينئذ لعنهم بهذا السبب.

1- سورة محمد الآية 22 و23.

2- سورة المائدة الآية 44.

وَلَعَنَ اللَّهُ الْمُمَهِّدِينَ لَهُمْ بِالتَّمْكِينِ مِنْ قِتَالِكُمْ

إشارة

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

1: وَلَعَنَ اللَّهُ الْمُمَهِّدِينَ لَهُمْ بِالتَّمْكِينِ 2: لَهُمْ بِالتَّمْكِينِ 3: مِنْ قِتَالِكُمْ

المبحث الثالث: امتداد التمهيد لقتل أهل البيت جيلا بعد جيل

اجتماع السقيفة ليس أول اجتماع لغصب الخلافة

فاطمة ومحسنها صلوات الله وسلامه عليهما أول ضحايا تمهيد يوم السقيفة

التمهيد لعمر بن الخطاب ومن بعده لأبي عبيدة بن الجراح

تبدل المخطط السابق وظهور عثمان بن عفان على الساحة

الشورى مخطط لإيصال آل أمية وإقصاء آل البيت عليهم السلام

لماذا شارك أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بهذه الخدعة وهو يعلم بنتائجها؟

محاولة انتزاع الإمارة من آل أمية وإرجاعها للمهاجرين مرة أخرى

دور معاوية بن أبي سفيان فى مقتل عثمان بن عفان

دور الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فى هذا الصراع

رجوع الخلافة إلى أصحابها الشرعيين

أسباب إشعال الفتنة ونار الحرب بوجه أمير المؤمنين

عائشة بنت أبى بكر تقود تمرد الناكثين

القاسطون والمارقون امتداد لمسلسل التمهيد لقتلة أهل البيت عليهم السلام

وَلَعَنَ اللَّهُ الْمُمَهِّدِينَ لَهُمْ بِالتَّمَكِينِ مِنْ قِتَالِكُمْ

وفى هذه الفقرة مباحث مهمة كما فى غيرها من فقرات الزيارة الشريفة نستعرضها فيما يأتى:

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

قد ورد لعن الممهدين والممكنين من قتال أهل البيت فى متون الزيارات الشريفة والأحاديث النبوية تارة بشكل صريح وتارة مع ضم بعض المقدمات، نذكر فيما يأتى نبذة منها:

منها ما عن السيد ابن طاوس قدس الله روحه فى إقبال الأعمال قال: (عن أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام قال: سمعته يدعو فى يوم عرفة فى الموقف بهذا الدعاء، فنسخته: تقول إذا زالت الشمس من يوم عرفة وأنت بها... السلام

عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله... السلام عليك يا أم الحسن والحسين، لعن الله أمة غضبتك حقك ومنعتك ما جعله الله لك حالاً، أنا بريء إليك منهم ومن شيعتهم. السلام عليك يا مولاي يا أبا محمد الحسن الزكي، السلام عليك يا مولاي، لعن الله أمة قتلتك وبايعت في أمرك وشايعت أنا بريء منهم ومن شيعتهم. السلام عليك يا مولاي يا أبا عبد الله الحسين بن علي صلوات الله عليك وعلى آبيك وجدك محمد صلى الله عليه، لعن الله أمة استحلت دمك، ولعن الله أمة قتلتك واستباححت حريمك، ولعن الله أشياعهم وأتباعهم، ولعن الله الممهدين لهم بالتمكين من قتالكم، أنا بريء إلى الله وإليك منهم... (1).

ومنها ما عن جعفر بن محمد بن قولويه قدس الله روحه في كتابه المزار قال: (حدثني أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن الحسين العسكري ومحمد بن الحسن جميعاً، عن الحسن بن علي بن مهزيار، عن أبيه علي بن مهزيار، عن محمد بن أبي عمير، عن محمد بن مروان، عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال الصادق صلوات الله وسلامه عليه: إذا أردت المسير إلى قبر الحسين صلوات الله وسلامه عليه فصم يوم الأربعاء والخميس والجمعة... وتقول: صلى الله عليك يا أبا عبد الله ثلاثاً، وعلى روحك وبدنك، لعن الله قاتليك، ولعن الله ساليك ولعن الله خاذليك، ولعن الله من شايع على قتلك ومن أمر بذلك وشارك في دمك، ولعن الله من بلغه ذلك فرضى به أو سلم إليه، أنا أبرأ إلى الله من ولايتهم وأتولى الله ورسوله وآل رسوله... وتقول: لعن الله من رماك، لعن الله من طعنك، لعن الله من اجتز رأسك، لعن الله من حمل رأسك، لعن الله من نكت بقضيبه بين ثناياك، لعن الله من أبكى نساءك. لعن الله من أيتم أولادك، لعن الله من أعان عليك، لعن الله من سار إليك، لعن الله من منعك ماء الفرات، لعن الله من

غشك وخلاك، لعن الله من سمع صوتك فلم يجبك. لعن الله ابن آكلة الأكباد، ولعن الله ابنه وأعوانه وأتباعه وأنصاره وابن سمية، ولعن الله جميع قاتليك وقاتلي أبيك ومن أعان على قتلكم، وحشى الله أجوافهم وبطنونهم وقبورهم نارا، وعذبهم عذابا أليما... قتل الله من قتلكم بالأيدي والألسن(1).

ويمكن أيضا ان نستفيد من المبحث السابع من مباحث الفقرة السابقة للزيارة والذي هو بعنوان (أدلة جواز لعن قتلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) فى إثبات جواز لعن الممهدين والممكنين من قتال أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فالإعانة والتمهيد والتمكين من قتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إفساد فى الأرض والمفسد فى الأرض يجوز لعنه بنص الكتاب العزيز ((فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ)) (2).

وكذلك فان الممكن والممهّد والمعين على قتلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مؤذّن للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومؤذّن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصح لعنه بصريح قوله سبحانه وتعالى ((إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا)) (3).

وهو داخل أيضا فى باب أذى المؤمنين والمسلمين ومؤذّينهم ملعون لقوله سبحانه وتعالى ((وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا)) (4).

وتوجد إضافة إلى ذلك أدلة أخرى كثيرة تركناها طلبا للاختصار.

1- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 393 __ 414.

2- سورة محمد الآية 22.

3- سورة الأحزاب الآية 57.

4- سورة الأحزاب الآية 58.

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة

1: وَلَعَنَ اللَّهُ الْمُمَهِّدِينَ

(وَلَعَنَ اللَّهُ) الواو هنا عاطفة وما بعده معطوف على ما سبق ذكره في فقرات الزيارة السابقة، و(الْمُمَهِّدِينَ) جمع (مُمَهِّد) من (التمهيد) والمشتق من (المهد) أو (المهاد)، واصله من التهيئة والتسوية والتوطئة للشيء قال الفراهيدي: (مهد: المهد: الموضع يهياً لينام فيه الصبي. والمهاد اسم أجمع من المهد، كالأرض جعلها الله مهادا للعباد... ومهدت لنفسى خيراً، أى: هياته ووطأته)(1).

وقال الشيخ الطريحي قدس الله روحه فى مجمع البحرين: (ومهدت الأمر تمهيداً: وطأته وسهلته. والمهد: الموضع يهياً للصبي ويوطأ)(2).

وقد يطلق أيضاً على الارتفاع ومنه قولهم: (وامتهد سنام البعير وغيره ارتفع)(3) فيصبح كل من رفع غيره فقد مهد له.

والتمهيد يكون تارة للموضع وتارة أخرى للعدر، قال الجوهرى وابن منظور وغيرهم: (وتمهيد الأمور: تسويتها وإصلاحها: وتمهيد العذر: بسطه وقبوله)(4).

2: لَهُمْ بِالْتَمَكِينِ

لَهُمْ: والضمير عائد إلى قتلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين المذكورين فى الفقرة السابقة (وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ).

1- كتاب العين للخليل الفراهيدى ج 4 ص 31 __ 32 باب الهاء والتاء والراء هتر، هرت، تره.

2- مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج 4 ص 242 مادة (م ه د).

3- معجم مقاييس اللغة لأبى الحسين أحمد بن فارس زكريا ج 5 ص 280.

4- الصحاح للجوهري ج 2 ص 541.

بالتمكنين: قد يأتي التمكين بمعنى الإقدار على الشيء قال الشيخ الطريحي في مجمع البحرين: (ومكنته من الشيء تمكيناً: جعلت له عليه سلطاناً، وقدراً، فتمكن منه. واستمكن الرجل من الشيء، وتمكن منه بمعنى، أى قدر عليه)(1).

وقد يكون بمعنى توفير الوسائل والعدد ورفع كل الموانع، قال الشيخ الطبرسي في تفسير مجمع البيان: (التمكين: إعطاء ما يصح به الفعل مع رفع المنع، لأن الفعل كما يحتاج إلى القدرة، فقد يحتاج إلى آلة، وإلى دلالة، وإلى سبب، ويحتاج إلى ارتفاع المنع، فالتمكين عبارة عن جميع ذلك)(2).

وقال أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية: (إن التمكين إعطاء ما يصح به الفعل كائناً ما كان من الآلات والعدد والقوى)(3).

3: مِنْ قِتَالِكُمْ

مِنْ: وهى لتبيان الغاية، فقد وردت لحرف الجر (مِنْ) معانٍ عدة، وأحد معانيها الموضوعية لها فى اللغة هى لتبيان الغاية(4)، فتكون (مِنْ) فى هذه الفقرة الشريفة من الزيارة هو لتبيان ان غاية الممهدين من تمهيدهم وتمكينهم للآخرين هو قتال أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وقد تكون (مِنْ) بمعنى (على) للاستعلاء لأنه احد معانيها(5).

قِتَالِكُمْ: لا يخفى ان ضمير الجمع راجع إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولفظ (قِتَال) وهو بكسر القاف مصدر قاتل، وسنورد فيما يأتي عدة معانٍ محتملة المراد

- 1- مجمع البحرين للشيخ الطريحي ج 4 ص 221 باب الميم مادة (م ك ن).
- 2- تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي ج 4 ص 222.
- 3- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص 142 الفرق بين التمكين والإقدار.
- 4- راجع الجنى الدانى فى حروف المعانى الباب الثانى فى الثنائى (من) المعنى الثامن ص 313.
- 5- المصدر السابق المعنى التاسع.

للإمام صلوات الله وسلامه عليه منها:

ألف: قال محمد القلعجي: (القتال بكسر القاف مصدر قاتل، ويقصد به الحرب والمدافعة بالسلح) (1) فيشمل هذا الوصف على وفق هذا التعريف كل من رفع السلاح بوجه أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ودافعهم بحرب أو غيرها، سواء أدى هذا الرفع للسلاح أو تلك المدافعة إلى قتلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أو لم يؤدّ، لان القتال اعم من القتل قال ابن منظور فى لسان العرب: (وليس كل قتال بمعنى القتل) (2).

باء: وقد يكون قتالهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بمعنى إنزالهم بمنزلة المقتول الهالك لا يعتد بوجودهم ولا يؤخذ بقولهم، وبمعنى آخر يتم إلغاؤهم اجتماعيا، ومنه قول عمر بن الخطاب فى حق سعد بن معاذ كما نقله ابن الأثير وعلق عليه بقوله: (وفى رواية «إن عمر قال يوم السقيفة: اقتلوا سعدا قتله الله» أى اجعلوه كمن قتل واحسبوه فى عداد من مات وهلك، ولا تعتدوا بمشده ولا تعرجوا على قوله. ومنه حديث عمر أيضا «من دعا إلى إماراة نفسه أو غيره من المسلمين فاقتلوه» أى اجعلوه كمن قتل ومات، بأن لا تقبلوا له قولا ولا تقيموا له دعوة. وكذلك الحديث الآخر «إذا بويع الخليفتين فاقتلوا الآخر منهما» أى أبطلوا دعوته واجعلوه كمن مات) (3).

جيم: وقد يأتى القتال بمعنى القتل، واللعن، والإبعاد (4).

فيصبح معنى قول الإمام صلوات الله وسلامه عليه (وَلَعَنَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمْ بِالتَّمَكِينِ مِنْ

1- معجم لغة الفقهاء لمحمد القلعجي ص 357.

2- لسان العرب لابن منظور ج 11 ص 549، تاج العروس للزبيدي ج 15 ص 609، النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ج 4 ص 13.

3- النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ج 4 ص 13 باب القاف مع التاء.

4- المصدر السابق.

قَتَالِكُمْ) وفقا للمعنى اللغوى الذى تقدم هو: (ولعن الله المهيين لقتلة أهل البيت وظالمهم والموطنين لهم العذر والموضع الذى من خلاله استطاعوا مدافعة أهل البيت عليهم السلام بالسلاح وغيره، فسفكوا دماءهم، وأنزلوهم منزلة الهالك الذى لا يعتد بوجوده ولا يؤخذ بقوله، فباقدارهم على ذلك وتوفير الوسائل والعدد لهم ورفع الموانع عن طريقهم استحقوا اللعن من الله ومن الزائرين لقبر سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه).

المبحث الثالث: امتداد التمهد لقتل أهل البيت جيلا بعد جيل

إشارة

إن ما وقع من انقلاب بعد استشهاد النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن وليد الصدفة ومن دون ميعاد، لان أى تحول تاريخى لابد وان تكون له جذور قديمة، وأسباب ليست وليدة لحظة ذلك التحول، ولا بد أيضا أن تكون له عقول تدبر ذلك التحول، وتخطط له، وتتحين الفرصة، وتمهد الصعوبات التى تحول دون تحقيق ذلك التغيير.

وتحول التاريخ الإسلامى بعد يوم السقيفة ليس بخارج عن هذه القاعدة، فقد كانت له أسباب استعرضنا بعضها فى مبحث سابق، أما الأشخاص فلا نجد صعوبة فى التعرف عليهم، لان إلقاء نظرة سريعة على الأحداث التى سبقت السقيفة أو التى تلتها، كافية لإيضاح أن هنالك أفرادا كانوا يشكلون كتلتا صغيرة أو كبيرة يعين بعضهم بعضا، ويشد بعضهم على أيدى البعض الآخر، ويمهد بعضهم للبعض الآخر، وقد كان لهذه التكتلات الأثر البالغ فى تغيير مسار التاريخ الإسلامى، وليس هذا القول من محض الخيال أو مما ينكره التاريخ الإسلامى، لان أخبار التاريخ مليئة بذكر الشواهد القاطعة بصحة وجود مثل هذه التكتلات وتأثيرها فى مسار المسلمين،

وفيما يأتي جملة من الأخبار المؤكدة والموضحة لبعض تحركات هذه التكتلات وكيف شارك بعضهم لتمهيد الأمر للبعض الآخر وكيف شارك الجميع في تمهيد الأمر لقتلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

اجتماع السقيفة ليس أول اجتماع لغصب الخلافة

يوجد توهم تاريخي وقع فيه كل من كتب وحلل أحداث ووقائع تلك الأيام التي أعقبت استشهاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، لان كل من كتب حول سقيفة بنى ساعدة وبيعة أبي بكر فيها، أكد على أن الأنصار كانوا أول من بادر إلى إخراج الإمامة والخلافة عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن ثم وكردة فعل أو تنميما لهذا الاجتماع حضر أبو بكر وعمر بن الخطاب وثلة أخرى سيأتي ذكرها في طيات هذا البحث فصار بينهم وبين الأنصار ما صار.

ولكن الحقيقة غير ذلك، فوفقا لعدة شواهد تاريخية يتضح بما لا يقبل الشك أن اجتماع الأنصار لم يكن إلا رد فعل على تجمع آخر كان معقودا لغصب الخلافة من قبل بعض الشخصيات المهاجرة الذين تذكر الرواية التالية عن عمر بن الخطاب بعضا منهم، حيث قال: (...وإنه كان من خبرنا حين توفي الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن عليا والزبير ومن معهما تخلفوا عنا في بيت فاطمة وتخلفت عنا الأنصار بأسرها واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت لأبي بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نؤمهم فلقينا رجلا صالحا قد شهدا بدرا فقالا- أين تريدون يا معشر المهاجرين فقلنا نريد إخواننا من الأنصار قالوا فارجعوا فاقضوا أمركم بينكم فقلنا والله لنائينهم قال فأتيناهم وهم مجتمعون في سقيفة بنى ساعدة قال وإذا بين أظهرهم رجل مزمل قال قلت من هذا قالوا سعد بن عبادة فقلت ما شأنه قالوا وجع

فقام رجل منهم فحمد الله وقال أما بعد فنحن الأنصار وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر قريش رهط نبينا وقد دفت إلينا من قومكم دافة فلما رأيتهم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ويغصبونا الأمر... (1).

وعن البخارى فى صحيحه عن عمر بن الخطاب قال: (انه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم فى سقيفة بنى ساعدة وخالف عنا على والزبير ومن معهما واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر فقلت لأبى بكر يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نريدهم فلما دنونا منهم لقينا رجلا من منهم صالحان فذكرا ما تمالى عليه القوم فقالا أين تريدون يا معشر المهاجرين فقلنا نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار فقالا لا عليكم أن لا تقر بهم اقضوا أمركم فقلت والله لنأتينهم فانطلقنا حتى أتيناهم فى سقيفة بنى ساعدة فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم فقلت من هذا قالوا هذا سعد بن عبادة فقلت ماله قالوا يوعك فلما جلسنا قليلا تشهد خطيبهم فأثنى على الله لما هو أهله ثم قال أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط وقد دفت دافة من قومكم فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وان يحضنونا من الأمر فلما سكت أردت أن أتكلم وكنت زورت مقالة أعجبتنى أريد أن أقدمها بين يدي أبى بكر وكنت إدارى منه بعض الحد فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر على رسلك (2).

وفى هذه الروايات مجموعة من الأمور المهمة التى تتضح من خلال تحليل الرواية وتبيان ما وراء سطورها فيما يأتى:

- 1- تاريخ الطبرى ج 2 ص 446 __ 447 حديث السقيفة، والبداية والنهاية لابن كثير ج 5 ص 266 قصة سقيفة بنى ساعدة وغير ذلك.
- 2- صحيح البخارى ج 8 ص 26 __ 27 كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة.

أولاً: ان أحداث هذه الرواية كانت بعد استشهاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بدليل قول عمر بن الخطاب (وإنه كان من خبرنا حين توفي الله نبيه صلى الله عليه وسلم).

ثانياً: ان الناس يومئذ كانوا على ثلاثة أصناف ومشارب، فالإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه والزبير وبقية بنى هاشم كانوا فى دار فاطمة مجتمعين لتجهيز النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ودفنه.

وأما الأنصار فقد اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة، وهنالک صنف ثالث من الصحابة اجتمعوا فى مكان لم يصرح به عمر بن الخطاب، ويظهر من قوله (واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر) إن هذا الصنف هم من المهاجرين حصراً، وان هدفهم من الاجتماع كان تنصيبهم لأبى بكر أميراً من دون علم كل من الأنصار ومن كان موجوداً فى دار فاطمة صلوات الله وسلامه عليها.

ثالثاً: وفى عبارة (...قالا فارجعوا فاقضوا أمرکم بینکم فقلنا والله لنائينهم) دليل قاطع على ان اجتماع المهاجرين فى ذلك المكان كان قبل اجتماع الأنصار فى سقيفتهم، ولكن القوم لما سمعوا بان الأنصار قد عقدوا اجتماعاً ثانياً لتنصيب أحدهم قرروا المضى نحوهم ونقض ما هموا به وعزموا عليه.

رابعاً: وفى قول خطيب الأنصار حينما قال (...فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط وقد دفت دافة من قومكم فإذا هم يريدون ان يختزلونا من أصلنا وان يحضنونا من الأمر) تصريح آخر على أن تحرك الأنصار واجتماعهم فى سقيفة بنى ساعدة إنما جاء نتيجة تخوفهم من اجتماع آخر عقده بعض المهاجرين ومن بينهم عمر بن الخطاب وأبو بكر وآخرون أرادوا منه ان يختزلوا الأنصار عن أصلهم، ويستبدوا بالإمارة دون مشورتهم.

فكان هذا اليوم أول يوم مهد فيه لقتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لأن الخلافة حالما خرجت عن أهلها الشرعيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين دخلت في أيدي أناس كانوا مستعدين لفعل أى عظيم فى سبيل الحفاظ عليها، ولو أدى هذا الحفاظ إلى رفع السيف بوجه أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وسفك دمهم الطاهر، وهذا ما حصل بالفعل.

فاطمة ومحسنا صلوات الله وسلامه عليهما أول ضحايا تمهيد يوم السقيفة

قد مر فى مبحث سابق ان السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها ونتيجة للتنازع والفتنة التى حصلت بعد يوم السقيفة ضربت وألقت جنينا كان النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم سماه محسنا، فكانت أول شهيدة طالتها يد التمهيد والتمكين الذى أسس أساسه فى يوم السقيفة.

ونحن فى هذا المبحث لا نريد ان نعيد ما سبق ذكره، وإنما نريد الإجابة عن تساؤل حاول البعض إثارته مرات عديدة محاولة منه إسقاط كل التهم التى تدين قتلها صلوات الله وسلامه عليها بحجة (إن الناس كانوا يحترمونها ويجلونها، ولن يكون من السهل القيام بأى عمل ضدها) أو ان المعاصرين لها صلوات الله وسلامه عليها (كانت قلوبهم مملوءة بحبها فكيف تتصور أن يهجموا عليها).

والجواب ان هذه الكلمات مجرد ادعاءات صيغت بإسلوب ثرى يمكن التأثير به فى مشاعر البسطاء من العامة الذين تؤثر فيهم الشعارات والكلمات الخلافة البراقة، إلا أنها لا يمكن أن تصمد أمام الحقيقة التاريخية بحال من الأحوال، فليت الأمر كما قال هذا البعض، وليت الحقيقة كما صورها، وليت قلوب الأمة كانت بالفعل مملوءة بحبها صلوات الله وسلامه عليها مما يمنعهم من الهجوم على دارها وإحراق بابها وقتل جنينها، وليت احترامهم وإجلالهم لهذا الموجود الملكوتى منعهم من القيام بأى عمل ضدها، ولكن

الحقيقة أمر بكثير مما يحاول البعض تصويره، بل كل ما كتب حول تلك الفجيرة العظيمة والذي يستعظمه البعض ويستبعد وقوعه لم يكشف النقاب بشكل مفصل ولا صور ما وقع تلك الأيام على نحو دقيق يعكس الحقيقة كما هي، لان المنقول لنا مجرد ألفاظ وكلمات، والألفاظ والكلمات تبقى عاجزة ومحدودة بحدودها الضيقة، فكيف يا ترى يمكن للكلمات أن توصل إلينا الألم واللوعة وحرارة المسمار الذي اخترق أضلاع الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، وكيف يمكن لهذه الألفاظ والكلمات أن تعكس لنا حالات الهلع والدهشة لسكان ذلك البيت الطاهر وهم ينظرون إلى النار تشتعل في باب الدار، وأنى لهذه الألفاظ أن تحكى لنا ألم السوط الذي لوعت به خيرة النسوان فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، وأنى للكلمات ان تنقل لنا بكاء الحسين صلوات الله وسلامه عليهما ودهشة زينب صلوات الله وسلامه عليها وصبر الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وهو يرى كل تلك الانتهاكات وكلمات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم تدوى في مسامعه وهو يوصيه بالصبر والتحمل في سبيل حفظ أهل هذا البيت الذين بحفظهم سيحفظ الإسلام.

ثم كيف يستبعد ان تعتدى الأمة على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتردى البضعة الطاهرة وجنينها صلوات الله وسلامه عليهما قتيلين شهيدين بعد ان صار من بدييات التاريخ ان انهارا من الدم قد سالت وان اكبر المجازر قد ارتكبت في سبيل ترسيخ إمارة أبي بكر ومن جاء بعده، وان القوم الممهدين كانوا على استعداد لسحق كل من يقف أمامهم ويمنع تقدمهم، وما محاولة قتل سعد بن عبادة في نفس اجتماع السقيفة إلا خير دليل على ما أوضحنا، فقد روى البخارى في صحيحه عن عمر بن الخطاب قال وهو يتحدث عن أحداث يوم السقيفة: (كثر اللغظ وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف فقلت ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم قتلتم سعد بن عبادة فقلت

قتل الله سعد بن عبادة(1) وقوله ونزونا على سعد دليل على ان عمر بن الخطاب كان متعمدا لقتل سعد بن عبادة بحجة الزحام وارتفاع الأصوات واللغط لولا أن بعض قومه قد تنبه لذلك.

وعن اليعقوبي في تاريخه قال: (وقال عمر: اقتلوا سعدا، قتل الله سعدا)(2).

وعن ابن حبان في صحيحه قال: (ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل من الأنصار قتلتهم سعدا قال عمر فقلت وأنا مغضب قتل الله سعدا فإنه صاحب فتنة وشر)(3).

وقال الطبري في تاريخه: (فأقبل الناس من كل جانب يبائعون أبا بكر وكادوا يطؤون سعد بن عبادة فقال ناس من أصحاب سعد اتقوا سعدا لا تطؤوه فقال عمر اقتلوه قتله الله ثم قام على رأسه فقال لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضوك فأخذ سعد بلحية عمر فقال والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة فقال أبو بكر مهلا يا عمر الرفق ههنا أبلغ فأعرض عنه عمر وقال سعد أما والله لو أن بي قوة ما أقوى على النهوض لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيرا يحجرك وأصحابك أما والله إذا لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع احمولوني من هذا المكان فحملوه)(4).

وفي نص آخر عن الطبري قال: (وقال قائل حين أوطئ سعد قتلتهم سعدا فقال عمر قتله الله إنه منافق)(5).

1- صحيح البخارى ج 8 ص 27 __ 28 كتاب المحاربيين من أهل الكفر والردة.

2- تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 124.

3- صحيح ابن حبان ج 2 ص 157.

4- تاريخ الطبري ج 2 ص 458 __ 459.

5- المصدر السابق ص 459.

فإراقة الدم والحكم بالنفاق والدعوة إلى القتل بل والإقدام عليه كانت أسهل بكثير على الممهدين من ضياع الإمارة وعودة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلى مقاماتهم ومراتبهم التي رتبهم الله فيها.

وإزهاق دم الزهراء صلوات الله وسلامه عليها وقتل المحسن بن علي صلوات الله وسلامه عليهما كان رسالة واضحة لأمير المؤمنين وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وجميع من يواليه بان هذه الدولة الجديدة كانت على أتم الاستعداد لسحق أى تمرد وقمع أى صوت معارض وان قتل السيدة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها ما هو إلا بداية يتبعها بدايات أخرى ودماء ثانية لو أراد أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه الاستمرار بمعارضته وليس بمستثنى من ذلك حتى الأطفال والنساء.

وأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه قد فهم هذه الرسالة جيدا فأغضى على القذى وصبر من كظم الغيظ على أمر من العلقم، فترك الأمة وما اختارته وأصبح جليس بيته والمحراب حفظا للبقية الباقية من آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من ان تسفك دماؤهم فتخلو الأرض من نسل النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فتكون الخسارة بذلك أكبر والضرر بفقدهم أعظم من موادعة الغاصبين ومجاراة الممهدين، وهذه الحقيقة صرح بها أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على منبر الكوفة يوم صار مبسوط اليد واللسان بعد خلافته حيث قال: (فصبر كمدا أو مت أسفا وحنقا، فنظرت فإذا ليس معى رافد ولا ذاب ولا ناصر ولا مساعد إلا أهل بيتى فضننت بهم عن المنية فأغضيت على القذى وتجرعت ريقى على الشجى وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم وآلم للقلب من حز الشفار)(1).

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلى ج 11 ص 109 خطبة رقم 211 من كلام له عليه السلام يشكوفيه أمر قريش معه.

التمهيد لعمر بن الخطاب ومن بعده لأبي عبيدة بن الجراح

نصت المصادر التاريخية على ان كلاً من أبي بكر وعمر بن الخطاب وأبي عبيدة ابن الجراح وآخرين قد حضروا اجتماع الأنصار، ويومها اقترح أبو بكر على الأنصار أن يبايعوا أحد الرجلين عمر أو أبا عبيدة، قال ابن سعد فى طبقاته: (فقال أبو بكر لا ولكننا الأمراء وأنتم الوزراء هم أوسط العرب داراً وأكرمهم أحساباً يعنى قريشاً فبايعوا عمر أو أبا عبيدة فقال عمر بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وأنت خيرنا وأحبنا إلى نبينا صلى الله عليه وسلم فأخذ عمر بيده فبايعه، فبايعه الناس فقال قائل قتلتهم سعد بن عبادة فقال عمر قتله الله...) (1).

ولم يكن قول أبي بكر وتقديمه لأحد الرجلين، ومن ثم تقديم عمر بن الخطاب لأبي بكر بتلك الحجج مجرد صدفة، بل كان أمراً دبر بليلاً، فبوصول كل من أبي بكر وعمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح تبعاً إلى الإمارة أخذت العهود وأبرمت المواثيق.

ولم يكن الأمر المدبر بخاف عن المجتمع الإسلامى وبالخصوص على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ففي محاوره جرت ما بين أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه وعمر بن الخطاب قال له الإمام صلوات الله وسلامه عليه: (إحلب حلبا لك شطره (2)، أشدد له اليوم ليرد عليك غدا) (3).

وقال صلوات الله وسلامه عليه فى خطبته الشقشقية ما نصه: (فيا عجباً بينا هو يستقبلها فى

1- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج 2 ص 269.

2- قال الجوهري فى الصحاح ج 2 ص 697 فصل الشين: (شطر الشيء: نصفه وفى المثل احلب احلبا لك شطره).

3- الاحتجاج للشيخ الطبرسى ج 1 ص 96.

حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما تشظرا ضرعيها(1) فالإعانة والتمهيد والنصرة من أجل تشاطر الإمارة والزعامة مما ليس خبره بمحجوب.

وعلى هذا التسلسل والترتيب __ أبو بكر ثم عمر ثم أبو عبيدة __ سخرت جهود الرواة الذين كانوا يقتاتون على مائدة السلطة لتغطية هذه الفكرة إعلاميا من أجل ترويض النفوس وتمهيد الطريق أمامها، وقد لعبت عائشة بنت أبي بكر وأبو هريرة وابن عمر وغيرهم دورا هاما في هذه التغطية والتمهيد، فعن ابن أبي مليكة قال (سمعت عائشة وسئلت من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفا لو استخلفه قالت أبو بكر فقيل لها ثم من بعد أبي بكر قالت عمر ثم قيل لها من بعد عمر قالت أبو عبيدة بن الجراح ثم انتهت إلى هذا(2).

وعن الترمذى فى سننه قال: (عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لعائشة أى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت أبو بكر، قلت ثم من؟ قالت عمر. قلت ثم من؟ قالت ثم أبو عبيدة بن الجراح، قال قلت ثم من؟ قال فسكتت. هذا حديث حسن صحيح(3).

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نعم الرجل أبو بكر، نعم الرجل عمر، نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح هذا حديث حسن(4).

ويوجد كم هائل من الأحاديث والشواهد التى توضح وتؤكد ذلك الترتيب الذى تحدثنا عنه، وفعلا فقد جاء هذا المخطط التمهيدى لاستخلاف عمر بن الخطاب

1- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 1 ص 162.

2- صحيح مسلم ج 7 ص 109 __ 110 باب فى فضائل أبى بكر.

3- سنن الترمذى ج 5 ص 268 مناقب أبى بكر.

4- سنن الترمذى ج 5 ص 317 مناقب أبى عبيدة بن الجراح.

بثمرته المرجوة، وتم له ولهم ما تمناه وتمنوه، وكتبت الوصية فى الساعات الأخيرة من حياة أبى بكر باستخلاف عمر بن الخطاب على رغم الصيحات المستغيثة التى أطلقت من قبل بعض الصحابة المقرين من الدولة يومئذ، فقد أخرج محمد بن سعد فى الطبقات الكبرى: (...). وسمع بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بدخول عبد الرحمن وعثمان على أبى بكر وخلوتهما به، فدخلوا على أبى بكر، فقال له قائل منهم ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته... (1).

ويوجد نص آخر فيه تصريح بان عثمان بن عفان هو الذى قد كتب اسم عمر ابن الخطاب فى وصية أبى بكر عندما كان أبو بكر مغمى عليه، قال محمد بن سعد: (قال بعضهم لما أملى أبو بكر صدر هذا الكتاب بقى ذكر عمر فذهب به قبل أن يسمى أحدا فكتب عثمان إنى قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ثم أفاق أبو بكر فقال اقرأ على ما كتبت فقرأ عليه ذكر عمر فكبر أبو بكر وقال أراك خفت إن أقبلت نفسى فى غشيتى تلك يختلف الناس فجزاك الله عن الإسلام وأهله خيرا والله إن كنت لها لأهلا) (2).

وعن عائشة قالت: (لما حضرت أبا بكر الوفاة استخلف عمر فدخل عليه على وطلحة فقالا من استخلفت قال عمر قال فماذا أنت قائل لربك قال أبالله تفرقانى لأنا أعلم بالله وبعمرك منكما أقول استخلفت عليهم خير أهلك) (3).

وبهذا التمهيد والتخطيط وصل عمر بن الخطاب إلى كرسى الإمارة لتبدأ بعد ذلك مرحلة جديدة من مراحل التمهيد والتوطئة، وهذا ما سنعرفه فيما يأتى من الكلام.

1- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج 3 ص 199 _ 200.

2- المصدر السابق ص 201.

3- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج 3 ص 274.

تبدل المخطط السابق وظهور عثمان بن عفان على الساحة

فى حادث لم يكن متوقعا من قبل الممهدين مات أبو عبيدة بن الجراح فى أيام إمارة عمر بن الخطاب فى طاعون عمواس الذى ظهر فى الشام سنة ثمانى عشرة للهجرة وهو ابن ثمان وخمسين سنة (1)، وقد خلق موت أبى عبيدة مشكلة حقيقية للخليفة الجديد، على اعتبار ان المخطط السابق والقاضى بإمارة أبى بكر ثم عمر ثم أبى عبيدة قد مهد له ولسنوات وبذلت لأجله الجهود وصرفت الأموال، وصارت النفوس مهياة لاستقباله، وأصبح من الثواب.

وهذا التغيير المفاجئ استدعى بطبيعة الحال تغييرا فى مخططات الدولة وتحشيد الجهود من قبلها لإيجاد البديل الذى يقوم مقام ولى العهد الميت، ولكن يجب ان تتوفر فى هذا البديل عدة شروط تؤهله من أهمها أن يكون هذا البديل منسجما مع منهج دولة السقيفة ومخططاته المستقبلية، وان يكون قويا ومقتدرا وله من الشكيمة ما يمنع رجوع الإمارة إلى على بن أبى طالب أو احد أولاده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لان إخراجها منهم تطلب من المجهود ما لا يخفى وقد سفكت فى سبيل ذلك الدماء واشترت الذمم فمن غير المعقول أن تقبل الدولة بعد كل هذا الجهد أن ترجع الخلافة إليهم، وتضيق كل تلك الأتعاب وكأن شيئا لم يكن.

وقد كان أمام الدولة عدة خيارات وعدة شخصيات من الصحابة، منهم على ابن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه، ومنهم طلحة بن عبيد الله، ومنهم الزبير بن العوام، ومنهم سعد بن أبى وقاص، ومنهم عثمان بن عفان، ومنهم عبد الرحمن بن عوف، ولكن كل واحد من هؤلاء الستة كانت عند عمر بن الخطاب تحفظات تجاهه، وكل واحد من تلك التحفظات كان كافياً فى عدم الإقدام على استخلافه، وسيأتى

1- راجع المعجم الكبير للطبرانى ج 1 ص 155 سن أبى عبيدة ووفاته.

ذكر هذه التحفظات لاحقاً.

ولكن كان هنالك خيارٌ يلبي طموحات الدولة، وهو المتمثل بإيصال آل أمية وبالتحديد معاوية بن أبي سفيان إلى دكة الحكم بعد عمر بن الخطاب، ومن راجع كلمات عمر بن الخطاب حول معاوية بن أبي سفيان يجدها واضحة الدلالة على ان عمر بن الخطاب كان يهدف التأسيس والتأهيل لدولة معاوية الجديدة، فعلى سبيل المثال لا الحصر نراه يقول بحقه حينما دخل الشام ورأى معاوية (هذا كسرى العرب)(1)، ودم جماعة معاوية عند عمر بن الخطاب فقال لهم عمر: (دعونا من ذم فتى قريش ومن يضحك في الغضب، ولا ينال ما عنده من الرضا، ولا- يؤخذ ما فوق رأسه إلا من تحت قدميه)(2)، وعن سعيد المقبري قال: (قال عمر بن الخطاب تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية)(3).

ولكن عقبة كؤوداً كانت تحول دون إيصال معاوية بن أبي سفيان إلى الإمارة كخليفة ينوب عن عمر بن الخطاب بعد موته، وهذه العقبة هي ان عمر بن الخطاب كان على يقين بان الأمة الإسلامية لن تسلم مقاليد أمورها وأزمة أمورها إلى معاوية ابن أبي سفيان، وفيهم كبار رجالات ورموز الصحابة، لان الأمة الإسلامية كانت في وقت عمر بن الخطاب وقبله تنظر إلى معاوية بن أبي سفيان بل وإلى جميع آل أبي سفيان وبنى أمية بعين الاحتقار والامتهان، وما تزال منزلته عندهم منزلة الطليق ابن الطليق واللعين ابن اللعين، فكان على عمر بن الخطاب والحال هذه ان يجد حلقة

1- الاستيعاب لابن عبد البر ج3 ص1418، أسد الغابة لابن الأثير ج4 ص386، الإصابة لابن حجر ج6 ص121.

2- الاستيعاب لابن عبد البر ج3 ص1418، البداية والنهاية ج8 ص133 وهذه ترجمة معاوية.

3- تاريخ الطبري ج4 ص244.

وصل بين إمارته وإمارة معاوية بن أبي سفيان، وكان عثمان بن عفان هو هذه الحلقة، والذي يحقق وجوده أمرين مهمين:

الأمر الأول: ان عثمان بن عفان كيفما يكنا فان حاله في نظر المسلمين والصحابة على وجه الخصوص أفضل بكثير من معاوية بن سفيان، فانه أسلم في مكة، وشارك في غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وان كان نصيبه في أكثر تلك الغزوات الفرار إلا انه يبقى الأفضل، فيكون أكثر قبولا عند المسلمين، ووجوده يمكن أن يروض النفوس ويمهد الأجواء لقبول الدولة الأموية الجديدة.

الأمر الثاني: ان عمر بن الخطاب كان متيقنا بان عثمان بن عفان لو قدر له أن يصل إلى الإمارة فانه سيستعين بآل أمية وسيبقى معاوية بن أبي سفيان على ولاية الشام، وان الأمة وخلال مدة طويلة ستعتاد على رؤية معاوية أميرا للشام، وبعد ذهاب الجيل الأول للصحابة ومجيء الجيل الأول من التابعين الذين سيعتاد احدهم ومنذ طفولته على رؤية معاوية ملكا على الشام ككسرى وقيصر، فلا غرابة لو رآه بعد ذلك ملكا على جميع أرجاء المملكة الإسلامية، لا سيما إذا فتح هذا الجيل من التابعين أعينهم ومنذ طفولتهم ورأى تأييد عمر المطلق له وإيحاءه بأنه ككسرى وقيصر بل هو أفضل منهما وانه سيد قريش وغير ذلك.

وتبدلت وفقا لهذا التغير الجديد التغطية الإعلامية للدولة وشمر الرواة سواعدهم لإخراج أكبر عدد من الروايات التي ترفع اسم أبي عبيدة بن الجراح لتضع مكانه اسم عثمان بن عفان وكثرة هذه الأحاديث أكثر من ان تستقصى، ولكن إتاما للفائدة نأتى على ذكر بعضها، فعبد الله بن عمر قال: (كنا نقول ورسول الله حى: أفضل أمة رسول الله بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان)(1).

وعن أبي موسى (انه كان مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى حائط من حيطان المدينة وفى يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عود يضرب به بين الماء والطين فجاء رجل يستفتح فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم افتح وبشره بالجنة فذهبت فإذا أبو بكر ففتحت له وبشرته بالجنة فاستفتح رجل آخر فقال افتح له وبشره بالجنة فإذا عمر ففتحت له وبشرته بالجنة ثم استفتح رجل آخر وكان متكئا فجلس فقال افتح وبشره بالجنة على بلوى تصيبه أو تكون فذهبت فإذا عثمان ففتحت له وبشرته بالجنة فأخبرته بالذى قال...)(1).

الشورى مخطط لإيصال آل أمية وإقضاء آل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

طعن عمر بن الخطاب بعد ان بقى فى الحكم ما يقارب عشر سنوات، فلما أيقن بالموت أراد ان يتمم ما هم به من قبل وخطط، ولكن كان يجب عليه ان يتخطى خمسة من الصحابة يتزعم كل واحد منهم تكتلا معينا يمكن ان يعرقل المخطط الجديد، وهؤلاء الخمسة هم كل من الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، فوضع عمر بن الخطاب من اجل أن يتخطاهم ويمرر إمارة عثمان من بعده مخططا عرف بعد ذلك بمخطط الشورى، وضم معهم عثمان بن عفان ليكونوا بذلك ستة هم أصحاب الشورى، والذين زعم عمر بن الخطاب ان النبي مات وهو راض عنهم.

وقد جرى فى تلك الشورى هنات وهنات وقد فصل القول فى أحداثها وما وقع خلالها جملة من علماء الطائفة الأعلام فأغنوننا عن الخوض فى دقائق تفاصيلها، وسنقتصر على إيراد جملة من الأحاديث الموضحة لتمهيد بعض أهل الشورى

لبعضهم الآخر إما عصبية أو طمعا في صيرورة الإمارة إليهم بعد عثمان بن عفان، ومن هذه الأحاديث ما يأتي:

قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه: (إلى أن حضرته الوفاة فجعلها شورى بين جماعة زعم أنني أحدهم. فيا للشورى ولله هم، متى اعترض الريب في مع الأولين منهم حتى صرت الآن أقرن بهذه النظائر لكنى أسففت إذ أسفوا وطرت إذ طاروا، صبوا على طول المحنة وانقضاء المدة، فمال رجل لضغنه، وصغا آخر لصهره، مع هن وهن) (1) قال الشريف المرتضى: (وإنما أراد المائل إلى صهره عبد الرحمن بن عوف الزهري، فإنه كان بينه وبين عثمان مصاهرة معروفة) (2)، فعقد له الأمر ومال إليه بالمصاهرة، والذي مال إليه لضغنه إنما هو سعد بن أبي وقاص الزهري (3)، فإنه كان منحرفا عن أمير المؤمنين عليه السلام، وهو أحد من قعد عن بيعته في وقت ولايته (4).

وروى الشيخ المفيد قدس الله روحه في كتابه الإرشاد: (عن أبي صادق قال: لما جعلها عمر شورى في ستة، وقال: إن بايع اثنان لواحد واثنان لواحد، فكونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن، واقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن، خرج أمير المؤمنين عليه السلام من الدار وهو معتمد على يد عبد الله بن العباس فقال له: يا ابن عباس، إن القوم قد عادوكم بعد نبیکم كمعاداتهم لنبیکم صلى الله عليه

1- الإرشاد للشيخ المفيد ج 1 ص 288 خطبته المسماة بالشقشقية.

2- عبد الرحمن كان صهرا لعثمان لأن زوجته أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت أختا لعثمان من أمه.

3- وكان سعد من بنى عم عبد الرحمن كلاهما من بنى زهرة وكان في نفسه شيء من على كرم الله وجهه من قبل أخواله لأن أمه جنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس ولعل صلوات الله وسلامه عليه في قتل صناديدهم ما هو معروف مشهور.

4- رسائل المرتضى، للشريف المرتضى: ج 2، ص 111.

وآله فى حىاته، أم والله، لا ىنب بهم إلى الحق إلا السىف. فقال له ابن عباس: وكيف ذاك؟ قال: أما سمعت قول عمر: إن باىع اثنان لواحد واثنان لواحد، فكونوا مع الثلاثة الذين فىهم عبد الرحمن، واقتلوا الثلاثة الذين لىس فىهم عبد الرحمن؟ قال ابن عباس بلى قال: أفلا تعلم أن عبد الرحمن ابن عم سعد، وأن عثمان صهر عبد الرحمن. قال: بلى، قال: فإن عمر قد علم أن سعدا و عبد الرحمن وعثمان لا ىختلفون فى الرأى، وإنه من بوىع منهم كان الاثنان معه، فأمر بقتل من خالفهم ولم ىبال أن ىقتل طلحة إذا قتلنى وقتل الزبىر(1).

وروى الشىخ المفىد قدس الله روحه أىضا عن عمرو بن سعىد، عن حنش الكنانى قال: (لما صفق عبد الرحمن على يد عثمان بالبىعة فى يوم الدار، قال له أمىر المؤمنىن علیه السلام: حرکک الصهر وبعثک على ما صنعت، والله ما أملت منه إلا ما أمل صاحبک من صاحبه، دق الله بىنكما عطر منشم)(2).

وقال الذهبى: (ثم نودى الصلاة جامعة وخرج عبد الرحمن علیه عمامته التى عممه بها رسول الله صلى الله علیه وسلم. متقلدا سىفه، فصعد المنبر ووقف طویلا يدعو سرا، ثم تكلم فقال...قم إلى یا على، فقام فوقف بجنب المنبر فأخذ بیده وقال: هل أنت مباىعى على كتاب الله وسنة نبیه وفعل أبى بكر وعمر قال: اللهم لا ولكن على جهدى من ذلك وطاقتى، فقال: قم یا عثمان، فأخذ بیده فى موقف على فقال: هل أنت مباىعى على كتاب الله وسنة نبیه وفعل أبى بكر وعمر قال: اللهم نعم، قال فرفع رأسه إلى سقف المسجد ویده فى یده ثم قال: اللهم اشهد اللهم إنى قد جعلت ما فى رقبتى من ذلك فى رقة عثمان. فازدحم الناس بباىعون حتى

1- الإرشاد للشىخ المفىد ج 1 ص 285 __ 286.

2- المصدر السابق ص 286 __ 287.

غشوه عند المنبر وأقعدوه على الدرجة الثانية، وقعد عبد الرحمن مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر. قال: وتلكأ على، فقال عبد الرحمن: فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما. فرجع على يشق الناس حتى بايع عثمان وهو يقول: خدعة وأيما خدعة(1).

فوصل بهذه اللعبة والخدعة عثمان بن عفان الذى فتح للدولة الأموية بابا لم يغلق حتى أحدث فى الإسلام ثلثة لم تسد إلى يوم الناس هذا.

لماذا شارك أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بهذه الخدعة وهو يعلم بنتائجها؟

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو: ان الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه كان يمتلك من العلم والعصمة والتسديد ما يعلم به ان نتيجة الشورى ستكون سلبية وستزيد فى إقصاء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليه وتمكين مناوئهم، فلماذا شارك الإمام صلوات الله وسلامه عليه فى هذه التوطئة التى هو قال عنها خدعة وأيما خدعة؟.

وقد أجاب عن هذه الشبهة العلماء الأعلام رضوان الله تعالى عليهم بعدة إجابات نختار أهمها:

أولا: ما أورده الشيخ الطوسى قدس الله روحه بقوله: (إنه إنما دخل فيها تقية وخوفا، ولو لم يدخلها لقتل، إنما يمتنع ذلك لتوهم أن الحق لك فحمله على الدخول فيها ما حمله على البيعة للمتقدمين)(2).

ثانيا: وقال قدس الله روحه أيضا: (إنه إنما دخلها ليتمكن من إيراد حججه وفضائله ونصوصه، لأنه أورد فى ذلك اليوم جل مناقبه، ولو لم يدخلها لما أمكنه ذلك،

1- تاريخ الإسلام للذهبي ج 3 ص 305.

2- الاقتصاد للشيخ الطوسى ص 211، الرسائل العشر للشيخ الطوسى ص 125 __ 126.

فدخلها ليؤكد الحجة عليهم(1).

وقال قدس الله روحه في موضع آخر: (فجعل عليه السلام الدخول فيها ذريعة إلى التنبيه على الحق بحسب الإمكان، على ما وردت به الرواية، فإنها وردت بأنه عليه السلام عدد في ذلك اليوم جميع فضائله ومناقبه أو أكثرها)(2).

ثالثا: وقال قدس الله روحه: (إنه إنما دخلها تجويزا لأن يختاروه فيتمكن من القيام بالأمر، ومن له حق له أن يتوصل إليه بجميع الوجوه)(3).

رابعا: ما ذكره الشيخ الصدوق قدس الله روحه في كتاب علل الشرائع عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال:

(لما كتب عمر كتاب الشورى بدأ بعثمان في أول الصحيفة وآخر عليا أمير المؤمنين فجعله في آخر القوم، فقال العباس: يا أمير المؤمنين يا أبا الحسن أشرت عليك في يوم قبض رسول الله أن تمد يدك فنبايعك فإن هذا الأمر لمن سبق إليه فعصيتني حتى بويع أبو بكر وأنا أشير عليك اليوم ان عمر قد كتب اسمك في الشورى وجعلك آخر القوم وهم يخرجونك منها فأطعني ولا تدخل في الشورى فلم يجبه بشيء فلما بويع عثمان قال له العباس: ألم أقل لك، قال له يا عم انه قد خفى عليك أمر، أما سمعت قوله على المنبر ما كان الله ليجمع لأهل هذا البيت الخلافة والنبوة فأردت أن يكذب نفسه بلسانه فيعلم الناس أن قوله بالأمس كان كذبا باطلا وإنا نصلح للخلافة، فسكت العباس)(4).

1- الاقتصاد للشيخ الطوسي ص 211.

2- الرسائل العشر للشيخ الطوسي ص 125 __ 126.

3- الاقتصاد للشيخ الطوسي ص 211.

4- علل الشرائع للشيخ الصدوق ج 1 ص 170 __ 171 الباب 134 العلة التي من أجلها دخل أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في الشورى.

محاولة انتزاع الإمارة من آل أمية وإرجاعها للمهاجرين مرة أخرى

لم تكن خلافة عثمان بن عفان خلافة شخص واحد، بل كانت خلافة تيار بأكمله، تيار لا يقيم للدين والشريعة وزناً، ولا للصحابة الأوائل قدراً، تيار يعدّ الخلافة كالكرة يتلقفها سفهاؤهم وصبيانهم، وهو ما صرح به أبو سفيان في أول يوم من أيام إمارة عثمان بن عفان، فقد روى ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب قال: (ان أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه فقال قد صارت إليك بعد تيم وعدى فأدرها كالكرة واجعل أوتادها بنى أمية فإنما هو الملك ولا أدري ما جنة ولا نار فصاح به عثمان قم عنى فعل الله بك وفعل، وله أخبار من نحو هذا ردية ذكرها أهل الأخبار لم أذكرها وفي بعضها ما يدل على أنه لم يكن إسلامه سالماً(1).

وقد مر أبو سفيان بقبر حمزة أسد الله وأسود رسوله (وضربه برجله، وقال: يا أبا عمارة إن الأمر الذى اجتلدنا عليه بالسيف أمسى فى يد غلماننا اليوم يتلاعبون به)(2).

اقول: وعثمان بن عفان وان رفض قول أبى سفيان فى الظاهر إلا أن سيرته وسياسته فى إدارة شؤون المملكة الإسلامية ينطبق عليها قول أبى سفيان انطباقاً تاماً، وأخبار استنثاره وبنى قومه بأموال العباد ومقدرات البلاد تملأ بطون الكتب من الفريقين، ولا نرى ضرورة فى تسويد صفحات هذا الكتاب بها وستأتى بعض أخبارهم فى شرح الفقرات الخاصة بهم ضمن زيارة عاشوراء، وستقتصر على ما يرتبط بمسألة التمهيد والتوطئة لقتلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقد سبق ان عرفنا ان لأصحاب الشورى باستثناء أمير المؤمنين على بن أبى

1- الاستيعاب لابن عبد البر ج 4 ص 1679.

2- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 16 ص 136.

طالب صلوات الله وسلامه عليه الفضل الكبير في إيصال عثمان بن عفان إلى كرسى الإمارة، واشتروا عليه المضى والسير على سنة كل من أبي بكر وعمر بن الخطاب، ما يعنى ضمان مصالحتهم والتمتع بنفس الامتيازات التي كانت لهم طوال مدة إمارة الأول والثاني، إلا أن أحلام أصحاب الشورى(1) وعائشة وحفصة وأمثالهم ممن كان يتمتع ببجوحة إمارة السابقين تبددت بمجرد أن وصل عثمان إلى الإمارة، فقد اكتشف الجميع بان عثمان كان مغاليا في تقريب آل أمية، وانه لم يكن يقيم وزنا إلا لمصالحهم، وان جميع الامتيازات والمناصب والغنائم قد صارت حكرا له ولهم دون المسلمين عموما ودون أصحاب الشورى وأمثالهم على وجه الخصوص، وهو ما أثار حفيظة جميع المسلمين ولا سيما أصحاب الشورى.

فتيقن أصحاب الشورى ومعهم عائشة بنت أبي بكر ومن لف لفهم ان النهج الاستبدادي الذي انتهجه عثمان بن عفان لو استمر على ما هو عليه فسيفلت زمام الأمور من أيديهم ويرجعون من بعد عزهم وسيادتهم سوقة من عوام الناس وهم الذين بقوا متصدرين للساحة الإسلامية سنينا طويلة، فلم يكونوا ليسمحوا والحال هذه ان يخلوا ساحة الصراع لآل أبي سفيان وآل مروان، فقرروا المواجهة وإرجاع الأمور إلى سابق عهدها وسالف أيامها، وبما ان المتسبب الرئيس في كل هذه الفوضى هو عثمان بن عفان فان الضربة ستكون موجهة له وبشكل شخصي لان الإطاحة به كانت تمثل إطاحة بكل أتباعه وبنى قومه.

فبدأ المعنيون بالأمر من أصحاب الشورى ومن لف لفهم العمل الجاد والمنظم في سبيل الإطاحة بالدولة العثمانية، وكان أفضل طريق لذلك هو إثارة الساحة

1- لا يدخل أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في قصدنا (أصحاب الشورى) لا هنا ولا في العبارات القادمة فتنبه.

الداخلية بوجهه وإشعال فتيل الاضطرابات والنزاعات وإثارة فئات المجتمع ضده، ولم يجد القوم صعوبة كبيرة فى تحقيق هذه الغاية، لان عثمان بن عفان كان له أخطاء عظام وزلات جسام، وكل واحدة من هذه الأخطاء والزلات كانت كافية فى إضعاف موقفه الدفاعى وتقليل فرص استمرار ولايته المتخلخلة.

وقد لعبت عائشة بنت أبى بكر دورا عظيما فى الإطاحة بعثمان فقد كانت تتحين كل فرصة وتستغل كل حدث فى سبيل إثارة النفوس عليه وإسقاطه فى أعين المجتمع، قال ابن أبى الحديد المعتزلى: (قال كل من صنف فى السير والأخبار إن عائشة كانت من أشد الناس على عثمان، حتى إنها أخرجت ثوبا من ثياب رسول الله صلى الله عليه وآله، فنصبته فى منزلها، وكانت تقول للداخلين إليها: هذا ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبل، وعثمان قد أبلى سنته(1)).

وقال اليعقوبى: (وكان بين عثمان وعائشة منافرة وذلك أنه نقصها مما كان يعطيها عمر بن الخطاب، وصيرها أسوة بغيرها من نساء رسول الله، فإن عثمان يوما ليخطب إذ دلت عائشة قميص رسول الله، ونادت: يا معشر المسلمين هذا جلباب رسول الله لم يبل، وقد أبلى عثمان سنته فقال عثمان: رب اصرف عنى كيدهن إن كيدهن عظيم(2)).

وعن الرازى قال: (ان عثمان آخر عن عائشة بعض أرزاقها فغضبت ثم قالت يا عثمان أكلت أمانتك وضيعت الرعية وسلطت عليهم الأشرار من أهل بيتك والله لولا الصلوات الخمس لمشى إليك أقوام ذوو بصائر يذبونك كما يذبح الجمل فقال عثمان ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط الآية فكانت عائشة تحرض

1- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 6 ص 215.

2- تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 175.

عليه جهدها وطاقتها وتقول أيها الناس هذا قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبيل وقد بليت سنته اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا(1)، وقد نقل تحريضها على قتل عثمان وقولها (اقتلوا نعثلا فقد كفر) كل من الطبرى فى تاريخه(2)، وابن الأثير فى الكامل(3) والحلبى فى سيرته الحلبية(4).

وقد ساعدها على هذا المخطط وأعانها عليه كل من طلحة والزبير فقد كانا من اشد الناس عليه بعد عائشة، حتى ان طلحة كان يوم قتل عثمان يرمى دار عثمان بالسهم قال ابن أبى الحديد: (وروى الناس الذين صنفوا فى واقعة الدار أن طلحة كان يوم قتل عثمان مقنعا بثوب قد استتر به عن أعين الناس، يرمى الدار بالسهم. ورووا أيضا أنه لما امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار، حملهم طلحة إلى دار لبعض الأنصار، فأصعدهم إلى سطحها، وتسوروا منها على عثمان داره فقتلوه. ورووا أيضا أن الزبير كان يقول: اقتلوه فقد بدل دينكم. فقالوا: إن ابنك يحامى عنه بالباب، فقال: ما أكره أن يقتل عثمان ولو بدئ ببنى، إن عثمان لجيفة على الصراط غدا(5).

وقد بلغت شدة تأليب طلحة على عثمان مقدارا جعل عثمان يدعو عليه بقوله: (اللهم اكفنى طلحة بن عبيد الله فإنه حمل على هؤلاء وألبهم والله إنى لأرجو أن يكون منها صفرا وأن يسفك دمه انه انتهك منى ما لا يحل له(6).

1- المحصول للرازى ج 4 ص 343.

2- تاريخ الطبرى ج 3 ص 476 __ 477

3- الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج 3 ص 206.

4- السيرة الحلبية ج 3 ص 356.

5- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 9 ص 35 __ 36.

6- تاريخ الطبرى ج 3 ص 411 ذكر الخبر عن ذكر قتل عثمان بن عفان، الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج 3 ص 174 ذكر مقتل عثمان.

وبعد مدة ليست بالطويلة وكنتيجة طبيعية لكل هذا التحريض والتأليب قتل عثمان بن عفان وبدأت بعد مقتله مرحلة جديدة من مراحل التاريخ.

دور معاوية بن أبي سفيان فى مقتل عثمان بن عفان

لم يكن موقف معاوية بن أبى سفيان يختلف مع موقف أصحاب الشورى من حيث الجوهر وان كان مختلفا من حيث الأداء فالكل كان يسعى ويهدف إلى قتل عثمان والإطاحة به إلا أن الأسلوب الذى اتبع لأجل تحقيق ذلك كان مختلفا.

فمع ان السبب الرئيس لمقتل عثمان كان تقديم أقاربه وإغداق الخيرات عليهم وحرمان بقية المسلمين منها، الا انه لم يشفع لعثمان عند معاوية، لان معاوية بن أبى سفيان أصبح يرى من عثمان وبالخصوص فى أيامه الأخيرة ورقة محروقة قد استنفذت كل أغراضها التى بينها سابقا، فمعاوية الآن صاحب جيش جرار وقوى ومقتنع اقتناعا تاما بان معاوية بن أبى سفيان هو من له الأمر والنهى لا غير حتى لو كان هذا الغير هو شخص الخليفة _ وسيأتى الشاهد على هذه الحقيقة _، وهو أيضا صاحب أموال وثروات ضخمة تكدست عنده طوال مدة إمارة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان تكفى لتمويل أكبر حرب فيما لو اضطر إلى خوضها، وتلبى احتياجات شراء الذمم للمعارضين لإمارته وإسكاتهم، وتكفى لاستئجار الرواة من أجل تغطية تحركاته وسفكه للدماء تغطية شرعية.

لذلك كان معاوية بن أبى سفيان يرى أنّ الأزمة التى كان يعيشها عثمان كانت تصب فى مصلحته، وان كل يوم يعيش فيه عثمان بن عفان كان يؤخر وصوله إلى كرسى الإمارة، وان التعجيل بالقضاء عليه هو تعجيل بتحقيق أمنياته، لذلك تأخر معاوية بن أبى سفيان حينما طلب عثمان منه النصرة بان يمدده بجيش يتقوى به على

مصبيته، قال ابن شبة النميري: (حدثنا جويرية قال: أرسل عثمان إلى معاوية يستمده، فبعث معاوية يزيد بن أسد جد خالد القسري وقال له: إذا أتيت ذا خشب فأقم بها ولا تتجاوزها، ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب قال: أنا الشاهد وأنت الغائب. فأقام بذي خشب حتى قتل عثمان. فقلت لجويرية: لم صنع هذا؟ قال: صنعه عمدا ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه)(1)، وهذا التلكؤ والتثاقل من جيش معاوية بن أبي سفيان حقق هدفين مهمين شارك كل واحد منهما بالتعجيل في القضاء على حياة عثمان وإمارته:

الهدف الأول: ان يارساله للجيش قد اقع عثمان بن عفان بان النصر آت لا محالة، وان تلك الجحافل ستكسر عنه الحصار المضروب من قبل المعارضين، مما جعل عثمان بن عفان يصبر على مواقفه أكثر ويؤكد على عدم الرضوخ لمطالب الثوار.

الهدف الثاني: الإيحاء للثوار بان فرصة القضاء على عثمان ستفتل من بين أيديهم إذا ما وصل جيش الشام، وقد افلح هذا الإيحاء إلى حد بعيد، فتسلق بعض الثوار سطح داره ودخلوا عليه وقتلوه.

دور الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في هذا الصراع

لم يكن الوضع السائد تلك الأيام والاضطرابات التي منيت بها الأمة بخافية عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، فقد كان على علم بان كل هذه الجلبة والمؤامرات والاضطرابات والصراعات التي يخوضها عثمان مع عائشة وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأشباههم ما هي إلا صراعات مصالح، وان ذلك التهريج الذي تقوم به عائشة ومناصروها من ورائه أهداف وغايات وأهواء لا يراد الله سبحانه وتعالى بها ولا يقصد منها فائدة المجتمع وأهل الإيمان.

وكذلك كان أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه يعلم بحراجة الموقف وحساسية تلك اللحظات وان كل موقف منه وكل كلمة تصدر عنه ستؤثر في مجريات الأحداث مستقبلا، فلهذا اتخذ أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه جانب الحيطة والحذر، وقرر ان لا يدخل طرفا في هذا الصراع مهما حصل، وإذا ما اضطر للتدخل فانه يتدخل بعنوان الناصح المرشد لا المحرض المناوئ، والأدلة على ذلك كثيرة ليس يمكن إحصاؤها في هذه العجالة، وخلاصة موقفه من قتل عثمان قد لخصه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ما قتلته ولا أمرت بقتله وما سرنى)(1)، وقوله صلوات الله وسلامه عليه: (والله ما قتلته ولا مالأت على قتله)(2)، فهو من رد الناس عنه وارجع الثوار مرات عديدة، وهو الذى أوصل إليه الماء بعدما قطعه عنه طلحة والزبير كما قال ابن حبان: (أشرف عليهم)(3) فقال أفيكم على قالوا لا قال أفيكم سعد قالوا لا، فقال أذكركم بالله هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بشيء فابتعتها من مالى وجعلتها للغنى والفقير وابن السبيل، فقالوا نعم، قال فاسقوني منها، ثم قال ألا أحد يبلغ عليا فيسقيننا ماء، فبلغ ذلك عليا فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة)(4).

وقال ابن الأثير: (منع عثمان الماء فقال على لطلحة أريد أن تدخل عليه الروايا وغضب غضبا شديدا حتى دخلت الروايا على عثمان)(5)، ومواقفه النبيلة تجاه عثمان لا ينكرها إلا من أعمى الله بصيرته وكان فى قلبه مرض.

1- المصنف لابن أبى شيبة الكوفى ج 8 ص 684 ما ذكر فى عثمان.

2- المصدر السابق.

3- أى اشرف عثمان على من حاصره ومنع عنه الماء.

4- الثقات لابن حبان ج 2 ص 261.

5- الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج 3 ص 166 ذكر مقتل عثمان.

رجوع الخلافة إلى أصحابها الشرعيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

ان من السنن الإلهية التي لا تتبدل والتي تحكم جميع المجتمعات قديما وحديثا، ان أى امة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات إنما يحصد ما زرعه، ويقطف ما غرسه، وقد زرعت هذه الأمة منذ اليوم الأول لرحيل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومرورا بامارة الذين سبقوا خلافة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه الفتنة والظلم وسياسة التمييز العرقي والطبقي، وقد حان وقت جنى ثمرة عملهم وحصد نتيجة أتعابها، فكان الوقت الذى أعقب موت عثمان بن عفان هو وقت ظهور تلك النتائج، وهو ما بينه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه حينما دخل على عثمان بن عفان قبل مقتله وقال له: (وإني أحذرك الله وأحذرك سطوته ونقماته فان عذابه شديد أليم وأحذرك أن تكون إمام هذه الأمة المقتول فإنه يقال يقتل فى هذه الأمة إمام فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة وتلبس أمورها عليها ويتركهم شيئا فلا يبصرون الحق لعلو الباطل يمجون فيها موجا ويمرجون فيها مرجا...)(1).

ولكن الذى يحزن القلب ويدميه هو ان ظهور نتائج أفعال الأمة قد صادفت مع بداية تشكيل الدولة العلوية، والذى اثر تأثيرا كبيرا فيما بعد فى ثبات واستقرار هذه الدولة المباركة، وهذا ما لم يكن خافيا عن شخص أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، فحينما أراد الناس بيعته تمنع مرات عدة وكان يخاطبهم بقوله: (دعوني والتمسوا غيري، فإننا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول. وإن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت. واعلموا أنى إن أجبتكم ركبتم بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل، وعتب العاتب، وإن تركتمونى فأنا

1- تاريخ الطبرى ج 3 ص 376 تكاتب المنحرفين عن عثمان للاجتماع لمناظرته فيما كانوا يذكرون أنهم نقموا عليه وخبر الجرعة.

كأحدكم، ولعلى أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً، خير لكم منى أميراً(1).

ولولا الإصرار العظيم للأمة وإلحاحهما الكبير على أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه لما قبل خلافتها، ولكنه صلوات الله وسلامه عليه لما علم من الأمة اجتماعها واختيارها لمنهج التغيير والرجوع إلى الجادة المستقيمة رضى بيعتهم التى بلغ مقدار الإصرار عليها من قبل الأمة مبلغاً وصفه الإمام صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (وسطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، ثم تداكتم على تداك الإبل الهيم على حياضها يوم وردها؛ حتى انقطعت النعل، وسقط الرداء، ووطئ الضعيف، وبلغ من سرور الناس ببيعهم إياى أن ابتهج بها الصغير، وهدج إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وحسرت إليها الكعاب)(2).

وقال صلوات الله وسلامه عليه فى خطبة أخرى: (ثم جتتمونى لتبايعونى فأبيت عليكم، وأمسكت يدي فنازعتمونى ودافعتمونى، وسطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، وازدحمت على حتى ظننت أن بعضكم قاتل بعضكم، أو أنكم قاتلى، فقلت: بايعنا لا نجد غيرك، ولا نرضى إلا- بك بايعنا لا- نفترق ولا- تختلف كلمتنا. فبايعتكم ودعوت الناس إلى بيعتى، فمن بايع طوعاً قبلت، ومن أبى لم أكرهه وتركته. فبايعنى فيمن بايعنى طلحة والزبير، ولو أبيا ما أكرهتهما، كما لم أكره غيرهما)(3).

1- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 7 ص 33 خطبة رقم 91 من كلام له عليه السلام لما أرادته الناس على البيعة بعد قتل عثمان.

2- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 13 ص 3 الخطبة رقم 224 من كلام له عليه السلام فى وصف بيعته بالخلافة.

3- المصدر السابق ج 6 ص 96 __ 97 خطبة على بعد مقتل محمد بن أبى بكر.

فقبل الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه البيعة نتيجة لهذا الإصرار الكبير، على علم منه بان الأيام القادمة ستحمل بين طياتها فتناً وأحداثاً لا تثبت عليها القلوب ولا العقول، وان مناوئيه سيحاولون بكل وسيلة وطريقة رد الأمور على أذارها، ليعود الجور إلى أوطانه ويرجع الباطل إلى نصابه.

أسباب إشعال الفتنة ونار الحرب بوجه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه

لم يكن يشك أصحاب الشورى الذين مهدوا لقتل عثمان في أنّ مقاليد الأمور ستعود إليهم بمجرد الإطاحة بعرش عثمان، وعلى هذا الأساس بنيت قناعاتهم الشخصية، لذلك نرى عائشة بنت أبي بكر لما بلغها مقتل عثمان رددت كلمات تنم عن يقينها بان الأمة سوف لن تباع إلا- طلحة بن عبيد الله، قال اليعقوبى فى تاريخه: (وكانت عائشة بمكة، خرجت قبل أن يقتل عثمان، فلما قضت حجها انصرفت راجعة، فلما صارت فى بعض الطريق لقيها ابن أم كلاب، فقالت له: ما فعل عثمان؟ قال: قتل، قالت: بعدا وسحقا، قالت: فمن بايع الناس قال: طلحة. قالت: أيها ذو الإصبع(1). ثم لقيها آخر، فقالت: ما فعل الناس؟ قال: بايعوا عليا. قالت: والله ما كنت أبالى أن تقع هذه على هذه(2). ثم رجعت إلى مكة...(3).

وقال البلاذرى: (...أبو يوسف الأنصارى أنه سمع أهل المدينة يتحدثون ان الناس لما بايعوا عليا عليه السلام بالمدينة بلغ عائشة أن الناس بايعوا لطلحة، فقالت: إيه ذا الإصبع لله أنت، لقد وجدوك لها محشا وأقبلت جذلة مسرورة حتى إذا انتهت

1- تقصد بذلك طلحة بن عبيد الله.

2- أى والله ما كنت أبالى ان تقع السماء على الأرض.

3- تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 180 خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب.

إلى سرف استقبلها عبيد بن مسلمة الليثي الذي يدعى ابن أم كلاب فسألته عن الخبر، قال: قتل الناس عثمان. قالت: نعم ثم صنعوا ماذا؟ قال صنعوا خيرا، حارت بهم الأمور إلى خير محار بايعوا ابن عم نبيهم عليا. فقالت: أو فعلوها؟ وددت أن هذه أطبقت على هذه إن تمت الأمور لصاحبك الذي ذكرت، فقال لها: ولم والله ما أرى اليوم في الأرض مثله فلم تكريهين سلطانه فلم ترجع إليه جوابا وانصرفت إلى مكة فأنت الحجر فاستترت فيه وجعلت تقول: إنا عتبنا على عثمان في أمور سمينها له ووقفناه عليها فتاب منها واستغفر ربه فقبل المسلمون منه ولم يجدوا من ذلك بدا، فوثب عليه من إصبع من أصابع عثمان خير منه فقتله، فقتل وقد ماصوه كما يماص الثوب الرحيض وصفوه كما يصفى القلب(1).

وهذا الاطمئنان هو الذي حدا بطلحة بن عبيد الله ان يأخذ وبمجرد ان قتل عثمان مفاتيح بيت المال وأشياء أخرى وما ردها إلا بعد يأسه من صيرورة الإمارة إليه ومبايعة الناس لأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذا الصدد يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: (وروى المدائني في كتاب الجمل، قال: لما قتل عثمان، كانت عائشة بمكة، وبلغ قتله إليها وهي بشراف، فلم تشك في أن طلحة هو صاحب الأمر، وقالت: بعدا لنعتل وسحقا، إيه ذا الإصبع، إيه أبا شبل، إيه يا بن عم، لكأنى أنظر إلى إصبعة وهو يبائع له: حثوا الإبل ودعدعوها. قال: وقد كان طلحة حين قتل عثمان أخذ مفاتيح بيت المال، وأخذ نجائب كانت لعثمان في داره، ثم فسد أمره، فدفعها إلى علي بن أبي طالب عليه السلام(2).

1- انساب الأشراف للبلاذري ص 217 __ 218.

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 6 ص 215 أخبار عائشة في خروجها من مكة إلى البصرة بعد مقتل عثمان.

وسبب هذا الانقلاب فى موقف عائشة وبقية أصحاب الشورى هو تيقنهم بأن كل المساعى التى بذلوها للإطاحة بعثمان قد تبددت وصارت هواء فى شبك، وان خلافة طلحة أو احد أصحاب الثورة قد فلت زمامها من أيديهم، واستقر بيد مناوئهم ومنافسهم، ومن بذلت الجهود ولسنين مديدة فى سبيل إقصائه وبنيه عن الخلافة، وان خلافة الإمام على صلوات الله وسلامه عليه التى بانث طلائعها كانت تعنى بالنسبة إليهم رجوع الحال إلى ما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يعنى عودة أصحاب الشورى كسائر الناس وعوامهم ليس لهم فضل عليهم إلا بالتقوى.

إضافة إلى ان أصحاب الشورى وعائشة ومن لف لفهم كانوا على يقين بأن الخلافة ما دامت قد دخلت فى صف الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله وسلامه عليه فلن تخرج منه ومن أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ثانية ولا سيما بعد أن بايعه عامة الناس بكافة طوائفهم وميولهم ما يعنى ان أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه لم يعد وحده فى ساحة الصراع كسابق عهده وهو اليوم يتمتع بحماية اجتماعية وله أنصار ومريدون من جميع أطراف المملكة الإسلامية.

فنتيجة لما سبق وغيره حاول هؤلاء ضرب هذه الخلافة الجديدة والإطاحة بها وقتلها فى مهدها قبل أن يصلب عودها وتقوى شوكتها وتمتد جذورها وتثبت فروعها فيصعب عليهم حينئذ اقتلاعها، فأوقدوا نار الفتنة، وأشعلوا فتيل الحرب منذ اللحظة الأولى لخلافة سيد الوصيين وإمام المتقين صلوات الله وسلامه عليه، تلك الحرب التى انتهت بحمد الله سبحانه وتعالى بقتل رموز قادة النكث وهزيمة جيش البغى، ولم يحصلوا على مرادهم ولا وصلوا إلى غاياتهم.

عائشة بنت أبي بكر تقود تمرد الناكثين

قد تبنت عائشة بنت أبي بكر قيادة التمرد على الدولة الفتية، عائشة التي كانت تمثل رأس الحربة التي مزقت حقوق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قبل خلافة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وبعدها، عائشة التي أججت حرباً ضروساً أكلت الأخضر واليابس، عائشة التي استطاعت أن تضعف الدولة العلوية عن طريق قتل خيرة أصحاب الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وأنصاره والمدافعين عنه في حرب الجمل، والذين كان أمير المؤمنين يبني عليهم الآمال ويشد بهم أركان دولته الفتية، عائشة التي كانت بحق أعنف خصم واجهته الدولة الجديدة، لان أفعالها وأقوالها وجميع تصرفاتها كانت تؤثر في العوام والسطحيين من المسلمين، ممن أدهشتهم هالة لقب أم المؤمنين، عائشة التي بلغ تقديس البسطاء لها درجة تحير ذوى الألباب، حتى صاروا يتبركون ببول وبعر جملها الذى كانت توجه الناكثين من فوق ظهره، كما قال الطبرى: (طافت ضبة الأزدي بعائشة يوم الجمل وإذا رجال من الأزدي يأخذون بعرج الجمل فيفتونه ويشمونهم ويقولون بعرج جمل أمنا ريحه ريح المسك)⁽¹⁾ وقد استفادت عائشة من أمومتها للمؤمنين وبرعت في استغلال هذه المنزلة في قتل المؤمنين.

لكن عائشة مع كل ما كانت تتمتع به من قوة وقداسة وشعبية إلا أنها كانت ضعيفة أمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ومنزلته وقداسته في نفوس المسلمين لا سيما أولئك الذين عاصروا النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وسمعوا منه في حق أمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه ما لا يحصى من المناقب والفضائل، وهذا الأمر كان يشعر عائشة بالضعف وخفة موازينها أمام ثقل موازين أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، فهي

1- تاريخ الطبرى ج 3 ص 530 خبر وقعة الجمل من رواية أخرى، الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج 3 ص 247 ذكر مسير على إلى البصرة والوقعة.

باتت متأكدة بان حربها مع أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه تختلف عن معركتها مع عثمان ابن عفان، فهي مع عثمان بن عفان كانت تتحرك من موقع القوة والقدرة أمام ضعف عثمان وكفته الخاوية الخالية من معظم امتيازات عائشة، أما في حربها مع أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فإنها تتحرك من موقع الضعف، ولأجل الخروج من هذا الضعف ومعادلة موازين القوى بينها وبين أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه كان عليها أن تكسب تأييدات جديدة تقوى بها شرعية تحركاتها، وتتقل بها كفة الصراع، لذا حاولت وبكل ما أوتيت من قوة ودهاء جر أرجل بعض الشخصيات وإقحامها في الصراع، فنجحت في إقناع البعض وفشلت في إقناع آخرين.

فدعت كلاً من حفصة وأم سلمة زوجتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فنجحت مع حفصة لولا أن أخاها وقف بوجهها وصددها عن الخروج، فبقيت في بيتها على كره وقلبها مع عائشة في كل خطوة تخطوها، قال الطبرى: (وأرادت حفصة الخروج فأتاها عبد الله بن عمر فطلب إليها أن تقعد فقعدت وبعثت إلى عائشة أن عبد الله حال بيني وبين الخروج فقالت يغفر الله لعبد الله)(1).

لكن عائشة فشلت في استقطاب تأييد أم سلمة رضوان الله تعالى عليها المعروفة بولائها لأمر المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، قال ابن أعثم الكوفى: (وأقبلت عائشة حتى دخلت على أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وهي يومئذ بمكة، فقالت لها: يا بنت أبي أمية إنك أول ظعينة هاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت كبيرة أمهات المؤمنين وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لنا بين بيتك، وقد خبرت أن القوم استتابوا عثمان بن عفان حتى إذا تاب وثبوا عليه فقتلوه، وقد أخبرني عبد الله بن عامر أن بالبصرة مائة ألف سيف يقتل فيها بعضهم بعضاً، فهل لك أن

تسيرى بنا إلى البصرة لعل الله تبارك وتعالى أن يصلح هذا الأمر على أيدينا قال: فقالت لها أم سلمة رحمة الله عليها: يا بنت أبي بكر بدم عثمان تطلبين والله لقد كنت من أشد الناس عليه، وما كنت تسميه إلا نعثلا، فما لك ودم عثمان وعثمان رجل من عبد مناف وأنت امرأة من بنى تيم بن مرة، ويحك يا عائشة أعلى على وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرجين وقد بايعه المهاجرون والأنصار ثم جعلت أم سلمة رحمة الله عليها تذكر عائشة فضائل على رضى الله عنه وعبد الله ابن الزبير على الباب يسمع ذلك كله، فصاح بأم سلمة وقال: يا بنت أبي أمية إننا قد عرفنا عداوتك لآل الزبير، فقالت أم سلمة: والله لتوردنها ثم لا تصدرنها أنت ولا أبوك أتطمع أن يرضى المهاجرون والأنصار بأبيك الزبير وصاحبه طلحة وعلى بن أبي طالب حى وهو ولى كل مؤمن ومؤمنة فقال عبد الله بن الزبير: ما سمعنا هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة قط، فقالت أم سلمة رحمة الله عليها: إن لم تكن أنت سمعته قد سمعته خالتك عائشة وها هي فاسألها فقد سمعته صلى الله عليه وسلم يقول: على خليفتي عليكم فى حياتي ومماتي فمن عصاه فقد عصانى. أتشهدين يا عائشة بهذا أم لا فقالت عائشة: اللهم نعم قالت أم سلمة رحمة الله عليها: فاتقى الله يا عائشة فى نفسك واحذرى ما حذرك الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولا تكونى صاحبة كلاب الحوآب، ولا يغرنك الزبير وطلحة فإنهما لا يغنيان عنك من الله شيئا. قال: فخرجت عائشة من عند أم سلمة وهى حنقة عليها، ثم إنها بعثت إلى حفصة فسألته أن تخرج معها إلى البصرة، فأجابته حفصة إلى ذلك(1).

ولا يكاد يخفى سبب دعوة عائشة لكل من أم سلمة وحفصة، فإضافة إلى إفضاء الشرعية على تمردها فإنها كانت تهدف أيضا إلى إسكات المعترضين على

خروجها من بيتها تلملم الكتائب وتحضر مجالس الرجال تحرضهم ويحضر الرجال مجلسها، هاجرة لبيتها الذى قد أمرها الله سبحانه وتعالى أن تقر فيه بقوله: ((يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسَدْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)) (1).

وعلى أى الأحوال فقد استطاعت عائشة أن تجمع حولها أهل الشقاق والنفاق من أهل مكة الذين لم يستقر الإسلام فى قلوبهم يوما ولا ليلة، والذين طالما رفعوا السيف بوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وها هى اليوم تستعين بهم على قتال أخيه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، والتف حولها جمع كبير من رعاى الأمة وأعرابها الذين مردت قلوبهم على النفاق، فشقت بهم عصا المسلمين ونكثت بيعة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وسفكت دماء الآلاف من المسلمين لا لشيء إلا لان قلبها لم يكن يحب أمير المؤمنين الذى حبه إيمان وبغضه نفاق، ولان ابن عمها طلحة بن عبيد الله لم يصل إلى الكرسي كما أرادت من قبل وخططت.

القاسطون والمارقون امتداد لمسلسل التمهيد لقتلة أهل البيت

لقد كانت خلافة الإمام أمير المؤمنين مرة ثقيلة على جمع كبير من أهل الأهواء والطمع، إلا أنها كانت أمر وأثقل على آل أمية عموما وآل أبى سفيان على وجه الخصوص، لأسباب لا تخفى على القارئ اللبيب، وقد تعمد الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ومنذ اليوم الأول لبيعة الناس له بالخلافة التعامل معهم بطريقة حازمة شديدة، لعلمه صلوات الله وسلامه عليه بأن آل أمية كالخلية السرطانية فى جسد الإسلام، فإذا ما سمح لها بالبقاء فإنها ستنتعش وتتوسع وتقضى على سائر الخلايا الصالحة ثم لا تتوقف

إلى أن يموت الإسلام وتعود الأصنام على ظهر الكعبة تعبد من دون الله سبحانه وتعالى.

فقرر صلوات الله وسلامه عليه __ وهو الحق __ أن يستأصل هذا العضو الفاسد الذى جعل مال الله دولا وعباده خولا، فعزلهم عن كل ولاية كانت قد أوكلها إليهم من قبل الأمير المخلوع عثمان بن عفان، ولم يقبل مشورة المغيرة بن شعبة بإبقائهم كلهم أو إبقاء معاوية بن أبى سفيان لوحده إلى ان يتمكن من إدارة الدولة، فإذا تمكن استبدل من شاء وأبقى من شاء، وأجابه بقوله: (لا أداهن فى دينى ولا أعطى الرياء فى أمرى)(1)، لـان إبقاء عمال عثمان من آل أمية ولو ليوم واحد كان يعد فى نظر أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه إقراراً بأفعالهم ومشاركة فى ظلمهم وهو ما لا يمكن ان يصدر عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه.

واستطاع أمير المؤمنين أن يعزل جميع ولاة عثمان إلا معاوية بن أبى سفيان فانه رفض الانصياع لقرار العزل والبيعة بالخلافة، وقد ساعده على تمرده هذا قيام حرب الجمل وانشغال أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه عنه، فحاول معاوية وبأسلوبه الشيطاني المعهود أن يوجج نار الجمل أكثر فأكثر، وان يمد فى أمدها ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فأرسل إلى الزبير سرا يحرضه للخروج عن بيعة على ونكثها وقال له كما روى ذلك ابن أبى الحديد المعتزلى: (بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبى سفيان: سلام عليك، أما بعد، فإنى قد بايعت لك أهل الشام، فأجابوا واستوسقوا، كما يستوسق الجلب، فدونك الكوفة والبصرة، لا يسبقك إليها ابن أبى طالب، فإنه لا شىء بعد هذين المصرين، وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك، فأظها الطلب بدم عثمان، وادعوا الناس إلى ذلك، وليكن منكما الجد والتشمير، أظفركما الله، وخذل مناوئكما فلما وصل هذا الكتاب إلى الزبير سر به،

1- الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج3 ص197 ذكر بيعة أمير المؤمنين على بن أبى طالب.

وأعلم به طلحة وأقرأه إياه، فلم يشكا في النصح لهما من قبل معاوية، وأجمعا عند ذلك على خلاف على عليه السلام(1).

وكتب في نفس الوقت إلى طلحة ما نصه: (أما بعد، فإنك أقل قريش في قريش وترا، مع صباحة وجهك وسماحة كفك، وفصاحة لسانك. فأنت بإزاء من تقدمك في السابقة، وخامس المبشرين بالجنة، ولك يوم أحد وشرفه وفضله، فسارع رحمك الله إلى ما تقلدك الرعية من أمرها مما لا يسعك التخلف عنه، ولا يرضى الله منك إلا بالقيام به، فقد أحكمت لك الأمر قبلي، والزبير فغير متقدم عليك بفضل، وأيكما قدم صاحبه فالمقدم الإمام، والأمر من بعده للمقدم له، سلك الله بك قصد المهتدين، ووهب لك رشد الموقنين. والسلام)(2) فجعل معاوية بفعله هذا كلاً من طلحة والزبير يرى الإمارة من حقه ويتشوقها لنفسه ويعتقد بأنه المبايع له والمرغوب فيه دون صاحبه.

وقد كان معاوية بن أبي سفيان يهدف من وراء إشعال الفتنة ما يأتي:

أولاً: إشغال أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه عن المطالبة له بالبيعة والتنحي عن ملك الشام ووضع العقبات بوجهه ريثما يعد العدة لمواجهة أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه.

ثانياً: ان معاوية بن أبي سفيان لعنه الله كان يرجو ويحتمل ان يلقي على حثفه في حرب الجمل، وهذا اكبر نصر لمعاوية وبه ستتحل أصل المشكلة.

ثالثاً: قدر معاوية بن أبي سفيان وقد ساء ما قدر ان أمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه حتى لو خرج من معركة الجمل ناجياً بنفسه ولم يلق حثفه فانه

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 1 ص 231.

2- المصدر نفسه ج 10 ص 235 __ 236.

سيخرج على أقل التقادير منهكا ضعيفا منكسرا وحينها يستطيع معاوية القضاء على ما أبقتة معركة الجمل بسهولة.

لكن الرياح لم تجر بما تشتهي سفن معاوية بن أبي سفيان، فقد نصر الله أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على أعدائه، وقتل ابرز قادة التمرد، وانهزمت قائدة الجيش التي جاءت للمعركة على جمل وخرجت منها بلا جمل ولا عزة، وانصرف جيش أمير المؤمنين وقائده العظيم صلوات الله وسلامه عليه بمعنويات عالية وبخسائر اقل من المتوقع بكثير، فتيقن معاوية الطليق ابن الطليق ان أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أقوى مما كان يتوقع هو وأتباعه، وانه صلوات الله وسلامه عليه بعد حرب الجمل سيتفرغ له، وسيرغمه على التحدى، وان بعض الناس إذا كان قد دخلها الشك في قتال أصحاب الجمل لان عائشة في ضمن صفوفهم فانهم بالنسبة إلى قتاله لن يزدادوا إلا يقينا وبصيرة على يقينهم وبصيرتهم، وان أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وأفراد جيشه سوف لن يترددوا لحظة في قتله وقتل جميع من لا يرضى الانصياع للحق من أهل بيته، لذلك سعى لتحشيد كل داهية حوله ووظفهم للخلاص من سيف على وسطوته من جهة والاحتفاظ بملك الشام والارتقاء منه إلى ملك جميع بلاد المسلمين من جهة أخرى، فالتف حوله عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وبقية الناجين من حرب الجمل، وأسس حلفاء في الكوفة نظير الأشعث بن قيس وأمثاله، لان المسألة كانت بالنسبة لمعاوية بن أبي سفيان مسألة حياة أو موت.

واستمرت الكتب والمراسلات بين أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ومعاوية بن أبي سفيان وبذل الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه غاية جهده لإعادة هؤلاء القاسطين إلى رشدهم وتجنيب الأمة كارثة دموية، لكن معاوية بذل غاية مجهوده للوقوف بوجه الحق واللجاجة والعناد وعدم الرضوخ لصوت العقل والسلم، فقرر أمير المؤمنين

صلوات الله وسلامه عليه ومواجهته وسحق كبريائه واستئصال هذا العضو الفاسد.

فكانت المواجهة في صفين حيث جرت بين جيش الحق وجمع الباطل حرباً طاحنة استمرت أربعة عشر شهراً، قتل فيها والتحق بالنار تسعون ألف مقاتل من جيش معاوية، واستشهد من أصحاب أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه عشرون ألف مقاتل خمسة وعشرون منهم من الصحابة، وتفاصيل ما حدث فيها مذكورة في كتب التاريخ غير خافية، ولكن الذي يهمنا منها ان هذه الحرب الأموية التي فرضت على أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه قد كانت سبباً رئيساً في نشوء فتنة التحكيم الشهيرة، ونتيجة لهذه الفتنة ظهرت فئة جديدة على الساحة الإسلامية سموا بعد ذلك بالخوارج عليهم لعائن الله.

الخوارج الذين كانوا يمثلون انتكاسة واضحة عن الطريق المستقيم، الخوارج الذين كانوا يقرأون القرآن ولا يزيدهم ذلك الا بعدا عن الله سبحانه وتعالى لانهم لم يتعلموا من القرآن إلا الحروف، الخوارج الذين كانت جباههم سوداً من اثر السجود لكن قلوبهم خالية خاوية من خوف الله سبحانه وتعالى وحب أولياء الله، الخوارج الذين لم يستحلوا قتال أهل الشام لأنهم رفعوا القرآن على المصاحف لكنهم استحلوا ان يخوضوا معركة النهروان ضد القرآن الناطق أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، الخوارج الذين أراقوا دم أمير المؤمنين بضرية غادرة على رأسه خضبت منها شيبه لحيته المقدسة فارتكبوا بذلك أكبر فاجعة عرفتها البشرية بعد فاجعة فقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الخوارج الذين بفعلهم فقدت الأمة ثالث شخص من أشخاص أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فحققوا بذلك آمال وأحلام وأمنيات أصحاب السقيفة وأصحاب الشورى وأصحاب الجمل وصفين.

ثم تولى الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه بعد أبيه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه الخلافة، وبطريقة أوضحنا بعض تفاصيلها سابقاً(1)، واضطر صلوات الله وسلامه عليه إلى ترك منصب الخلافة الظاهرية بعد أن أصرت الأمة وللمرة الرابعة بعد حادثة السقيفة على رفض المسير خلف أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومهدت بذلك لقيام الدولة الأموية التي كان الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه أول ضحاياها، وتبعه الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه لتكون نهاية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على أيديهم الأئمة.

وبهذا التفصيل المتقدم نستطيع ان نفهم كيف سارت عملية التمهيد لقتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والتمكين من قتلهم واحداً بعد واحد، والذي بقيت آثاره إلى يوم الناس هذا، فكل دم من دماء الأئمة التسعة من ذرية الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكل دم أريق لشيعتهم ومحبيهم كان سببه وأساسه هو ذلك التمهيد السابق ذكره، والكل مشارك فيه وللكل نصيب منه ((سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتَلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُونُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (181) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)) (2).

1- فى شرح عبارة (السلام عليك يا ابن سيد الوصيين) تحت عنوان كيف اثر لقب أمير المؤمنين على استشهاد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

2- سورة آل عمران الآية رقم 181 __ 182.

بَرِّتْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ

إشارة

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

المبحث الثاني: المعنى اللغوي والاصطلاحى لهذه الفقرة الشريفة

1: بَرِّتْ

2: إِلَى اللَّهِ

3: وَإِلَيْكُمْ

4: مِنْهُمْ

المبحث الثالث: تسعة معانٍ محتملة لهذه الفقرة الشريفة

المبحث الرابع: فى علة التبرؤ من هذه الأمم السالفة الذكر

المبحث الخامس: أمن فروع الدين الولاية والبراءة أم من أصوله؟

بَرِّتْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَفِي هَذِهِ الْفَقْرَةِ الشَّرِيفَةِ مِنَ الزِّيَارَةِ مَبَاحِثٌ مَهْمَةٌ نَسْتَعْرِضُهَا فِيمَا يَأْتِي مِنَ الْكَلَامِ.

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة

وردت النصوص الشريفة عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مصرحة بالبراءة من قتلة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن أشياعهم ومن أتباعهم ومن أوليائهم وأنصارهم وفيما يأتي جملة من تلك النصوص الشريفة الدالة على صدق ما ورد في هذه الفقرة الشريفة من زيارة عاشوراء.

منها ما رواه الكفعمي قدس الله روحه في المصباح حيث قال: (في زيارة عرفة وأما زيارة ليلة عرفة ويومها وزيارة ليلة الأضحى ويومه فقل بعد الغسل والاستيذان ان كانت الزيارة من قرب: الله أكبر كبيراً والحمد لله حمداً كثيراً... سلام الله وسلام ملائكته وأنبيائه ورسله والصالحين من عباده وجميع خلقه ورحمته وبركاته على محمد وأهل بيته وعليك يا مولاي الشهيد المظلوم لعن الله قاتلك وخاذلك برئت إلى الله عز وجل منهم ومن أفعالهم وممن شايع ورضى به واشهد أنهم كفار مشركون

والله ورسوله منهم براء(1).

ومنها ما رواه العلامة المجلسي قدس الله روحه في بحار الأنوار: (عن الصادق عليه السلام قال: إذا وصلت إلى الفرات فاغتسل والبس أنظف ثوب تقدر عليه، ثم صر إلى القبر حافيا وعليك السكينة والوقار، وقف بالباب وكبر أربعاً وثلاثين تكبيرة وقل: السلام عليك يا وارث آدم فطرة الله... لعن الله قاتلك وخاذلك، برئت إلى الله عز وجل منهم ومن فعالهم، ومن شايع ورضى به، وأشهد أنهم كفار مشركون، والله ورسوله براء منهم(2).

وقد أصبحت مسألة البراءة من ظالمي أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقتلتهم وأشياعهم وأتباعهم وأوليائهم جزءاً لا يمكن ان يتجزأ من العقيدة المجمع عليها في مذهب الإمامية الإثني عشرية، حتى ان بقية أجزاء الإيمان لا تقبل من دونها ولا يستغنى عنها بسواها، وفي هذا الصدد يقول الشيخ الصدوق قدس الله روحه: (ويجب أن يتبرأ إلى الله عز وجل من الأوثان الأربعة، والإناث الأربعة، ومن جميع أشياعهم وأتباعهم، ويعتقد فيهم أنهم أعداء الله وأعداء رسوله، وأنهم شر خلق الله، ولا يتم الإقرار بجميع ما ذكرناه إلا بالتبري منهم(3).

وقال قدس الله روحه أيضاً: (واعتقادنا في البراءة أنها واجبة من الأوثان الأربعة ومن الأنداد الأربعة ومن جميع أشياعهم وأتباعهم، وأنهم شر خلق الله. ولا يتم الإقرار بالله ورسوله وبالائمة إلا بالبراءة من أعدائهم واعتقادنا في قتلة الأنبياء وقتلة الأئمة أنهم كفار مشركون مخلدون في أسفل درك من النار. ومن اعتقد فيهم غير ما ذكرناه

1- المصباح للكفعمي ص 501 __ 502 زيارة ليلة عرفة ويومها وزيارة ليلة الأضحى ويومه.

2- بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج 98 ص 230 __ 231.

3- الهداية للشيخ الصدوق ص 45 __ 46.

فليس عندنا من دين الله فى شىء(1).

فعبارة (بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَمِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَاتَّبَاعِهِمْ وَأَوْلِيَائِهِمْ) متوافقة مع النصوص الصادرة عن أهل بيت العصمة والطهارة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكذلك متوافقة مع المجمع عليه من اعتقاد للفرقة الناجية.

المبحث الثانى: المعنى اللغوى والاصطلاحى لهذه الفقرة الشريفة

1: بَرِئْتُ

وردت للبراءة معانٍ عديدة فى كتب اللغة نختار منها ما هو محتمل المراد للإمام صلوات الله وسلامه عليه ويتناسب مع أجواء زيارة عاشوراء.

الأول: بمعنى المفارقة والمباعدة والانفصال قال الشيخ الطوسى فى تفسير التبيان: (البراءة من الشىء المفارقة والمباعدة عنه: ويرى الله من الكافر: باعده عن رحمته)(2)، وقال أبو حيان الأندلسى: (تبراً: تفعل، من قولهم: برئت من الدين براءة: وهو الخلوص والانفصال والبعد)(3) وقال الجوهرى فى الصحاح: (وبارات شريكى: إذا فارقته)(4).

الثانى: وقد تأتى بمعنى إزالة الشىء وقطع كل سبب ما بينه وبين النفس، قال ابن العربى فى تفسير سورة براءة: (فيقال: برئت من الشىء أبرأ براءة فأنا منه برىء

1- الاعتقادات فى دين الإمامية للشيخ الصدوق ص 105 __ 107.

2- التبيان للشيخ الطوسى ج 1 ص 244 عند تفسير قوله سبحانه وتعالى (وإذ قال موسى لقومه) من سورة البقرة الآية 54.

3- () تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ج 1 ص 630.

4- الصحاح للجوهرى ج 1 ص 36 فصل التاء.

إذا أزلته عن نفسك وقطعت سبب ما بينه وبينك(1).

الثالث: وقد تأتي بمعنى انقطاع العصمة، قال الشيخ الطبرسي قدس الله روحه في تبيان معنى قوله سبحانه وتعالى: ((بِرَاءةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ))(2): (انقطاع للعصمة، ورفع للأمان، وخروج من العهد)(3)، وقال الرازي: (معنى البراءة انقطاع العصمة، يقال: برئت من فلان أبرأ براءة، أى انقطعت بيننا العصمة ولم يبق بيننا علقه)(4).

الرابع: وقد تأتي بمعنى التقصى عن الشيء الذى يكره مجاورته، قال الراغب الأصفهاني: (أصل البرء والبراء والتبرى: التقصى مما يكره مجاورته)(5).

2: إِلَى اللَّهِ

ولفظ الجلالة (الله) معلوم المعنى عند كل واحد من المسلمين، و (إلى) حرف جر ورد له فى اللغة ثمانية معاني(6) نختار منها ما هو محتمل المراد من قبل الإمام صلوات الله وسلامه عليه فمنها:

أولاً: لانتهاى الغاية الزمانية أو المكانية(7)، أما الزمانية فكقوله سبحانه وتعالى: ((ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ))(8)، وأما المكانية فمثل قوله تعالى: ((مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى

1- () أحكام القرآن لابن العربي ج 2 ص 446، تفسير القرطبي ج 8 ص 63، فتح القدير للشوكاني ج 2 ص 332.

2- سورة التوبة الآية رقم 1.

3- تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي ج 1 ص 7.

4- () تفسير الرازي ج 15 ص 217 عند تفسير قوله تعالى (براءة من الله ورسوله) المسألة الاولى، تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسي ج 5 ص 6 عند تفسير سورة براءة.

5- مفردات غريب القرآن للراغب الاصفهاني ص 45 كتاب الباء وما يتصل بها.

6- راجع الجنى الدانى فى حروف المعانى للحسن بن قاسم المرادى ص 385 الباب الثالث فى الثلاثى.

7- مغنى اللبيب لابن هشام الأنصارى ج 1 ص 74، الإتيان فى علوم القرآن للسيوطى ج 1 ص 444.

8- سورة البقرة الآية 187.

الَّذِي بَارَكْنَا)) (1) واستعمل لانتهاه الغاية ولكن الاعتبارية والمعنوية منها (2) دون المادية والزمانية ومنه قوله سبحانه وتعالى: ((فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) (3) فالغاية الزمانية والمكانية هنا منتفية ولا يمكن حمل (إلى) عليها لان كلاً من المكان والزمان يختصان بالمادة والله سبحانه وتعالى منزّه عن خواص المادة وأعراضها، فلا بد من حمل الغاية على ما هو معنوي غيبي.

ثانياً: وقد يكون حرف الجر (إلى) بمعنى (مع) وذلك إذا ضمنت شيئاً إلى آخر (4)، نظير قوله سبحانه وتعالى: ((قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ)) (5)، أى من أنصارى مع الله، وكقوله سبحانه وتعالى: ((فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ)) (6).

ثالثاً: وقد يكون حرف الجر (إلى) بمعنى (فى) (7) ومنه كما قيل قوله سبحانه وتعالى: ((فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ)) (8) أى هل لك فى أن تتزكى.

3: وَإِلَيْكُمْ

والواو هنا عاطفة و(إِلَيْكُمْ) معطوفة على لفظ الجلالة (الله) والمعنى برئت إلى الله سبحانه وتعالى وبرئت إليكم، وضمير الجمع فى (إِلَيْكُمْ) عائد إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين المذكورين فى الفقرات السابقة لهذه الفقرة الشريفة من الزيارة.

1- سورة الإسراء الآية 1.

2- مغنى اللبيب ابن هشام الأنصارى ج 1 ص 75، تفسير القرآن الكريم للسيد مصطفى الخمينى ج 5 ص 131.

3- سورة العنكبوت الآية 26.

4- مغنى اللبيب لابن هشام الأنصارى ج 1 ص 74، الإتيان فى علوم القرآن للسيوطى ج 1 ص 444.

5- سورة آل عمران الآية 52.

6- سورة المائدة الآية رقم 6.

7- مغنى اللبيب ابن هشام الأنصارى ج 1 ص 75.

8- سورة النازعات الآية رقم 18.

4: مِنْهُمْ

وضمير الجمع في (مِنْهُمْ) يعود إلى كل من (الأمّة التي أسست أساس الظلم والجور على أهل البيت، والأمّة التي دفعتهم عن مقامهم وأزالتهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها، والأمّة التي قتلتهم، والممهدين لهم بالتمكين من قتالهم).

وحرف الجر (مِنْ) نوعان في اللغة زائد وغير زائد، وغير الزائد ينقسم إلى أربعة عشر معنى (1)، وسنورد فيما يأتي بعض المعاني المحتملة المراد للإمام صلوات الله وسلامه عليه منها:

أولاً: لابتداء الغاية، قال الزبيدي في تاج العروس: (ومن بالكسر حرف خفض يأتي على أربعة عشر وجهاً: الأول: لابتداء الغاية... وقد يجيء لمجرد الابتداء من دون قصد الانتهاء مخصوصاً نحو أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فابتداء الاستعاذة من الشيطان مع قطع النظر عن الانتهاء غالباً) (2).

ثانياً: لتبيان الجنس: (نحو قوله سبحانه وتعالى ((فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ)) (3) وعلامتها ان يحسن جعل الذي مكانها، لان المعنى فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن ومجيئها لبيان الجنس مشهور) (4).

ثالثاً: واستعملت (من) بمعنى (الفصل وهي الداخلة على ثانی المتضادين كقوله سبحانه وتعالى ((وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ بِدَمِ الْأَمْرِ)) (5) وقوله سبحانه وتعالى ((حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْبَةَ مِنَ))

-
- 1- الجنى الدانى فى حروف المعانى للحسين بن قاسم المرادى ص 308 الباب الثانى فى الثنائى.
 - 2- () تاج العروس للزبيدي ج 18 ص 552 مادة (من) بالكسر.
 - 3- سورة الحج الآية 30.
 - 4- الجنى الدانى فى حروف المعانى للحسين بن قاسم المرادى ص 309 __ 310 الباب الثانى فى الثنائى.
 - 5- سورة البقرة الآية 220.

رابعا: واستعملت (مرادفة عن كقوله تعالى ((فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ)) (3) أى عن ذكر الله (4).

هذه هي أهم المعانى لحرف الجر (من) والتي يمكن أن يحتمل إرادتها من قبل الإمام صلوات الله وسلامه عليه وبها ينتهى هذا المبحث.

المبحث الثالث: تسعة معانٍ محتملة لهذه الفقرة الشريفة

يمكن ومن خلال المعنى اللغوى السابق ان نجد تسعة معانٍ محتملة لقول الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه (بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ) نستعرضها فيما يأتى:

المعنى الأول: إذا أخذنا بنظر الاعتبار الآتى:

ألف: البراءة بمعنى المفارقة والمباعدة والانفصال.

باء: وأخذنا حرف الجر (إلى) بمعنى انتهاء الغاية.

جيم: وأخذنا حرف الجر (من) بمعنى (عن).

فيصبح معنى (بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ) هو: (فارقت وتباعدت وانفصلت ببدنى وعقيدتى وكل ما لى من شأن من شؤون دنيائى وآخرتى عن الأمة التى أسست أساس الظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وعن الأمة التى دفعتهم عن مقامهم وأزالتهم عن مراتبهم التى رتبهم الله سبحانه وتعالى فيها، وعن الأمة التى قتلتهم

1- سورة آل عمران الآية 179.

2- تاج العروس للزبيدي ج 18 ص 555.

3- سورة الزمر الآية رقم 22.

4- تاج العروس للزبيدي ج 18 ص 555 مادة من بالكسر المعنى العاشر.

وعن الممهدين لهم بالتمكين من قتالهم، ومنتهى غايتي ومحض نيتي من مفارقتي لهؤلاء القوم وتباعدي عن هذه الأمم المنحرفة الضالة هو الله سبحانه وتعالى وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

المعنى الثاني: إذا أخذنا بنظر الاعتبار الآتى:

ألف: البراءة بمعنى إزالة الشئ وقطع كل سبب ما بينه وبين النفس.

باء: وأخذنا حرف الجر (إلى) بمعنى انتهاء الغاية.

فيصبح معنى (بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ) هو: (قطعت وأزلت عن نفسى كل سبب وطريق وعلقة مادية أو معنوية يمكن أن تربطني أو تجمع ما بينى وبين الأمة التى أسست أساس الظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وما بينى وبين الأمة التى دفعتهم عن مقامهم وأزالتهم عن مراتبهم التى رتبهم الله سبحانه وتعالى فيها، وما بينى وبين الأمة التى قتلتهم وما بينى وبين الممهدين لهم بالتمكين من قتالهم، وغايتي بل ومنتهى غايتي من قطع كل سبب وعلاقة مع هؤلاء القوم هو الله سبحانه وتعالى وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

المعنى الثالث: إذا أخذنا بنظر الاعتبار الآتى:

ألف: البراءة بمعنى التنزه عن الشئ فيقال: (برى إذا تنزه وتباعداً) (1).

باء: وأخذنا حرف الجر (إلى) بمعنى انتهاء الغاية أو المعية.

فيصبح معنى (بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ) هو: (تنزهت وتكرمت وتعاليت عن ان أكون مؤسساً لظلم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أو مشاركا، ولأشخاصهم المقدسة قاتلا، وعن مراتبهم ومقاماتهم الشريفة المنيفة دافعا ومزيلا، ولقاتليهم ممهدا

ومعينا، تنزهت منهم ومن أفعالهم وأقوالهم وجرائرهم وجرائمهم، وكل ما صدر عنهم وكان له دخل في تأسيس الظلم على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أو دفعهم أو قتلهم أو التمهيد لقتلهم، وغايتي في تنزهي عن كل ذلك هو الله سبحانه وتعالى وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

وإذا اتضح لنا ان معنى التنزه هو تكريم النفس عن الشائئات(1) فتكون الزيارة الشريفة بصدد إثبات حقيقتين:

الأولى: ان هذه الأفعال التي قام بها هؤلاء المؤسسون والدافعون لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والغاصبون لحقوقهم ومراتبهم والقاتلون لهم والممهدون لقتالهم، هي أفعال مشينة معيبة يجب على المؤمن التنزه والتباعد عنها وعن أمثالها.

والثانية: إن هذه الأفعال المشينة لا تأتي جزافاً ولا تصدر إلا ممن خبثت سريرته وكان باطنه مشيناً مثل ظاهره، وان ظهور تلك الأفعال المشينة يكشف عن بواطن أولئك المؤسسين والدافعين والقاتلين والممهدين لقتال أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ويدل على أن بواطنهم أيضاً مشينة، فيجب على المؤمن أن ينزه داخله وباطنه من أن يكون هكذا.

وتصريح الزائر بالبراءة منهم هو إعلان منه بأنه طاهر الفعل والقصد تجاه أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتجاه مقاماتهم ومراتبهم، وانه طاهر النفس عن كل وليجة دونهم.

المعنى الرابع: وإذا أخذنا بنظر الاعتبار إجماع المسلمين على ان الله سبحانه وتعالى فرض على عباده المؤمنين عداوة أعدائه وولاية أوليائه فقال سبحانه وتعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

1- لسان العرب لابن منظور ج12 ص512 فصل الكاف.

لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (1)، وقال سبحانه وتعالى أيضا: ((لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) (2).

فيصبح معنى (بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ) هو: (إن براءتى لهؤلاء المؤسسين والدافعين لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن مقاماتهم ومراتبهم، وقاتليهم والممهدين لغيرهم من قتالهم، هى فى الله ولله سبحانه وتعالى، وفى أهل البيت ولأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهى تطبيق عملى لقاعدة الحب والبغض فى الله سبحانه وتعالى، والتزام عملى بتعاليم القرآن الكريم الذى اوجب على أهل الإيمان أن يتبرؤوا ممن حاد الله سبحانه وتعالى واستجلب غضب الله سبحانه وتعالى بمحاربة أوليائه).

المعنى الخامس: وإذا أخذنا فى نظر الاعتبار ما يأتى:

ألف: البراءة معنى الإعذار والإنذار (3).

باء: وفهمنا من الإعذار والإنذار معنى البلاغ والإعلان (4).

فيصبح المعنى: (إعلان وبلاغ من قبل الزائر إلى الله سبحانه وتعالى بأنه برىء من هؤلاء الذين تم لعنهم سابقا. وإن الزائر فى نفس الوقت يعلن لأولئك الملعونين

1- سورة الممتحنة الآية رقم 13.

2- سورة المجادلة الآية رقم 22.

3- لسان العرب لابن منظور ج 1 ص 33 فصل الباء الموحدة.

4- () هذا المعنى مأخوذ من تفسير قوله تعالى ((بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) وقد فسرت بمعنى بلاغا كائنا من الله أو بلاغا من الله (راجع: تفسير جامع الجوامع للشيخ الطبرسى ج 3 ص 658، وتفسير الرازى ج 30 ص 165، تفسير الألوسى ج 29 ص 94).

ويبلغهم بأنه ليس منهم، وان العهود والأسباب والعلائق ما بينه وبينهم منقطعة، وانه منذر لهم من مغبة ظلمهم لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقتلهم، وانه حرب لهم بسبب قطعهم لعهود الله سبحانه وتعالى، وان هذه الحرب والمفارقة والرفض ليست مخبئة مكتومة في نفس الزائر، كما يكتف الخائف والجبان ما في نفسه، بل هو موقف صريح معلن، إذ ان النصر لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والرفض لمخالفهم وظالمهم وقاتليهم مما لا يستحي منه يخفيه الزائر الموالى، وان القاتل والظالم والممهد لقتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هو من يلزمه الاستحياء والخوف من فعله وموقفه، لأنه من المواقف المشينة التي يتكرم الإنسان المؤمن عن الاتصاف بها).

المعنى السادس: وإذا أخذنا حرف الجر (من) بمعنى ابتداء الغاية من دون قصد الانتهاء، فيكون معنى (بَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ) هو: (ان ابتداء براءتى منهم مع قطع النظر عن الانتهاء لان براءتى لا تتوقف عند هؤلاء البتة، بل سيكون لها استمرارية ودوام لكل من يتصف بأوصافهم ويفعل أفعالهم).

المعنى السابع: وإذا أخذنا حرف الجر (من) بمعنى تبيان الجنس فيكون قصد الزيارة هو: (برئت إلى الله واليكم من الأمة لكن لا مطلق الأمة بل من الأمة التي أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن الأمة التي دفعتهم عن مقاماتهم وأزالتهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها، ومن الأمة التي قتلتهم ومهدت لقتالهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

المعنى الثامن: وإذا أخذنا من حرف الجر (من) معنى الفصل، وهى الداخلة على ثانى المتضادين فيكون قصد الزيارة هو تبيان ان هنالك طرفين متضادين، الأول هو الله سبحانه وتعالى وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والثانى هم كل من الأمة التي أسست أساس الظلم والجور على أهل البيت والأمة التي دفعتهم عن مقامهم وأزالتهم عن

مراتبهم التي رتبهم الله فيها، والأمة التي قتلهم ومهدت ومكنت الآخرين من قتالهم، ولا بد وحسب القاعدة العقلية أن يتولى الزائر أحد هذين الطرفين، فإذا تولى أحدهما لزم وبحسب الفرض العقلي ان يتبرأ من الطرف الآخر، لأنهما شيان متضادان والمتضادان لا يجوز اجتماعهما في مكان واحد وفي وقت واحد، قال سبحانه وتعالى ((لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) (1).

المعنى التاسع: وإذا أخذنا بنظر الاعتبار الآتي:

ألف: أخذنا في البراءة معنى الانفصال عن الشيء.

باء: وأخذنا حرف الجر (من) بمعنى (عن).

جيم: وأخذنا في نظر الاعتبار تلك الروايات التي تحدثت عن الطينة التي خلق الله سبحانه منها الناس وكيف فصل بين طيبتها وخبثتها بحسب الولاء والبغض لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (2).

1- سورة المجادلة الآية رقم 22.

2- جاء في كتاب الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 389: (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله خلقنا من عليين وخلق أرواحنا من فوق ذلك وخلق أرواح شيعتنا من عليين وخلق أجسادهم من دون ذلك، فمن أجل ذلك القرابة بيننا وبينهم وقلوبهم تحن إلينا). وعن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (إن الله خلقنا من أعلى عليين وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا، وخلق أبدانهم من دون ذلك ، فقلوبهم تهوى إلينا، لأنها خلقت مما خلقنا، ثم تلا هذه الآية: ((كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا عَلَيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ)) وخلق عدونا من سجين وخلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه، وأبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوى إليهم، لأنها خلقت مما خلقوا منه، ثم تلا هذه الآية: ((كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِّينَ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَجِّينُ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ)).

فيصبح المعنى كالتالى: (انفصلت طينتى التى خلقت منها عند الله فى ابتداء خلق هذا العالم عن طينة هؤلاء الذين قد تم لعنهم فيما سبق وبسبب هذا الانفصال حن قلبى إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فلم أصبح لظلمهم مؤسسا ولا لمقاماتهم منكرا ولا لهم عن منازلهم دافعا ولا للغير فى سبيل قتلهم ممهدا ولا لإراقة دمائهم وإزهاق نفوسهم القدسية ممكنا).

ولا يخفى ان هذا المعنى يستبطن استذكار هذه النعمة الجليلة والمنة العظيمة من قبل الزائر والتى تستدعى الشكر للمنعم والشعور بالعطف الإلهى لأتباع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ويمكن للقارئ أن يجد معانى أخرى لهذه الفقرة من الزيارة فيما لو ضم معنى لغويًا إلى معنى آخر بالطريقة التى اتبعناها فى شرح هذه الفقرة الشريفة من الزيارة.

المبحث الرابع: فى علة التبرؤ من هذه الأمم السالفة الذكر

إشارة

لما استعرضت الزيارة فى الفقرات السابقة أحوال الذين قد تم لعنهم، وعرفت الزائر كثيرا من جرائمهم وجرائمهم، صار من اللازم تحديد وتبيان الموقف الشرعى الذى لا بد أن يتخذ تجاههم، فصاغت الزيارة هذا الموقف بقالب البراءة والرفض لأشخاص وأفعال أولئك الملعونين، وهذا التبرؤ ورفع الأمان والخروج عن العهود والمواثيق بين الزائر وبين هؤلاء الملعونين لم يكن رفعا جزافيا وإبطالا لغويا من دون سبب يبيحه، وداع يوجبه، ونحن فيما يأتى نستعرض جملة من الأسباب التى جوزت للزائر التبرؤ والخروج عن العهود والمواثيق ورفع الأمان ما بينه وبينهم:

السبب الأول: لخيانتهم والخائن يجوز نقض عهده والتبرؤ منه

إن الله سبحانه وتعالى قد أجاز التبرؤ ونقض عهد الذين يخاف منهم الخيانة قال تعالى ((وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ)) (1)، وأولئك الذين أسسوا أساس الظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والذين دفعوهم عن مقاماتهم ومنازلهم، والذين قتلوهم ومهدوا لقتلهم، لا يخاف منهم الخيانة فحسب بل ان هذه الخيانة قد وقعت منهم فعلا، فجواز النقض في موردهم واضح لا شك في جوازه.

وقد عرفنا في المباحث السابقة ان الله سبحانه وتعالى قد أخذ على الناس ميثاق المحبة والنصرة والدفاع والحفاظ على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتقديمهم على غيرهم في كل الأمور صغيرها وكبيرها، وعليه يصبح قتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتقديم غيرهم عليهم وتأخيرهم وإبعادهم عن مراتبهم وإزالتهم عن منازلهم هو نقضاً لذلك العهد وتبرؤاً من الميثاق، والناقض للعهد ليس له جزاء إلا نقض بنقضاً، والمتبرئ من الميثاق لا يقابل إلا بالبراءة منه.

السبب الثاني : وجب التبرؤ منهم لان الله سبحانه وتعالى قد تبرأ منهم

كتب الله سبحانه وتعالى على نفسه أن لا يظلم من الخلق أحداً، قال سبحانه وتعالى ((وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ)) (2) وقال سبحانه وتعالى أيضا ((وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ)) (3) وكتب على عباده ان لا يظلم بعضهم بعضاً، وكتب ان من يتلبس بشيء من الظلم يحكم عليه بالبعد عن

1- سورة الأنفال الآية 58.

2- سورة آل عمران الآية 108.

3- سورة غافر الآية 31.

الرحمة والسخط ما دام مقيماً على ظلمه قال سبحانه وتعالى ((وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)) (1) فيكون الله سبحانه وتعالى بذلك بريئاً من ظلم من ظلم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وعدوان من اعتدى عليهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، منتزهاً عن ان يكون قد أمر به أو رضيه تعالى عن ظلم أوليائه وأصفيائه بل وسائر عباده.

ومن تبرأ منه الله سبحانه وتعالى جاز للعباد التبرؤ منه تخلقاً بأخلاق الله سبحانه وتعالى، وتطبيقاً لآيات القرآن الكريم الذى أوجب على المؤمنين ان يتخذوا الموقف ذاته الذى يتخذه الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تجاه الظالمين والمفسدين والمحاربين والمؤذنين لله سبحانه وتعالى ولرسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قال سبحانه وتعالى ((لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ)) (2) وكذلك عملاً بأقوال أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين القاضية بوجوب ان يتبرأ المؤمن من كل من يتبرأ الله سبحانه وتعالى منه والى هذا المعنى يشير الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (اللهم انى أشهدك بالولاية لمن واليت ووالته رسلك واشهد بالبراءة ممن برئت منه وبرئت منه رسلك ...) (3).

السبب الثالث: وجبت البراءة لتبرؤ النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم

أوجب الله سبحانه وتعالى على نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يجامل أهل الظلم والجور والعصيان وان لا يداهنهم فيطمع الذى فى قلبه مرض منهم، وان يقف منهم موقف الحزم والجد والقوة، وان يعلن وعلى رؤوس الأشهاد انه برىء من ظلم كل ظالم، وعصيان كل عاص، حتى لا يحتسب ظلمهم وعصيانهم على

1- سورة ال عمران الآية رقم 57.

2- سورة المجادلة الآية رقم 22.

3- كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص 362، بحار الأنوار للمجلسي ج 97 ص 301.

الشريعة الإسلامية الآمرة بالقسط والعدل والإحسان والمنزهة مشرعها ومبلغها عن ظلم الظالمين وعصيان العاصين فقال سبحانه وتعالى مخاطباً رسوله الأكرم ونبيه الأَعْظَم صلى الله عليه وآله وسلم ((فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ)) (1) وقد تكرر ذكر ان أعظم مصاديق الظلم والعصيان لأوامر الشريعة هو القتل وإراقة الدماء التي أمر الله بحفظها، وأبجح القتل وأعظمه هو قتل الأنبياء والأوصياء والأنمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيكون داخل في العصيان الذي أعلن القرآن براءة النبي الأعظم منه ومن فاعله والمتلبس به.

وكذلك يدخل في باب معصية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كل من أسس أساس الظلم والجور على أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكل من دفعهم عن مقامهم ومنازلهم التي جعلها الله سبحانه وتعالى لهم خاصة دون العالمين، وكل من مهد لقتلهم وقتالهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد سمعت الأمة من نبيها الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ولسنين طويلة تأييده المطلق وتقديمه وإحاطته بالرعاية والحفظ والشفقة لأهل بيته الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فيكون عمل الأمة على خلاف منهج نبيها صلى الله عليه وآله وسلم في أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومخالفة وصيته فيهم من أوضح مصاديق العصيان لأوامر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فيكون دخوله في قوله سبحانه وتعالى ((فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ)) (2) ما لا شك فيه ولا ريب.

ومن برئ منه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجب على المؤمنين التبرؤ منه امتثالاً - لقوله سبحانه وتعالى ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)) (3).

1- سورة الشعراء الآية 216.

2- سورة الشعراء الآية 216.

3- سورة الأحزاب الآية 21.

السبب الرابع: تجب البراءة منهم بقطع النظر عن كل دليل قرآني أو روائي

ان البراءة من مؤسسى الظلم لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والدافعين لهم عن مقاماتهم ومنازلهم ومراتبهم التى رتبهم الله سبحانه وتعالى فيها، وقتلتهم والممهدين لقتلهم وقتالهم، وجبت لان أفعالهم الشائنة ضد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بحد ذاتها وبقطع النظر عن رأى الشارع المقدس تستحق بل ويجب أن يتبرأ منها، فقد ثبت فى محله ان كلاً من الحسن والقبح عقليان، فالعقل يحكم وبغض النظر عن رأى الشرع ونصوصه على حسن الصدق وقبح الكذب وحسن رد الوديعة وقبح خيانة الأمانة، وحسن حفظ النفس المتصرفة بالخير والصلاح وقبح إزهاقها، وحسن رعاية العهود والمواثيق وقبح نقضها، وحسن الرعاية لأهل الكمال والفضل وقبح التخطيط لقتلهم وقتالهم واستبدالهم بالأشرار، ومن كابر فى قبول ذلك فقد أنكر عقله وغالط فطرته السليمة.

ولا- يشك ذو عقل مستقيم وفطرة سليمة ان قتل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بوصفهم من أهل الفضل والكمال والصلاح هو من أوضح مصاديق القبح، وكذلك يقبح عند ذوى العقول والألباب دفع أهل الحق عن حقهم، والتمهيد للأشرار فى سبيل قتل الأخيار، وتأسيس الظلم والجور على أهل الصلاح والخير، وإذا ثبت قبح كل ذلك وجب التنزه عنه، والتكريم والترفع والبراءة منه، وعدم التنزه والترفع عن القبيح بعد معرفته قبيح عقلاً.

السبب الخامس: تجب البراءة لأنهم نواصب

ترددت كلمات الأعلام فى تعريف الناصبى إلى معنيين، الأول هو: الذى ينصب العداوة لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أو لأحدهم ويدين ببغضهم ويستحل

دماءهم ويكره ذكر فضائلهم.

والمعنى الثانى هو: الذى يلحق الضرر بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشيعتهم ومحبيهم بسبب حبهم لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وفى هذا الصدد يقول الشهيد الثانى قدس الله روحه: (والمراد به من نصب العداوة لأهل البيت عليهم السلام أو لأحدهم وأظهر البغضاء لهم صريحا أو لزوما ككراهة ذكرهم ونشر فضائلهم والإعراض عن مناقبهم من حيث إنها مناقبهم والعداوة لمحبيهم بسبب محبتهم، وروى الصدوق ابن بابويه عن عبد الله بن سنان عن الصادق عليه السلام قال: «ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت لأنك لا تجد أحدا يقول أنا أبغض محمدا وآل محمد ولكن الناصب من نصب لكم وهو يعلم أنكم تتولونا وأنكم من شيعتنا» (1).

ويقول المحقق المتبحر محمد أمين الأسترآبادى قدس الله روحه: (وقعت مشاجرة عظيمة من غير فيصل بين المتأخرين من أصحابنا فى تحقيق معنى الناصبى، فزعم بعضهم أن المراد به: من نصب العداوة لأهل البيت عليهم السلام. وذهب بعضهم إلى أن المراد به من نصب العداوة لمذهب الإمامية. وفى الأحاديث تصريحات بالثانى (2). ومن قال بالأول كان قليل البضاعة فى أحاديثنا الواردة فى الأصولين. ومن الأحاديث الصريحة فيما اخترناه ما نقله الشيخ الصدوق فى كتاب العلل حيث قال:... عن عبد الله بن سنان، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت، لأنك لا تجد رجلا يقول: أنا أبغض محمدا وآل محمد، ولكن الناصب من نصب لكم وهو يعلم أنكم تتولونا وأنكم من شيعتنا... (3).

1- روض الجنان للشهيد الثانى ص 157 حكم أسأر الحيوانات.

2- أى بالذى ينصب العداوة لمذهب الإمامية بشكل عام.

3- الفوائد المدنية والشواهد المكية لمحمد أمين الأسترآبادى ص 451 __ 452 تحقيق معنى الناصبى.

ولسنا فى هذه الصفحات بصدد ترجيح احد الأطراف على الطرف الآخر، بل لتبيان ان أى معنى من معانى النصب أخذنا به فانه يشمل وبوضوح كل من أسس أساس الظلم والجور على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكذلك يشمل كل من دفعهم وأزالهم عن مراتبهم التى رتبهم الله فيها، وكل من قتلهم ومهد لقتلهم.

والناصبى كافر بإجماع أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وعلماء المذهب الحق وشيعتهم، والكافر يجب البراءة منه ويحرم على المؤمن مودته وولايته لقوله سبحانه وتعالى: ((لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ)) (1)، ولقوله سبحانه وتعالى: ((الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِيتُّنَا أَنْ نَكُونَ مِنْكُمْ عِدَّةً فَإِنَّ الْعِدَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا)) (2)، ولقوله: سبحانه وتعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا)) (3)، ولقول الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه فى عمل يوم الغدير: (برئت إلى الله من كل من نصب لهم (4) حربا من الجن والإنس من الأولين والآخرين) (5).

السبب السادس: تجب البراءة منهم حتى لا يشاركهم فى أفعالهم

وتجب على المؤمن البراءة من كل من مر لعنه فى الفقرات السابقة للزيارة حتى لا - تلحقه جرائمهم ولا - يشاركهم فى ظلمهم فتشمله عقوبتهم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من أحب قوما حشر معهم، ومن أحب عمل قوم أشرك فى عملهم) (6) ولقوله

1- سورة آل عمران الآية ٢٨.

2- سورة النساء الآية 139.

3- سورة النساء الآية ١٤٤.

4- أى لأهل البيت عليهم السلام.

5- إقبال الأعمال للسيد ابن طاوس ج 2 ص 278، بحار الأنوار للمجلسي ج 95 ص 299.

6- () بحار الأنوار للمجلسي ج 65 ص 131، جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردى ج 13 ص 426.

صلى الله عليه وآله وسلم: (من عمل بالمعاصي بين ظهرائي قوم هو منهم لم يمنعوه من ذلك حتى يغيروا المنكر فقد برئت منهم ذمة الله)(1).

والبراءة نوع من أنواع الإعراض والنهر والرفض لأشخاص وأعمال هؤلاء الملعونين وهو راجح شرعا بل هو واجب فعن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (من اعرض عن صاحب بدعة بغضا له ملاً الله قلبه أمنا وإيمانا ومن انتهر صاحب بدعة آمنه الله يوم الفرع الأكبر ومن أهان صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة ومن سلم على صاحب بدعة أو لقيه بالبشر واستقبله بما يسره فقد استخف بما انزل الله على محمد)(2).

وعن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدى فأظهروا البراءة منهم...)(3).

والبراءة وعدم تولى أعداء الله سبحانه وتعالى والتنزه عن جرائمهم وجرائرهم بهدف أن لا يشمل بالسخط معهم ويعمه الغضب والعذاب لأجل الرضا بفعالهم هي قاعدة قرآنية أمر الله سبحانه وتعالى عباده باتباعها وتطبيقها بقوله ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ))(4).

وقال سبحانه وتعالى أيضا ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا))(5).

1- المعجم الكبير للطبراني ج 8 ص 186، مسند الشاميين للطبراني ج 1 ص 302، كنز العمال للمتقى الهندي ج 3 ص 83.

2- كنز العمال للمتقى الهندي ج 3 ص 82.

3- الكافي للشيخ الكليني ج 2 ص 375، بحار الأنوار للمجلسي ج 71 ص 202.

4- سورة المائدة الآية رقم 51.

5- سورة النساء الآية رقم 144.

وقال سبحانه ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)) (1).

وقال سبحانه وتعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)) (2).

وتوجد أدلة أخرى تركناها خوف الإطالة والخروج عن حد الاعتدال، وفيما ذكر في هذا المبحث كفاية لمن تدبر.

المبحث الخامس: أمن فروع الدين والولاية والبراءة أم من أصوله؟

هل توجد ضابطة لتمييز أصول الدين من فروعه؟

إشارة

لم نجد فيما تتبعناه ضابطة منطقية أو عقلية منصوصة ومتفقاً عليها يمكن أن يعول عليها في التفريق ما بين أصول الدين وفروعه، اللهم إلا بعض الأمور التي ذكرت هنا وهناك والتي ربما يمكن الرجوع إليها لتحديد المائز ما بين أصول الدين وفروعه، وسنذكر فيما يأتي بعض ما يمكن ان يكون فارقا ومانزا وعليها سنعمل في مسألة تصنيف البراءة والولاية تحت مسائل أصول الدين أو فروعه.

أولاً: الأصول هي الأسس الفكرية العقائدية والفروع هي السلوكيات الشرعية

فقد يكون معنى الأصول هي تلك الأسس الفكرية والعقائدية للدين الإسلامي، فكل الأمور التي ترتبط بعقيدة الإنسان وسلوكه الفكرى تدخل في

1- سورة التوبة الآية رقم 23.

2- سورة الممتحنة الآية رقم 1.

مسائل أصول الدين، أما فروع الدين فهي تلك الأحكام والمسائل التي شُرِّعت لتوجيه سلوك الإنسان العملى والعبادى وتنظيم حياته الفردية والاجتماعية وإرشاده إلى ما فيه خيره وصلاحه.

ثانياً: الأصل هو الذى ان فقد لم يبق للبناء وجود والفرع بعكسه

وقد يكون معنى أصول الدين مأخوذة من أصل البناء والأساس الذى ان فقد لم يبق للبناء وجود، أما الفروع فهي بقية البناء الذى يعتمد فى وجوده على وجود تلك الأصول، فالصلاة بكل أحكامها وتفريعاتها وأفعالها تعتمد على أصل النبوة وكذلك الحال بالنسبة للصيام والحج والعمرة والجهاد وغيره، فلولا وجود النبى والنبوة لما وجد عندنا أمر بالصلاة وغيرها، والذى يستتبع بدوره وجود أحكام ومسائل تشرح وتفصل للمكلف كل ما يتعلق بهذا الأمر الإلهى.

ولنفس الأصول توجد أصول ترجع إليها، فالإمامة مثلاً وان كانت أصلاً من أصول الدين إلا أنها متفرعة من أصل آخر هو النبوة، وكذلك النبوة وان كانت أصلاً من الأصول إلا أنها متفرعة من أصل وجود خالق للكون عادل حكيم، فلولا وجود الله سبحانه لما وجدت النبوة ولولا النبوة لما وجدت الإمامة، ولولا الكل لما وجد المعاد، فيتلخص مما مر ان للفروع أصولاً ترجع إليها كما ان لنفس الأصول أصولاً تتفرع عنها.

ثالثاً: الأصول هى التى يستدل على أصل وجودها بالعقل أما الفروع فتثبت بالأدلة الشرعية

وربما اخذ فى أصول الدين قيد ان يكون الدليل الدال على أصل وجودها دليلاً عقلياً وليس شرعياً، على اعتبار ان الأدلة الشرعية متأخرة فى الرتبة الوجودية عن

الأصول الاعتقادية، فالدليل القرآني أو الروائي متفرع عن أصل النبوة أو الإمامة، فلا يمكن ان يستدل به على إثبات النبوة، أو التوحيد، أو العدل، للزوم الدور في ذلك(1)، فلا بد من اعتماد الأدلة العقلية في إثبات الأصول الاعتقادية، ويكون الاستفادة من الدليل الروائي للتأييد أو لإثبات تفرعات ذلك الأصل، كإثبات كثير من مسائل المعاد، فأصل المعاد وان كان قد دل العقل عليه إلا أن كثيرا من تفرعاته وتفصيلاته ثبتت بالدليل النقلى، كوجود الصراط والميزان والشفاعة وغير ذلك، وثبوتها بالدليل النقلى لا يخرجها عن كونها من مسائل أصول الدين.

أما فروع الدين فغير مأخوذ فيها قيد أن يكون الدليل الدال على ثبوتها دليلا عقليا، وعليه فيمكن أن يثبت الفروع بالدليل العقلى والنقلى القطعى أو الظنى على تفصيل مذكور فى محله.

هل تنطبق الشروط السابقة على مسألة الولاية والبراءة؟

إشارة

يمكن لنا ان نجد ثلاثة معان للولاية والبراءة من حيث سعة أو ضيق ما يندرج تحتها من مصاديق:

الأول: الولاية والبراءة بمعناها العام

وبملاحظة ما تقدم يمكن ان نعدّ مسألة البراءة والولاية بمعناها العام مسألة من مسائل أصول الدين لدخولها فى ضمن أصول الدين المجمع على أصوليتها، فالتوحيد لا يتم ما لم يتبرأ المؤمن من كل شريك لله سبحانه وتعالى فى الوجود أو التصرف أو العبادة،

1- يمكن تصوير الدور بهذه الصورة، فإثبات النبوة متوقف على الدليل الروائي، وإثبات الدليل الروائي متوقف على النبوة، فيتوقف إثبات النبوة على إثبات النبوة، وتوقف الشيء على نفسه دور صريح.

قال سبحانه وتعالى ((أَنتُمْ لَشَهِدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ))⁽¹⁾، بل ان شهادة التوحيد (أشهد ان لا اله الا الله) هي عبارة عن شقين شق براءة وشق ولاية، ولا يتم هذا الأصل من أصول الدين إلا بهما، فلا تردد حينئذ من دخولهما _ الولاية والبراءة _ في جملة مسائل أصل التوحيد، بل هما جوهر هذا الأصل ولبه، وكذلك أصل النبوة والإمامة والمعاد لا يتم ولا يكتمل الاعتقاد به إلا بتفعيل مسألة الولاية والبراءة.

الثاني والثالث: الولاية بمعناها الخاص والأخص

أما البراءة والولاية بمعناها الخاص القاضى بولاية عموم أولياء الله سبحانه وتعالى والبراءة من عموم أعداء الله سبحانه وتعالى، أو الولاية بمعناها الأخص والقاضى بولاية أولياء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والبراءة من أعدائهم، فإنها وبلا أدنى شك جزء لا يتجزأ من أصلى النبوة والإمامة، وقد وردت أقوال الأعلام رضوان الله تعالى عليهم صحيحة صريحة بان جميع الأصول الاعتقادية لا تتم إلا بالتولى والتبرى، وفي هذا الصدد يقول الشيخ الصدوق قدس الله روحه: (ولا- يتم الإقرار بالله وبرسوله وبالأنمة إلا- بالبراءة من أعدائهم)⁽²⁾ وما لا يتم الأصل إلا به فهو أصل أيضا.

الدليل العقلى يثبت ضرورة الاعتقاد بمسألتي الولاية والبراءة

ذكرنا فيما سبق ان أصول الدين مأخوذ فيها قيد ان يكون الدليل الدال على أصل وجودها دليلا عقليا وليس شرعيا، ومسألتي الولاية والبراءة، تدخلان فى ضمن هذا القانون، وقد تقدم فى المبحث الرابع وفى ضمن السبب الرابع من أسباب البراءة

1- سورة الأنعام الآية رقم 19.

2- الاعتقادات فى دين الإمامية للشيخ الصدوق ص 105 __ 107.

من الأمم التي لعنت في فقرات زيارة عاشوراء، أن العقل ومن دون الاعتماد على أى دليل شرعى يستقل بالحكم على لزوم تولى الصالحين والتبرؤ من الطالحين، أو وجوب تولى الحق وأهله، والبراءة من الباطل وأهله، وما دل على وجوب ذلك من الأدلة الشرعية يكون مؤيدا ومنطبقا مع حكم العقل وأدلتها.

القرآن صَفَّ الولاية والبراءة من أجزاء الإيمان والإيمان يتعلق بالأصول

تقدم فيما سبق ان إحدى الفوارق التي على أساسها يمكن التمييز بين أصول الدين وفروعه هي ان الأصول عبارة عن تلك الأسس الفكرية والعقائدية للدين الإسلامى، فكل الأمور التي ترتبط بعقيدة الإنسان وسلوكه الفكرى تدخل فى مسائل أصول الدين، والقرآن الكريم فى آياته المباركة جعل الولاية والبراءة جزءاً من أجزاء الإيمان، وبين وبكل وضوح ان الإيمان الذى لا ترافقه البراءة والولاية إيمان ناقص بل إيمان لا يعتد به قال سبحانه وتعالى ((لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ)) (1).

وقال سبحانه وتعالى ((وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا لَهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)) (2).

الأحاديث الشريفة جعلت الولاية والبراءة من دعائم الإسلام

تقدم ان معنى أصول الدين مأخوذ من أصل البناء والأساس الذى إن فقد لم يبق للبناء وجود، والأحاديث الشريفة عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين جعلت مسألة البراءة والولاية من دعائم الإسلام وقرنها بالشهادة لله سبحانه وتعالى بالوحدانية وللنبي

1- سورة المجادلة الآية رقم 22.

2- سورة المائدة الآية رقم 81.

صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة وللإمامة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالإمامة، فعن عيسى بن السرى قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: حدثني عما بنيت عليه دعائم الإسلام إذا أنا أخذت بها زكى عملى ولم يضرني جهل ما جهلت بعده، فقال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله، والإقرار بما جاء به من عند الله وحق فى الأموال من الزكاة(1)، والولاية التى أمر الله عز وجل بها ولاية آل محمد صلى الله عليه وآله، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، قال الله عز وجل: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» فكان على عليه السلام، ثم صار من بعده حسن ثم من بعده حسين ثم من بعده على بن الحسين، ثم من بعده محمد بن على، ثم هكذا يكون الأمر، إن الأرض لا تصلح إلا بإمام ومن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية وأحوج ما يكون أحدكم إلى معرفته إذا بلغت نفسه ههنا قال: وأهوى بيده إلى صدره يقول حينئذ: لقد كنت على أمر حسن(2).

وعن إسماعيل الجعفى قال: (سألت أبا جعفر عليه السلام عن الدين الذى لا يسع العباد جهله، فقال: الدين واسع ولكن الخوارج ضيقوا على أنفسهم من جهلهم، قلت: جعلت فداك فأحدثك بدينى الذى أنا عليه؟ فقال: بلى، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله والإقرار بما جاء من عند الله وأتولاكم وأبرأ من عدوكم ومن ركب رقابكم وتأمركم عليكم وظلمكم حركم، فقال: ما جهلت شيئا هو والله الذى نحن عليه، قلت: فهل سلم أحد لا يعرف هذا الأمر؟ فقال: لا إلا المستضعفين، قلت من هم؟ قال: نساؤكم وأولادكم(3).

1- لعل المقصود من الزكاة هنا هو أصل الاعتقاد بها لا أدائها الذى هو من الفروع.

2- الكافى للشيخ الكلينى ج 2 ص 21 باب دعائم الإسلام الحديث رقم 9.

3- المصدر السابق ص 405 باب المستضعف الحديث رقم 6.

قال الشيخ الأنصارى قدس الله روحه بعد ذكر هذا الحديث: (فإن في قوله عليه السلام «ما جهلت شيئاً» دلالة واضحة على عدم اعتبار الزائد في أصل الدين)(1) وكلامه قدس الله روحه صريح في إدراج كل واحد من الأمور التي ذكرت في الرواية في ضمن أصول الدين، والولاية والبراءة منها فيشمليهما حكمه السابق قدس الله روحه.

تصريح جملة من العلماء بكون الولاية والبراءة من مسائل أصول الدين

ويدل على كون البراءة والتولي من مسائل أصول الدين لا فروعه إضافة إلى قول الشيخ الأنصارى قدس الله روحه والذي تقدم كلامه آنفاً، ما صرح به العلامة المجلسي قدس الله روحه عند تعليقه على الرواية التالية: (عن الفضيل بن يسار قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحب والبغض أمن الإيمان هو فقال: وهل الإيمان إلا الحب والبغض، ثم تلا هذه الآية ((وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)) (2).

قال العلامة المجلسي قدس الله روحه : (تبيان: «عن الحب والبغض» أي حب الأئمة عليهم السلام وبغض أعدائهم أو الأعم منهما ومن حب المؤمنين والطاعة، وبغض المخالفين والمعصية، والغرض من السؤال إما استعلام أن الاعتقاد بإمامة الأئمة عليهم السلام ومحبتهم، والتبري عن أعدائهم هل هما من أجزاء الإيمان وأصول الدين كما هو مذهب الإمامية؟ أو من فروع الدين والواجبات الخارجة عن حقيقة الإيمان كما ذهب إليه المخالفون...) (3).

1- فرائد الأصول للشيخ الأنصارى ج 1 ص 564 عدم اعتبار معرفة التفاصيل في الإسلام والإيمان للأخبار الكثيرة.

2- سورة الحجرات الآية 7.

3- بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج 66 - ص 241.

انتهى محل الشاهد من كلامه رفع الله في الجنة مقامه، وفيه ما لا يخفى من جعل مسألتى الولاية والبراءة من مسائل الأصول ونسب القول بأصوليتهما إلى مذهب الإمامية، واعتبر القول بعدّهما من الفروع والواجبات الخارجية هو مذهب العامة المخالفين لمذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقد عد الشيخ المفيد قدس الله روحه مسألتى الولاية والبراءة في كتابه (المقنعة) من مسائل أصول الدين، فقد قسم كتابه على شكل أبواب بدأها بالباب الأول وتحت عنوان (ما يجب من الاعتقاد في إثبات المعبود وصفاته) ثم عطف عليه الباب الثانى تحت عنوان (ما يجب من الاعتقاد في أنبياء الله ورسله) وتبعه بالباب الثالث الذى سماه (ما يجب في اعتقاد الإمامة) وتبعة بالباب الرابع الذى وضع له عنوان (ما يجب من ولاية أولياء الله) ثم تبعه بالباب الخامس تحت عنوان (ما يجب من اعتقاد المعاد والجزاء) ثم وبعد ان استوفى الكلام حول الأصول الاعتقادية شرع في الباب السادس وتحت عنوان (ما يجب معرفته والعمل به من شرائع الإسلام) وجعل الكلام فى الباب السابع حول أول تلك التكاليف والأحكام وسماه (فرض الصلاة) وهكذا ترقى فى بحث بقية أحكام الشريعة وأجزاء فروع الدين.

ومحل الشاهد فى ذكر هذا التفصيل هو جعل الشيخ المفيد قدس الله روحه مسألة الولاية أولياء الله والتبرى من أعداء الله بين أصليين من أصول الدين، بين الإمامة والمعاد ولم يذكرهما فى ضمن مسائل فروع الدين أو ما سماه قدس الله روحه بـ (ما يجب معرفته والعمل به من شرائع الإسلام) فلو كان قدس الله روحه يعتقد بدخولهما ضمن فروع الدين لما كان يحسن منه ذكرهما ضمن الأصول الاعتقادية، فيكون ذكرهما فى الأصول دليلاً على عدّه قدس الله روحه واعتقاده بأنهما من مسائل أصول الدين فتأمل.

لماذا عدّ البعض مسألتى الولاية والبراءة من فروع الدين؟

اتضح مما سبق ان الولاية والبراءة فكر وعقيدة قبل أن يكونا فعلاً من أفعال الجوارح، وهما منهج عقلى وفكرى قبل ان يكونا منهجاً عملياً خارجياً، ولعل نظر بعض الأعلام فى تصنيف الولاية والبراءة فى مسائل فروع الدين ناظر إلى ارتباط وانعكاس هاتين المسألتين — التولى والتبرى — على أفعال الإنسان الخارجية المحكومة بواحد من الأحكام الخمسة (1)، إذ إن لكل مبدأ فكرى عقائدى تطبيقات خارجية تكون داخلية يقينا تحت حكم من تلك الأحكام الخمسة، فالاعتقاد بالصلاة بكونها أمراً جاء به النبى الأعظم من عند الله سبحانه وتعالى داخل تحت أصل النبوة والتصديق بكل ما جاء به، أما انعكاس هذا الاعتقاد على أفعال الإنسان يستلزم قيام الإنسان المصلى بأفعال وأعمال خارجية كالوضوء والتوجه نحو القبلة والقراءة والركوع والسجود وغير ذلك، ويستلزم كذلك تحصيل بعض الشروط كخلو البدن ولباس المصلى عن النجاسة وغير ذلك، كل هذه الأفعال والمقدمات والشروط الخارجية حينما تتجسد فى الخارج تدخل فى ضمن مسائل فروع الدين، ليحكم على كل واحد منها بأحد الأحكام الخمسة.

فمسألتا الولاية والبراءة ما دامت اعتقاداً يسكن الروح ويقطن فى عقل الإنسان وقلبه أمكن وبلا أدنى شك عدّهما من مسائل أصول الدين، أما حينما تنعكس هاتان المسألتان على سلوك الفرد وأفعاله الخارجية فأنهما تدخلان وبلا أدنى شك فى مسائل فروع الدين وتلحقهما إحدى الأحكام الخمسة.

1- الأحكام الخمسة هى الوجوب والحرمة والاستحباب والكراهة والإباحة.

المحتويات

نص زيارة عاشوراء. 5

مقدمة اللجنة العلمية. 8

المقدمة. 11

منهجنا فى البحث.. 21

فتاوى مراجع الدين العظام وأقوالهم بخصوص زيارة عاشوراء

1: فتوى آية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله بخصوص سند الزيارة 25

2: فتوى أخرى مهمة لآية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله. 27

3: فتوى آية الله السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله. 29

4: فتوى أخرى لآية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله. 31

5: فتوى لآية الله العظمى الشيخ جواد التبريزى رحمه الله تعالى.. 32

6: فتوى أخرى لآية الله العظمى الشيخ جواد التبريزى رحمه الله تعالى.. 33

7: فتوى لآية الله العظمى السيد الروحانى دام ظله. 34

8: فتوى أخرى لآية الله السيد الروحانى دام ظله. 35

9: السيد الروحاني: قراءة عاشوراء كل يوم لها الأثر البالغ على الجنين.. 36

10: السيد الروحاني: ما ذكر في فضيلة زيارة عاشوراء يحير العقول. 37

11: السيد الروحاني: لا يجوز الصلاة خلف من يقول بان زيارة عاشوراء مزورة 39

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ

المبحث الأول: إثبات صحة صدور هذه الفقرة الشريفة. 43

المبحث الثاني: تبيان معنى السلام وفوائده وعلّة بدء الزيارة به. 45

المحور الأول: معنى السلام. 45

1: بمعنى التحية وعلامة من علامات الأمن.. 45

2: بمعنى التسليم والانقياد له في جميع شؤونه. 47

3: بمعنى التذكير بالميثاق والدعاء بتعجيل الفرج والنصر. 47

4: شهادة من الزائر لإمامه بأداء أمر الله وإقامة سنة نبيه الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.. 48

المحور الثاني: علّة بدء الزيارة بلفظ السلام على أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه. 49

المبحث الثالث: سر السلام على الإمام بكنية أبي عبد الله.. 49

المدلول الأول: تعليم الزائر أدب الخطاب مع إمامه. 50

المدلول الثاني: الخطاب بالكنية دليل على حضور المخاطب وحياته. 53

1: آيات القرآن الكريم تتحدث عن أن للأموات شعوراً وحياة وتفاعلاً مع العالم الخارجي.. 55

2: إجماع روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على سماع الأموات وحياتهم وفرحهم وحزنهم.. 56

3: روايات أهل السنة في صحاحهم وأسانيدهم وسماعهم لمن يناديهم ويزورهم.. 57

4: علماء السنة يصرحون بحياة الأموات وسماعهم وتعقلهم لما يدور حولهم.. 59

المدلول الثالث: توجيه نظر الزائر إلى مصيبة الطفل الرضيع.. 60

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة 65

المبحث الثاني: لماذا التأكيد على كون الحسين عليه السلام ابن رسول الله قدس الله روحه. 66

جذور هذه المسألة. 68

ليس للنبي صلوات الله وسلامه عليه من قرابة غير بنى أمية. 70

نظرة العباسيين لمسألة القرابة. 71

أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا حجر العثرة بوجه ذلك المخطط... 72

محاولات أصحاب السقيفة القضاء على هذه العقبة. 76

استمرار المحاولات على أيدي الأمويين والعباسيين... 77

موقف أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من هذا المخطط... 80

المبحث الثالث: سر السلام على الحسين بابن رسول الله.. 84

المدلول الأول: تبيان أسباب قتل الأمة للإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه. 85

المدلول الثاني: تبيان موجبات زيارة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه. 86

المدلول الثالث: تبيان الفارق ما بين القاتل والمقتول.. 88

المدلول الرابع: الوقوف بوجه مخطط أصحاب السقيفة وأشياعهم.. 89

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَابْنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة 93

المبحث الثاني: تبيان السبب الثاني من أسباب واقعة عاشوراء. 95

اختصاص لقب أمير المؤمنين بالإمام على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه. 96

ابتزاز هذا اللقب من الإمام على بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه. 98

كيف اثر لقب أمير المؤمنين في استشهاد الحسين صلوات الله وسلامه عليه. 107

المبحث الثالث: تبيان السبب الثالث من أسباب فاجعة عاشوراء. 115

ابتزاز لقب الوصي من الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه. 116

أدلة أفضلية أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على بقية الأوصياء. 119

الدليل الأول.. 119

الدليل الثاني.. 120

الدليل الثالث... 122

المبحث الرابع: من هم الأوصياء المقصودون في هذه العبارة 125

ملاحظة لا بد منها. 129

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة من الزيارة 132

المبحث الثاني: تبيان السبب الرابع من أسباب فاجعة عاشوراء. 132

الأول: ان اسمها المقدس ووجودها صلوات الله وسلامه عليهما مذكور بالنبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.. 133

الثاني: ان اسمها المقدس كان على الدوام يذكر الأمة بأعظم رزية ومصيبة. 136

المبحث الثالث: سر السلام على الإمام الحسين بابن سيدة النساء. 139

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللَّهِ وَابْنَ ثَارِهِ وَالْوَتَرَ الْمُؤْتُورَ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة. 145

المبحث الثاني: معنى كون الحسين عليه السلام ثار الله.. 146

المعنى الأول: قد يطلق الثار على الدم. 147

المعنى الثاني: وقد يطلق الثار على الطلب بالدم. 150

المعنى الثالث: وقد يطلق الثار على الثائر الذي لا يبقى شيئاً حتى يأخذ بثاره. 151

المبحث الثالث: معنى كون الإمام الحسين عليه السلام ابن ثار الله.. 153

المبحث الرابع: الدعاء لفرج الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يعجل بأخذ ثار الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه. 156

المبحث الخامس: معنى وصف الحسين عليه السلام بالوتر الموتور. 159

المعنى الأول: قد يطلق الوتر ويراد به المتفرد في الكمال.. 159

المعنى الثاني: وقد يطلق الموتور على من قُتِلَ حميمُهُ وأُفِرِد. 163

المعنى الثالث: وقد يطلق الموتور على من قتل له قتيلاً ولم يدرك بدمه. 164

السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى الْأَزْوَاجِ الَّتِي حَلَّتْ بِفَنَائِكَ وَأَنَاخَتْ بِرِخْلِكَ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة من الزيارة 169

المبحث الثاني: تبيان ألفاظ هذا المقطع من الزيارة 173

أولاً: السَّلَامُ عَلَيْكَ..... 173

ثانياً: وَعَلَى الْأَزْوَاجِ... 173

1: الإنسان.. 174

2: الملائكة. 175

3: الجن.. 176

ثالثا: الَّتِي حَلَّتْ بِفِنَائِكَ..... 176

رابعا: وأناخت برحلك..... 177

المبحث الثالث: فضل السلام وفوائده تكراره 178

الفائدة الأولى: السلام سبب من أسباب المغفرة. 179

الفائدة الثانية: السلام سبب لكثرة خير بيت المسلم.. 180

الفائدة الثالثة: وفي السلام الكثير من الحسنات... 180

الفائدة الرابعة: ان المسلم يحظى برد من الملائكة. 180

الفائدة الخامسة: المسلم يحظى بالرد من قبل إمامه المعصوم صلوات الله وسلامه عليه. 180

الفائدة السادسة: فى السلام تكامل لروح الزائر المسلم.. 181

المبحث الرابع: المقصود من الأرواح التي ورد ذكرها فى هذه الفقرة 182

الأرواح التي حلت بفناء قبر الإمام أبى عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه. 183

الأرواح التي أناخت بقبر الإمام أبى عبد الله الحسين بن على صلوات الله وسلامه عليه. 191

عَلَيْكُمْ مِّنِّي جَمِيعاً سَلَامٌ لِلَّهِ أَبَدًا مَا بَقِيَتْ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة من الزيارة 195

المبحث الثاني: تبيان ألفاظ هذه الفقرة من الزيارة 196

1: عليكم منى جميعا. 197

2: سلام الله... 197

3: أبدا ما بقيت وبقي الليل والنهار.. 198

أولاً: السلام اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى... 202

المعنى الأول.. 202

المعنى الثانى.. 203

ثانياً: مراتب إفاضة السلامة على سائر البشر.. 203

ثالثاً: سلام الله سبحانه مرافق لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فى جميع العوالم.. 206

ألف: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فى عالم الأشباح والأنوار. 206

باء: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فى عالم الطينة. 210

جيم: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فى عالم الأظلة. 214

دال: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فى عالم الذر. 218

هاء: سلامتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فى عالم الأصلاب... 222

رابعاً: فائدة الخوض فى مثل هذا البحث... 226

ألف: ان معرفة الله حق معرفته متوقف على معرفة الأئمة حق معرفتهم.. 228

باء: ان معرفتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين توجب مضاعفة الحسنات... 233

جيم: ان دخول الجنة متوقف على المعرفة وازديادها يوجب الترقى فى درجاتها 235

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ

وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة 241

المبحث الثانى: المعنى اللغوى لهذه الفقرة الشريفة. 243

1: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ... 243

2: لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ. 243

4: بِكَ عَلَيْنَا. 246

5: وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ. 247

المبحث الثالث: أهل الإسلام ومراتب تحقق وصفهم بالإسلام. 248

المرتبة الأولى: مرتبة الإسلام الظاهري... 248

المرتبة الثانية: مرتبة الإسلام بشرط الولاية. 250

المرتبة الثالثة: مرتبة إسلام الأنبياء والأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين... 255

مصيبة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وتأثيرها في هذه المراتب الثلاث... 257

الشاهد الأول.. 258

الشاهد الثاني.. 259

المبحث الرابع: شواهد روائية تعكس عظم ما وقع في عاشوراء. 266

وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ

المبحث الأول: المعنى اللغوي لهذه العبارة الشريفة. 275

1: وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ... 275

2: عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ... 278

المبحث الثاني: التأثير الكوني لمصيبة الحسين عليه السلام. 279

أولاً: تصريح السيدة زينب بكاء السماء دما يوم عاشوراء. 279

ثانياً: التأثير الكوني لمصيبة الحسين صلوات الله وسلامه عليه في كتب الإمامية. 282

ثالثاً: التأثير الكوني لمصيبة الحسين صلوات الله وسلامه عليه في كتب أهل السنة. 284

رابعاً: ماذا يقول ابن كثير وابن تيمية بخصوص ما سبق؟.. 288

المبحث الثالث: هل يمكن أن تبكى الحيوانات والجمادات؟. 291

أولاً: شواهد قرآنية على ان لكل الموجودات عقلاً وإدراكاً. 291

إذا كان للحيوان وغيره من الموجودات عقل وإدراك، فلماذا لم يكلف بالأحكام الشرعية؟. 295

ثانياً: ماذا يقول الحلبي في معاجز النبي وكراماته. 298

ثالثاً: خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة. 305

رابعاً: كسفت الشمس وأظلمت المدينة حين أرادوا نقل منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.. 307

خامساً: أظلمت المدينة من جريمة عبید الله بن عمر بن الخطاب.... 309

فَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة. 313

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة. 315

1: فَلَعَنَ اللَّهُ. 315

2: أُمَّةً. 316

3: أَسَّسَتْ أَسَاسَ.... 320

4: الظُّلْمِ.. 321

5: وَالْجَوْرِ.. 321

6: أَهْلَ الْبَيْتِ.... 322

المبحث الثالث: ماذا يمكن ان يستفاد من هذه الفقرة من الزيارة 324

المبحث الرابع: دلالة اللعن في المصطلح القرآني.. 328

المبحث الخامس: جزاء من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة. 333

المبحث السادس: لا عبرة بالأكثرية والحق هو المدار. 337

المبحث السابع: الإمام الحسين عليه السلام ميزان حساب الأمم. 341

أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين موازين رضا الله وغضبه. 341

أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ميزان أولاد الحلال وميزان الإيمان والنفاق... 343

الزهراء صلوات الله وسلامه عليها ميزان غضب الله سبحانه ورضاه. 346

الحسين صلوات الله وسلامه عليه ميزان حساب الأمم يوم القيامة. 348

وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ

وَأَزَالَتْكُمْ عَنْ مَرَاتِكُمْ الَّتِي رَتَّبَكُمْ اللَّهُ فِيهَا

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة المباركة. 353

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة المباركة. 355

1: وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ.. 355

2: عَنْ مَقَامِكُمْ.. 357

3: وَأَزَالَتْكُمْ.. 358

4: عَنْ مَرَاتِكُمْ الَّتِي رَتَّبَكُمْ اللَّهُ فِيهَا. 359

المبحث الثالث: تبيان بعض مراتب ومقامات أهل البيت عليهم السلام. 360

المرتبة الأولى: مرتبة الاصطفاء على جميع العالمين... 362

ألف: اصطفاء الإنسان على بقية موجودات الأرض.... 363

باء: اصطفاء الأكمل من بين أفراد الإنسان.. 363

جيم: اصطفاء أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على الأنبياء والرسل.. 364

دال: اصطفاء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.. 365

هاء: اصطفاء الله سبحانه من أفراد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فالأكمل.. 366

- واو: علة اصطفاء الله سبحانه لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.. 367
- المرتبة الثانية: مرتبة الوصاية والخلافة للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.. 369
- ألف: الوصاية خاضعة لقانون تقديم الأفضل على الفاضل.. 369
- باء: استمرار النبوة في ذرية نبي الله إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه. 369
- جيم: وصاية نبي الله إسماعيل صلوات الله وسلامه عليه ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم.. 370
- دال: حتمية وصاية الإمام على صلوات الله وسلامه عليه بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.. 371
- هاء: حتمية وصاية الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بعد الإمام على صلوات الله وسلامه عليه. 375
- المرتبة الثالثة: مرتبة تربية الأمة عقائدياً وتزكيتهم روحياً. 376
- من سعادة هذه الأمة ان كان مربيها ومعلمها محمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.. 377
- شروط ومؤهلات المتصدى لتربية الأمة. 378
- هذه الشروط لا تتوفر بعد النبي إلا في أمير المؤمنين على صلوات الله وسلامه عليه. 378
- حديث (أنا مدينة العلم وعلى بابها) يشهد بذلك.... 380
- صعوبة القيام بمهمة التربية وحساسيتها 382
- المبحث الرابع: بسبب دفع أهل البيت عليهم السلام وإزالتهم عن مراتبهم. 385
- محق الدين وتحريف الأحكام. 385
- هل في هذه الحقيقة افتراء على الصحابة؟.. 386
- الشاهد الأول: انس بن مالك يعترف بأنه لم يبق من الدين شيئاً حتى الصلاة. 387
- الشاهد الثاني: أبو الدرداء يغضب لعدم بقاء شيء من أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم.. 388
- الشاهد الثالث: سهيل بن مالك يعترف أيضاً 388
- الشاهد الرابع: البراء بن عازب يعترف بان الصحابة أحدثوا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.. 389

الشاهد الخامس: عبد الله بن عباس يصرح بأن القوم تركوا السنة بغضا لعلی.. 389

الشاهد السادس: عثمان بن عفان یکتّم أحادیث النبی خوف أن یتفرق الناس عنه. 389

لماذا تراجعت الأمة هذا التراجع الخطير والسريع؟.. 390

المبحث الخامس: سبب مسارعة الأمة إلى دفع أهل البيت عليهم السلام عن مقاماتهم ومنازلهم. 392

حياة النبی صلی الله علیه وآله وسلم زهد وعفة وصلاح... 392

الفقر عنوان حب النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.. 393

تفاعل المسلمين مع نهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن بشكل مؤقت.... 395

انقلاب الصحابة على نهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغزوة تبوك أعظم دليل... 396

سبب غزوة تبوك وحث النبي صلى الله عليه وآله وسلم للناس على الالتحاق بالجيش..... 397

كيف استجاب الصحابة لدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالالتحاق بجيش تبوك..... 398

من هم المعبر عنهم بلفظ الناس فى القسم الثانى... 400

القسم الثالث: العاصون لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الصحابة. 401

أفعال يستنكرها الدين ويندى لها جبين الأحرار من أهل الإيمان.. 402

نتائج مهمة نختم بها هذا المبحث... 404

وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ

المبحث الأول: إثبات الصدور لهذه الفقرة الشريفة. 413

المبحث الثانى: المعنى اللغوى لهذه العبارة الشريفة. 416

1: وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً. 416

2: قَتَلَتْكُمْ.. 416

المبحث الثالث: اللعن يتعدد بتعدد السبب الموجب له. 417

المبحث الرابع: هل يمكن أن تكون لأبدان أهل البيت عليهم السلام قابلية البقاء والخلود. 419

أولاً: لعدم وجود مانع عقلى من ذلك..... 419

ثانياً: وجود مقتضى لذلك..... 420

المرجح الأول: لإظهار فضلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين واختصاصهم وتقديمهم على كل البشر. 420

المرجح الثانى: لمعاصرة أكبر عدد من المكلفين لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.. 421

ثالثا: وجود الروايات الدالة على وقوع ذلك.... 424

ألف: روايات الطينة تدل على ذلك.... 425

باء: حديث أبي مويهبة من كتب أهل السنة يدل على ذلك أيضا 426

جيم: حديث عائشة من مصادر أهل السنة يدل على ذلك أيضا 428

فائدة الخوض في هذا البحث.... 428

الفائدة الأولى: تضع توضيحا شافيا لطول عمر الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه. 431

الفائدة الثانية: لتبيان الجريمة النكراء التي حالت دون التمتع بوجودهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.. 432

المبحث الخامس: أدلة إثبات قتل الأمة لأهل البيت عليهم السلام. 433

الأدلة على قتل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم واستشهاده. 433

الدليل الأول: قابلية بدنه الشريف للخلود والبقاء الوجودى تدل على ذلك.... 434

الدليل الثانى: تسالم قتله فى مذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.. 434

الدليل الثالث: روايات أهل السنة تشهد بقتله صلى الله عليه وآله وسلم واستشهاده. 435

من الذى قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم.. 436

الأدلة على قتل السيدة فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها. 437

الدليل الأول: قابلية بدنها الشريف للخلود والبقاء الوجودى يدل على ذلك.... 438

الدليل الثانى: قصر عمرها يدل على ذلك.... 438

الدليل الثالث: النصوص التاريخية والروائية تدل على ذلك أيضا 440

المبحث السادس: أدلة جواز لعن قتلة أهل البيت عليهم السلام. 444

الدليل الأول: القاتل للنفس المؤمنة كافر والكافر يجوز لعنه إجماعا. 444

الدليل الثانى: إن قتل أهل البيت إفساد فى الأرض والمفسد فى الأرض ملعون.. 446

الدليل الثالث: فى قتلهم نقض للعهد وقطعا لما أمر الله به أن يوصل... 448

الدليل الرابع: ان فى قتلهم إيذاءً للنبي ومؤذى النبي ملعون.. 451

الدليل الخامس: فى قتل أهل البيت إيذاء للمؤمنين ومؤذيههم ملعون.. 454

الدليل السادس: فى قتل أهل البيت قطع للأرحام وحكم بغير ما انزل الله... 456

وَلَعَنَ اللَّهُ الْمُمَهِّدِينَ لَهُمْ بِالتَّمْكِينِ مِنْ قِتَالِكُمْ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة. 461

المبحث الثاني: المعنى اللغوي لهذه الفقرة الشريفة. 464

1: وَلَعَنَ اللَّهُ الْمُمَهِّدِينَ... 464

2: لَهُمْ بِالتَّمْكِينِ... 465

3: مِنْ قِتَالِكُمْ... 466

المبحث الثالث: امتداد التمهيد لقتل أهل البيت جيلا بعد جيل.. 468

اجتماع السقيفة ليس أول إجتماع لغصب الخلافة. 469

فاطمة ومحسنها صلوات الله وسلامه عليهما أول ضحايا تمهيد يوم السقيفة. 472

التمهيد لعمر بن الخطاب ومن بعده لأبي عبيدة بن الجراح... 477

تبدل المخطط السابق وظهور عثمان بن عفان على الساحة. 481

الشورى مخطط لإيصال آل أمية وإقصاء آل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين... 484

لماذا شارك أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بهذه الخدعة وهو يعلم بنتائجها؟.. 488

محاولة انتزاع الإمارة من آل أمية وإرجاعها للمهاجرين مرة أخرى... 490

دور معاوية بن أبي سفيان في مقتل عثمان بن عفان.. 495

دور الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في هذا الصراع.. 497

رجوع الخلافة إلى أصحابها الشرعيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين... 498

أسباب إشعال الفتنة ونار الحرب بوجه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه. 501

عائشة بنت أبي بكر تقود تمرد الناكثين... 504

القاسطون والمارقون امتداد لمسلسل التمهيد لقتلة أهل البيت.... 509

بَرِّتْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ

المبحث الأول: إثبات صدور هذه الفقرة الشريفة. 519

المبحث الثاني: المعنى اللغوي والاصطلاحى لهذه الفقرة الشريفة. 521

1: بَرِّتْ... 521

2: إِلَى اللَّهِ. 523

3: وَإِلَيْكُمْ.. 525

4: مِنْهُمْ.. 525

المبحث الثالث: تسعة معانٍ محتملة لهذه الفقرة الشريفة. 527

المبحث الرابع: فى علة التبرؤ من هذه الأمم السالفة الذكر. 534

السبب الأول: لخياتتهم والخائن يجوز نقض عهده والتبرؤ منه. 534

السبب الثانى : وجب التبرؤ منهم لان الله سبحانه وتعالى قد تبرأ منهم.. 535

السبب الثالث: وجبت البراءة لتبرؤ النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم.. 537

السبب الرابع: تجب البراءة منهم بقطع النظر عن كل دليل قرآنى أو روائى... 538

السبب الخامس: تجب البراءة لأنهم نواصب... 539

السبب السادس: تجب البراءة منهم حتى لا يشاركهم فى أفعالهم.. 542

المبحث الخامس: أمن فروع الدين الولاية والبراءة أم من أصوله؟. 544

هل توجد ضابطة لتمييز أصول الدين من فروعهم؟.. 544

أولاً: الأصول هى الأسس الفكرية العقائدية والفروع هى السلوكيات الشرعية. 544

ثانياً: الأصل هو الذى ان فقد لم يبق للبناء وجود والفرع بعكسه. 545

ثالثاً: الأصول هى التى يستدل على أصل وجودها بالعقل أما الفروع فتثبت بالأدلة الشرعية. 545

هل تنطبق الشروط السابقة على مسألة الولاية والبراءة؟.. 546

الأول: الولاية والبراءة بمعناها العام. 546

الثاني والثالث: الولاية بمعناها الخاص والأخص.... 547

الدليل العقلي يثبت ضرورة الاعتقاد بمسألتى الولاية والبراءة. 548

القرآن صنّف الولاية والبراءة من أجزاء الإيمان والإيمان يتعلق بالأصول.. 548

الأحاديث الشريفة جعلت الولاية والبراءة من دعائم الإسلام. 549

تصريح جملة من العلماء بكون الولاية والبراءة من مسائل أصول الدين... 551

لماذا عدّ البعض مسألتى الولاية والبراءة من فروع الدين؟.. 553

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

